

جرجيس فتح الله

نظرات

في

القومية العربية مداً وجزراً

حتى العام ١٩٧٠

تاريخاً وتخليداً

أضواء

على القضية الآشورية

(منذ آب ١٩٢٢)

الجزء الخامس

اسم الكتاب: نظارات في القومية العربية مدأ وجزراً حى العام ١٩٧٠ تاريخاً وتحليلاً - أضواء على

القضية الآشورية (مذايح آب ١٩٣٣)

الجزء الخامس: أشخاص ذوو أدوار الدراما - وثائق - مراسلات - بيانات وتصريحات

ذات طابع عمومي

تأليف: جرجيس فتح الله

من منشورات ئاراس رقم: ٢٦٨

التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي

التنضيد: نادية عزيز - كردستان توفيق

التصحيح: عبدالرزاق عبدالله - شاخوان كركوكي

الغلاف: آراس أكرم

خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده

الإشراف على الطبع: عبدالرحمن الحاج محمود

الطبعة الأولى: اربيل - ٢٠٠٤

رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في اربيل: ٢٠٠٤/٢٠١

أشخاص ذوو أدوار في الدراما.
وثائق مراسلات .
بيانات وتصريحات ذات طابع عمومي

والمؤرخون وحملة القلم بواجبهم ورجعوا الى ضمائرهم قبل ان يكتبوا ما كتبوا بتحريفٍ وتشويه للوقائع، ويتمجيد زائف لأبطال المآسي وبمحاولاتٍ مقصودة لتغطية الإساءات التي اجترحها أبطالهم هؤلاء بحق البلاد والمواطنين، بل بتبرير الجرائم المشهودة باعتبارها من الضرورات التي يقتضيها الصالح العام.

في الشرق عندنا نحن بالخاص - طباع تدفعنا الى إخفاء العيب واجتناب القول في كل ما يشين بالنسبة للذات والآخرين.

ومن مظاهر هذه العقدة النفسية التي يعزو اليها علماء النفس - ازدواجية الشخصية - ظاهرة الخوف من ذكر الموتى بسوءٍ وقد صار مبدأً وجري به القول المأثور "أذكروا موتاكم بالخير". نحن نقول: ليس هناك من ضررٍ يعادل ضرر تطبيق هذا القول في تسجيل الوقائع التاريخية او تناول أعمال الشخصيات التي أسهمت فيها. فكثير من الموتى قادر على احداث اذى يفوق ما فعله وهو حي. بمجرد الاغضاء عما ارتكبه إنقاذاً لسمعته.

وعندما يرتفع الوهم والابهام وتوضع الحقائق في نصابها بانكشاف الغامض وما حوفظ عليه سراً. وعندما تقضي الأمانة والذمة من المؤرخ والكاتب اعادة النظر على ضوء ما ازيح الستار عنه - في هذه الواقعة او تلك. تجدهم يتهيبون ويحجمون، ولا يجراؤون على خرق حجاب الخوف بإقدامهم على تعديل ما صدر منهم او من غيرهم من احكام خاطئة او مبتسرة أو ما ظل يجري عند الاغلبية مجرى المسلمات المقدسة التي لا يأتيها ريب. والمسألة لا تحتاج الى كثير من الحيرة «واذا كانت الاغلبية سراقاً فان الأمانة سيعاقب عليها باعتبارها جريمة».

من الاقلية التي لا تعتبر سراقاً أذكر على سبيل المثال الكاتب الاجتماعي والمؤرخ (الدكتور علي الوردي) فقد عوقب وعوقب مراراً لأنه خرق حجاب الخوف ولست أنسى الأذى الذي اصابه في الستينات عندما وضع بعض الوقائع التاريخية في نصابها الحقيقي واتهم بكل ما يخطر بالبال، وقذف بما لم يقذف به كاتب حتى انه عير بضعف اسلوبه الكتابي وعيب عليه ما وقع فيه من اغلاطٍ نحوية وصرفية!

ويتأخر الزمن ببعض الواقفين على حقائق الأمور بفضل المراكز التي كانوا يحتلونها والفرص المتاحة لهم. ويخفون الحقائق على الناس فلا يكشفونها إلا بعد أن يتم تشويهها وتخويرها لتبدو من قبيل المسلمات. واول من يلوح لي هنا شخص (توفيق السويدي) وقد نوهنا به في موضع سابق. كان هذا الوزير الخطير مثلاً على معرفة تامة بحالة الملك غازي العقلية. لكنه آثر السكوت عنها ايام كانت هذه الحالة المرصية مفيدة له ولأقرانه من رجال الحكم فترك

تمهيد

يتضمن هذا الجزء سيراً ومواقف لساسة وعسكريين ومدنيين عراقيين وردت اسماؤهم في هذا الكتاب وبمقدار قل او كثير من الإسهام في المأساة، وما من ريب في ان القاريء سيصاب ببعض دهشة لان ما سيطالعه عنهم هنا يختلف كثيراً عما ألفوا قراءته في اسفار تاريخية أخرى متداولة. بعض هؤلاء امتد به العمر بعد الأزمة طويلاً وبعضهم وأقصد الساسة العراقيين لقي مصيراً محزناً بعد قليل من الزمن وقد دانت السلطة لمعظمهم وتمتعوا بالجاه والمكانة وتركوا آثارهم في تاريخ العراق الحديث وليس فيها ما يمدحون عليه او يشكرون. ولقد كان لهم بقوة سلطنتهم اكثر من خيار وسبيل لمعالجة الأزمة الآشورية بشكل آخر يختلف عما اعتمده فعلاً. فاختراروا اسوء الحلول، وسلكوا بقدم ثابتة اوعر السبل او اكثرها خطورة دون مبالاة بالمضاعفات على الزمنين الطويل والقصير، ولا بما سيصيب سمعاتهم من أذى ربما لمعرفتهم بان معشر البشر سريع النسيان. لكنهم وضعوا البلاد على طريق العنف، فصارت طريقتهم في معالجة الازمة الآشورية مثلاً يحتذيه خلفاؤهم كإبراً عن كابر في معالجة ازمت مثلها لاسيما في معالجة المسألة الكردية. كم افسدوا الجو السياسي العراقي باساليبهم هذه وباطلاقهم غول العنف ينهش في احشاء المجتمع الذي كان يراى به أن يصير شعباً فتراكمت الاخطاء واستمر تدفق الدم وزاد الشقاق والتباعد.

ان المتأمل في الصور التي سترسمها هذه السير له. ما اظنه بقادر على حبس هذا السؤال: كيف ستكون اوضاع هذا البلد لو كان له في هذه الأزمة ومثلها - رجال غير هؤلاء؟ رجال تحلوا ببعض الصبر واللين مع قليلٍ من إنعام النظر الخليق برجل السياسة. افكان سيحصل ما حصل؟ أو ما كان تاريخ العراق الحديث سيتخذ مسلكاً غير المسلك الدموي الذي سلكه؟

ولقد كان بالامكان رغم هذا - تفادي مصائب كثيرة وكوارث سياسية لا تدعو لها ضرورة لو سميت الأشياء بأسمائها الصحيحة وكان بالامكان تلافي اخطاء كثيرة لو نهض المفكرون

اسطورة البطل القومي المعزوة لهذا العاهل تنتفخ كالبالون دون ان يتصدى لها هو او يكشفها غيره فكتمها ولم ينفخ في الصافرة إلا بعد موته، وبمذكرات اخفاها ولم يقدم على نشرها في حال حياته وها هنا أذكر حادثاً صغيراً بالمناسبة:

في الرابع من نيسان ١٩٣٩ وانا في السنة الأخيرة من الدراسة في ثانوية الموصل وفي سن تزيد اسابيع عن السابعة عشرة بدا في جو المدرسة اليومي بعض تغيير، فقد نكس العلم العراقي فجأة وهب التلاميذ من مقاعدهم الى الصحن ليحفوا بطالب يافع في الثالث المتوسط يدعى هشام الدباغ عرف بافتتانه بشخصية (هتلر) ومحاولته تقليده في خطبه. وكان في ذلك اليوم يهتف ويصرخ قائلاً بان الملك الشاب اغتاله الانكليز. اما كيف علم بذلك ومن جاءه بالنبا؟ فما كان الوقت مناسباً لسؤاله وما كان احد يجرأ على ذلك اذ يبدو الأمر منطقياً. فقد قدم هذا العاهل للناس بوصفه خصماً للانكليز منذ ان جاء الموصل قبل خمسة اعوام. وهو ولي للعهد لتصدر الحفلات والمهرجانات المقامة بمناسبة النصر الذي احرزه الجيش على الأشوريين، لذلك ولم يكن بالعسير على هذا الصبي الغر ان يقود تظاهرة الى بناية القنصلية البريطانية واكاد اقطع انه ما كان هو يعرف هدفها، تسلل زملاؤه الطلاب من المسيرة واحداً بعد آخر وتخلوا عنه وتركوه مع الغوغاء والجمهور المتحمس. وكان الضحية القنصل البريطاني (مونك) وهو من علماء الجيولوجيا وكان قد دعي قبل يومين لإلقاء محاضرة في مدرستنا. خرج هذا الرجل لاستقبال التظاهرة وتقديم التعازي على ما يبدو فهاجمه أحد المتظاهرين وعاجله بضربة من فأسه فلقت رأسه نصفين.

خيل لي وكنت في حينه اعالج نظم الشعر - بان الواجب يحتم علي المشاركة في المناحة العظمى التي اجتاحت البلاد طويلاً وعرضاً فنشرت قصيدة رثاء في احدى الجرائد المحلية الصغيرة ومع ثقتي التامة بأني لن اعثر قط على نسخة لها ولن يعثر احد كذلك ليعاتبني عليها ويعيرني بها. فان رعدة الخجل ظلت تشيع في اطرافي كما يتصعب من جيبني عرق الندم كلما عثرت على دليل او وثيقة تؤيد بأن هذا العاهل كان مصاباً في عقله وانه مات نتيجة ذلك.

مع هذا كله فما زال الباحثون والاكاديميون العراقيون يحاولون الابقاء على اسطورة الملك الضال بإحاطة ميته بالشبهات.

في شهر تشرين الاول من سنتنا الماضية (١٩٩١) نشر المؤرخ البريطاني المعروف (ديفيد ايرفنگ David Irving) كتابه الموسوم «حرب هتلر Hitler War» وفيه نفى ان يكون لهذا

الدكتاتور علم بما ارتكبه اعوانه من ملايين القتل الجماعية في معسكرات الاعتقال والبلاد التي احتلتها جيوشه. وبعد شهرين فحسب من ظهور كتابه هذا، تم العثور في مدينة (بيونس ايرس) على مذكرات «ادولف ايخمان» احد اعظم جلادي تلك الفترة. وكان الاسرائيليون قد نجحوا في اختطافه من تلك المدينة في العام ١٩٦٤ ونقلوه الى موطنهم وحاكموه وأعدموه.

بعد ان تأكد المؤرخ (ايرفنگ) من صحة المذكرات واصالتها وثبت لديه من قراءتها ان هذه المجازر الهائلة انما جرت بمقتضى امرٍ صريح صدر من (هتلر) بالذات، لم يتردد في الإعلان لوسائل الاعلام العالمية - عن خطأه بقوله: "انه يأسف كثيراً لغلطته التي اورثته كثيراً من الغم والألم".

وسيمر وقت طويل بحملة القلم العراقيين وبعض العرب، لاسيما الذين يعالجون وقائع تاريخ الماضي القريب من حياة الدولة العراقية، ليجدوا في انفسهم مثل هذه الشجاعة وليتحرروا ايضاً من عقدة الخوف فيصححوا ما ألفه الناس من اخطاء في الاحكام. وكل ما اراه فيهم اليوم انهم لا يريدون ان يخلقوا لأنفسهم متاعب وخصوماً واعداء ولا ان يصابوا في ارزاقهم او تنكب حياتهم الرتيبة بهزة ولا ان يقفوا وقفة تحد لسلطان الفكرة الثابتة Ide'e fixe.

قيل انه طلب من (فولتير) وهو على فراش موته ان يتبرء من الشيطان ويلعنه فأجاب: "الوقت ليس مناسباً لكسب اعداء جدد!".

وفي دنيانا هذه، هناك أناس ليس من الأدب في شيء ان تبدو أمامهم بصفات لا يملكونها، وهؤلاء هم الذين عناهم ابو الطبيب المتنبي ببيتيه هذين:

ومن عرف الايام معرفتي بها وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به ولا في الردى الجاري عليهم بأثم

لمحات من سيرة
رشيد عالي الـكـيلاني

(رئيس الحكومة العراقية اثناء الـأزمة الآشورية ١٨٩٢-١٩٦٥)

الدين في مدرسة جامع مدينة (بعقوبه) وهو من أقرباء السيد عبدالرحمن النقيب، نقيب أشرف بغداد وإمام الحضرة الكيلانية فيها ومتولي أوقافها في العراق وأول رئيس حكومة عراقي أثناء الاحتلال البريطاني.

كان السيد عبدالوهاب قد تزوج من اخت غير شقيقة (للعبدالرحمن) هذا. وبقيت عاقراً ولم تنجب، فاتخذ له زوجاً أخرى هي بنت سرغال كردي من عشيرة البيات في بعقوبه^(٣) خلافاً لرغبة قريبه (عبدالرحمن) فولدت له (رشيد عالي) الى جانب اخوة له، وذلك في العام ١٨٩٢^(٤) وهو التاريخ الرسمي الذي نعرفه لميلاده.

يظهر ان غضب عميد الأسرة على هذه الزيجة كان شديداً فبادر بوصفه متولي الوقف الكيلاني الى حرمان صهره من سهم كان يتقاضاه من إيرادات الوقف الذري بلا وجه حق أو مبرر فوضع الأسرة في عسر مالي شديد دائم وكان تأثيرها شديداً على (رشيد عالي) الصبي والحدث كما بدا من ردود فعل لها في حياته العامة. اذ ما كانت المضاضة وضيق ذات اليد ليتفقا مع النسب الرفيع وشرف المحتد وجانيه قريب له يأبى مشاركة اقربائه نعماء وسعة عيشه، وارجح ان هذا كان من عوامل ما ظهر فيه من حدة خلق وحب انتقام واندفاع عاطفي لا يجد له مبرراً منطقياً في اغلب الأحيان يتراوح بين اعلى درجة من التعالي والكبرياء الى ادنى درجة من الذلة والاتضاع. وسنورد له شواهد كثيرة.

وعلى اية حال يمكن ان يدخل (رشيد عالي) في صنف تلك الفئة الحضرية من حكام العراق الذين نشأوا نشأة عصامية ولم يربوا في احضان الترف والغنى. وقد امتاز بذكاء وذاكرة حادة وحب للدراسة، ولم يختر مسلك ابيه الديني في الحياة وارتحل الى بغداد وتلقى المزيد من

= صدرأ أعظم (رئيس وزراء) عثماني في القرن التاسع عشر كان له عين هذا الاسم المزجي. هو أمين عالي پاشا وربما كانت (عالي) تصحيفاً لكلمة (علي) فمن عادة الاتراك أن يشبعوا الحركات ليقلبوها الى أحرف علة مناسبة للحركة وما من شك ان اسم (بكر صدقي) هو اختصار مشوه (لابي بكر الصديق). ومما جرى في هذا المجرى ان احدهم سألني يوماً كيف يكتب اسماء مثل (حكمت وصفوة ونجدت الخ...) ألبتاء المدورة ام الطويلة وايهما اصح - فأجبت على قدر معلوماتي القليلة بفنون كتابة اللغة العربية. من الافضل ان يكتبها بالطويلة ليحافظ على تركيبها. وإلا فان يخالف ما جرى عليه العرب من التسميات. (فنجدة) ستكون مصدراً مثلاً والعرب عادةً لا تستخدم الحالة المصدرية للتسمية.

(٣) تدعي هذه العشيرة انها كردية أنا وتركية أنا وفقاً لمجرى الحياة السياسية وهي في الواقع كردية اختلطت بالترك نسباً وكان ثم تزواج بينهما.

(٤) من اشقائه (محمد نجيب) الذي توفي في الموصل كما سيأتي بيانه. و(كامل) وهو دبلوماسي رافق شقيقه في حقبة من حياته السياسية. وقيل ان له اكثر من اخت شقيقة. اثبتنا هنا تاريخ ميلاده الرسمي وربما سنجد انه لا يستقيم والتواريخ التي سجلها بعض الكتاب للمناصب التي اشغلها وقد لا يزيد التفاوت عن سنتين او ثلاث.

يقع المؤرخ في حيرة عندما يتطلب منه رد الأصل العرقي لمن يتناوله من ساسة العراق او نسبته الى قومية معينة. فقد اختلطت الأنساب وامتزجت الدماء بالدماء في هذه البقعة من العالم في عملية تمثيل طوال احقاب سحيقة من التاريخ بحركة وفادة الشعوب والاقوام الدائبة بالهجرة او جراء الغزوات العديدة ونزوح الأقسام من غربها وشرقها وشمالها وجنوبها. وقد تفاعلت ولاسيما في البلدات والمدن وغيرها من المجتمعات الحضرية حتى لم يسلم عنصر واحد من تلك. وكان على المؤرخ ان يقنع بالتسليم في بعض الاحيان بما ينتسب صاحب السيرة اليه في احيان كثيرة الى ان تقوم دلائل وشواهد تخالف دعوى انتسابه.

وعلينا هنا الاقرار ميدنياً بما ارتضاه (الكيلاني) لنفسه من نسب. من جهة أخرى لا أرى حرجاً في تمسكه في عين الوقت بهذا اللقب ووصوله الثابت بشجرة نسبه الى منشيء الطريقة الشهيرة في عالم التصوف المعروفة (بالطريقة القادرية او الكيلانية) نسبةً الى عميدها ومؤسسها (قطب الغوث الشيخ عبدالقادر الجيلي أو الكيلاني) فالشيخ هو فارسي كما اتفق عليه معظم المؤرخين وكردي على زعم بعضهم وبلده ومسقط رأسه مدينة (كيلان)^(١) الحالية. ولا اجد تناقضاً بين الأصل الفارسي العريق والانتساب القومي المتأخر. فالمعروف ان الشيخ العميد انجب اكثر من احد عشر ولداً ذكراً. ومع انه استقر وعلم في بغداد إلا ان اولاده وذريتهم انتشروا في العالم الاسلامي وتناسلوا وتكاثروا وانك لواجدهم في رقعة من الأرض تمتد من الهند وما وراءها حتى ساحل الاطلنطي شمال افريقيا. وهم يتمسكون بلقب الكيلاني وكلهم يذهب الى انهم من السادة كما ذهب بعض المؤرخين الى ان الشيخ هو من السادة فعلاً ومنهم عرب الإدعاء ومنهم فرس ومنهم ترك ومنهم كرد ومنهم هنود الخ...

و (رشيد عالي) وهو اسم تركي رغم لفظه العربي^(٢): ابن عبدالوهاب الكيلاني مدرّس (١) تقع في اقليم مازندران. شمال غرب طهران بمسافة تزيد عن ٣٨٠ كيلومتراً. تثبت الكتب المعتمدة اسم الشيخ عبدالقادر (١٠٧٧-١١٦٦م) هكذا: «محي الدين ابو محمد ابن ابي صالح زنگي دوست». (٢) سجل اسمه (رشيد) في ولادته ولا يعلم من اضاف اليها كلمة (عالي) التسمية تركية الطابع واذكر ان =

التحصيل في (الاعدادي) وسكن حي (باب الشيخ) القريب من مرقد جده الاعلى. ولم يكن - كما قيل يخشى منافساً على الاولوية ثم دخل كلية الحقوق في ١٩١٠^(٥) وتخرج في ١٩١٤. وقد اضطر الى العمل بوظيفة (كاتب اول) في دائرة اوقاف الولاية اثناء الدراسة. ولا يعلم فيما اذا كان للسيد عبدالرحمن النقيب يد في الفوز بهذه الوظيفة أو ان الغضب على الوالد شمل الابن أيضاً.

في العام ١٩١٤ وبعد نياله شهادة الحقوق عين معاوناً لرئيس كتاب ادارة الولاية في بغداد لتمكنه من اللغتين العربية والتركية او ربما بتأثير انتسابه الى « حزب الاتحاد والترقي » وهو حزب قومي تركي كان يحكم البلاد العثمانية اذ ذاك. وما مر عليه عام وبعض عام حتى نقل ترفيعاً الى وظيفة رئيس كتاب مديرية الاوقاف. وبعدها بسنة واحدة وثلاثة أشهر تسلم رئاسة المديرية وكالة وكانت حرب العراق قد قطعت شوطاً من سنتها الثالثة.

نأى (رشيد عالي) بنفسه عن العمل الوطني السري الذي كان يتمثل في حينه بالجمعيات السياسية العربية السرية وبقي موظفاً مخلصاً لحزبه - الاتحاد والترقي - ولسلطانه العثماني وواليه في بغداد، حتى أنه لم يتردد في ترك بغداد اسوة بالوالي وموظفيه عندما راح الجيش البريطاني يطرق ابواب المدينة. وقد رافقه شقيقه (محمد نجيب). يذكر الدكتور عدنان الباججي نقلاً عن والده (مزاحم) ما نصه: «يقول والدي: كان من ابرز مؤيدي الاتراك في ذلك الوقت (١٩١٤-١٩١٨) مراد سليمان اخو حكمت ورشيد عالي ونصرت الفارسي واخوه عزت.

ان قصة خروجه من بغداد وماتخللها من ملابسات ومغامرات وما تلاها من انقلاب وتحول في ولاته لا يصح اغفالها هنا. وقد رواها نقلاً عنه صديقه الكاتب اللبناني (محمد عبدالله اليافي)^(٦) اثناء ما كان صاحب السيرة مبعداً في بيروت إثر انقلاب (بكر صدقي). وهذه هي:

«لما اشرفت الجيوش الانكليزية على احتلال العاصمة بغداد ما كان منه (اي رشيد عالي) إلا أن هرب بما في صندوق المديرية من الوثائق والسجلات وأموال تقدر بثلاثين الف ليرة عثمانية، وتوجه الى سامراء عاصمة (المعتصم) العباسي حيث التحق بالوالي مع بقية المأمورين. وكان الجيش الانكليزي لا يزال مواصلاً

(٥) تأسست مدرسة الحقوق في العام ١٩٠٤ ببغداد. وكانت تشغل غرفة او غرفتين في بناية المحاكم. وقد صدر أمر تأسيسها بمسعى من آل السويدي وبارادة السلطان عبدالحميد الثاني.
(٦) «العراق بين انقلابين» منشورات دار المكشوف ١٩٣٨: الص ٩٣-٩٨ (ط: بيروت)

زحفه الى المناطق الشمالية. فخشي الوالي ان يظل النصر حليف هذا الجيش فيستولي الانكليز على الثروة التي هربها السيد الكيلاني، فأصدر أمره الى هذا الأخير بوجوب حرق الوثائق وتوزيع المال على المأمورين. لكن السيد الكيلاني ابى النزول عند هذا الأمر الأخير وهرب مع شقيقه المرحوم (محمد نجيب) من سامراء الى الموصل ومعهما الأموال. وقد مضى عليهما عشرون يوماً وهما يسيران على الأقدام حتى وصلا الموصل. وقد ذاقا في الطريق كل انواع العذاب من تعب وجوع وعطش.

وفي الحال ارسل (السيد الكيلاني) برقيةً الى استنبول يُعلم فيها وزارة الاوقاف بكل ما جرى ويستشيرها فيما بقي عليه أن يفعل فورده جواب كله تناء على ما قام به من توضيحات وبعد ستة اشهر عين مديراً للاوقاف في الموصل دلالة على ان حكومة استنبول قدرت له عمله المجيد الذي كان سبب حفظ عشرات الألوف من الليرات الذهبية. كما صدر أمر آخر يقضي بتسليمه كافة اوقاف السيد الكيلاني في ولاية الموصل وهي عبارة عن عدة قرى». آه.

في هذه الحكاية ثغرات كبيرة، وقبولها على علاتها ضرب من ضروب السذاجة لا يرتضيه المؤرخ لنفسه. أما وانها كانت قد حازت رضا (رشيد عالي) وان نشرها بهذا الشكل كان بموافقة التامة فدلينا عليه انه الوحيد الذي كان على علمٍ بمثل هذه التفاصيل (وقد توفي اخوه في الموصل حينذاك) ومن المتعذر أن يكون (اليافي) قد سمعها من غيره او انه نشرها قبل إطلاع (رشيد عالي) عليها. ولو افترضنا ضد هذا المستحيل بقولنا أن رشيداً لم يكن يدري بها الا بعد نشرها، فسكوتها عنها وهو اذ ذاك يتقلد ارفع وظيفة في الدولة دليل على الرضا بها والمصادقة على محتواها.

لاشك في أن هروب (رشيد عالي) بالوثائق والاموال العائدة الى الوقف هو دليل حرص وأمانة قبل ان يكون دليلاً على اي شيء آخر.

ولكن ما الذي جعله يصعد بأمر الوالي القاضي باحراق الوثائق والسجلات في حين عصيه في تسلم الامانات المالية؟

لاشك في ان احراق هذه الوثائق وهي ليست من أسرار الدولة ولا مما يخشى وقوعه في يد العدو هو جنابة كبيرة بحق اصحاب الوقفيات. فالمعروف ان ما في دوائر الاوقاف هو عبارة عن صكوك وحجج تولية ووصايا وسجلات باسماء المستحقين والمسقطات والمستغلات الموقوفة

وما الى ذلك مما يهم الواقفين والمستحقين وكل هذا قد يحرض المحتل البريطاني على سلامته اكثر مما يحرض عليه والي بغداد .

خلال سنوات الحرب الأربع في العراق لم يؤثر عن جيش الاحتلال البريطاني سابقة عبث في الوثائق والسجلات العراقية. بل كان حريصاً وبصورة خاصة على ما يتعلق منها بأمر الدين. أفما كان هذا تسرعاً من (رشيد عالي) او ما كان الاجدر به ان يبقيها في محلها حفظاً لحقوق الواقفين والمستحقين؟ ان كان احرقها فعلاً؟

لا يمكنني بعين المنطق ان اعلل جراءة (رشيد عالي) على تحدي أمر الوالي ورفض تسليم الأموال اليه في حين أطاعه في حرق الوثائق والسجلات، ومع الوالي جنوده وقوته الاجرائية وموظفوه وكلهم بحاجة الى المال وبإمكانه ان ينتزعه جبراً وبأسهل ما يمكن. فعلياً هنا ان نفترض أحد امرين: إما ان الوالي عدل عن استخدام الضغط وسيلةً واما ان الرواية مختلقة أساساً. ولكن كيف نتصور عدول الوالي عن ملاحقة (رشيد عالي) بالطلب في حين يؤكد راوي الحكاية انه هرب ليلاً الى الموصل مع شقيقه؟.

وبخصوص حكاية الهروب هناك أسئلة كثيرة:

اذا كانت الاموال ذهباً وهو ليس بالذي خف حمله. فلا شك أن نقل ١٥٠ كيلو منه بحساب خمسة غرامات لليرة الواحدة هو حمل ثقيل جداً على اثنين من الهاربين يقطعان به مسافة تزيد عن ثلاثمائة كيلومتر ليصلا به سالماً في ظروف حرب وفوضى وفي طريق قوافل غير مأمونة في الاوقات الاعتيادية حيث للادارة كلمتها وسطوتها، وهي تقطع عادة بقوافل محروسة بالجندرية والدرك؟ اغفلت حكاية (اليافي) ذكر المصير الذي آلت اليه الأموال بعد الوصول بها الى الموصل سالمه.

على اية حال ليس في سجلات مديرية اوقاف الموصل ما يشير الى أن مبلغاً ما دفعه الأخوان الكيلانيان ذمةً او أمانة. كما لا يشار ايضاً الى اي جهة أخرى سلمت لها تلك المبالغ. ولعل من المفيد القول ان الاموال والنقد المتكون من ايرادات وعوائد الموقوفات والمستغلات الوقفية التي تدر ريعاً، انما تودع صندوق مديرية الاوقاف على سبيل الامانة اما لتوزيعها على المستحقين من ذرية الواقف او للصرف منها على تعمير واصلاح الموقوفات أو توزيع جانب منها على المستحقين طبقاً لوصية الواقف وشروط الوقفية فهي والحالة هذه ليست من اموال الدولة ولا علاقة لها بالجزينة العامة.

بعد دخول الجيش البريطاني (بغداد) وعودة الادارات الى اعمالها ، لم يثر أحد من موظفي

دائرة الاوقاف فيها مشكلة ضياع او اتلاف سجلات ووثائق او اموال مفقودة أفكان كل ذلك مجرد خيال؟

كان بإمكان (الغيلاني) ان ينفي الحكاية كلاً او جزءاً بعد زوال حكم (بكر صدقي) فلم يفعل.

يستطرد (اليافي) ليقول:

«عندما اعلنت الهدنة ودخل الجيش الانكليزي الموصل، اراد السيد الغيلاني ان يعود الى بغداد، لكن الحاكم الانكليزي المستر (لچمن) ابى عليه العودة وكلفه البقاء في منصبه نظراً لما رأى منه الاخلاص والأمانة والتضحية. إلا ان يد المنون عاجلت شقيقه السيد (محمد نجيب) فاستحصل اجازةً ثم استقال.»

ويجب ان نذكر هنا أن هذه السيرة والحكاية نشرت مع سير أخرى في وقت كان اعلام السياسة العراقيون الذين طردهم انقلاب (بكر صدقي) من البلاد بحاجة الى الرد على الاتهام والتشنيع الذي تناولتهم به صحف بغداد ضمن حملة التشهير المعروفة في ١٩٣٦^(٧).

ولنعد الى حكاية (اليافي):

فعل الغيلاني ما كان على اي سليم العقل ان يفعله فلم يخرج مع والي الموصل (علي احسان پاشا) بعد اعلان هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨^(٨) لا كما فعل بتركة بغداد إثر مغادرة واليها (جاويد بگ) وبقي في الموصل لتجربة حظوظه مع الفاتح الجديد.

وارجو ان يكون واضحاً هنا بأن غرضي ليس الانتقاص من قدر (للغيلاني) يستحقه ولا اثاره اي شبهة حول امانته واخلاصه وتضحيته فقد بدا هذا منه كما يظهر في خدمته الوظيفية للجهتين، وبدليل انه لم يلق صعوبة في ايجاد وظيفة لنفسه تتفق ونباهته عند عودته الى بغداد. وما جئت بهذه القصة وهو مصدرها الا لأنها قد تكون الوحيدة او الواحدة بين القلائل التي ظفرنا بها عن حياته الأولى. فقد انشغل كل من كتب عنه بحياته السياسية التالية وجهاده القومي^(٩).

(٧) تناول كتاب (اليافي) سير كثير من الساسة العراقيين الذين طاردهم ذلك العهد ومن بينهم: نوري السعيد ورستم حيدر وياسين الهاشمي وجميل المدفعي وناجي السويدي ومولود مخلص وطه الهاشمي واكثر من عشرين آخرين.

(٨) بين تركيا وبريطانيا نيابة عن الحلفاء في ميناء مودروس الواقع في جزيرة (لنوس) اليونانية.

(٩) اكان ذلك قصوراً ام تعمداً؟ فليس في كتاب (نجم الدين السهروردي) المطبوع في ١٩٨٨ ولا في كتاب =

بعد وصوله بغداد عرض نفسه للتدريس في مدرسة الحقوق. ودرّس قانون العقوبات الجديد الذي سنه المحتل وعرف بقانون العقوبات البغدادي وبقي محتفظاً لنفسه بكرسي الاستاذية عندما اصبح المعهد (كلية) وارتفعت سنوات الدراسة فيها الى اربع وان لم يكن منقطعاً لها بسبب تبوئه المناصب السياسية الخطيرة. وفي خلال هذه الفترة وضع ثلاثة مؤلفات تدريسية جيدة في ميدان اختصاصه. وبقي احدها وعنوانه «مسالك قانون العقوبات البغدادي» الكتاب المعول عليه في تدريس هذه المادة زمناً طويلاً.

في العام ١٩٢١ عين (الكيلائي) عضواً في محكمة الاستئناف وكانت في حينه اعلى محكمة في البلاد كما اثبت في الوقت عينه عضواً في لجنة تعريب القوانين التركية.

مالث ان تبين (الكيلائي) بأن منصبه القضائي لا يتيح له التقدم الذي يطمح اليه في الحياة العامة فاستقال وزج نفسه في خضم المعترك السياسي وقد بدا ذلك منه خطوة جريئة واندفاعاً غير مضمون النتائج. فهو يفتقر إلى ميزات كان معظم ساسة ذلك الزمن يعتمدون عليها في ولوج هذا الباب.

لم يكن من طبقة العسكريين العثمانيين، ولا ممن اعلن الخروج على الدولة العثمانية وانضم الى الشريف (الحسين بن علي) في ثورته العربية. كما لا يمكنه ان يفخر كما بينا بانتماء الى حزب او جمعية سرية عربية من تلك الاحزاب التي تألفت قبل الحرب للدفاع عن حقوق العرب السياسية. حتى انه لم يدع الى الخدمة العسكرية بعد اعلان النفي العام ١٩١٤ (وهو مازال امراً يحف به الغموض اذ كان كثير من الشباب في حينه يلجأون إلى طرق شتى للتخلص من هذه الخدمة البغيضة).

واهتدى الى النجم الصاعد بشخص (ياسين الهاشمي). الذي كان يشاركه طموحه فاتبع قيادته وبرز في نشاط حزبه «المقبل»^(١٠) فضمه هذا الى اول وزارة كلف برآستها في العام ١٩٢٤. وكان اصغر وزير بين كل من تولى مثل هذا المنصب في سائر العهد الملكي فقد كان وهو في الثانية والثلاثين، شخصاً لا يملك تجارب سياسية ولكنه يملك اندفاعاً عاطفياً وطموحاً. ولهذا وجد نفسه اشبه بالغريق في اول مناورة بل دسياسة سياسية كان فيها ألوية بيد وليه

= الدكتور وليد الاعظمي [بالانكليزية] الموسوم: رشيد عالي الكيلاني والحركة القومية في ١٩٤١، المطبوع قبله بسنة واحدة ما يتطرق الى ذلك الجزء من حياة الكيلاني. وسيكون لنا حديث عن هذين المؤلفين فيما بعد.

(١٠) اجيز الحزب باسم حزب الشعب في تشرين الثاني من العام ١٩٢٥ وكان حزب المعارضة اثناء وزارة عبدالمحسن السعدون.

وراعيه (ياسين). وهذه قصتها باختصار:

فوجيء الرأي العام في الخامس من آذار ١٩٢٥ باستقالة الكيلاني من الوزارة تضامناً مع الشيخ (محمد رضا الشبيبي)، واحتجاجاً على موقف الحكومة وهما من اعضائها - «للتفريط بحقوق البلاد بمنحها امتياز النفط بشروط مجحفة». وكان كتاب الاستقالة مسهباً ومطولاً بشكل غير معهود في الاستقالات ويقصد منه الدعاية بالدرجة الأولى ولكن لم يمض زمن طويل حتى تبين ان السبب الحقيقي للاستقالة لا يمت لامتياز النفط بصلة. وانها قدمت بايعاز من رئيس الحكومة (ياسين) كجزء من مناورة سياسية فيها من الدجل والشعوذة اكثر ما فيها من براعة.

كان الهاشمي (وقد اثبتنا سيرته) يريد في اول رئاسة لحكومة تقديم برهان للبريطانيين على انه سائر في ركابهم مستعد لدفع العوض لقاء رضاهم عنه بعد جفوة ١٩١٩ في سورية والسماح له بالعودة الى العراق وفي عين الوقت كان حريصاً على الاحتفاظ بصورة المعارض الضنين بمصلحة الوطن والمناويء للسياسة البريطانية. فرأى أن يظهر بمظهر المرغم الذي لا حيلة له. وقد صادفت المبادرة هوى في نفس (الكيلائي) على ما يظهر فتطوع ليكون لها، فمن فوائدها الظاهرة انها ستعمل له رصيلاً شعبياً وتبني شهرته السياسية. كما كان يدري فضلاً عن ذلك ان عمر حكومته بات قصيراً وسترغم على الاستقالة بعد أسابيع وان (ياسين) سيكلف بتشكيلها ثانية وان ولائه له واطاعته أمره سيكفل له فيها اهم وزارة.

اهمية الوزارات تتفاوت في مختلف أنظمة الدول. فما يكون وزارة رئيسة في دولة قد يكون ثانوياً في دولة أخرى. في انكلترا مثلاً ظلت وزارة المالية اهم وزارة. وفي الولايات المتحدة وزارة الخارجية هي المهمة. اما في العراق فوزارة الداخلية هي أهم الوزارات طراً. لأنها تسيطر على الأمن الداخلي بقوات الشرطة التابعة لها. وتشرف على التنظيم الاداري وتسيطر عن مقدرات الموظفين الاداريين وتتولى امور العشائر. واهم من ذلك كله صلاحيات الوزير التي يمارسها اثناء الانتخابات النيابية بموجب القانون الخاص بها مما يتيح له التحكم فيمن يفوز بالنياحة ومن لا يفوز.

وكان لا بد لمثل (الكيلائي) من الوقوع في غرام هذه الوزارة بعد ان اصلها لاول مرة ويل شفتيه برضاها فظلت مطمحة الأوحده في كل وزارة يدعى للمشاركة فيها. فإن كان هو الذي يؤلفها ووجد فرصة للاحتفاظ بها علاوة على رئاسته، فعل بإصرار ودون تردد. واذا كان قد اصاب في تقدير قصر عمر وزارة (ياسين) فرضي بالاستقالة منها فإنه اخطأ في تقديره بان

(ياسين) سيعود الى تأليفها. لكن ما ان علم بنية الملك في توجيه الوزارة الى (عبدالمحسن السعدون) حتى سارع مسلحاً برصيد الاستقالة الشعبي - الى قطع علاقته بحزب الشعب الذي يتزعمه (ياسين) ويتبوأ هو فيه المقام الثاني، واعلن انضمامه الى حزب التقدم الذي يرئسه (السعدون) وعندما ضمه هذا الى حكومته واسند اليه وزارة الداخلية، كان قد عرفه مسبقاً وبوضوح بالذي يُنتظر من حكومته. وتسلم (الكيلائي) مهام الوزارة في أواخر حزيران ١٩٢٥ وذهل العارفون لما عرفوا انها ما جاءت الا للتصديق على امتياز النفط!!

وسئل (الكيلائي) من قبل احدى الصحف: كيف رضي بالمصادفة على الامتياز في حين كانت معارضته له سبب استقالته، فلم يجد جواباً غير قوله: «كان لا بد لي من الازعان للأمر الواقع».

هذا الأمر الواقع وهو تهالكه على وزارة الداخلية، سر البريطانيين بصورة خاصة اذ كانوا يرغبون في ان يبدو المعارض الرئيس للامتياز - على استعداد للنزول عند ارادتهم.

سرى فيما بعد ان هذه الوزارة جرت عليه من المتاعب والمشاكل ولطخت سمعته بما لا يوازي ما حصل عليه منها من مغام.

لم يلبث (السعدون) ان اكتشف غلظته في اسناد المنصب (للكيلائي) وندم على ذلك بسبب تصرفات لا يقرها. ومنها محاباة لشيوخ عشائر في الجنوب لم يكونوا على وئام مع آل السعدون، لاسيما خصومتهم مع اخوته وتدخله في الخصومة الى جانبهم فاعتزم التخلص منه في اول فرصة. وتسنى له ذلك عند التئام اول مجلس نيابي في تاريخ العراق فقد او عز لانصار حزبه (التقدم) ولمشايخي وزارته من النواب بانتخاب (رشيد عالي) رئيساً له. فتم ذلك وفق النمط الذي أصبح بعدها تقليداً من تقاليد المجالس النيابية العراقية. بان يتم الاتفاق على شخص رئيس المجلس ونائبه خارج القاعة وقبل عقد الجلسة الخاصة بذلك.

ولم يطل الأمر (برشيد) ليدرك ان هذا المنصب الجديد هو منصب تشريفاتي صرف خلافاً لوزارة الداخلية حيث يهيمن وزيرها على مقدرات البلاد كلها. ونشأ بينه وبين (عبدالمحسن) نوع من الحقد والثغرة داما حتى آخر ساعة من حياة هذا الاخير. وسكت (الكيلائي) برهة وهو على مضض ثم قرر التخلص من مأزقه السياسي بعملية مشابهة للمناورة الأولى.

عرف الملك (فيصل) بانه من ذلك الصنف من رؤساء الدول الدستوريين الذين لا يقنعون بان يملكوا، بل ان يحكموا. ولم يكن سراً بان معظم التأليف الوزارية كانت تتم بارادته وموافقته، كما انه كان قادراً على حل التأليف واسقاط الوزارة في الوقت الذي يشاء وما كان يطيق

صبراً على من يتحداه من رؤساء الوزارات او يتخطى الحدود المرسومة له. فاذا واجهه احد بعناد وتصلب او خالفه في الرأي لم يتحرج من اللجوء الى واحدة من تلك المؤامرات الصغيرة مستخدماً فيها الخصوم. وعندما اراد التخلص من حكومة (عبدالمحسن) وجد ضالته (برشيد عالي). في ذلك الحين كان فيصل بحاجة الى شخص من خصوم السعدون.

ووجد الكيلائي التقرب من فيصل ضماناً أقوى لمستقبله السياسي من ربط مصيره بالساسة الكبار. فما ان تأكد من نوايا الملك حتى بدء يسعى للتقرب منه. وقد تم ذلك بتوسط من (صفوة العوا) صديق الملك ومعتدده وناظر خزينته الخاصة المؤتمن الذي قدمه الى الملك وتفاهما. فأسند الى (الكيلائي) مهمة تمزيق حزب (التقدم) الذي يرئسه (السعدون) وكانت له الاغلبية في مجلس النواب، فاستحدث في بنية الحزب جناحاً او تكتلاً يميل الى التعاون مع حزب الشعب، حزب ياسين، وكان يمثل المعارضة في المجلس. ووفق المؤتمرون بوزارة (السعدون) الى اسقاطها بحجب الثقة عنها.

ولم يكن بالعسير على (الكيلائي) التخلص من الكرسي التشريعاتي الذي وضعه فيه السعدون، تمهيداً للحصول على ما وعده به الملك. فافتعل مشادةً تافهة بينه وبين الوزير والنائب (صبيح نشأت) في جلسة من جلسات المجلس ليستقيل على اثرها من الرئاسة والعضوية بصخب وضجة^(١١) ثم دخل الانتخابات الفرعية التي نجمت عن فراغ مقعده.

(١١) من الحسيني (تاريخ الوزارات: ج ٣ ص ٥٨) نصاً عن محاضر الجلسات:

وزير المالية (صبيح نشأت يتكلم مع مقرر اللجنة المالية). فناداه الرئيس.

الرئيس: ادعوك الى النظام يا وزير المالية.

الوزير: اني اتكلم مع مقرر اللجنة بخصوص الفصل المذكور.

الرئيس: يجوز لك ذلك بان تمضي اليه او ياتي اليك لان تكلمك مع المقرر اثناء قراءة الفصل يجعلني لا افهم ما قرأه الكاتب. لذلك ادعوك الى المحافظة على النظام يا وزير المالية.

الوزير: اولاً كلامك لا ألقاه كاخطار، لأني محافظ على النظام وقد طلبت الكلام.

الرئيس: انت تسبب اخلاً بالمذاكرة. ادعوك الى النظام يا وزير المالية.

الوزير: انا اريد تسريعها وانا محافظ على النظام فارجو يا فخامة الرئيس ان تحافظ انت ايضاً على النظام.

الرئيس: سادتي رئيس المجلس يهان من وزير المالية. انا لا يسعني البقاء هنا ولهذا اترك المجلس.

[واسرع خارجاً ودون في مكتبه الخاص الاستقالة التالية]

حضرة نائب الرئيس الأول للمجلس النيابي:

يؤسفني جداً ان وزير المالية الذي يجب ان يكون انموذجاً للنظام، يخل بالنظام ولم يصغ الى تنبيهات الرئيس المطابقة للنظام عندما اخل به الوزير بالمكاملة مع احد رفقاءه الذي يبعد عنه بمسافة بحيث لم يدعني اسمع ما يتلوه الكاتب من الفصول وقد اضطرت ان استقيل من رئاسة المجلس التي اهانها وزير المالية بمعاملته الأتفة الذكر واقدم احترامي.

رشيد عالي الكيلائي =

وتغلب بوصفه مرشحاً من الملك شخصياً - على مرشح السعدون. وتم له الفوز رغم قوة خصمه بقيام (الملك فيصل) بعملية توفيق بين انصار (الكيلائي) القليلين في المجلس وبعض اعضاء حزب التقدم بالتصويت الى جانب المعارضة فاسقط الحكومة واضطر السعدون الى تقديم استقالته.

حصل (الكيلائي) على ما اراده وعاد الى وزارة الداخلية في وزارة (جعفر العسكري) التي تألفت في ٢١ من تشرين الثاني ١٩٢٦ وكانت باكورة اعماله الانتقام من السعدون بعمل ذي طابع جنائي. اذ دفع بعض السراكيل الى تقديم عدة شكاوى ضد (عبدالكريم) أخ (عبدالمحسن) وسهل وصولها الى الملك وفيها ادّعوا ان (عبدالكريم) بمساعدة قائمقام (الحي) يواصل اعتداءاته عليهم وكذلك يفعل اخوة (عبدالمحسن) الآخرون وكان الملك اذكى من ان يتدخل. فدبر (الكيلائي) اشعال النار في مزروعات اخوة (السعدون) في قرية (محرجة) مستغلاً غياب الأخير في تركيا. وقد ذكرت (عايدة) ابنة (عبدالمحسن) في السبعينات مؤلف كتاب تناول سيرة ابيها انه ظل يؤمن ايماناً راسخاً بأن (الكيلائي) «هو الرأس المدبر لحرق المزروعات وتسببه في ضائقة مالية للاخوة طوال سنة كاملة وانه كان يردد حتى وفاته بأنه كان هو المقصود وغرض الكيلائي هو ايذاؤه».

ثم عاد لنسف الحكومة التي هو فيها، بالتعاون مع (الهاشمي) الذي كان كذلك وزيراً معه، منتهزاً فرصة الاستنكار العام الذي عم البلاد اثر توقيع معاهدة ١٩٢٧ مع بريطانيا وانقلب مع الهاشمي الى صف المعارضة فقدم كتاب استقالة واحداً.

في وزارة (السعدون) التالية، كان (الكيلائي) نائباً. وفي المجلس وقف يشجب بعنف وشدة «سياسة اصدار المراسيم» متهماً الحكومة «بالاعتداء على حرمة القانون الأساسي. في خطابين ألقاهما اثناء اجتماعي ٢٦ ايار و٧ تموز ١٩٢٨، معلقاً على قيام الحكومة باصدار مراسيم شديدة الوطأة. بحق المتظاهرين ضد زيارة (الفريد موند) (١٢). وفي خطابه الثاني

= يجزم كل من عرف صبيح نشأت (نائب اربيل) بانه مثال للرجل المهذب الرقيق الشمائل ويسمو ادب وكياسة عرف بها. خرج مع نواب كثيرين الى الكيلائي وقدم اعتذاره قائلاً انه مستعد للاعتذار علناً امام المجلس. الا ان (الكيلائي) اصر على الاستقالة وانسحب ولم يدر (صبيح نشأت) الا بعد زمن بان المشادة كانت مفتعلة وحجة. وتظاهر الملك وكأته ليس طرفاً في الموضوع بالسعي للصلح وحمل (الكيلائي) على سحب الاستقالة.

(١٢) بمناسبة زيارة هذه الشخصية البريطانية التي عرفت بعطفها على اليهود وتحبيذ انشاء وطن قومي لهم قامت مظاهرات في بغداد شارك فيها الطلاب مشاركة فعالة. فقامت وزارة السعدون بمعالجة الأمر عن طريق اصدار مرسومين عقابين تقضي بايقاع عقوبة الجلد على من شارك من الطلاب ممن تقل سنه عن الثامنة عشرة ووضع غيرهم تحت مراقبة الشرطة لمدة لاتزيد عن السنتين: أثاراً ضجةً واستنكاراً حتى =

طالب «بسوق الوزراء الى التحقيق والاستجواب امام المجلس».

لم يكن في المرسومين المرقمين ١٣ و١٤ للسنة ١٩٢٨ من القسوة والخروج على أحكام القانون الأساسي قدر ما كان في مرسوم الادارة العرفية ومرسوم اسقاط الجنسية، وكلاهما من هندسة وعمل (الكيلائي).

أصدر اولهما يوم كان يحتفظ بحقيبتي الوزارتين المسؤولتين عنه وهما الداخلية والعدلية في ١٩٣٤، واصدر ثانيهما عندما كان رئيساً للوزراء. وانصافاً لنوري السعيد الذي وصفه المؤرخون التقدميون بالعدو الاكبر للديمقراطية والحريات العامة فدوره في هذا يتضاءل امام دور رشيد عالي، ولو اقتصر ضرره على هذه الناحية لهان.

أستبعد (رشيد عالي) من ست حكومات متوالية زهاء خمس سنين متعاقبة لأسباب كثيرة منها اصراره عندما يدعى، على الاستئثار بوزارة الداخلية ومعظمه يتعلق بطبعه الحاد وعدم الاطمئنان والثقة بثبات ولائه. على انه عاد الى احضان (الهاشمي) خلال ذلك. ومهما كانت أسباب الوفاق الجديد فانهما قاما معاً بتأسيس حزب الاخاء (١٣) ربما بتحريض وايعاز من الملك (فيصل) الذي كان من عاداته إبقاء علاقاته مع طرفي المعادلة السياسية بتقريب شخصيتين اثنتين بارزتين فيهما والتظاهر بمنح ثقته لهما. ولذلك بقي محتفظاً (بالكيلائي) رغم وجوده في حزب الاخاء المعارض. وبادر فعرض عليه منصب (رئيس الديوان الملكي) فاشغله في اواخر حزيران ١٩٣٢. ثم بلغ اقصى ما تمناه بما اظهره من الطاعة والولاء اذ كلفه الملك في شهر آذار (مارس) ١٩٣٣ بتأليف وزارة إئتلافية وفرض عليه ادخال شخصيات معينة مثل (نوري السعيد) و(رستم حيدر).

ألّفها بالتعاون مع (الهاشمي) وقد شبهتها الصحف في حينه «بطاقم ملاحه متنافر في سفينة «قومية» وجهت دفتها ومالت اشرعتها الى مجرى ربح الشارع وبكل ما تخلل سيرها من مساومات». في عهد هذه الوزارة بدأت لفظة «القومية» تزحف الى الصحافة لتحتل مكان لفظة «الوطنية». وقد اختارت لوزارة لنفسها بتشجيع (الكيلائي) ومبادرته هذا المصطلح عندما قررت «القضاء على ترمد الأتوريين وتأديبهم». ولم يكن الاهلون الذين = اضطر مجلس الوزراء الى الغائهما في ١٧ من ايار في عين السنة وازالة آثارهما ولم يطل العمر بهما اكثر من ثلاثة أشهر.

(١٣) اجيز في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٠. والهدف من تأسيسه تنظيم معارضة لحكومة (السعيد) التي صادقت على معاهدة (١٩٣٠) ومن ابرز مؤسسيه حكمت سليمان وناجي السويدي وعلي جودت الأيوبي وكامل الجادرجي وعبدالله حافظ ومحمد زكي. وهو بمثابة جواب على قيام (السعيد) بتأسيس حزب (العهد). اوقف حزب الاخاء نشاطه بعد ايلولته الى الانحلال في نيسان (ابريل) ١٩٣٥.

شرفوها بهذا اللقب يعرفون ان معظم اعضائها وكانوا من حزب الاخاء. قد تعهدوا في مناهجهم للشعب العراقي بوثيقة وقعها زعماءه مع الحزب الوطني بالعمل على تعديل معاهدة ١٩٣٠ «الجائرة الفاسدة» و«ان اي وزارة مقبلة يجب ان تعمل على هذا الأساس» وان (فيصلاً) اشترط على هذا الطاقم قبل ان يعهد للكيلائي بالوزارة بان لايتعرض للمعاهدة فقبل ونكت بالعهد. وقد علق (الحسنى) على هذا وهو بصدد وصف الانطباع الرائج عنها في الأوساط السياسية بالعبارة ذات الدلالة الواضحة: «... الأمر الذي أدى الى استخفاف عام بالاحزاب واحتقار شعبي للوزارة». ونسي صديقنا الحسنى انه اثبت رأياً مناقضاً تماماً لهذا. عندما أشاد بها في معرض الحديث عن الازمة الآشورية ومدح اسلوبها في معالجتها!

وانتهز فرصته عندما شرع في وزارته الاولى هذه قانون حقوق وواجبات الزراع القبيح الذي يعيد العراق الى عهد القنانة. يجعل الفلاح الاجير المدين اسير مالك الأرض لا يستطيع الخلاص من عبوديته له، ويمنعه تحت طائلة العقاب من الانتقال الى مالك ارض آخر، الا بموافقة سيده الاول. شرعه في هذا الوقت عندما بدأ هو وياسين الهاشمي بالاستيلاء على الاراضي الزراعية الاميرية في سامراء وديالى والكوت ليصبها من كبار الملاكين إغتصاباً ومن دون وجه شرعي.

عندما كلف (الكيلائي) باعادة تشكيل الوزارة في ٩ ايلول ١٩٣٣ إثر انتقال العرش الى (غازي). قال في خطاب له أثناء مراسم الاستيزار:

«إني واثق كل الوثوق من السياسة التي سارت عليها البلاد تحت قيادة سيد البلاد الراحل والتي من اهم اركانها الاعتماد على الصداقة المتكونة بين المملكتين الحليفتين العراق وبريطانيا العظمى (اي معاهدة ١٩٣٠) والتي صادق عليها مجلس الأمة فسوف لا يطرأ عليها اي تغيير».

يؤكد المطلعون إن السفارة البريطانية كانت تعارض معارضةً شديدة في اسناد تأليف الوزارة الى (الكيلائي) في الوقت الذي كانت حكومة لندن تحاول ازالة الآثار السيئة التي خلفتها هذه حكومته في الرأي العام الانكليزي والعالمي ولم تبرد بعد جنث ضحاياها، فضلاً عن ارتياها في نيات (الكيلائي) بصدد العلاقات التالية معها ولكن ذلك تمت تسوية الخلاف بعد ان اكد (الكيلائي) للسفير بانه لن يتعرض للمعاهدة وانه سيقدم دليله بشكل رسمي وهو كلمته التي اوردناها. وقد اثار تطرقه الى العلاقات والمعاهدة بصورة خاصة دهشة عند اولئك الذين اعتبروا اجراءاته ضد الآشوريين بمثابة تحدٍ للحكومة البريطانية وارتفعت الحواجب فوق الأعين

ذهوة^(١٤).

وانتهزت المعارضة فرصتها واستخدمت صحافتها للقدح فيه ووصفت ما جاء في خطبته تلك بأنه «نكسة وطنية في سياسة الدولة... وقضاء على الأمل المعقود في تعديل معاهدة ١٩٣٠». وكان اشد الهجوم قد انصب عليه من الحزب الوطني الذي يرئسه (جعفر ابو التمن). ولما عبرت المحافل السياسية البريطانية عن ارتياحها من التصريح زاد النقد والتجريح عنفاً.

كانت وزارة (الكيلائي) هذه امتداداً للأولى كما قلنا، لأن القانون الأساسي يقضي بتقديم استقالة الحكومة عند انتقال رئاسة الدولة بسبب الوفاة. الا انها لم تدم كثيراً وان تألفت من اعضائها السابقين. واضطر (الكيلائي) الى تقديم استقالته بعملية تآمرية صغيرة داخل قاعة مجلس النواب لا يضغط من الرأي العام ولا بسبب ضجة الاستنكار الماثرة حول مجازر الآشوريين.

كان تحكم الملك (فيصل) بمثابة كابح (بريك) في سيطرة السياسة العراقية. وبغيابه تنفس افراد الطبقة الحاكمة الصعداء. وانطلقوا في جو جديد هو مزيج من حرية في الحركة ولبلة وحيرة التلميذ الذي عودّه معلمه على تلقي الاوامر واطاعتها ولو على مضض. كان (فيصل) من جيلهم وقد خبرهم وعرف دخائلهم بدءاً من كوامن قوتهم وانتهاءً بنقاط ضعفهم والى قصارى ما تمتد اليه طاقاتهم وما تقصر عنه طموحاتهم. وليس ببعيد عنه انه كان يملك عليهم ما يصلح ان يستخدم ضدهم من ماضيهم ما أمن له في كثير من الاحيان كبح جماحهم وما استطاع به أن يتحكم فيهم. وقد ارتخت قبضته كما رأينا عندما هدّه المرض وايقن بالنهاية العاجلة. واول من فطن الى جو الحرية الرحب هو (الكيلائي) وكان موقفه المعاند وهو رئيس للحكومة للملك المريض فاتحة للبلايا التالية التي انصبت على رؤوس العراقيين. وانا اتفق الى حد كبير مع كل اولئك الذين قالوا معقبين على وفاته بأنه خلف فراغاً حقيقياً في الجو السياسي لم يملأ قط، مع كل ما عزي اليه من نقائص ونقائص وانانية ومخاتلة وبعضه حقيقي. ولست اشك قط في انه ما مضى للقاء ربه إلا وهو يلعن ذلك الذي أوقعه في محنة اضطره معها الى الكذب على نفسه في ذلك الحديث الذي ادلى به لمراسل جريدة (الدلي ميل) قبل يومين فحسب من وفاته مدعماً مزاعم رئيس حكومته بوصفه رئيس دولة - في

(١٤) في ١٩٥٥ او ١٩٥٤ انكر من ضمن احاديث لي في بغداد مع الصحفي المعروف والوزير (رفائيل بطي) قوله عن هذه النقطة بالذات: ان السفارة البريطانية اخذت من الكيلائي ومن الملك عهداً بالأ تقوم حكومة الأول منهما بالتعرض للمعاهدة في حالة اسناد رئاستها له.

انكاره انكاراً باتاً وقوع أي مجازر آشورية.

وما عم البلاد بعد ذلك من فوضى سياسية وعمليات قمع دموية في مختلف انحاءها وما تلا ذلك من انقلاب عسكري على انقلاب، إنما كان في معظمه يعزى لغياب ذلك الكايح، ولل فراغ الذي عجز عن ملئه خلفه الضعيف العقل. ولا استطيع هنا - وانا لا املك الوثائق الضرورية أن أقطع بتأثير غياب هذا الكايح على ظهور عامل شخصية (غازي). واقصد دخول عنصرين هاميين في حلبة الطرع السياسي على الحكم. يتمثلان في ارتكان رجال الحكم اثناء اقتتالهم عليه - الى رؤساء عشائر الجنوب. وفي استمداد العون السياسي من ضباط الجيش الكبار وكانت غالبيتهم ممن ادرك العهد العثماني ضباطاً صغاراً وقادةً. هؤلاء ظلوا يرقبون بعين الحسد والحقد ما آل اليه حال زملائهم الذين تركوا الخدمة العسكرية الى النشاط السياسي فأصبحوا نواباً ووزراء وموظفين كباراً ينتظرون دورهم للصعود الى مرتبة الحكم وبكل ما جمعه من ثروات وارض بالحرام وبالحلال، في حين بقواهم يتقاضون مرتباتهم وينتظرون ترقيةاتهم بين عمل رتيب ممل أو حملات تآديبية لا تكسب من ينجو منها حياً مجدداً أو فخراً وبجيش صغير سيء العدة والتدريب^(١٥). وجد هؤلاء ومن نشأ على يدهم وتشرب خلقهم واساليبهم - في ذلك غبناً عظيماً وحالة من الظلم الاجتماعي لا يمكن الصبر عليه، فوزعوا نعمتهم بالتساوي على الساسة زملاء الأمس وعلى النفوذ البريطاني الذي خص هؤلاء الزملاء بالخطوة ومهد لهم سبيل الحكم.

أما رؤساء العشائر الذين اتاح لهم العراق المستقل ما لم يتحه لهم العثمانيون من سلطان وجاه بايصال فريق منهم الى بغداد نواباً واعياناً من خلال ممارسة لعبة الانتخابات والمزايدة على الاصوات في مجلس النواب وما يرافق ذلك من وعود ومنح وتعهدات بتبادل المنافع والامتيازات، فقد استيقظوا فجأة ليجدوا انفسهم موضع اهتمام ورعاية المتناحرين على الحكم في العاصمة، يخطبون ودهم ويزيدون في شراء ولائهم بقوانين تملك الأراضي الأميرية واطلاق أيديهم في مقدرات فلاحهم واختيار الموظفين الاداريين الذين يروقون لهم وعزلهم او نقلهم اذا غضبوا عليهم. وكثيراً ما نقلت آلاف الدونمات من تصرف العشيرة القديم الى ملكية شيوخها.

وان لم تكن هذه العوامل المستجدة ذات تأثير جوهري على شكل العلاج الذي اختارته حكومة ١٩٣٣ لحل المسألة الآشورية، إلا ان الاسلوب الدموي الذي طبق قدر له أن يكون الخط (١٥) كانت قوة الجيش العراقي ما بين ١٩٣٢ و١٩٣٧ تتألف من ١٤٢٦ ضباطاً و١٩٥٠٠ جندي وضابط صف حسب المصادر البريطانية.

العام للتعامل الحكومي مع الانتفاضات والقلاقل وبداية مرحلة جديدة طابعها العنف وعدم الاكتراث بالارواح البشرية. كانت حكومة (الكيلائي) كمن اطلق الغول من سجنه وقيده فخرج يجول في سماء البلاد طويلاً وعرضاً على سجادة مرسوم الادارة العرفية ويخدمه الجيش الذي «عمد بالدم» في اشتباك الحدود حتى بدأ ضباطه النهمون التوجة الى السلطة يغيرون نظرتهم فيه ويستبدلون موقف الاستخفاف به بموقف اكثر جدية... باستخدامه فعلاً لغاياتهم ولم يعد ذلك الجيش الذي مني باخفاق تلو اخفاق قبل سنتين أمام شراذم من عشيرة شبه وحشية في بارزان مسلحة ببندقيات أثرية وخناجر. على اني استقب الاحداث وأكد اخرج من الموضوع.

قلت أرغم (الكيلائي) بمؤامرة صغيرة برلمانية - على الاستقالة خلاصتها أن معارضي حكمه من النواب اتفقوا على حجب الثقة عنه أول اجتماع للمجلس ولما شعر بما يدبر له هرع الى الملك ويبيده مشروع ارادة ملكية تقضي بحل المجلس واجراء انتخابات جديدة. لكن العاهل الجديد كان اذ ذاك واقعاً تحت تأثير خصم من خصوم (الكيلائي) هو رئيس ديوانه (علي جودت الايوبي) الذي حرص على تلبية كل رغبات الملك الخاصة وتغطية تصرفاته الشاذة. فقد نصحه بان يرفض التوقيع فعاد (الكيلائي) ليعد كتاب استقالته.

وقيل في حينه ان سبب الخصومة هو ان (الكيلائي) نكل عن وعد قطع له (علي جودت) بضمه الى وزارته الثانية.

وأزيحت وزارة الاخاء الوطني الكيلائية مخلية الكراسي لوزارة (المدفعي) وراح (المدفعي) مدفوعاً برغبته ورغبة من كان له الفضل في ترشيحه لأول راسة وزارة - يسعى الى ازالة نفوذ الكيلائي باجراء تنقلات ادارية واسعة جداً وازاحة جميع الموظفين الاجرائيين الذين يدينون بالولاء لرئيس الحكومة السابق.

وكما ذكرت قبل قليل كان رجال الحكم كل كتلة بدورها وفي اثناء ممارستها السلطة تحاول ان تضم الى جانبها اكبر شيوخ الجنوب نفوذاً واكثر عدداً منهم عن طريق الهبات والوعود والنيابة. ويشير الخط البياني بعد غياب (فيصل) - إلى ارتفاع حاد فجائي في المجهودات المبذولة لكسب تلك الولاءات. ويعترف (الكيلائي) نفسه بوثيقة بخط يده انه بدأ يتصل بشيوخ الجنوب بعد نجاح المؤامرة البرلمانية عليه وعلى زميله (ياسين الهاشمي) قطبي حزب الاخاء.

ولم يكتف بهذا.

كادت الفتنة الطائفية التي اثارها كتاب (عبدالرزاق الحصان) في عهد وزارته «القومية»

تطوح بحكومته وتزج البلاد في اتون حرب مذهبية. ما انقذه منها إلا تدخل عالم ديني كبير كما تقدم، وقيام «الخطر الآشوري» المحقق بالبلاد مما اتاح له السبيل الى تحويل الانتباه العام عن «الخط الشيوعي».

وبدأت تتردد في اوساط بغداد اقوال عن حرمان الشيعة من الحقوق المدنية والمساواة بينهم وبين سائر العراقيين. ووزعت خطابات سرية مكتوبة على آلات كاتبة حكومية مذيلة بتوقيع «الجمعية الشيعية السرية» مطالبة باصلاح الغبن الذي يلحق بالشيعة واراد (المدفعي) بعملية استعراض للقوى خرقاء، مقاومة هذا النشاط فاقتاد الملك ومعه (علي جودت) الى الجنوب في زيارة رسمية اجتمع خلالها مع ما اعتبرهم من بطانة مثلث (الكيلائي - ياسين - حكمت) وبهذه الزيارة تم وضع خط فاصل بين المواليين وغير المواليين.

وكان هناك تنافر داخلي بين اعضاء وزارتي (المدفعي) القصيرتي العمر^(١٦) كما ان معدة هذا الرجل الرقيقة ما كانت تستطيع هضم وجبات ثقيلة من مؤامرات ومؤامرات معاكسة ولا هي تستقيم مع طبعه اذ عرف باناه اقل الساسة العراقيين جرأة وازهدهم في دخول مغامرات السباق على السلطة. ولم يكن يستند الى قاعدة برلمانية واسعة. فأخلى الكرسي لزميله (علي جودت).

مهد (علي جودت) لمجيئه بوعد قطعته (للكيلائي) بان يسند اليه وزارة الداخلية واستيزار شخص او اثنين من أعضاء حزبه، فنكل عن وعده واحتفظ بالداخلية لنفسه. وكان ميزان القوى في عهد وزارتي (المدفعي) قد تحول في البرلمان الى مصلحة ثلاثي (الكيلائي - ياسين - حكمت) فرأى (علي جودت) وجوب حله وتأمين مجلس موالٍ (وهو ولا ننسى عين المجلس الذي نصح الملك بعدم حله!) فتم ذلك.

وتكررت مهزلة الانتخابات العامة، بشكل فاق ما سبقها وما لحقها من مهازل. ففي هذه الدفعة زود الموظفون الاداريون بتعليمات واضحة مشفوعة بالتهديد بالعقاب الانضباطي - ترمي الى الحيلولة دور نجاح اي مرشح لا ينال ثقة الحكومة ورضاه. وأرسل لكل متصرف قائمة بأسماء المرشحين الذين «يجب» ان يفوزوا. وقابل زعماء حزب الاخاء الثلاثة ذلك بتنظيم اجتماع شعبي كبير في بغداد أشرف على إعداده (رشيد عالي). الا ان الحكومة استخدمت قوات الشرطة لاجهاضه وتعرض (الكيلائي) وغيره من رجال الحزب البارزين الى الاهانة عندما حاولوا المشاركة فيه وقيل ان (الكيلائي) اعيد الى منزله شبه مقبوض عليه.

(١٦) في ٩ تشرين الثاني ١٩٣٣ أُلّف المدفعي وزارته الاولى وفي ٢١ شباط ١٩٣٤ الف وزارته الثانية التي نتجت عن الحكم في ٢٧ من آب ١٩٣٤.

عندها رفع ثلاثي الاخاء الغطاء عن القدر الفائر في الجنوب وعقدت اجتماعات سياسية في النجف وقامت تظاهرات مسلحة بين العشائر ووزعت منشير سرية مطبوعة في مطابع جريدة الإخاء. وعندما باتت الحال تنذر بخطر استنجدت حكومة (علي جودت) بمن والاه من الشيوخ واحتقبت عشائر الطرفين اسلحتها. ونَدَّت اعمال عصيان على السلطة وخرق لحدود القانون ككسر بعض السداد المائية وإتلاف عدد من الجسور، وكطرد الموظفين الاداريين من مراكز وظائفهم وساد نوع من الاعتصاب المدني في عدد من القصبات والمدن.

وفي العاصمة كان منزلا (الكيلائي) و(حكمت سليمان) مركزين لاجتماعات تهدف الى اسقاط وزارة (الأيوبي).

يذكر توفيق السويدي^(١٧) «ان هذه الوزارة (اي وزارة الايوبي) جابهت مقاومة عنيفة في مجلس الاعيان، تزعمها رشيد عالي الكيلائي...» إلا أن السويدي لم يزد على هذا وكعهده دوماً لا يفصل في الأمور ويترك جملة واحاديثه مبتورة ناقصة^(١٨).

بالأخير نجح الثلاثي في مسعاه. فقد بات الجنوب وكأنه على أهبة انتفاضة مسلحة، بينما راح هؤلاء يدفعون الوقود الى منزل الملك (علي) عم (غازي) يطلبون منه التدخل لإقامة الحكومة. وأزعجوا غازي وحاولوا بينه وبين ممارسة هواياته بالحاجهم على مقابلات متواصلة. وفي ٢٣ من شباط ١٩٣٥ عرض (الأيوبي) استقالته وكُلّف (ياسين الهاشمي) بتأليف الوزارة.

إلا ان (الهاشمي) عجز عن تأليف الحكومة. وكان السبب الرئيس في اخفاقه هو شريكه وعضيده الكيلائي - بإصراره على تولي وزارة الداخلية! وفي رسالة كتبها (الكيلائي) لمؤلف تاريخ الوزارات العراقية (ج ٤: ص ١٥٤) كشف بها عن دوره في اسقاط حكومة الايوبي والازمة التي خلقها لياسين فأدت الى اخفاقه في تأليف الوزارة^(١٩):

(١٧) مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية: ص ٢٥٨ - دار الكاتب العربي ١٩٦٩، بيروت.
(١٨) والتفصيل في هذا. ان (الكيلائي) وهو عضو في مجلس الاعيان انتهز فرصة المناقشة على إعداد جواب على خطاب العرش بمناسبة افتتاح المجلس الجديد فهاجم الحكومة هجوماً عنيفاً في خطاب له «لمخالفتها الاحكام الدستورية واحكام القوانين، ومن امور تهتك حريات البلاد وتعبت بحقوقهم الدستورية المصرح بها في القوانين الأخرى، لا، مع الأسف الأمور سائرة في طريق اردأ، سائرة الى ما يتذمر منه الشعب ويستاء. ان البلاد حرياتها المصونة في الدستور ولها حقوقها المعلومة ومن جملتها الحقوق الانتخابية. انا لا اعلم ونتائج الانتخابات امامنا - كيف يجره المسؤولون على القول لا تحرم من حقوقها الانتخابية وما قد أتى باناس في هذه الانتخابات بعيدين عن الاحكام القانونية...» (انظر تاريخ الوزارات العراقية)
(١٩) ذكر الحسن (ربما متعمداً) بان الرسالة هي بخط الكيلائي. ولكنه لم يحاول لتعليل الاسباب التي حملت صاحبها على استخدام المفرد الغائب بدل استخدام ضمير المفرد المتكلم والحديث هو حوله. حتى =

« لما كلف الملك ياسين الهاشمي بتأليف الوزارة قال له ان كلاً من علي جودت والمدفعي رجاياه بان لا يدخلني (بالاصل يدخله) في وزارته ولاسيما كوزير داخلية لأنهما كانا يعتقداني (يعتقدانه) باني (بأنه) كنت (كان) من اقوى العوامل التي ادت الى سقوط وزارتيهما والاتصالي (لاتصاله) الوثيق برؤساء القبائل من جهة وخشية ان أبعد (بيعد) اعوانهما من الوظائف من جهة أخرى. ولما فاتحني (فاتحه) الهاشمي برغبة الملك هذه كلفني (كلفه) بان ادخل (يدخل) وزارته كوزير للمالية. وكانت نيته متجهة الى ادخال حكمت سليمان في وزارته كوزير للداخلية. فاعتذرت (فاعتذر) عن قبول هذا المنصب لعدم إمامي (إمامه) بالشؤون المالية واقترحت (اقترح) عليه ان ابقى (يبقى) خارج الوزارة متفرغاً لأموار حزبي (حزبه) فوافق الهاشمي على ذلك مع اعتقاده بضرورة وجودي (وجوده) في وزارته... ولهذا اعتذر عن تأليف الوزارة. »

اذن كان إصرار (الكيلائي) على الاستئثار بوزارة الداخلية سبباً في فشل رئيس حزبه بتشكيل الوزارة. إلا ان منازعة الطرف الآخر من الثلاثي فيها كان مما يستوقف النظر، ويدعو الى التساؤل.

أقرب التفسير ان (الكيلائي) أدرك في حينه كم كان صاحبه (الهاشمي) محرماً حتى أنه اعتذر بسبب ذلك عن تأليف الوزارة مفضلاً عدم المخاطرة بعلاقته مع (الكيلائي) لذلك لم تصب علاقتهما بسوء. إلا ان الأمر كان مختلفاً جداً بالنسبة الى العضو الآخر في ذلك «الثلاثي» المتأمر اعني «حكمت» فقد امضه وملاًه حنقاً فيما يبدو منافسته له في «عشيقته» وزارة الداخلية. ويخيل لي انه ما كان يستطيع احتمال وجود غيره حتى (حكمت) في وزارة هو فيها وقد اقتضى ان يعمل لأجلها الكثير، ومن هذا الكثير الدور الرئيس في اسقاط ثلاث حكومات متتابعة.

يمكن تعيين مبدء العداء بينه وبين (حكمت) بهذا التأريخ، ذلك العداء الذي استفحل ليطمخض بانقلاب (بكر صدقي). إن إصرار (الكيلائي) على عدم المشاركة في وزارة يرأسها الهاشمي اذا اسند الداخلية (لحكمت)، ادى الى حرمان (حكمت) من الوزارة وهو ما لم

= بدا وكأنه يتكلم فيها عن شخص آخر! وقد عمدت كما يرى القاريء الى استبدال الضمير الغائب بالضمير المتكلم لتسهيل فهم محتوى الرسالة الا اني ابقيت أصلها بين قوسين. يصعب جداً على أمثالي تقديم تحليل دقيق لهذه الشخصية المعقدة من مثل هذه التصرفات الغريبة ويحار المرء في تفسير الدوافع الى صياغتها بهذا الشكل وهي أولاً وأخيراً بخط يده وتوقيعه!

يغتفره (الكيلائي) رغم اواصر المصاهرة التي تربط بينهما^(٢٠).

بعد فشل (الهاشمي) كلف (المدفعي) بتأليف وزارة ثالثة وكان المتوقع ان يدعو هذا كلاً من (الهاشمي) و(الكيلائي) للمشاركة فيها الا أنه لم يفعل عندما أُلْفها في آذار ١٩٣٥.

وعادت التمثيلية المأساوية تمثل ثانياً في الجنوب والقي بالنار تحت المرجل وانطلقت المجموعات المسلحة من عقالها لتطرد الشرطة وقوات الأمن من المخافر وتحتلها برجالها في انحاء كثيرة من لواء الديوانية. وراحت عصابات أخرى تعمل هدماً وتخريباً في القناطر والجسور المقامة فوق السواقي والقنوات بين الفيصلية وابي صخير والشامية لتعرقل حركة القوات الحكومية وقد حاولت الحكومة سوقها إلا ان شقيق (ياسين)، الفريق (طه الهاشمي) الذي كان رئيساً لاركان الجيش ثبط عزم الحكومة وقتل الفكرة، مشيراً بكتاب رسمي بعدم استخدام الجيش لانه عاجز عن قمع العصيان، ولاشك في ان ذلك جرى بالاتفاق مع اخيه!

ويتأزم الوضع، ومعرفة من يقف وراءه سعى وزير الداخلية (عبدالعزیز القصاب) لمقابلة كل من (الكيلائي) و(حكمت). قال الكيلائي:

«قلت للوزير ليس بصواب الاجراءات المؤدية الى ضرب القبائل لأنهم لم يعملوا مايخل بالأمن ولم يقوموا بحركات تمس دستور البلاد ولا قوانينها ولم يطلبوا شيئاً يهدد كيان الدولة».

الا انه اقدم بعد شهرين على عين ما نهى عنه هنا!

ولما طلب (القصاب) ان يصدر (الكيلائي) بياناً بتوقيعه يدعو فيه القبائل الى التزام السكينة رفض ذلك بالتعليل القانوني قائلاً:

«اني لا أرى لنفسي هذا الحق ولست بزعيم ولا بالمسيطر عليهم ولا برئيس حزب يضمهم. فضلاً عن انه هذا التدخل يعتبر مخللاً بسمعة الحكومة ومضعفاً لمركزها!»

وارغمت التظاهرة المسلحة (المدفعي) على الاستقالة وفسحت السبيل (لياسين) لتأليف حكومة دون شروط مسبقة ونال (الكيلائي) هديته التي يصبو اليها فكان فيها وزيراً اداخلية لكن على حساب خسارة (حكمت) نهائياً وعداوة لا مراء فيها فقد رفض (حكمت) المشاركة في الوزارة مطلقاً واعتمد التأمر مع بكر صدقي على نحو ما سيرد في الحديث عنه.

قلت قبلاً: باعتماد (الكيلائي) اسلوب اثاره القبائل لاسقاط الحكومات كان وكأنه ايقظ (٢٠) تزوج رشيد عالي ب(لمعي) ابنة اخ حكمت. كما تزوج شقيقه (كامل) بأخت لمعي الأخرى وكلاهما ابنتا مراد سليمان. ثم تزوجت لمعي بعد وفاة الكيلائي بسائق سيارتها.

مارداً عاتياً في الجنوب بعد الاعتقاد بان هذا الاسلوب قد مات بموت السيطرة العثمانية. ولم يطل الأمر (بالكيلاني) ليدرك بأن هذا السلاح ليس احتكاراً له ولا وفقاً عليه. فلم يستقر به كرسيه إلا وبدأ يسقى من عين الكأس التي جرعتها لسلفه الذي لم يضيع وقتاً. ففي خلال حياة حكومته اجتاحت العراق موجات من الانتفاضات والاضطرابات العشائرية المسلحة في الشمال وفي الجنوب، عاجلها (الكيلاني) باندفاع عاطفي جنوني سداه ولحمته الدم والعبث بالدستور، مجرداً إياه من حصافة او حنكة سياسية... أو شعور إنساني.

بعض هذه الانتفاضات كان بتحريض من (المدفعي) وخصوم الوزارة الآخرين وبعضها بسبب تراكم اخطاء الادارة في معالجة المشاكل العامة. من هذه، اربع ثورات في الجنوب على الأقل عرفت في الحويليات العراقية بـ(ثورة الرميثة الأولى، وثورة الرميثة الثانية، وثورة سوق الشيوخ وثورة الدغارة الخ...) وفي الشمال كان ثم ما أطلق عليه (ثورة يزيدية سنجان) و(ثورة بارزان) وقد تم قمع جميعها بقسوة متناهية غير معهودة في اجراءات الحكومات السابقة في احداث مماثلة باستثناء المجازر الآشورية. مهد لها الكيلاني بانتداب ضابطه (بكر صدقي) وسلّحه هذه المرة بمرسوم الادارة العرفية ليضفي على جرائمه الثوب القانوني الذي كان يعوزه في احداث آب.

ما جرى خلال معالجة هذه الانتفاضات أصبح فيما بعد قاعدة للحكومات التالية أكانت (بالكيلاني) أو بغيره. يتعذر عليّ ان اغتفر لاي مؤرخ او كاتب عن تلك الفترة بالغ ما بلغ من حسن القصد، اعطاء اي نوع من التبرير او التعليل بغرض انقاذ سمعة هذه الحكومة مما ارتقى الى مرتبة جنایات القتل الجماعي والقتل القضائي الذي اقدم عليه قادتها العسكريون وموظفوها الاداريون. فقد تجاهلوا القوانين واستباحوا الأرواح واستخدموا ادعى الاجراءات الى السخرية والسخف واكثرها شذوذاً^(٢١) ولا اظن هنا من يجرؤ على محاولة انقاذ سمعة وزير

(٢١) من ذلك ان الكيلاني وضع شروطاً لاستسلام بارزان في العام (١٩٣٥) ومنها شرط يقضي بـ«تحريم لبس العمامة الحمراء ووضع العمامة الزرقاء على الرأس!» [وردت هذه العبارة بالنص في البيان الرسمي]. وفي خلال العمليات العسكرية في الجنوب زجت المجالس العرفية التي أمر الكيلاني بتشكيلها بما يزيد عن ٥٠٠ محكوم في السجون. وعلق عشرات على اعواد المشانق واطلقت يد (بكر صدقي) الذي اختاره لقيادة حملات التأديب، لتنهب وتحرق وتصادر. وراح ابرياء كثيرون ضحايا محاكمات صورية زيفت فيها الوقائع والادلة تزييفاً عمدياً. مثلاً أمر (بكر صدقي) نفسه بقتل اثنين بعد خروجهما بريئين من المحكمة العرفية رأساً. ومن ذلك أيضاً ما حصل في اعقاب اخضاع يزيدية جبل سنجان في العام (١٩٣٥) إذ اصدر مجلسه العرفي العسكري احكاماً بالاعدام والسجن في حوالي ٤٠٠ وهو عدد يزيد عن عدد الثوار المشاركين فعلاً على خط المواجهة مع الجيش وهم معتصمون بالجبل! ونفذ حكم الاعدام بتسعة منهم. بينهم اثنان من وجهاء المسيحيين الكلدان الموصلين اللذين جيء بهما وحوكما عرفياً دون ان =

داخلية فترة ١٩٣٥-١٩٣٦ من مسؤولية الدماء المراقبة والاعدامات الاعتبارية.

لا عجب ان وجدنا كل من عالج سيرة هذا السياسي يتجاوز عامداً التصدي بالحديث حول تلك الفترة المظلمة فلا يخصصها بذكر حتى لكأنها ليست جزءاً من الحياة العامة ولا جزءاً من تاريخ هذه الأرض.

ومن يجابه من أنصار السمعة الكيلانية بهذه الوقائع أو يعجزه دحضها، يسرع إلى الاحتماء بالعدر العام المعروف: «انه ما فعل اكثر مما اقدم عليه غيره ممن كان في منصبه». غير مدرك بهذا انه يدينه تماماً، مثلما فعل الوزير (جلال بابان) في مجلس الاعيان^(٢٢).

في هذه الفترة وجدنا (الكيلاني) عظيم الاهتمام بتحسين اوضاعه المالية. الظروف تواتيه للانتصاف لنفسه ولأسرته من (عبدالرحمن النقيب) بشخص ورثته حرمانهم من نصيبهم من الوقف. فانتهز فرصة إسناد وكالة وزارة العدلية اليه في اوائل العام ١٩٣٦، لينتزع بشكل ابتزازي وبالتهديد ايجارات وايرادات من مستأجري مسقفات الاوقاف القادرية على مرقد الامام ومساجده. «وقد بات عمله هذا حديث المجالس البغدادية ودواثرها السياسية والدينية» كما وصفه الحسني في تاريخه. لم يقف بالأمر عند هذا الحد فقد قام بإصدار قرار تولية جديد

= يكون لهما اية علاقة بالحركة ويقصد اثبات صلتها بما وراء الحدود. احدهما واحد من مشاهير رجال القانون العراقيين. عضو محكمة استئناف ولاية الموصل في العهد العثماني. والثاني واحد من الملاكين الكبار. ثارت الخواطر استنكاراً بعد صدور الحكم عليهما، وتدخلت السفارة البريطانية، واضطر (الكيلاني) الى جلب القضية لتدقيق القرار شخصياً وكان قد صدر بالاكثرية. فلم يجد ما يدعو الى التدخل وابقر بتنفيذ الحكم بهما بحقد شخصي ظهر جلياً برد الفعل العنيف الذي شمل اعضاء الوزارة. مما حملهم على اصدار مرسوم آخر يقضي بنزع صلاحية تنفيذ حكم الاعدام من يد قائد القوات ووزير الداخلية واناطته بالملك.

وفي سوق الشيوخ قام الجيش بأمر قائد القوات بقطع رؤوس اكثر من ١٠٠٠٠ نخلة في البساتين المحيطة بالقصبة تأديباً وعقاباً تحت زعم الحيلولة دون اتخاذها مكاناً قناصة قد تعرقل تقدم الجيش. وقد تبين فيما بعد ان هذا تم بامر صريح صادر من (الكيلاني) له وللمتصرف بتاريخ ٤ حزيران ١٩٣٥ ورقم ١٧٥٠. ومن امثلة الاغراء التي اعتمدها الكيلاني لاجتذاب شيوخ العشائر الى صفه أنه عمل على منح (حبيب الخيزران) شيخ (العزة) حوالي ٤٠٠٠٠ دونم من الاراضي المطرية على طول نهر الخالص ثمناً لتعاونه على اسقاط حكومة (الايوبي).

(٢٢) ردّ هذا العين (وكان وزيراً للعدلية) على الهجوم الذي شنّه الكيلاني ضد حكومة (الايوبي) حول تزييف الانتخابات والعبث باحكام الدستور والقوانين - وذلك في اثناء المناقشة بمناسبة إعداد جواب على خطاب العرش - قال:

«الأسلوب الذي اتبعته الحكومة الحاضرة في الانتخابات كان عين الاساليب التي اتبعتها الحكومات السابقة. فاذا كان هذا الاسلوب غير صحيح وغير قانوني فجميع الاساليب التي اتبعت في المجالس السابقة يجب ان تعتبر غير قانونية»

ولم يخف على احد انه كان يعرض (بالكيلاني) الذي سكت ولم يتفوه بعدها بحرفٍ.

لتلك الأوقاف يقضي بتجزئة التولية بينه وبين المتولي الأصيل وهو عمل مخالف للاصول الشرعية لا سابقة له في تاريخ الوقف وممارسة حقوق التولية، غير عابىء بالفضيحة الداوية التي خلفها عمله هذا ومضى سادراً يجني الأرباح من مستغلات هذا الوقف الغنية حتى سقطت وزارته وخرج من العراق. واستخدمت حكومة انقلاب (بكر صدقي) هذه الفضيحة خير استغلال وشهرت به، وأسرع (حكمت سليمان) بالغاء قرار التولية بالمنصفة فور ممارسته السلطة^(٢٣). وأخرج رشيد عالي.

(٢٣) سلمان التكريتي [الوصي عبدالاله ابن علي يبحث عن عرش: ص ١٥]. كذلك انظر [مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث ص ١٥٠] ينقل عن حديث لعبدالرزاق الشياخي سكرتير وزارة العدلية والنائب فيما بعد: حدثني قال «كنا نحن الشباب مغرورين (برشيد عالي) فالتقنا حوله وسرنا في ركابه حتى ظهر لنا بعد ذلك بوجهه الصحيح. إذ وجدناه رجلاً انانياً طامعاً يستسيغ كل عمل في سبيل تحقيق مراميه الشخصية. وكان استيلاؤه على الاراضي الزراعية وقبضه على تولية الاوقاف القادرية من السيد (عاصم) نقيب الاشراف. واشتراكه مع (جورج عابدين) اللبناني في محاولته السيطرة على التجارة العراقية مع اليابان، من مقدمة اسباب معارضة [حكمت سليمان ومحمد جعفر ابو التمن] وحدث انقلاب (بكر صدقي) ولم يتعلم درساً من منفاه خارج العراق بل عاد الى مناوراته السياسية واتفق مع عقداً الجيش بعد اعلان الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ لكي يستأثر بالحكم. لكنه اصبح اسيراً في قبضتهم يسيرونه بالوعيد والتهديد حسب اهوائهم ويفرضون عليه ارادة المفتي (الحاج امين الحسيني) أه. اقول تعقيباً: ان شريك (الكيلائي) التجاري الذي ذكره صاحب الحديث هو (جبرائيل جورج عديني). كانت له تجارة واسعة في الاستيراد والتصدير ومركز عمله بغداد وقد بقيت علاقته التجارية (بالكيلائي) حتى حركة مايس ١٩٤١ وكانت الشائعات تدور في بغداد بان المساعدات المالية الالمانية والايطالية للفئات القومية والضباط القوميين تأتي من اليابان عن طريقه ولذلك استطاع كل من ساهم في تلك الحركة نفي اي علاقة مالية لهم بدول المحور. وقد هرب مع من هرب الى ايران قبل فشل الحركة بأسبوعين ومن هناك عاد الى لبنان واخفت آثاره ولم يعد يسمع به أحد.

وفي وثائق وزارة الخارجية البريطانية تنويهاً عدة باعمال (الكيلائي) ك محاولته الاستيلاء على ايرادات الأوقاف الكيلانية عن طريق نصب نفسه متولياً وهذه طائفة منها:

* تقرير من السفير البريطاني الى وزارة الخارجية (سري ٥٦) برقم ٢٠٠١-٣٧١ «ان انطباعي عن (ياسين) انه مخلص النية. إلا أن ما عوقه عن وضع نواياه موضع تنفيذ هو وزير داخلته (رشيد عالي). رجل غير محبوب وغير لائق. كانت له احقاد شخصية ما لبث ان أرخى لها العنان هنا وهناك وسمح لها بأن تغير من سير العدالة. ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٦

* ومن تقرير عن الشائعات حول (الكيلائي) بعث به بيثمان السفير بالوكالة الى انطوني ايدن وزير الخارجية بتاريخ ٢٩ تموز (يوليو) (سري ٣٩٢). بخصوص وفاة السيد محمود نقيب الاشراف ومتولي الاوقاف القادرية:

٥١٧١ E ٢٠٠٣ - ٣٧١:

«الجانب الذي يثير أكثر التعليق حول صدور الارادة الملكية بتعيين السيد (عاصم الكيلاني) نقيباً لاشراف بغداد ونصب (رشيد عالي الكيلاني) متولياً للاوقاف القادرية ومسجد الكيلاني. هو فصل وظيفة نقيب الاشراف عن وظيفة المتولي. وهو ما لم يحصل من قبل. إن شرعية هذا العمل أمر مشكوك فيه. في العام ١٩٢٧ وعلى اثر وفاة (عبدالرحمن النقيب) حاول جماعة من الاسرة الكيلانية يتزعمهم (رشيد عالي) =

في صباح يوم إنقلاب ١٩٣٦ كان الكيلاني في مكتبه بوزارة الداخلية عندما وردته أنباء زحف الجيش على بغداد. وتشير وثائق الخارجية البريطانية انه ظل يحث (ياسين) على البقاء ورفض تقديم الاستقالة. ويذكر (ادموندز) مستشار الداخلية وكان معه انه كان مشغولاً في التأكد من مواقف متصرفي الالوية كافة وذكر للمستشار ان العشائر مستعدة لمساندة الحكومة وهو ينوي استخدامها بمشاركة قطعات الجيش الموالية لمواجهة الوحدات الزاحفة والتصدى للملك معاً وقال ان الملك كان على علم سابق بالحركة وهو ضالع فيها وراح يشتمه ويلعنه.

الأ ان (ياسين) استقال واعلمت السفارة البريطانية كلاً من (ياسين والكيلاني) بان (بكر صدقي) ينوي إلحاقهما به (نوري) وجعفر العسكري وكان قد فتك به صبيحة الانقلاب. كان الخطر عليهما حقيقياً رغم تعهد حكمت سليمان بحمايتهما لكنه أصر على وجوب إخراجهم من العراق لأنهم لن يكفوا عن التآمر عليه.

وخرج الكيلاني الى دمشق إلا انه لم يطل الإقامة بها ورحل الى بيروت ثم الى استنبول^(٢٤).

وزارة الخارجية البريطانية عرضت على (رشيد عالي) الإقامة في انكلترا فاعتذر الا انه جوبه برد قاطع عندما طلب الاذن له بالرحيل الى فلسطين كانت نية البريطانيين استخدام قابلياته على التآمر ضد الانقلابيين.

ما ان باتت حكومة الانقلاب في ذمة التاريخ حتى عاد وكله أمل في مشاركة بالوزارة

= عزل خلفه عن التولية لكنه اخفق بتدخل من السفير (هنري دويس) الذي شعر بخطورة الأمر وما سيخلفه ذلك من انطباعات سيئة في الدول الاسلامية وخاصة في الهند، إذ حال دون ذلك... والآن فان كثيراً من الناس سيحسدون (رشيد عالي) للمورد المالي الجديد. [اقترح في نهاية تقريره عدم تدخل حكومته واهمال اي احتجاج حول مسألة الفصل يقدم لها!].

* وفي ٩ من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٦. بعث السفير البريطاني تقريراً عن مقابلة جرت له مع (حكمت سليمان) الذي ذكر له ان (رشيد عالي) استولى على مساحات كبيرة من الاراضي الصالحة للزراعة، باستغلاله نفوذه في جهاز تسوية حقوق الاراضي. كما استغل الى حد كبير منصبه كوزير عدلية بالوكالة فضلاً عن وزارة الداخلية، لابتزاز المال من مستأجري الاملاك الموقوفة القادرية بوصفه متولياً.

(٢٤) برقية بالجفرة من السفارة البريطانية في بغداد الى وزارة الخارجية ١٣-٢٠٠١-٣٧١-٨٧٩٧ E - ٣٠ تشرين اول (أكتوبر) ١٩٣٦: «جاء نوري الى السفارة في حوالي التاسعة والدقيقة الثلاثين وقال ان معلوماته الاكيدة تفيد بان (بكر صدقي) ينوي قتله وقتل رشيد عالي ويأسين المختبيء الآن في محل ما من المدينة». ومن تقرير مسهب للسفير الى وزارة الخارجية في عين اليوم «... كانت نية فريق من هؤلاء الضباط قتل ياسين ونوري ورشيد في تلك الليلة... لذلك وجد ان افضل طريقة هي اخراجهم من البلاد بأسرع ما يمكن ووافق (حكمت) وكان على اتصال برشيد ويأسين اللذين وافقا على السفر في ذات اليوم ووصلوا دمشق مع جميل المدفعي.

قال حكمت فيما بعد انه ند على ذلك وانه ارتكب غلطة كبيرة.

التالية. وكان قد فقد النصير بموت (ياسين). فعقد حلفاً مع (نوري) وقد جمعت بينهما المصيبة. إلا أن الضباط الذين اودوا (ببكر صدقي) وانقلابه اختاروا غريمه (المدفعي) لتأليف الوزارة.

كان بوسع (المدفعي) أن ينسى ويغفر لكل من أساء إليه باستثناء (الغيلاني) فماذا كان يعدّ للغيلاني؟

وقبل هذا كيف وقع الاختيار على المدفعي؟

كان كل من (اللواء يوسف العزاوي) والزعيم نظيف الشاوي والعقداً صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب وسعيد يحيى) على رأس جمعية سرية عسكرية مدنية وضعت هدفاً لها اغتيال (بكر صدقي) وإزاحة حكومة (حكمت سليمان) بدعوى انها «استغلا الجيش والساسة تحقيقاً لاطماعهما الخاصة». ولما حققت هذه العصابة مبتغاهما خرجت للعلن مختالة مزهوة بما أنجزته تتمتع باعجاب السياسيين الذين طاردتهم الحكومة السابقة. وبالتشجيع الذي لقيته ما لبثت أن بدت سيدة الميدان تتحكم فيمن يكون وزيراً ومن لا يكون. وقد اتفقت كلمة هولاء على ان (المدفعي) وقد عرفوه بضعف الارادة ولين الجانب - هو خير من يندب لتأليف الوزارة في ذلك الطرف. ويذكر صاحب تاريخ الوزارات العراقية ان العقيد (الصباغ) واللواء (العزاوي) اقتادا المدفعي ما أن وطأت ارض العراق قدماه، واخذه من المطار الى معسكر الوشاش وأمليا شروطا معينة وافق عليها. ولم يصدق أحد عندما ظل يدعي بأنه هو الذي املى عليهم شروطه وهي وجوب العودة الى ثكناتهم والتفرغ لشؤون واجباتهم العسكرية وعدم التدخل في سياسة البلد.

ولم يطل به الحال حتى ضاق بطلباتهم ذرعاً وراحوا يتآمرون على ازالته وانتهاز (الغيلاني) فرصته فزاد التصاقاً (بنوري السعيد) وعن طريقه اخذ يتقرب من الكتلة العسكرية. وانتبه (المدفعي) الى ما يببئ له بالحملات التي كانت الصحف توجهها ضده والاشاعات المتناثرة حوله فسارع الى اصدار مرسوم منع الدعايات المضرة^(٢٥) وتم بموجبه فرض الإقامة الجبرية تحت مراقبة الشرطة على عددٍ من السياسيين وكان (الغيلاني) في مقدمتهم فقد اقتحم منزله ليلاً ووضع في واحدة من سيارات قوة الشرطة السيارة المكشوفة (بيكاب) لتقله بشكل مهين الى منفاه في (عانه). في تلك الأثناء آثر اللواء (العزاوي) والعميد (نظيف الشاوي) وجماعة ينتمون اليهما من الضباط «القوميين» الانسحاب من الميدان وجأهروا بمساندتهم للوزارة.

(٢٥) رقم ٤٤ لسنة ١٩٣٧.

فالتجأ العقداً الخمسة الى (نوري السعيد) الذي كان حانقاً على المدفعي لأنه ابى تحقيق رغبته في محاكمة قتلة (جعفر) عديله^(٢٦).

وتوالت اجتماعاتهم في منزلي (نوري السعيد وطه الهاشمي) وقضى على ترددهم تهديد (صبيح نجيب) وزير الدفاع بتطبيق مرسوم منع الدعايات المضرة بحقهم. فأعدت خطة انقلاب في مكتب العقيد (الصباغ) بوزارة الدفاع وكان مديراً للحركات.

بعد ان أموا السيطرة على الاماكن الحساسة بوححدات عسكرية. ارسلوا زميلاً لهم هو العقيد (عبدالعزیز ياملكي) الى (المدفعي) لينبئه «برغبة الجيش في تخليه عن الحكم». وكانوا قد قرروا تكليف (نوري).

فبعث (المدفعي) بصديقه (مولود مخلص) عضو مجلس الاعيان الى العقداً يتشفع له ويعددهم عن لسانه بكل شيء مناشداً اياهم الابقاء على وزارته فطردوه شر طردة. ثم اوعزوا للفريق (حسين فوزي) رئيس اركان الجيش بالذهاب الى الملك وابلاغه برغبة الجيش في إقالة (المدفعي).

كان الملك غازي في تلك الساعة ثملاً. وقد بقي الى آخر لحظة وهو في حالة السكر الشديد بحسب أن حركة شيوعية قائمة في معسكر الرشيد، ولما صحح له وهمه وجيء اليه بالخبر اليقين قبل استقالة المدفعي».

واثبت العقداً (نوري السعيد) في رأسه الحكومة. فسارع الى إلغاء مرسوم (المدفعي) واطلق سراح الغيلاني الذي عاد من منفاه في (عانه) وكله يقين بأن حلفه الجديد مع (نوري) سيضمن له وزارة في حكومته وعلى الارجح انها ستكون وزارة الداخلية. لكن ظنه خاب لأن (غازي) اشترط ان لا يدخل (الغيلاني) في الوزارة.

لم يرد وزيراً، ولكنه قبله بعد بضعة أشهر رئيساً لديوانه! فقد انتهاز ناجي شوكت غياب (نوري) ووكالته لرئاسة الوزارة واقنع الملك بقبوله... نزولاً عند المصلحة العامة^(٢٧).

(٢٦) الى نهاية العام ١٩٤٠ كان العقيد (الصباغ) يرى في (نوري السعيد) «مثالاً حياً للوطنية وخير من تجسدت فيه الأمانى القومية العربية» [راجع هذا واكثر منه في "فرسان العروبة"، وهو مذكرات كتبها الصباغ].

(٢٧) لشرط الملك هذا تفسيره، ولكننا لانجد تفسيراً منطقياً لقبوله رئيس ديوان له غير حالة الملك العقلية غير المستقرة. فالغيلاني بوصفه وزير داخلية في وزارة (ياسين) كان المسؤول عن تطبيق قرار الحجر الذي فرضه الهاشمي على الملك. وقد تضمن تقييد تصرفاته ومنع اشخاص معينين عن لقاءه وحرمانه من متع كثيرة ثم لاريب وان بعضهم نقل له ما كان يتحدث به الغيلاني عنه، وربما نقلت اليه شتائم يوم الانقلاب. وليس ببعيد ايضاً ان الدكتور ناجي الاصيل وزير الخارجية في حكومة الانقلاب قد اسر اليه بما قاله =

تحوّل الولاءات، والمتغيرات السياسية السريعة بكل غرايتها ومفاجأتها كانت كما نرى تتمّ بعزل تام عن الرأي العام والجمهور، إلا ما ندر من تلك التي يرى ابطالها وجوب التمهيد لها باثارة مشاعر الرأي العام واهاجة العواطف. وتعود الناس ذلك. وكانوا يأخذون الأمور التي تجري بفلسفة الأمر الواقع fait accompli. وقلما اهتم الحكام بالانطباع العام المتخلف عن نشاطهم.

وجزء من تفسير ذلك يجد جوابه في أن حكام العراق يعاملون الجمهور العراقي مثلما كانت الطبقة الحاكمة في الامبراطورية الرومانية القديمة تعامل طبقة العبيد وما جرى مجراها من الشعوب المقهورة. فكلاهما اعتمادا تلك السايكولوجية الاجتماعية التي تحرر الأفراد من المسؤولية، وتصدهم بضيق وقنوط عن دراسة اعمال الحكام بنوع من الاستسلام وعدم اكتراث، أو بالتلهي في درامية التغيير، وما يتخلل صراع الحكام بعضهم مع بعض من طرافة ولاينقص منها ما قد ينجم عنها من مأس في بعض الاحيان.

وبات واضحاً أن العقدا الذين صاروا أربعة بعد أن ابعد (سعيد يحيى) نفسه عنهم - فكانوا المرجع الأعلى في اختيار الحكومة ونصبها وعزلها. وراح فريق من الساسة المجدد والقدماء يلتفون حولهم ويخطبون ودّهم ولم يكن بالعسير على (الكيلائي) الاستنتاج بان الوقت قد اذف لتحويل اهتمامه بشيوخ العشائر الى ضباط الجيش السياسيين. في مبدء الأمر غازل ما بدا له زعيم كتلة الضباط تلك وتقرب من اللواء (العزاوي) والعميد (الشاوي) ولما ظهر أن هذين وكتلتهم بقيت موالية للمدفعي وعندما ادرك ان القوة الحقيقية هي العقدا الاربعة، يم وجهه شطرهم. لكن ذلك لم يكن سهلاً، فهولاء مازالوا مرتبطين (بنوري السعيد)^(٢٨) وهم يرون «وطنيته فوق الشبهات» وهو مجرد تعبير بديل فخم معناه انهم يشقون به. وبين (الكيلائي) وبين (نوري السعيد) الحقد الدفين الذي نجم عن ابعاده عن الوزارة، تأحجت ناره عندما غدر وكيله (ناجي شوكت) به منتهزاً فرصة غيابه ليعين (الكيلائي) رئيساً للديوان.

= للسفير البريطاني ذات يوم، قال له "ان الكيلائي نوه ليكر صدقي اثناء ما كان وزيراً للداخلية بان وزارتهم قد تبقى في الحكم عشر سنوات". فاجاب (بكر صدقي) هذا منوط برأي الملك ولعله لايرى ذلك. فكان رد الكيلائي:

- اذا عارض غازي فإن الطريق الى خارج العراق مفتوحة أمامه!

(٢٨) فرسان العروبة، ص ١٣١ (الصباغ): «لكم حرصنا (نوري السعيد) على اسقاط وزارة المدفعي ليكون هو رئيساً للوزارة فيطبق ما في جعبته من مشاريع واعمال جبارة تدعم استقلال العراق وتخدم بلاد العرب وتحقق وحدتها وهو متأز مع زعماء البلاد العربية. وانه وطه (الهاشمي) سيسدان الفراغ الذي تركته وفاة المغفور له الملك فيصل... ونحن مازلنا الى جانبها ونمنحها تأييدنا...»

لم تكن هذه المؤامرة الصغيرة لتتفق ومزاج (نوري) بل كان يتطير منها لأنها جعلت فم خصمه قريبة من اذن ملك سهل القيادة لكل من يظهر له الودّ ويتحجب اليه بتشجيعه على هواياته وتسهيل تمتعه بها. ولايد وانه نسي ما نقل له من اقوال معزوة (للكيلائي) بما احاطه وهو رئيس للديوان بالرعاية والمداهنة والملق وتلبية الرغبات الخاصة.

وفي عين الوقت كانت الحالة تتطلب انشاء علاقة وطيدة للعقداء بالبلاط لأن العلاقة المباشرة تغنيهم عن الوسيط وتم ذلك. وليس ببعيد أن ساهم (الكيلائي) لانها الوسيلة الفضلى لتوطيد علاقته ايضاً بهم. وإن كان ثم آخر سيرد ذكره يدعي بالسهم الأوفر في انشائها. وياً كانت الواسطة، فمما لامراء فيه أن رئيس الديوان يحكم منصبه وصلاحياته كان على علم تام بالزيارات المستمرة الليلية التي يقوم بها هولاء العقداء للبلاط واجتماعاتهم الطويلة "للهو والسمر" مع الملك وعدد من البطانة، لاسيما (صلاح الدين الصباغ) ومحمود سلمان) ففي ذلك الحين شاعت بين الناس اسطورة "الملك القومي" عدو الانكليز، والعقداء يعتبرون أنفسهم من القوميين ولهم اتباعهم في الجيش وخارج الجيش.

إلا ان الملك أسلم الروح، بحادث الاصطدام، وتسلم الحكم بعده شخص يختلف تماماً. لذلك اقتضى (للكيلائي) وقت طويل ليشفي غلّه من (نوري السعيد)^(٢٩) وربما كان التوفيق سيخطئه لو لم تفرع طبول الحرب ويعلن البريطانيون بان الوقت قد حان لإيفاء العراق بتعهداته وتطبيق مواد معاهدة ١٩٣٠.

لم يكن من طبيعة (الكيلائي) تنظيم خطط للمدى الطويل وكانت خططه القصيرة الأمد تتميز بالارتجال والاندفاع. إلا ان ألمعيته تتجلى عادةً في انتهاز كل فرصة تعن له فيها ربح لشخصه فحسب. وما عرف عنه قط انه كان يعبأ بمصائر الآخرين الذين وثقوا به وأمنوا، فتعاونوا معه. ولو كان ممكناً الأخذ بشهادة (توفيق السعدون) عنه، لكان فيها خير وصف لخلق (الكيلائي) فهي مما لا يصح اعتباره قانونياً لصدورها من خصم. على ان ما سيرد عن صاحب السيرة بعد هذا قد يرفع هذه الشهادة الى مرتبة القرينة القوية^(٣٠).

(٢٩) الموقف المتسم بالهياج العاطفي الذي شاهده (طه الهاشمي) من (الكيلائي) اصابه بالذهول وقتما كان يشكو له غدر (نوري) به. فقد جاء في مذكرات (طه) انه قصد زيارته في داره بالبتاويين بعد عودته من منفاه في (عانه) «كان متأثراً جداً وناقماً لانه لم يدخل في الوزارة وعاتبني عتاباً مرأ حتى انه بكى من شدة التاثر فاستغربت ذلك منه كثيراً... واخذت اهدى روعه واخفف عنه قائلاً عليه ان لايستعجل الأمور وانها ستكون بما يحب ويشتهي فطف بالطلاق بانه لايدخل الوزارة.» وذكر طه حادثاً مشابهاً آخر وقع هذه المرة في بيته اذ خرج الكيلائي من داره وهو يبكي ويلطم وجهه فلحق به مخففاً ومهدناً.

(٣٠) توفيق السعدون هو ابن اخ لعبدالمحسن السعدون. ذكر لأحد موظفي السفارة البريطانية ايام انقلاب =

عندما كلفه الوصي (عبدالله) بتشكيل حكومته الثالثة في الثلاثين من آذار العام ١٩٤٠، لم يرشح احداً لتولي منصب وزارة الداخلية واحتفظ بها لنفسه! لكنه أرغم على قبول خصمه (نوري السعيد) وزيراً للخارجية. كما أرغم (نوري) نفسه على المشاركة، فالموقف جدي والوضع دقيق. هناك حرب عالمية لم تر البشرية مثلها من قبل كانت فيها بريطانيا وامبراطوريتها الهدف الاكبر وليس هناك من يرضى به البريطانيون غير (نوري) في ذلك الحين، وهم بعد لم ينسوا الورطة الآشورية التي اوقعهم فيها (الكيلائي) تلك القضية المحلية الصغيرة التي دوكتها سياسة حكومته القومية ووضعت السمعة البريطانية بمواجهة الرأي العام العالمي وارغمتها على التغطية والكذب والانتصار للعراق في الوقت الذي استطلت مخالب الدكتاتوريات في اوربا وكشرت عن نيوها! وقد مر عليها سبع سنين وقعت خلالها تغييرات جسيمة بالغة الخطورة في العراق اذ امتدت مجسات اخطبوط الفاشية والنازية لتحتضن المجتمع العراقي وتغزو قومييه وبسطاء الناس فكرباً مهددةً انصار التعاون مع الحليفة تهديداً حقيقياً ومزعزعة مركزها في اخطر فترة من تاريخ تلك الامبراطورية.

وكان على (نوري السعيد) أن يقبل كارهاً بالتعاون مع خصمه هذا ليقوم بدور الكابح.

ظل (نوري) ينقم على (الكيلائي) لاسباب كثيرة ليس اقلها شأناً الاسلوب القمعي الذي عالج به الازمة الآشورية مستغلاً بعده وبعد «العقلانيين» من اعضاء الوزارة عن ارض الوطن (هو ورستم حيدر وياسين) والأول كان بنوع خاص يرى وجوب الحل السياسي لازمة وعدم اللجوء الى القوة واستخدامها بروح انتقامية خشية ردود الفعل في الرأي العام العالمي (الاوروبي) وفي بريطانيا على الخصوص. ولم يبارحه حنقه على (الكيلائي) بعد ان ارغم وبوصفه عضواً في وزارته ومدوباً لعصبة الأمم في ما بعد، على الكذب وتحمله المسؤولية عن الاعمال الوحشية بنفيه حصول تجاوزات وقتول، والدفاع عن موقف الحكومة الكيلائية.

في الباب الأول من هذا الكتاب عالجنا بتفصيل مسألة غلبة الأفكار النازية والنظرية العنصرية على دعوة القومية العربية ودعاتها وكيفية وقوعها ضحيةً لذلك الاعجاب بالنظامين الفاشيين بسبب البهجة التي زينتا بها انحازتهما في الداخل وما لقيت مبادراتهما العسكرية من نجاح في ميدان السياسة العالمية. وما عقب ذلك من الرابطة الوثيقة التي حققها النظامان الدكتاتوريان بعدد كبير من القوميين العرب.

= بكر صدقي في معرض حديث له عن (رشيد عالي) بانه لا يرى وصفاً يليق به الا الكلمة الفرنسية imbicill وتعني الاحمق أو البهيمه لأنه لا يجد لفظاً آخر أنسب من هذا يصف به طمعه الذي كاد يكون هوساً فيه، وانانيته التي تعمييه تماماً عن رؤية مصلحة أخرى غير ما يتعلق بمصلحته.

فكيف دخل (الكيلائي) في الصورة؟

من تأمل وقائع حياة هذا السياسي وانعم النظر في اسلوب تعامله ازاء قضايا الوطن ومواقفه من رجال الحكم ومن القوى الخارجية ولاسيما بريطانيا صاحبة النفوذ الاكبر - فلاشك انه سيسنتج بان هذا الرجل ما كان يقم لفكرة القومية العربية وزناً إلا بقدر ما تخدم مصالحه الخاصة وطموحه الشخصي. انه لا يمكن ان يوضع في عداد مفكرها لأنه لم يسطر كلمة واحدة عنها ولم يعبر عن مشاعر وافكار خاصة: كما انه لا يمكن ان ينخرط في صفوف المدافعين عنها الصامدين الى آخر لحظة (كالسبعائي) مثلاً. ولم يتعقب في حياته خارج الحكم أو داخله هدفاً قومياً سياسياً. وكل ما تظاهر به وفي اوقات معينة - من تحمس لها انما كان بمثابة وسيلة للتقرب من دعاتها وحملة رايتها ليتخذ منهم مراقبي وادواتٍ إما لوصوله الى الحكم واما لضمان بقائه فيه. وان كان هو نفسه واولئك الذين كتبوا عنه ومجدوه قد برروا الاسلوب الوحشي الذي اعتمده «لتأديب الآشوريين واليزيدية والكردي» بأنه دفاع عن الكيان القومي من خطر محقق، فكيف يمكن تبرير ذلك الاسلوب الذي استخدم بالضبط ضد العرب الشيعة في جنوب العراق؟

أهؤلاء ايضاً كانوا يهددون القومية العربية؟

يصعب جداً إثبات زمن معين لصلات (الكيلائي) بدول المحور. فقد مرت بمعظم رجال الحكم وقادة الجيش العراقيين فترة من الزمن وقعوا خلالها أسرى لما عدوه في ألمانيا وايطاليا معجزةً سياسية، وافتتنوا افتتاناً بما حققته الدكتاتورية الحزبية في ميدان السياسة الخارجية من انتصارات عسكرية وغير عسكرية، وبما انجزته من نهضة إقتصادية وعمرانية كستها دعايتها ببهرجة عميت معها الأبخار والبصائر. واسرعوا يتبارون في التقرب من ممثليهما الدبلوماسيين في بغداد، وكان بينهم عدد ليس بقليل ممن عرف بولائه للبريطانيين والسياسة البريطانية. ونشط الوزير المفوض الألماني - العضو في الحزب النازي الدكتور (فرتز كروبا)^(٣١) وزوجه وخبير الآثار الألماني الدكتور (يوردان) ولم يعد سراً ذلك النفوذ الواسع

(٣١) تعرف الدكتور كروبا الى عدد من الضباط العرب ايام كان هو نفسه ضابطاً صغيراً ملحقاً بالبعثة العسكرية الألمانية في استنبول اثناء الحرب العظمى الأولى بقيادة المارشال فون در غولكه. يقوم بواجب الترجمة لوقوفه على اللغة التركية والفارسية. وقد صحبه في ١٩١٧ الى سورية عندما انيطت به القيادة هناك وتعرف الى المزيد من الضباط العرب والعراقيين الذين كانوا سيحتلون مناصب مدنية وعسكرية كبيرة في العراق الجديد. عين قائماً بالاعمال في بغداد العام ١٩٢٢ ثم وزيراً مفوضاً في ١٩٢٣ حتى ١٩٢٩ حيث غادرها بعد قطع العلاقات الدبلوماسية. لكنه عاد بعد تأليف (الكيلائي) حكومة الدفاع الوطني في ١٩٤١ وبقي حتى انهيار حركة مايس وكان ينسق المعونات العسكرية الألمانية مع الجنرال فيلمي =

الذي تمتعت به المفوضية الألمانية بصورة خاصة وكذلك المفوضية الإيطالية خلال الاعوام السبعة التي سبقت حركة ايار (مايس) ١٩٤١. والمتأمل في الوثائق البريطانية حول هذه الفترة يجد ان البريطانيين ما كانوا يهتمون بمثل هذه الرابطة بوجهها السياسي او يحسبون لها حساباً، وان ما كان يورثهم القلق والهم هو التغلغل الاقتصادي ونمو العلاقات التجارية بين هذين البلدين وبين العراق بكل التسهيلات المصرفية والأسعار التي لا تقبل مزاحمة والسفريات المجانية واعتماد صفقات السلاح. بل لاح وكأن الديمقراطية البريطانية كانت مرتاحة جداً للميل العراقي الى دول المحور في تلك الفترة لأن السياسة البريطانية كانت مستوحاة من إعتبار الافكار الشيوعية والخطر السوفييتي العدو الرئيس الذي ينبغي التصدي له ومحاربه في البلاد التي تقع ضمن دائرة نفوذها. لقد تمكنت الدعاية النازية من ترسيخ الاعتقاد بأن المانيا الهتلرية ستقف سداً بوجه الطغيان الشيوعي واستمرت الحال على هذا المنوال حتى بدت غيوم الحرب العظمى تتجمع في سماء أوروبا.

على اية حال فان الوثائق البريطانية وسجلات التاريخ العراقي تشير الى ان بدء الانعطاف الكيلائي الى المانيا كان عندما اصروا وزير داخلية في وزارة (ياسين) الأخيرة - وبصورة خاصة على اجراء مفاوضات سرية مع المانيا عن طريق (فريتز غروبا Fritz Grobba) في بغداد العام ١٩٣٥- لشراء وعقد صفقات اسلحة وصدر قرار بارسال (العميد طه الهاشمي) رئيس الاركان الى المانيا لاتمام الصفقة الا ان سقوط الوزارة بالانقلاب العسكري قضى على تلك الفترة.

كما رأينا كانت السنوات الثلاث التي سبقت دعوة (الكيلائي) لتشكيل وزارته الثالثة سنوات فوضى سياسية لا مثيل لها. (ياسين) الرجل القوي قضى نحبه في بلاد الغربية كمدلاً. (حكمت سليمان) سجين وملك الغر منهمك في هواياته والعباه. لم يعد في الميدان غير العقداة الأربعة يقيمون الحكومات ويقيلوها بهوى خاص أو بتحريض من (نوري السعيد) الذي كان يملك زمامهم لفترة معينة انتهت او كادت عند ظهور شخصية جديدة على المسرح

= المسؤول العسكري عن حركة مايس. وآخر منصب تقلده في المانيا العام ١٩٤٤ هو منصب المدعي العام في مدينة (ماننغن). وقع في قبضة الجيش الأحمر واحيل الى محاكم تصفية النازية ومجرمي الحرب وحكم عليه بالسجن لمدة عشرة اعوام. ومما يذكر ان العلاقات الصميمية التي نشأت بينه وبين (الكيلائي) حملته على زيارته في بغداد بعد الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، واعد الكرة فزار بغداد في ايلول ١٩٦٣ والتقى زعماء الانقلاب البعثي و(الكيلائي) ثانية. وفي ١٩٦٧ اصدر في فرانكفورت كتابه الموسوم Manner und Mächte im Orient: رجال وقوى في الشرق. ورغم المعلومات الطريفة التي تناولها فيه فانه يشك في صحة كثير منها. ولاسيما تلك الاشاعات التي كان يدونها بوصفها حقائق.

السياسي العراقي. واقصد بها شخصية (الحاج محمد امين الحسيني) مفتي فلسطين. مرت المشاعر القومية في العراق بمرحلة حماسية ملتبهة على اثر اندلاع ما عرف في العام ١٩٣٩ بالثورة الفلسطينية ضد الانتداب الانكليزي، والاحتجاج العربي العام على تدفق اليهود الى فلسطين من اوربوا الغربية. وقذفت الى لبنان ثم الشام ثم الى العراق بحوالي مائتين من أبرز المجاهدين الفلسطينيين وعلى رأسهم (الحسيني) الذي أراد تحرير فلسطين من مركزه الجديد العراق.

في ١٦ من تشرين الأول ١٩٣٩ نزل هؤلاء ضيوفاً على الدولة العراقية. واسرع العقداة الأربعة القوميون وعلى رأسهم (الصباغ) يرحبون بالزعيم القومي الفلسطيني، وخرجوا عن كل معقول. ولا غرو فقد كان للمفتي صداقة مع (الصباغ) ومحمود سلمان وفهمي سعيد) أيام كانوا جميعاً رفاق سلاح في الجيش العثماني.

مالبث مفتي فلسطين أن بدا وكأنه القطب الذي يدور حوله النشاط التأمري على الحكم وتضاعل نفوذ (نوري السعيد) على العقداة في الوقت عينه لاسباب لايعيننا شرحها هنا. وكان على (الكيلائي) أن يملأ الفراغ ففعل وبمعاونة المفتي.

صارت الدار التي أسكن فيها المفتي مركزاً يتم فيه بدلاً من البلاط الملكي تأليف الوزارات وتقرير من يتولى المناصب فيها. ولم يعد ذلك سراً وتجمع اقطاب القوميون العراقيين حول المفتي بتشجيع من العقداة الاربعة. ووجد الوصي (عبدالإله) المعين حديثاً بعد موت (غازي) نفسه كمية مهمة بعدما أمسك المفتي بخيوط السياسة الداخلية والخارجية. كان (نوري السعيد) عند أول علاقته بالعقداة الاربعة «رمز الوطنية والاخلاص» على حد وصف (صلاح الدين الصباغ) له في كتابه (فرسان العروبة) إلا انه انقلب في اعينهم فجأة ليغدو «رمز الخيانة والعمالة» عندما أصر على قطع العلاقات مع دول المحور. ولما شعر أن سياسته هذه لا تروق للاربعة، اقترح ان يتنحى عن الحكم ببعد نظر منه بعد ان قدم أحد وزرائه (صالح جبر) استقالته وقد ضاق ذرعاً بما اطلق عليه مصطلح «العبودية العسكرية» بمذكرة وصف فيها ما يجري بـ«الإجرام السياسي» وبعد اغتيال (رستم حيدر) وزير ماليته وبذكاء وحيلة منه قدم (الكيلائي) للعقداة بوصفه اصلح خلف له.

في مقال نشرته مجلة المصور القاهرية للسيد (كمال الدين جلال) ورد وصف مفصل دقيق لدور المفتي الحاسم في نصب الوزارات العراقية واسقاطها وكذلك دوره الحاسم في حركة ايار (مايس) ١٩٤١.

وقد اسرع المفتي وهو مايزال في قيد الحياة للرد على المقال في عدد تال من الجريدة، نافياً تدخله «في شؤون العراق الداخلية»؛ وقال معقياً حول احداث ١٩٤٠-١٩٤١ ما يأتي نصاً:

«عندما احتدم النزاع بين كبار السياسة العراقيين. ذهبت أنا و[أمين التميمي] (فلسطيني آخر) لزيارة (نوري السعيد) في منزله، فبسط لنا التفاصيل حول تأزم الوضع في الجيش مساء ١٨ شباط (فبراير) وقيام أمره بالتحصن كل مع سلاحه في معسكري الوشاش والرشيدي، وعتب علينا لأننا لم نعمل على حسم الخلاف. ولما اجبته بان خطتنا ان لا تتدخل في الشؤون الحربية والمحلية، قال: هذا من صميم القضية العربية. وانتهى بنا الحديث الى لزوم السعي لجمع كلمة زعماء الاحزاب ويختار الوصي (عبدالله) رئيساً للوزارة. وعلى الأثر زرنا رؤساء الوزارات السابقين وزعماء الاحزاب وحدثناهم في أمر هذه المقترحات. ثم اني قابلت رئيس الديوان الملكي (رشيدي عالي) ثم الوصي، فابدى ارتياحه للمقترحات وشجع على العمل بها. فاجتمع الرؤساء في بيتي وهم السادة (رشيدي عالي وناجي السويدي ونوري السعيد وعلي جودت وجميل المدفعي وتوفيق السويدي وناجي شوكت والسيد محمد الصدر رئيس مجلس الاعيان) ووقعوا فيما بينهم وثيقة اتفاقية فأخذتها وسلمتها للوصي فقبلها شاكراً وعلى اثر ذلك صفا الجو في العراق»

لست ادري كيف يكون شكل التدخل ان لم يكن هذا تدخلاً!

إلا ان (الكيلاي) يكذب المفتي ويدعى بأنه هو وحده صاحب فكرة الاتفاقية وانه هو الذي حمل رؤساء الحكومات السابقين «على توقيع الوثيقة او الاتفاقية كما نعتها سابقاً وقد اعطيت بناءً على طلبي لأنني كنت مرشحاً لرئاسة الوزارة. وذلك كوسيلة لصد احتمال لأعيابهم وكيدهم بعد تأليفها» (٣٢).

واسندت الوزارة الى (رشيدي عالي) مرشح العقدا والمفتي بعد ان اشترط عليه ان يكون قوامها طبقاً للوثيقة التي وقعها رؤساء الوزراء السابقين في دار المفتي كما زعم (٣٣).

من أولى أعمال (الكيلاي) بعد تشكيله الوزارة في ٣١ من آذار (مارس) ١٩٤٠ انه

(٣٢) من نص رسالة كتبها الكيلاي لمؤلف كتاب (الوزارات العراقية: ص ١٢٢ ج ٥ الطبعة الثالثة. وكالعادة كتب (الكيلاي) الرسالة مستخدماً ضمير الغائب المفرد!

(٣٣) تجد نص الوثيقة في الص ١٢١-١٢٢ من المرجع السالف. ووجه الغرابة فيها أنه نص في الفقرة الأولى منها على ان تكون الوزارة «قومية مؤتلفة» حتى لكأن الوزارات التي سبقتها لم تكن تمتاز بالقومية او الائتلاف!

أصدر مرسوماً مماثلاً لمرسوم (المدفعي) السيء الصيت باسم [مرسوم صيانة الأمن العام وسلامة الدولة] وامتناز عنه بانه اباح مما أباح «القبض على المشتبه بهم باقلاق او تشويش الرأي العام وحجزهم في اماكن تعينها الحكومة... بقرار يصدر من متصرف اللواء وقائد الفرقة. ومنح هؤلاء الموظفين والعسكريين سلطة تعطيل الصحف ومصادرة المطبوعات ومراقبة المراسلات والاتصالات السلوكية واللاسلكية» (٣٤).

ما الذي يجعل رجل القانون هذا في مقدمة رجال الحكم المستهينين بالقانون والمتجاوزين عليه وبمثل هذه الغلاظة وبرودة الدم والاحتقار؟ سبب واحد يفسره علماء النفس ولا يتعذر على القاريء استخلاصه والوصول اليه من الاحداث التي اصطنعها هذا السياسي ومر بها؛ ما سبق منها وما لحق.

على ان مأزق (الكيلاي) لم ينته بوصوله الى رأسه الحكومة، بل كانت هذه البداية. فهو الآن يواجه طلب الحكومة البريطانية تطبيق معاهدة ١٩٣٠ التي رفضها باستقالته، ثم حرص بعدها على التصريح باحترامه لها في عدة مناسبات تالية وطالب بتطبيق بنودها مرة واحدة ولم يطالب بذلك احد لا قبله ولا بعده. ان بريطانيا تطلب من حليفها العراق السماح للقوات البريطانية بالنزول في ارضه.

وكان في وزارته وبسبق تفاهم مع البريطانيين، اعضاء لا شائبة في انحيازهم السياسي الى بريطانيا. إلا انه من جهة أخرى مدين للعقدا الأربعة وللمفتي باختياره لرأسه الحكومة وبمكنتهم ازاحتهم مثلما نصبوه. لاشك في ان الانتصارات الحربية الساحقة التي حققها الجيش الالماني باعتماده اسلوباً جديداً في الحرب لا عهد لتاريخ الحروب بمثله من قبل وباخراجه اكبر الحليفين ضده من الحرب في غضون اربعة أيام واستسلامه بعد كارثة دنكرك (٣٥) كانت ذات اثر حاسم في سياسة (الكيلاي) ازاء الحليفة الجديدة.

في تلك الفترة الخطيرة من تاريخ البشرية لم يكن الموقف الصارم الذي اختاره (الكيلاي)

(٣٤) لأول مرة في تاريخ المراسيم الشاذة (ويعد سحب حق الأمر بتنفيذ احكام الاعدام من القائد العسكري في مرسوم الادارة العرفية) تعطى مثل هذه الصلاحيات الى عسكريين. ويزول العجب عندما نعلم ان العقدا الأربعة كانوا يملكون مثل هذه القيادة ولعلمهم تدخلوا في صياغة المرسوم او ربما كان ذلك بمبادرة خاصة من الكيلاي، كوسيلة لتقرب اكثر من العقدا. الفكاها المرة في هذا المرسوم النافذ المفعول ست سنوات اکتوى بناره القوميون وانصار (الكيلاي) من وزراء ونواب وعسكريين ظاهروا حركته وحكومته المعروفة (بحكومة الدفاع الوطني) اذ استخدم لاعتقالهم وحجزهم بعد الهزيمة - طوال مدة الحرب.

(٣٥) مدينة فرنسية على ساحل بحر المانش. طوق فيها وحواليها حوالي نصف مليون جندي بريطاني وفرنسي. وانجز حوالي الف سفينة وقارب اخلاء (٢٣٦٠٠٠) منهم ونقلهم الى بريطانيا.

ازاء معاهدة ١٩٣٠ ما يمكن لومه عليه من الناحية السياسية البحتة على الأقل، وكما بدا الوضع في الظاهر لكل ذي عينين. فكل المستقبل بدا وكأنه لدول المحور، والامبراطورية البريطانية منذ شهور عدة تقف وحدها بمواجهة اعظم واحداث آلة حربية عرفها البشر، والجزر البريطانية معقل تلك الامبراطورية تدق دقاً عنيفاً من الجو والبحر وغزوها كان متوقعا بين يوم وآخر حتى ليبدو لمن كان يصغي لإذاعة برلين العربية، وكأن العمر لن يطول بها اياماً بل هي في ساعات النزاع الأخير. والمنطق البسيط يقضي أن تكون مع الغالب. لأنك "إن وضعت نفسك الى جانب الخاسر، فانت خاسر بداية". لكن من هو الغالب هنا ومن هو المغلوب؟

لم تكن العجلة ضرورية وقتذاك، وفي الوقت متسع لابتداء بعض الاخلاقية السياسية لحليف واقع في محنة. وبضعة آلاف من الجنود في بلاد حليفة ما كان ليغير من النتيجة شيئاً أمام خصم ما عرفت قواته غير الانتصارات الساحقة.

كانت معاهدة ١٩٣٠ جائزة حقاً املاها سيد على مسود. كانت جائزة بحق المواطنين العراقيين جميعاً بدون استثناء. إلا أنها كانت بركة ومصدر خير عظيم لكتلة صغيرة معينة تتألف من عدد من الموظفين العثمانيين السابقين والضباط الصغار الذين انتشلتهم تلك المعاهدة من انياب البطالة وزوايا الخمول ورفعتهم الى كراسي الحكم في بلد مستقل لتمتعهم بكل ابهة السلطان. جعلت منهم وزراء وقادة عسكريين كباراً ومكنتهم من خيرات البلاد ليشروا ويتربوا.

(الكيلائي) موظف الاوقاف الصغير وعضو جمعية الاتحاد والترقي العثماني قلباً وقالباً كان من أوائل المنتفعين بما آل اليه العراق بسبب هذه المعاهدة التي وضعت تلك البلاد المحتلة على أول درجة من درجات الكيان السياسي وادخلتها محافل المجتمع الدولي. فلولا معارضته ولولا رضوخه لها ماكان ليجد نفسه في موقف المتحدي في العام ١٩٤٠ بوصفه قومياً عربياً. لكنه كان متسرعاً كشأنه دوماً. منساقاً بحدة طبع فيه ولجاجة. وكان أيضاً شبه أسير في يد العقلاء الذين صاروا يتلقون الإرشاد من (المفتي) الفلسطيني.

قطع علاقات العراق بألمانيا. إلا أنه أصر على إبقائها مع إيطاليا وكان اذ ذاك على صلة بوزيرها المفوض (لويجي كابريللي) وأبقى على صلة بالسفير الألماني (فون باين) بأنقرة عن طريق (ناجي شوكت) وشقيقه الدبلوماسي (كامل الكيلاني). وبمواقفته ومعرفته بعث (المفتي) برسالة (لأدولف هتلر) (٣٦). وراح يماطل ويتعلل بغموض المعاهدة وتفسيره

(٣٦) في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤١، حملها الى برلين سكرتير المفتي الخاص عثمان كمال حداد.

لنصوصها ويزداد تعنتاً أمام نفاذ صبر (الوصي) على العرش ونوري السعيد وزير الخارجية (٣٧) - بتعاقب انتصارات دول المحور (٣٨).

كان نص المعاهدة الذي يقضي بالسماح بدخول القوات العسكرية البريطانية العراق صريحاً ومدوناً بعبارات لا تقبل تأويلأً بنصها العربي والانكليزي (٣٩) إلا أن التعاون الحكومي مع دول المحور قطع شوطاً بعيداً ما كان يمكن معه الرجوع عنه إلا بذهاب حكومة الكيلاني وقيام حكومة جديدة. لذلك لجأ (الكيلاني) والعقلاء من ورائه الى التسوية والمماطلة واصدار التصريحات بالتمسك بتعهدات العراق للحليفة. ثم آل الأمر الى رفض العمل بينها الرابع.

ولجأ (الوصي ونوري) الى حيلة الإستقالة الجماعية لعدد من الوزراء لارغام (الكيلاني) على تقديم استقالته فحاول الترقيع كما فعل حكمت سليمان قبله عندما جوبه باستقالة الوزراء الأربعة (٤٠) وفعل. لكن رفض الوصي مزاوله مهماته الدستورية ورفضه التوقيع على

(٣٧) كان عبدالإله من طينة تختلف عن طينة ابن عمه غازي، وقد بدت استقلاليته في الرأي بوقت مبكر وماكان هناك مفر من الاصطدام مع العقلاء والكيلاني وقد حاولا التعامل معه بالشكل الذي كانوا يتعاملون مع غازي. وكل هذا تقرأ تفاصيله في الجزء الخامس من كتاب تاريخ الوزارات العراقية.

(٣٨) احتلال اقليم السار في ١٩٣٦، ضم السويد من جيكوسلوفاكيا في ١٩٣٧، القضاء على استقلال النمسا في ١٩٣٨، القضاء على استقلال جيكوسلوفاكيا وتجزئتها في ١٩٣٩، غزو ايطاليا الحبشة وضمها الى مستعمراتها في ١٩٣٥، التدخل في الحرب الاهلية الاسبانية واقامة الدكتاتورية فيها ١٩٣٦-١٩٣٩، القضاء على استقلال بولندا وتجزئتها ١٩٣٩، احتلال يوغوسلافيا وتدمير عاصمتها في ١٩٤٠. احتلال بلجيكا وهولندا واللكسمبورغ في ١٩٤٠، استسلام فرنسا في ١٩٤٠. احتلال النرويج ١٩٤٠ الخ... (٣٩) النص الانكليزي للجزء الأخير من المادة الرابعة:

... In the event of an imminent mence of war, the high contracting parties will immediately concert togher the necessary measures of defence. The aid of H. M the king of Iraq in the event of war will consist to furnishing to his Britannic Majesty on Iraq territory all facilities and assistance in his power including the use of railways, rivers, ports, aerdromes and means of communications.

وهذا هو النص العربي:

«إن معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حرب او خطر محقق تتحصر في ان يقدم الى صاحب الجلالة البريطانية في الأراضي العراقية. جميع ما في وسعه ان يقدمه من التسهيلات والمساعدات ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والأنهر والمواني والمطارات ووسائل المواصلات».

ووفق هذه المعاهدة (المادة الخامسة) كان يوجد في العراق وقتذاك قواعد عسكرية اقامت فيها قوات غير محددة عددياً اقامة ثابتة. كما يلاحظ ان التسهيلات المنصوص عليها في المادة السالفة لم تحدد بحجم او مكان وانما جاءت مطلقة.

(٤٠) يفهم من المادة ٦٤ من الدستور ان استقالة نصف اعضاء الوزارة يجعل الوزارة في حكم المستقيلة لان مسؤولية الوزراء هي مسؤولية تضامنية بالاصل ويلاحظ أن (حكمت سليمان) واجه عين الاحراج الدستوري في العام ١٩٣٧ عندما استقال اربعة من اعضاء وزارته دفعة واحدة إلا انه عمد الى الترقيع. وسنعرض لهذا عند الكلام عن حكمت سليمان.

القوانين والارادات الملكية ثم فراره الى الديوانية تخلصاً من ضغط العقداً ارغم الكيلاني على تقديم استقالته لكن على أمل العودة.

في الاول من شباط (فبراير) ١٩٤١ نفذ العقداً آخر انقلاب لهم.

وضعوا قطعاتهم في الانذار واحتلوا بها دوائر الاتصالات ودار البث الاذاعي وسيطروا على مفارق الطرق وطوقوا بعض البنايات الحكومية ثم استاق احدهم رئيس اركان الجيش امامه الى منزل رئيس الحكومة طه الهاشمي ليبلغه ان «الجيش» يريد (الكيلاني) رئيساً للوزارة وعليه انه يفسح له المجال بتقديم استقالته. فكتبها طه فوراً وسلمها لهما.

في تلك الساعة كان عبدالإله قد انتبه للحركة العسكرية فأسرع بالفرار وعندما وصل الضابطان بكتاب الاستقالة ومسودة تكليف (الكيلاني) بتأليف الوزارة اقبل انه كتبها بخطه كان الوصي في مأمن منهم. ولا احد يقبل استقالة (طه) ويوقع الإرادة الملكية بتعيين الكيلاني.

لكن ذلك لم يقف عقبة في سبيله.

امتاز (الكيلاني) عن معظم رجال الحكم العراقيين بثقافة قانونية وانفرد عنهم بممارسة القانون استناداً له ومحامياً وقاضياً ومشرعاً. وتخرج على يده افواج من القانونيين خلال السنوات العشر التي كان يدرس مبادئ واحكام قانون العقوبات واصول المرافعات والقانون الدولي. وكيف يجب تطبيق القانون، وإن شابه اعتساف ولماذا يجب احترام العهود والاتفاقات وإن ظن فيها عدم كفاؤ. لكنه ظل طول حياته السياسية لايعبأ بهذه المبادئ كلما وقفت عقبة في سبيله ولايحترم القانون كلما حال بينه وبين اطماعه السياسية والشخصية فلايتوانى عن خرقه.

هو الآن يرفض تطبيق معاهدة ١٩٣٠. الاً انه تمسك بموادها قبل سبع سنين عندما طلب بموجبها من الحكومة البريطانية تزويد القوة الجوية العراقية بالعتاد لضرب الآشوريين «اصدقاء الانكليز» ووجد البريطانيون من المتعذر رفض الطلب حرصاً على تطبيق احكام المعاهدة.

لم يقلقه غياب رئيس الدولة. واعلن نصب نفسه رئيساً «لحكومة الدفاع الوطني» في الثاني من شباط واصدر امراً تنفيذياً تولى بموجبه كل السلطات (٤١).

(٤١) نص الأمر: الى المدراء العامين في الوزارات كافة:

على المدراء العامين في الوزارات والدوائر المربوطة ان يوقعوا ويصادقوا على المعاملات التي تتطلب توقيع الوزير المختص او مصادقته ماعدا المسائل الهامة التي تتطلب الدخول في مناقصة فانها يجب ان تعرض على سكرتير مجلس الوزراء لاخذ موافقتنا التحريرية. رشيد عالي - رئيس حكومة الدفاع الوطني

يقول اولئك الذين يحاولون تلمس العذر له بأنه كان في ذلك الوقت ألعوبة في يد العقداً الاربعة، يسيرونه كما يشاؤون. واني لأتساءل اما كان بإمكانه الاستفادة من الحالة الدستورية التي وضعه فيها غياب رئيس الدولة والاعتذار عن المضي في اللعبة الى نهايتها؟ كل ما حصل بعد ذلك يشير الى يد (الكيلاني) القانونية وهي اجراءات لايعرف عنها العقداً شيئاً.

وقع الأمر الدكتاتوري بوصفه رئيس حكومة في حين لم يكن هناك حكومة غيره وبعض المدنيين الذين ضمهم الى العقداً. ثم اسرع فجمع اعضاء المجلس النيابي ومجلس الاعيان وحملهم وسط الحماسة والتصفيق على خلع الوصي ونصب آخر، فقام هذا بتكليفه بتأليف وزارة. فاعلن عن تشكيل وزارة قومية أخرى.

ثم تعاقبت الاحداث بسرعة وسط الحماسة الشعبية. واطرح (الكيلاني) جانب الحذر والتفكير بالعواقب. كاتب انتصارات دول المحور تتوالى فقد تم اجتياح اليونان وألبانيا، والبريطانيون يتأهبون للدفاع عن (كريت) الجزيرة الهامة ستراتيجياً في البحر المتوسط. وقوات المارشال (رومل) تهدد مدينة الاسكندرية بمصر تهديداً حقيقياً. لم يعد ثم ما يخشى منه (الكيلاني) فالأسد البريطاني يبدو مثخناً بالجراح والمستقبل كله لمن وضع يده بيد المنتصر.

انتشرت الادبيات النازية في العراق فجأة وبينها ترجمة لكتاب (كفاحي) واستدعي الوزير المفوض الالماني السابق (فرتز غروبا) على عجل الا انه لم يصل الا متأخراً في ١١ من أيار. واستقبله (الكيلاني) وانزله ضيفاً في منزله الخاص حيث بقي فيه يزاول منه عمله الدبلوماسي (٤٢) وكان منصباً بدرجة الرئيسة في تنسيق عسكري يتضمن طلب المساعدات من

(٤٢) يعلق الاستاذ (نجدت فتحي صفوت) في كتابه (العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب، ص ١٦ ط٢، بغداد) على مايراه ظاهرة فريدة في تاريخ الدبلوماسية: «عاد غروبا الى العراق لفتح المفوضية الالمانية مع عدد من الموظفين والخبراء وقد رافقت عودته ملابس خاصة تعد نادرة في تاريخ التعامل الدبلوماسي. فهو لم يحمل معه عند قدومه اوراق اعتماده ولكنه عومل مع ذلك معاملة الدبلوماسيين المعتمدين. والأغرب من هذا انه نزل في دار المرحوم (رشيد عالي الكيلاني) رئيس الوزراء وزعيم (الثورة) وهذه سابقة تاريخية. إذ لم يسجل التاريخ الدبلوماسي فيما أعلم، ان اتخذ سفير دولة اجنبية اقامته ولو مؤقتاً في دار رئيس وزراء البلد الذي يمثل بلاده فيه. ففي ذلك ملابس عديدة تتعلق بالقانون الدولي العام ومبادئ التعامل الدبلوماسي وحقوقه. منها اعتبار محل اقامة رئيس البعثة الدبلوماسية جزءاً من اقليم بلاده ومنها حقه واحياناً واجبه في رفع علم بلاده على محل اقامته ووضع شعار دولته على باب مقره». أه.

نقول ان تعليق الاستاذ (صفوت) جاء في محله ولا ينقص من واقعيته ودقته ان الدكتور فرتز غروبا الذي وصل بغداد في ١١ من ايار كان قد قدم بصورة سرية بناءً على تعليمات واضحة من حكومته، منتحلاً اسم (فرانك كيركه). إلا ان قدمه بات على كل شفة ولسان بعد وصوله منزل الكيلاني بساعات وقد لفت نظري بهذه المناسبة تعليق في هامش الصحيفة ٤٨ من كتاب «التاريخ لم يبدأ غداً» (وهو عنوان غريب =

دول المحور لان العقداء والحكومة قرروا مقاومة المطالب البريطانية عسكرياً وربط مستقبل العراق السياسي بنصر دول المحور النهائي.

هناك وثيقة من محفوظات وزارة الخارجية البريطانية مؤرخة في ٢٥ من نيسان (ابريل) ١٩٤١، تتضمن نصوص معاهدة (او مسودة معاهدة) تمت بين الكيلاني بوصفه رئيساً للحكومة العراقية وبين رئيس البعثة الدبلوماسية الايطالية نيابةً عن دولتي المحور. ان قارئها لا يملك نفسه من التساؤل في أمرين إما الشك في سلامة عقل (الكيلاني) إن كان قد أمرها فعلاً. واما بانها وثيقة مزورة فنصوصها تجعل من العراق مجرد محمية تابعة لدولتي ايطاليا وألمانيا ولا وجه للمضاهاة بينها وبين معاهدة ١٩٣٠ التي زعم الكيلاني وصحبه انه ثار على بنودها الثقيلة^(٤٣) وأبى التقييد بها.

= تعمد فيه مؤلفه السيد نجم الدين السهورودي عن سيرة حميه (رشيد عالي) الخطأ اللغوي كما يبدو لقصد عجزت عن تعليقه) فقد قال (انقله هنا نصاً):
«عمل السيد رشيد عالي الكيلاني في مطلع حياته أستاذاً للقانون في كلية الحقوق ولذلك لم يكن من السهل اقتناعه بارتكاب أي تجاوز للقانون او الدستور!» أه.

(٤٣) نوه عدد قليل من الكتاب الوقائعيين بهذه المعاهدة تنويهاً عابراً. وفصل في أمرها الدكتور (وليد الاعظمي) في اطروحته التي نشرها في لندن ١٩٨٧ بعنوان [Rashid Ali Al-Gailani: The National Movement in Iraq رشيد عالي الكيلاني: الحركة القومية في العراق ١٩٢٩-١٩٤٠] ونفى صحتها بحماسة الحريص على سمعة (الكيلاني). الا انه لم يدل هو ولا من جاء الى ذكرها بأي سبب منطقي قد يحمل البريطانيين على اختراع هذه الوثيقة. وقد زعموا انها وقعت بيدهم صدفة في أواخر ايام الحرب فلم يعد فيها جدوى دعائية والحالة هذه بعد انكشاف امر الغطاء التي اقدمت عليها النازية وشخص المتعاونون معها والمتنصرون لها وبات النصر النهائي في قبضة الحلفاء. ان ما بدر من (الكيلاني) اثناء وجوده في دول المحور خلال فترة الحرب من تمجيد بالنازية وإشادة بزعيمها لا يبيح مجال شك في تضحيتة باستقلال العراق ثمناً لبقائه عند مادحيه او منتقديه.

والوثيقة والرسائل المتبادلة حولها تحمل رقم (٢٧٠٧٩-٣٧١) في ملفات وزارة الخارجية، وهي بالنص الفرنسي مذيلة بتوقيع (الكيلاني) رئيس حكومة الدفاع الوطني عن العراق. والوزير المفوض الايطالي (كبريللي) مندوباً عن دولتي المحور ومؤرخة في ٢٥ من نيسان (ابريل) ١٩٤١. وهذا هو اهم بنودها باختصار:

(أ) تعترف ألمانيا وايطاليا بحكومة الكيلاني اعترافاً رسمياً.

(ب) تساند ألمانيا وايطاليا العراق في مجهوداته لإلغاء معاهدة ١٩٣٠ وان ادت تلك المجهودات الى قيام حالة حرب بين العراق وبريطانيا فانهما تخفان الى نجدته عسكرياً وبكل الوسائل الممكنة.

(ج) مبدئياً تقدم الدولتان للعراق مبلغاً قدره عشرة آلاف مليون (لير) ايطالي بمثابة منحة لاسترداد. كما تفتح له اعتمادات مالية طويلة الأجل لغرض تجهيزه بالسلاح والمعدات والطائرات والدبابات التي تعينه على مواصلة الحرب مع بريطانيا.

(د) تساند الدولتان مساعي العراق في اقامة اندماج بينه وبين سورية تحت العرش الهاشمي وتكوين دولة واحدة وتبادران فوراً الى الاعتراف بها حال قيامها. =

بذل الكثير من المجهودات لاختفاء الحقائق والآثار والندوب العميقة التي احدثتها حركة مايس والحرب التي نجمت عنها. وتعمد معظم الكتاب والمنشئين بل كلهم فيما اذكر - تحاشي الحوض في جانبها المأساوي واغرقوا قراءهم بالشعارات القومية الحماسية. وسمو المقاصد ونبل القائمين بالحركة آسفين على النهايات الأليمة التي انتهوا اليها. لكنهم لم يجدوا كلمة أسف واحدة على من راح ضحية نزقهم وطيشهم القومي. ولم يوجهوا لذكراهم كلمة لوم او عتاب^(٤٤).

= (هـ) يرهن العراق مستخرجه من النفط لدى الدولتين لمدة اربعين عاماً. ويقبل بمستشارين ماليين ألمان لاعادة تنظيم امور وزارة المالية والإشراف على اوجه الصرف وما الى ذلك.

(و) يقوم العراق فور المصادفة على المعاهدة بإلغاء امتيازات النفط الممنوحة ويؤم صناعته النفطية ويشكل مجلس ادارة خاص باستغلال النفط ويؤمن للدولتين الألمانية والايطالية ٧٥٪ من كمية النفط المستخرج ويكون لهما حق المشاركة بمندوبين في مجلس الادارة - ويتم ذلك تفصيلاً بعقد معاهدة لاحقة فور تأميم الصناعة النفطية.

(ز) يمنح العراق دولتي المحور امتيازاً بمد خط انابيب جديدة الى الساحل السوري. وان يقوم باجارة الخط لتينك الدولتين.

(س) بعد توحيد القطرين العراقي والسوري تؤجر الملكة الجديدة ما لا يقل عن ثلاثة موانئ واقعة على ساحل البحر الابيض المتوسط لدولتي المحور ولدة لاتقل عن اربعين سنة. ويتم تعيين تلك الموانئ بحساب مسافة ٢٥ كيلومتر بين كل ميناء وآخر. ولدولتي المحور الحق في استخدام هذه الموانئ بمثابة قواعد عسكرية وبحرية وجوية.

(ع) سيكون لايطاليا امتياز اضافة حمايتها الدينية مع جميع المسيحيين في الملكة الاندماجية المقبلة. وشارت المعاهدة بأنها سرية في الوقت الحاضر. وسيحل محلها معاهدة جديدة على نفس الخطوط بعد قيام الوحدة.

من جهة أخرى يبدو من كتاب (هانز تلمان) برلين: ١٩٦٥ الموسوم (ألمانيا والسياسة العربية في الحرب العالمية الثانية) ان هناك معاهدة لم يفصل فيها المؤلف تشير بان دولتي المحور ستستأثران بخمسين بالمائة من نفط العراق عند نجاح الثورة العراقية على الانكليز.

(٤٤) من نتائج انقلاب مايس: تفرقت وحدات الجيش ايدي سبأ. تفرقت هذه المؤسسة التي كان دافع الضريبة العراقي ينفق عليها اكثر مما ينفق على اية مؤسسة اخرى. بتخصيص ربع ميزانيته العامة. ذكر لي ضابط كبير شارك عملياً في القتال ايام كنت أباشر الإدعاء العام العسكري في الموصل ١٩٤٧، ان خسائر الجيش هي اكثر بكثير مما اثبتته الاحصاءات الرسمية [٣٣ ضابطاً و٤٦٤ من سائر المراتب من القتلى] فقد الجيش من المهمات والاعددة والاسلحة ما كان يكفي لتجهيز فرقة كاملة (قوام الفرقة ١٢٠٠٠ جندي وضابط) ودمرت القوة الجوية تدميراً كاملاً (٨٠ طائرة) وراح ضحية القصف الجوي اكثر من مائتي مدني وهرب آلاف من الجنود وضابط الصف. [بقي كاتب هذه السطور يعالج مئات من قضايا الهروب حتى ١٩٤٧ ايام كان ضابط احتياط]. وتشاء المقادير ان تتبلى سمعة (الكيلاني) بمذبحة أخرى شبيهة بمذبحة ١٩٣٣ في سميل ومذابح الجنوب في ١٩٣٥. واقصد بها المذبحة التي استهدفت جهود بغداد العراقيين. في هذه المرة شارك الرعاى والاوياس الجنود والشرطة الذين انطلقوا بلا ضابط في شوارع بغداد واحيانها يهبون ويقتلون ويحرقون ويهتكون الاعراض. جريمة من بعض اسبابها الدعاية النازية - لايجد المؤرخون والكتاب سبيلاً للاعتذار عنها بغير توجيه اللوم الى ضحاياها، كما فعلوا في =

كل الوثائق وكل ما كتب ويضمن ذلك اقوال (الغيلاني) نفسه تشير الى انه كان اول من تزعت ثقته بالنجاح واول من داخله الشك في صحة المسلك الصعب الذي اندفع اليه دون ترواً أمام عزم البريطانيين الثابت على اعادة الوصي الذي بلغ بر الامان مع رجال الطبقة الحاكمة واتخذ مقره على ظهر دارعة بريطانية في فم الخليج. مالبث ان تأكد بان مساندة دول المحور لن تكون جدية. فحاول استخلاص نفسه وتشبث كثيراً لكن البريطانيين لم يكونوا على استعداد بالرضى بشيء أقل من اذاحتة. وحاول ان ينقلب على العقداً والمفتي وحاول الاتصال بالبريطانيين مراراً ووعدهم بكل ما ضمن به عليهم واكثر - عندما كان يخيل له أنه السيد الذي لا يعصى له أمر وانه يملك زمام العقداً الذين جاء بفضلهم فاذا به اسيرهم تحركه أهواؤهم تحت

= آب ١٩٣٣ عند اعتذارهم لحكومة الغيلاني عن مذبة سميل، فقالوا عن هذه المذبحة بانها نتيجة الاستفزاز الذي تعرض له البغداديون ووحدة الجيش جراء اظهار اليهود فرحتهم بالقوات البريطانية وبخروج بعضهم لاستقبال الوصي والساسة العائدين» اه. كان هؤلاء كإخوانهم في (سميل) عزلاً لا يملكون سلاحاً يدافعون به عن أنفسهم، وجزروا جزراً بسلاح كان قميناً بحمّته ان يدافعوا به عن بغداد ويحولوا دون دخول الوصي على رؤوس الحراب البريطانية.

استمرت المذابح واعمال النهب والحرق وهتك الاعراض طوال اول يومين من شهر حزيران. وقدرت لجنة التحقيق الرسمية التي تم تشكيلها فيما بعد ان عدد القتلى بلغ مائة وعشرة فيهم ثمان وعشرون امرأة وفتاة. وقدرت عدد الجرحى بمائتين واربعه استناداً الى سجلات المستشفيات. وهذا لايمثل أكثر من النصف استناداً الى الاحصاءات اليهودية. ولم يرد في التقرير الرسمي احصاء للدور والدكاكين والمخازن المنهوبة. إلا ان رئيس الطائفة اليهودية قدم بها قائمة قال فيها إن ٥٨٦ حانوتاً ومتجرأ ومخزناً ٩١١ داراً قد تعرضت للنهب يقطنها ٣٣٩٥ نفساً، وقال ان حوالي ١٢٣٠٠ نفساً باتوا دون مأوى لتركهم منازلهم خوفاً. وطلب تشكيل لجان تحقيق فرعية لتقدير الاضرار [لم يجب الى طلبه] كما عين التقرير الرسمي بالاسماء بعض المسؤولين والموظفين الكبار ممن قصر في واجبه [لم يتخذ بحقهم اجراء عقابي] وقد خرجت من المأساة مهزلة لا اراني قادراً على اغفالها. قام المجلس العرفي العسكري الذي شكل على اثر ذلك بمحاكمة عدد صغير من الجنود وضباط الصف فضلاً عن ضابط واحد برتبة ملازم تشاء (الصدق) وحدها ان يكون مسيحياً! وأصدرت عليهم احكاماً بالسجن ولم يعوض متضرر واحد وراح دم الضحايا هدرأ.

المشاعر المعادية لليهود العراقيين ماكانت بنت ساعتها. ولا كانت عودة الوصي السبب في المذبحة. (خرج اليهود في وقتها للاحتفال بعيد ديني لهم) فقد عملت الدعاية النازية على تغذيتها بجد ودأب طوال السنين السبع الماضية ويذكر توفيق السويدي مثلاً [ص ٣٧٣ من مذكراته] وهو في طريقه الى الحدود في ١٨ من أيار مع اسرته «عندما ركبنا السيارات ومررنا بهذه العاصمة الطويلة العريضة لم نجد احدأ في الشوارع وكأنها بلد ميت ليس فيه ديار ولا نافخ نار وكان الوجود عامأ والقلق مستحوذاً خصوصاً وقد بدر في الايام الأخيرة من الاوباش والرعا ما يقدر بالشر المسيطر من التصدي (الاعتداء) على اليهود سواء اكانوا متجولين في الازقة او قابعين في بيوتهم حتى صار اولئك الرعا يسألون من يلاقونه أهو يهودي او غير يهودي؟ مما زاد في الذعر كثيراً وبما انه لم يكن هناك شعور حقيقي بالعنصرية فقد إلتجأ خلال تلك الفورة التي دبرها الألمان وعملاؤهم كثير من اليهود الى بيوت اصدقائهم من مواطنيهم المسلمين والمسيحيين حيث لاقوا فيها الحماية والضيافة طوال مدة الازمة».

التهديد بالمسدس. ومن طرق بابه للتوسط (توفيق السويدي) الذي يذكر ان الغيلاني زاره متخفياً بظلام الليل وطلب منه التدخل قائلاً «هل بإمكانك ان تواجه السفير وتبين له اني مستعد للتفاهم معهم؟ فاذا وافقوا على الاعتراف بشرعية حكومتي فانا مستعد لأن اقوم بواجباتي حسب المعاهدة واترك لهم حرية مرور الجيوش وابقائها في العراق حسب ما تقتضيه الظروف الحربية ولو كان عددها مليون جندي». فأكدت له ان علة العلل في عدم التفاهم معه هو شخصيته، إذ اصبح البريطانيون لا يأمنون جانبيه ولا يثقون به» ورفض السويدي القيام بالوساطة.

وكان المبعوث الألماني ضيفه في تلك الساعة!

وهرب هو وجميع القائمين بالحركة فضلاً عن المفتي في ٢٩ من ايار. فتكون حكومته هذه قد عمرت شهراً واحداً وثلاثة اسابيع.

لم يجد هو ولا واحد من الآخرين في أعرق ضمائرهم حافزاً وجدانياً لمشاركة المواطنين العراقيين معاناتهم بسبب الكارثة التي أنزلها بهم حقهم وانانيتهم، واستبق احدهم الآخر الى اجتياز الحدود الايرانية خلا مدنياً واحداً من اعضاء وزارته فقد اراد البقاء لكنه ارغم على ترك البلاد.

بقي رجال حكومة الدفاع الوطني والعقداً وانصارهم من عسكريين ومدنيين حتى ٢٤ من آب ١٩٤١. وتمتع (الغيلاني) ورهطه بحرية كبيرة خلال الاسابيع القلائل التي بقيت من عمر حكم الشاه (رضا بهلوي) الموالي للمحور. ووافق (الغيلاني) على محاولة الاتصال بالحكومة السوفيتية لغرض الاعتراف بحكومة له في المنفى^(٤٥) الا ان اعلان ألمانيا الحرب على السوفييت وما عقبه من احتلال ايران المشترك وارغام الشاه على التنازل قضى على المحاولة. وقبض البريطانيون على معظم رجال الحركة وارسلوهم الى افريقيا باستثناء (الغيلاني) و(المفتي). اذ سبق لأؤلئهما السفر الى تركيا في ٢٢ من تموز (يوليو) للانضمام الى اسرته التي كان قد احتاط لسلامتها فأرسلها الى تركيا في اواسط ايار (مايس).

الا ان (الغيلاني) لم يتمتع في تركيا بمثل الحرية التي لقيها في ايران فقد ضرب الأمن التركي نطاقاً من الرقابة الشديدة على تنقلاته.

(٤٥) اتصلوا بالسفارة السوفيتية في طهران بوساطة (قاسم حسن) فاشير عليهم بالشخص الى موسكو للمفاوضة وفيهم كان (يونس السباعي) وصلاح الدين الصباغ) في طريقهما الى الحدود وقد وصلا الى (زنجان) وهي مدينة ايرانية تبعد بحوالي ٣٠٠ كيلومتر شمال العاصمة - فوجئاً بالهجوم الألماني على الاتحاد السوفيتي فعادا ادراجهما.

كانت الخطة التي رسمتها القيادة العليا الألمانية لاحتلال الشرق الاوسط تقضي بمزامنة اندفاع الجحفل الافريقي الذي يقوده (رومل) عبر ليبيا ومصر الى القنال ثم اجتيازها الى فلسطين وسورية - باندفاع آخر عبر اوكرانيا والقفقاس وآذربيجان وايران ليلتقي طرفا الكماشة في العراق (فالغيلاني) والحالة هذه شخص مهم ومن الضروري انقاذه والاحتفاظ به وادخاره للمناسبة وعلى هذا الاساس قام الاميرال (كاناريس) رئيس المخابرات العسكرية الألمانية بوضع خطة تمتاز بالبراعة وسعة الخيال لتهيئه الى المانيا. نفذها الكولونيل (ولفركون) معاون مدير المخابرات العسكرية الألمانية في الشرق الاوسط وتمت العملية بنجاح تام لكن ارتوي ان يبقى وصول الغيلاني المانيا سراً الى حين اوائل النصف الثاني من العام ١٩٤٢ ببلوغ الانتصارات الألمانية ذروتها وحينذاك أخرج (الغيلاني) للعلن^(٤٦). وفي منتصف شهر تموز (يوليو) «تحققت أمنية الغيلاني» كما يقول بمقابلة (الفوهرر) إذ أخذ الى مقر قيادته في الجبهة الشرقية ويذكر صهره ان حماءه هذا دون بخطر يده محضراً لما دار في الاجتماع يتضمن اقواله وردود فعل الدكتاتور الألماني بدأه بهذه الخطبة القصيرة:

«اني اشكر الفوهرر على مقابلته رغم اشغاله الخطيرة. وانتهد الفرصة لأعرب اولاً عن تهانتي القلبية باسم الشعب العربي على ما احرزته الجيش الألماني تحت قيادته الحاذقة من انتصارات باهرة في مختلف ميادين الحرب ضد اعدائنا المشتركين الانكليز وحليفتيها (كذا وردت) امريكا وروسيا الشيوعية واليهودية

(٤٦) كشف السهروردي (المرجع السالف) تفاصيل العملية اعتماداً على ذاكرته بوصفه شاهد عيان وعلى الاوراق التي تركها حميه (الغيلاني) وهي باختصار: «رتب ان يزور تركيا وقد صحفي الماني واختير من اعضائه الصحافي (فاكر نيكل) بصورة خاصة لطابقه تكوينه الجسماني وطوله تكوين (الغيلاني) وطوله. ثم رتب أن يصاب وجه هذا الصحافي اثناء الزيارة اصابة مفتعلة بحادث سيارة. وبقي مخفياً لا يبرح القنصلية الألمانية بحجة معالجته فلم يشارك في جولات الوفد وزياراته. وفي اليوم الذي سبق عودة الوفد الى المانيا. خرج الغيلاني بسيارة يقودها (نعيم) سائقه الخاص وبلغ منطقة (سركشي) حيث كانت سيارة أخرى اقلته الى القنصلية الألمانية. وهناك بوشر باخفاء رأسه ووجهه بالفائف الطبية باستثناء منخرية وفمه وعينييه وبعد ان تاكد الألمان القائمون بالعملية ان المخابرات التركية لم تقطن الى ما جرى ولم تشعر بوجوده في القنصلية اركب سيارة نقلته الى المطار ووضع في الطائرة في محل البديل الصحافي. في عين الوقت اقيمت في القنصلية حفلة ساهرة على شرف الوفد الصحافي المغادر دعي اليها كل الزملاء الاتراك الذين تعرف بهم اعضاء الوفد. وشجعوا على احتساء الكثير من الخمر حتى ثملوا وما عادوا قادرين على مرافقة الوفد الى المطار. في الواقع لم يتم بواجب التوديع غير اثنين الى جانب عدد من رجال المخابرات التركية والبريطانية. ولم يسترع الصحافي المعصوب الرأس انتباههم فحلقت الطائرة به وهبطت في مطار (شوينفلد) بتاريخ ٢١ من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١. وبالذلة الماثورة عن الألمان لم ينسوا يلتقطوا (الغيلاني) صورة فوتوغرافية وهو مخفي الوجه بالفائف ثم صورة أخرى في حالة نزعه، وهذه الاخيرة هي من جملة الصور الفوتوغرافية التي يزخر بها كتاب السهروردي.

العالمية التي تلعب وراءهم وارجو من (الفوهرر) ان يثق بان الشعب العربي عامة والعراقي خاصة لم يكن موقفه ازاء ذلك بالموقف المقدر والمعجب ببطولاتكم وعبقريتكم وبوطنية الشعب الجرمانى وتضحية جيشه الباسل فحسب وانما يشارككم ويشارك شعبيكم النبيل في الشعور والعمل والهدف السامي الذي من أجله تحاربون. إن الشعب العربي بأسره مستعد لان يقوم بما يترتب عليه من واجب التعاون معكم في هذه الحرب بكل ما يستطيع، حتى النصر النهائي لأنه يعتبر نصركم نصراً له.»

[يضيف الغيلاني هنا تعليقاً واصفاً (هتلر) وهو يصغي اليه بقوله ان علام التاثر كانت تبدو على محياه] ثم يستطرد:

«اننا مصممون ان نطبق النظم التي تطبقونها ضدهم [الضمير هنا لاشك يعود الى اليهودية العالمية والشيوعية والديمقراطيات الغربية] واستطيع ان اوكد للفوهرر بان الأمة العربية بما فيها العراق ناظرة اليكم وترقب نصركم وتشجع كل ظفر تحزونه وهي قطعت كل آمالها في انكلترا وحلفائها وتوجهت اليكم بجميع قلوبها منتظرة قرب وصول جيشكم الى بلادها لتقوم بما هو واجب عليها من تعاون فعلي لتحريرها من الانكليز وتخليصها من اليهودية العالمية وعدم تسرب الشيوعية اليها.»

كان في الخطبة مما يطرب له الدكتاتور الألماني ويسرّه به.

لكن كم ترى من رجال القومية العربية يتفق مع (الغيلاني) في وجهة نظره هذه، ليس الآن بل في تلك الساعة والظروف سيما تأكيد (الفوهرر) بان قلوب الأمة العربية معه وهي تنتظر وصول الجيوش الألمانية لتحريرها؟

انه عين الرجل الذي كان يطرق باب (السويدي) وغيره من الساسة العراقيين بعد ان بدت بوادر الهزيمة في مايس ١٩٤١، طالباً التوسط له عند الانكليز متعهداً بالسماح لهم بادخال «مليون جندي» الى العراق شريطة بقائه في دست الحكم.

عاش الغيلاني واسرته مرفهين بقياس الوضع الاقتصادي والمعاشي اذ ذلك. وانشغل بانتزاع تصريحات من زعماء النازية والفاشية حول حسن نواياهم بمستقبل الأمة العربية، وبنزاعه المرير الحاقده مع مفتي فلسطين - حول من له الصدارة والحق الاول في النطق باسم الأمة العربية أدى احتراهما الى قطيعة وجفوة لازمتها الى آخر العمر وقد تخللتها مواقف

صبيانية مخجلة في الواقع^(٤٧). انكشف النزاع على تلك الزعامة بمحاولة كل من جانبه السيطرة على اذاعة برلين العربية وكانت بادارة الشخصية الغوغائية العجيبة (يونس بحري)^(٤٨) الذي كان يلقب نفسه بالسائح العراقي. كان (يونس) يذيع بنفسه منها مبتدئاً

(٤٧) يصف (كمال عثمان حداد) في كتابه (حركة رشيد عالي. ط صيدا ١٩٥٠) (الكيلائي) بعبارات مهينة قاسية نترفع عن اثباتها هنا. كما يتحدث عن جبن العقلاء الاربعة وغرورهم وفرط اعجابهم بانفسهم، لاسيما الانهيار العصبي الذي اصيب به (صلاح الدين الصباغ) والشتائم التي صبها على رأس (الكيلائي) بعد ان لاحت بوادر الهزيمة في مايس. والمؤلف هو سكرتير المفتي ومرافقه طوال تلك الفترة.

(٤٨) قل من البشر من قدر له خالقه ان يكون مثل (يونس بحري)، حتى لكأن الرجل ما جيء به الى هذه الدنيا الا ليجعل من حياته فكاها متصلة الطلقات يتسلى الناس باحداثها ووقائعها ويتناقلون ابناءها بكل ما فيها من حقيقة وخيال وتهريج وواقع. وليس من المبالغة القول ان هذه الشخصية كان لها دور في احداث العراق فعلاً وفي الجانب الجدي منه. رحل في اواخر ايام الحرب العظمى الأولى من الموصل الى استنبول ودخل المدرسة الحربية وهناك تعرف كما زعم بالدكتور (فرتز كروبا) وبعض الضباط العثمانيين العراقيين كالصباغ ومحمود سلمان. ويظهر انه لم يتخرج ضابطاً او يشارك في الحرب. وقد وجدناه بعد الحرب معلماً «وطنياً» يقود كشافته وبعض الجمهور في تظاهرات بمناسبة قدوم لجنة العصبة للبت في عايدية ولاية الموصل. وانتقل الى بغداد ثم خرج سائحاً وحط به الرحال في المانيا وفيها بدأت اسطورهته الشبيهة باسطورة شخصية (البارون منشينهاوزن) الالمانية الخرافية بوقائعها التي تفوق الخيال واكاذيبها. زعم انه ارتبط بنوع من الصداقة مع (هتلر) أيام كان مغموراً، وانه كان يدعو له لجاسته في حانة البيرة الشهيرة في مونيخ وذكر في كتيب له بانه هو الذي حرّض (الفوهرر) على اهداء جهاز اذاعة قصر الزهور للملك غازي وانه هو الذي رافق شحن الجهاز الى بغداد واشرف على البث فيها [هذا الجزء الأخير حقيقي] وفي العام ١٩٣٦ اصدر جريدته «العقاب» بمحتواها القومي ودفاعها عن قضايا العرب. وفسر اختياره هذا العنوان للمعنى المزدوج الذي يتضمنه فهو الطائر الجارح يضم حرف العين. وهو العقوبة بكسره ونفى انه كان يتلقى معونات مالية من المفوضية الالمانية وكان هذا الشائع المقول عنه وظل يفخر حتى الستينات (اسرار حركة مايس ١٩٦٤) بأنه هو الذي جدد صلة العقلاء الاربعة بالوزير المفوض الالمانى، وهو الذي قريهم من الملك غازي فصاروا يقضون معه السهرات، كما ادعى. وانه هو الذي عرف (بكر صدقي) بالمغنية النمساوية التي تزوجها في ما بعد. ولأمر ما لايكشف عنه - ربما بعد ارتباط العقلاء بنوري السعيد - عطلت جريدته وطورد فشد الرجال الى المانيا وظهر في برلين رئيساً لقسم الاذاعة العربية يرتل صاخباً ويشيد بأمجاد النازية مختلطة بالشعارات القومية العربية الغوغائية مثلما كان المذيع (أحمد سعيد) يرسل شتائمه من اذاعة صوت العرب القاهرة أثناء حكم قاسم. ويذكر الاحياء امثالي نكته الكبرى التي اخترعها اثناء حركة مايس لايهام المستمعين وإغفالهم. إذ كان يختم إذاعته بترديد أرقام كثيرة لتبدو للمستمعين وكأنها رسالة جفرية موجهة الى القيادة العسكرية العراقية من القيادة العليا الالمانية فتشيع في القلوب البهجة والاعتزاز.

اعتقل بعد الحرب حيناً من الزمن ولم توجه اليه تهمة ثم اطلق الحلفاء سراحه واختفى وعفي على آثاره ثم ظهر فجأة بصورة درامية غير متوقعة وفي بغداد!

عندما احتدمت المعركة الاذاعية بين جمال عبدالناصر و(نوري السعيد) أخذ هذا الأخير يبحث عن صنو (الأحمد سعيد) مذيع صوت العرب السبيء الصيت فلم يجد خيراً من البارون منشينهاوزن العراقي (يونس بحري) لاستخدامه ضد رسول القومية العروبية الجديد. لايهم قصتنا كيف عثر عليه واستقدمه إلا ان سوء حظ الاثنين حكم بأن لايتلقيا. إذ لم يمر يوم واحد على وصوله بغداد حتى وقع انقلاب الرابع عشر من =

بعبارة «حي العرب» وقد لقيت رواجاً عظيماً واجتذبت مئات الالوف من المستمعين ايام الحرب. ضن (يونس) بالاذاعة على غيره واستقل بها حيناً، ثم طرد منها وسلمت الى ما عرف في حينه بـ«المكتب العربي» او «مكتب الشؤون العربية» وهي مؤسسة سيطر على ادارتها المفتي واعوانه بعد طرد جماعة الكيلائي. ومن اسباب الخضم ايضاً المنافسة على قيادة ما عرف بـ«الفيلق العربي» وقد ذكر عنه (السهروردي) بأنه كان «يضم عشرين ألف مقاتل جمع أغلبه من اسرى حرب شمال افريقيا الى جانب متطوعين من بلدان الشرق الأدنى» وأضاف «ان هذا الفيلق ابيد عن بكره ابيه في معارك الاتحاد السوفيتي ولم ينبج منه غير ثلاثة».

بعد ان حسمت معركة (ستالينغراد) وفقد الألمان بمعركة (العلمين) كل أمل باحتلال مصر والاندفاع شرقاً، وبارتداد الجيش الألماني مدحوراً في الكويتان والقفقاس بات شبح الهزيمة الكبرى ماثلاً فاختلف اسم (الكيلائي) نهائياً بين اوساط الجالية العربية القاطنة في المانيا والبلاد المحتلة، وبدا من سلوك السلطات الالمانية وكأنها فقدت كل اهتمام به بل ادرك هو ومن يحيط به بانهم صاروا عبئاً ثقيلاً، ومسؤولية لا مقابل لها. فنقل من برلين هو واسرته الى منطقة جبلية في اواسط المانيا واسكنوا قرية قريبة من مدينة (درسدن).

= تموز ١٩٥٨ وقبض على (يونس بحري) وزج في الموقف العام مع رجال العهد الملكي. وفي كتاب اصدده بعيد انقلاب ٨ شباط بعنوان (ثورة ١٤ رمضان المبارك) وصف عملية الابتزاز الوقحة التي كان يزاولها مع الموقوفين آنأ، او يعمد الى تسليتهم لقاء أجر قال (ص ٥٥): كنت أقلد الزعيم عبدالكريم أمام مدير المعتقل النقيب انور الحديثي وعبدالستار سبع (المسؤول عن مقتل الأسرة المالكة) فابلغا الزعيم باني اجيد تقليده فارسل صديقه (رشيد مطلك) الى السجن ليسمعني ونجحت في الامتحان وكان (عادل عوني) صديقي (موقوف هو الآخر وهو صحفي) يشجعني على تقليد الزعماء والقادة الأمر الذي ساعدني على قتل الوقت والترفيه عن المعتقلين في حفلات ليلية ونهارية اقوم بها باسعار لاتضاهى كعلبة سيكاير او جرائد ومجلات او وجبة طعام أو فنجان قهوة أو ما تيسر من فاكهة...» اه.

ثم جيء به الى محكمة المهداوي وكانت جلسات هازلة ممتعة التقى فيها ندان يتقنان صنعة التهريج. لم تنته محاكمته فقد أمر (قاسم) باطلاق سراحه والمجيء به اليه قبل اخلاء سبيله وكانت مقابلة فكهة والعهد عليه فهو الذي رواها لم يتورع خلالها عن طلب شيء من المال. ونفحه (قاسم) «بمبلغ ٣٠٥ دنانير عدأ وتقداً لقاء تقليده في خطبه أمامه!» وتنوسى أمره حتى ظهر ثانية بعد انقلاب شباط مادحاً الانقلابيين مشيداً بقوميتهم قادحاً (قاسماً) ذاماً شعوبيته واذكر انه وقع بيدي مقابلة صحفية عملتها له جريدة كويتية وعلق بذهني فيها أنه سئل هل هو متزوج وهل لديه ذرية فاجاب انه يتخذ عادة زوجة في كل مدينة يحل بها ويتركها لغيرها ولذلك فهو لايدري كم لديه من اولاد!

في العام ١٩٦٨ او ما بعده وجدته مديراً لفندق (الرطبة) السياحي لا شغل ولا عمل لديه كما قال لي ازاء قلة النزلاء إلا تهيئة الطعام واحتساء الخمر أو الانفراد برازراً ليقص عليه مغامراته ووقائع حياته في شتى انحاء العالم واطنه توفي في السبعينات وقد عبر الثمانين.

ذلك نموذج اشغل الناس بحكاياته ومبالغاته وكان له دور لاينكر في وقائع التاريخ العراقي الصاخبة الدرامية. استطاع بتهريجه ادارة عقول الكثيرين بشعارات القومية والوطنية.

ثم بدء الإطباق على المانيا من جهة الشرق والغرب واشتد القصف الجوي والمدفعي على (درسدن) وانحائها. يقول (السهورودي) ان ضابط الاتصال ابلغ (الكيلائي) بوجود مغادرة المنطقة وكان الجيش الروسي يتقدم لاحتلال (درسدن). ثم وعلى اثر توقف الهجوم رحلت الأسرة كلها معه الى منطقة (التيرول) في النمسا. ولما بدا الاستسلام الالمانى التام مسألة ايام سلم موظف الماني (الكيلائي) كتاباً رسمياً موجهاً الى الحكومة السويسرية يرجو فيها قبوله في اراضيها الا ان السويسريين رفضوا دخوله فعاد الى الفندق الذي كان فيه ليجد آخرين قد اشغلوا مكانه فعاد ادراجه خوف الوقوع في يد القوات الامريكية المتقدمة الى بافاريا ودخل العمق الالمانى وحده تاركاً وراءه اسرته يهيم على وجهه على غير هدى، وفشلت محاولة أخيرة له لإقناع أمر مطار عسكري بحمله الى سويسرا. وتوجه الى البلاد التي احتلها السوفييت ونجح في الوصول الى (براغ) قبل ان يدخلها السوفييت. فكيف قطع هذه المسافة الطويلة؟ واي مشقة عاناها؟ كل ما دونه هو وصهره لا يلقي ضوءاً. لكن كانت معاناة عظيمة بدون شك لرجل مثله تعود ان يأمر وينهي فيطاع وكان لفترة ما يتحدى أعظم دولة في العالم، ليجد نفسه فجأة طريداً يحيا لساعته حياة الأفاقين المتشردين. يحدثنا التاريخ العام عن كثير من الساسة ورجال الحكم والقادة انهم بانفسهم قبل ان ينحدر بهم القدر الى هذا الدرك.

ان المرء لايسعه الا الإعجاب بحصانة الكيلائي من الشعور بالذلة ومرارة الهزيمة، تلك الحصانة التي يعبر عنها تشبثه بالحياة وتمسكه بأخر خيوطها.

إن ما أحدثته حركته في ١٩٤١ من خراب ودمار في العراق لايقاس بطبيعة الحال بالدمار العظيم الذي خلفه «الفوهرر» ونظامه بتراث شعوب من اكثر شعوب العالم حضارةً ومدينة. وضحايا اليهود في بغداد لايمكن قياسهم بضحايا افران الغاز ومعسكرات الاعتقال. الا ان الحافز يكاد يكون مشابهاً. (فأدولف هتلر) ونظامه ما ارتكبا الذي ارتكب الا باسم تفوق الشعب الالمانى العنصري وحقه في فسحة من الحياة الكريمة. و(الكيلائي) وزملاؤه ما اقدموا على الذي اقدموا عليه الا إعلاءً لشأن الأمة العربية ومحافظة على حريتها وحقها العادل في حياة كريمة. ولاشك في ان الأمتين لو استشيرتا - لرفضتا هذه الوسيلة الدامية.

وقياساً على هذا فما اظن الكيلائي وهو في وضعه القاسي. شعر بتأنيب ضمير ولا خطر بباله ان يعزو ما يحل به الى ما اعتاد المذنبون ببقية من احساس التعبير عنه بعبارة «الانتقام الالهي».

إلا أن القدر ادّخره لمعاناة أخرى.

بدء السوفييت بحملة تعقيب واعتقال بعد دخولهم (براغ). ووقع بيدهم (نعيم) سائق (الكيلائي) مع مرافقه الضابط العراقي (جواد) والضابط الالمانى. ويظهر انه علموا منهم او من احدهم بوجود (الكيلائي) هناك. وكان قد لجأ متخفياً في غرفة يشغلها طالب عراقي موصلى اسمه (حمدي الخياط) كان يتلقى علومه في المانيا فاستضافه مدة تقارب الشهر ثم شعر بان بقاءه في براغ لم يعد مأموناً. وقد يكون بينه وبين الاعتقال ساعات ففر في هيئته ومظهره. وساعده الطالب في تزوير وثائق هوية لطالب تركي. وترك براغ قبل يومين فقط من وصول البوليس الحربي الى (حمدي الخياط). فاعتقله وابقاه زهاء شهرين وظل (الخياط) (٤٩)

الى الأخير ينكر معرفته (بالكيلائي). واستعان الكيلائي بشابين سوريين من القوميين هما (ممدوح الميداني) و(جميل الجابي). فقاما باغراء عجوز چيكية بالمال واقتعاهما بإخفائه عندها في قرية قريبة من (براغ) فمكث هناك زهاء شهرين.

وبعد فترة من الزمن اعلنت قيادة الحلفاء المشتركة في العاصمة الجيكوسلافياكية عن سماحها بمغادرة الاجانب كل الى بلاده. فتقدم الكيلائي بوصفه مواطناً تركياياً بطلب العودة الى الوطن وكذلك فعل زميلاه السوريان فسمح لهم بالتوجه الى (بروكسل) ومنها استقلوا قطاراً الى باريس. وفي العاصمة الفرنسية راجع (الجابي) وكان محامياً معروفاً - سفارة بلاده وبمسعى منه عند (عدنان الاتاسي) السفير أصدر جواز سفرٍ (للكيلائي) باسم مستعار. ولبت الثلاثة في مخيم للاجئين بمسيلييا رداً من الزمن انتظاراً لباخرةٍ تقلهم الى مواطنهم.

(٤٩) قدم لنا (السهورودي) وشكراً له وصفاً لتنكر الكيلائي امتان بدقة وطرافة قال: «انه ازال شاربيه، واستغنى عن نظارته الطبية، وارتدى ثياباً مهلهلة» وبذلك زالت تماماً شخصية بطل حركة مايس لتحل محلها «شخصية طالب تركي كان يتلقى علومه في جيكوسلواكيا». كم فات التنكر على من يعرف (الكيلائي) وقد جاوز السابعة والاربعين من العمر وهي سن لاتتفق والصفة التي اتخذها لنفسه؟ تثبت من هذه الواقعة عندما ذكرني صديقي القاضي جمال ايوب صبري الخياط وانا اتأهب لتلبية دعوة الحكومة الالمانية لزيارة المانيا في ١٩٧٠ بلزوم اللقاء بقريبه (حمدي الخياط) الساكن في كولن. وقد تحقق رجائي وزرته وكان يقيم في المانيا منذ نهاية الحرب ويعمل في القسم العربي من الإذاعة هناك، كذلك كان يصدر نشرة دورية تجارية. وقد نقلته اثناء الزيارة الى ذكرياته عن الحرب العالمية الثانية وذكرت له عرضاً موضوع اقامته في المانيا اثناء الحرب، فذكر انه قاسى مرارة السجن السوفييتي مدة من الزمن بسبب ايوانه (رشيد عالي) وفصل لي في الأمر بعد ان اثار اهتمامي وعقب يقول انه فعل ما فعل بدافع المواطنة لا غير وبعاطفة اداء خدمة لانسان في محنة. لأنه ليس من اشياعه او محبيه ولا علاقة تربطه به. كل ما ذكره لي كان مطابقاً قدر ما اذكر لما جاء في كتاب (السهورودي).

وكان يتعذر إصعاد (الكيلائي) الى السفينة بسبب تدقيق السلطات الفرنسية في هويات المسافرين فلم يكن من حيلة غير رشوة رئيس فرقة العتالين بمبلغ كبير من المال واقنع بذلك على استخدامه عتالاً (حمال) وألبسه الزي الخاص بهم وتم بهذا الشكل اخفاؤه داخل السفينة المقلعة الى (بيروت). ثم واجهت الصديقيين مشكلة أنزاله في ميناء بيروت اذ كان مفروضاً على المسافرين ان يملأوا قسائم مفصلة تتضمن مما تتضمن المعلومات الواردة كل بجواز سفره قبل ترك الباخرة. ذلت هذه المشكلة ايضاً بقيام (الكيلائي) بسرقة جواز سفر احد المسافرين ونزل به البر منتحلاً شخصية ذلك الراكب. واسرع قبل ان ينكشف أمره وبناء على نصيحة رفيقيه الى استئجار سيارة اخذته الى دمشق وقصد شقيقاً (للجايي) في عيادته اذ كان طبيب اسنان فصارحه بهويته فاخذه هذا الى منزله واخفاه.

كانت قد وصلت برقية للسلطات العسكرية البريطانية القائمة على حراسة ميناء بيروت مؤكدة وجود شخص مطلوب، وبأنه على ظهر الباخرة فجرى تحقيق في هويات من لم يغادر الباخرة واحتجزوا حيناً.

تؤكد وثائق مديرية الأمن اللبنانية ان البحث كان يجري عن (رشيد عالي الكيلائي) بالذات.

وقرر (الكيلائي) ان بقاءه في سورية متعذر. واختار اللجوء الى السعودية لأسباب لاتخفى، وشريت له ذمة ضابط شرطة سوري. قام بتزوير هوية سورية له لتاجر أغنام من اهالي (البوكمال) وهي بلدة قريبة من الحدود العراقية يتكلم اهلها اللهجة العراقية.

بعد هذا وتنفيذاً لمحاولة لجوئه الى السعودية عاد (الكيلائي) للتنكر بزي آخر مناسب فأطلق لحيه مديبة واعتمر بالكوفية والعقال وتجلبب واشتمل بعباءة. وزوده صديقه (الجايي) والميداني) برسالة تفيد بأنه تاجر اغنام فقد منه قطيع وهو منطلق في (الجزيرة) للبحث عنه واستقل ثلاثتهم سيارة يريدون بها الحدود السعودية الا أنهم تاهوا ودخلوا الحدود العراقية والتقوا بدورية عسكرية عراقية استضافتهم وهدتهم الى السبيل الصحيحة!

وصلوا السعودية وابلغوا اول (عامل) (٥٠) من عمال المملكة بأنهم وقد يريد مواجهة الملك (عبدالعزیز) في مهمة خاصة لا يستطيعون الإفصاح عنها. وانتظروا قليلاً حتى وردت الموافقة فسمح لهم بمواصلة الرحلة وبقي (الكيلائي) منتحلاً اسم (قاسم محمد سعيد) طوال الرحلة ولم يكشف عن هويته.

(٥٠) العامل هو رئيس الوحدة الادارية في العربية السعودية ويقابل اصطلاح المحافظ او المتصرف.

يذكر (الكيلائي) في بعض ذكريات له نشرت في مجلة (آخر ساعة) (٥١) ان (عبدالعزیز آل سعود) توجه اليه وطلب منه الجلوس ففعل وقال:

- يا طويل العمر انا (رشيد عالي الكيلائي) وانت تعرف من هو (رشيد عالي). [فبحلق الملك واطال النظر فيه غير مصدق وسأله:]

- أنت رشيد عالي الكيلائي؟ [لما اكد له ذلك. اغمض الملك عينيه ولاذ بالصمت ملياً ومرت فترة حرجة بعدها نطق العاهل السعودي بعبارة الأمان «سلمت يا رشيد» (٥٢)].

وذكر ان الملك طلب منه رواية وقائع هروبه بالتفصيل وقد اقتضى منه ذلك اربع ليالٍ! بعد عشرة ايام من شموله بالدخالة. استدعى الملك السفير البريطاني وأنبأه بوجوده وقال بانه لن يسلمه فابلق السفير حكومته بذلك فلم تحتج لكنها اشترطت لسكوتها ان لايسمح له بنشاط سياسي.

لكن موضوعه اثير في ١٧ من ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥ بمجلس العموم البريطاني اذ سأل أحد النواب عن كيفية افلات واحد من مجرمي الحرب الكبار من الطوق المضروب فتلا وزير الخارجية (بيثن) بياناً سرد فيه تفاصيل هروبه معدداً أسماء المدن التي مر بها وشتى الازياء التي لبسها والهويات التي انتحلها. معتذراً عن الإهمال بقوله انه لم يجد اسم (الكيلائي)

(٥١) «مذكرات رشيد عالي» ١٩٥٧: "من ٢٠ شباط (فبراير) حتى ١٣ آذار مارس". (٥٢) السهوردي ينقل من اوراق حميه انه لم يكن متوقعاً أن يحتفظ له الملك بشعور ودي. فقد اغفل العمل بنصحه عندما كان رئيساً لحكومة الدفاع الوطني ضمن رسالة بعث بها اليه يطلب فيها التريث وعدم التعجيل بمواجهة الانكليز. كما ان (الكيلائي) رفض للملك السعودي في العام ١٩٣٣ طلباً له بتسليم زعماء آل الرشيد وعدد من السعوديين اللاجئين الى العراق.

نقول: كان (الكيلائي) قد بعث في الثامن من ايار (مايس) ١٩٤١ (بناجي السويدي) وزير ماليته الى الملك السعودي طالباً منه مساعدته على وقف «العدوان» البريطاني وبموجب معاهدة الصداقة المعقودة بين البلدين في نيسان (ابريل) ١٩٣١. وطلب منه ايضاً ارسال قوات سعودية الى حدود الأردن لتهددها كيما تمتنع عن ارسال قوات لها الى العراق او تسمح بحركة قوات بريطانية منها ضد العراق. فنصح الملك السعودي الكيلائي بالتعقل واللجوء الى المفاوضات للوصول الى تسوية وتفاهم مع بريطانيا ورفض طلب الوافد اليه. وفي رسالة جوابية، توجه بها (وهذا من الغرابة بمكان) الى الشعب العراقي لا الى رئيس الحكومة قال الملك:

«إن شئتم ان نقوم بالوساطة بينكم وبين حكومة جلالة ملك بريطانيا فنحن مستعدون للعمل في هذا السبيل جهد الامكان. لكن لا تتصوروا أبداً بأننا قد نقدم على اي خطوة تؤدي الى قطع علاقاتنا مع بريطانيا. ان اعتقادنا الجازم الثابت باق كما هو. اعني ان مصلحة كل العرب تكون في التعاون المخلص مع البريطانيين».

ولا يذكر توفيق السويدي، اي تعليق على عودة شقيقه فاشلاً من السعودية لكنه يذكر بانه عتاباً مرأً لأنه لم ينتهز الفرصة «كما وعد» للبقاء في السعودية.

في قائمة أسماء مجرمي الحرب رغم ان حكماً بالموت قد صدر عليه من محكمة عراقية.

أفكان ارتخاء قبضة البريطانيين عن طريدهم وقد سجلوا كل خطوة قطعتها للنجاة - هفوةً ام عملاً مقصوداً؟

مع ان التفسير الذي قدمه (ارنست بيغن) ظاهر التهافت. إلا انه يصعب الجزم باحد الأمرين وربما كان للصدف وحدها دور ابتدائي ناشيء عن الإضطراب العام وفقدان التنسيق بين الحلفاء بسبب الانهيار والاستسلام الفجائي الألماني وما رافقه من نشوة النصر. ولما صفت الأمور كان (الغيلاني) في حمي الملك السعودي فاجتمعت حالتان سياسيتان للاغضاء عن وجود الغيلاني. اولها الخط السياسي العام الذي أدبت بريطانيا على اتباعه في التعامل مع رجال الطبقة الحاكمة العراقية اثناء نزاعهم الداخلي على السلطة. وقد اتيت الى شرحه في الفصل الخاص بسيرة (حكمت سليمان) فليراجع (٥٣).

من ناحية أخرى كانت بريطانيا تجدد في اقامة صرح الجامعة العربية. فهي من جهة لم تكن مستعدة للتضحية بمساندة القوميين العرب الذين كانوا قد وجدوا في موقف (الغيلاني) اصالةً قومية - ولا بالضغظ على السعودية الى اقصى حد ولا لاطفاء جذوة الانتقام المتقدة في قلب الوصي (عبدالإله) على حساب سمعتها أو ربما لتجعله يشعر بأن لطلباته ورغباته حدوداً وبهذه المناسبة فقد ضاعت اصدا صرخاته في صحراء الجزيرة وفشلت مساعييه الدبلوماسية ورسائله الشخصية لزحزة الملك السعودي عن موقفه وتلك هي الحالة الثانية.

(٥٣) ما تذكره الوثائق البريطانية حول الموقف البريطاني يمكن تلخيصه هنا. بالاتي:

عندما شارفت الحرب على النهاية استدعت وزارة الخارجية البريطانية سفراءها من دول الشرق الاوسط للاجتماع في مؤتمر خاص لبحث الوضع الاقتصادي العسير الذي كانت بريطانيا تعانيه بسبب نفقات الحرب الباهظة. وقبل انتهاء المؤتمر تلقى الوزير المفوض البريطاني (كرافتي سميث) بريقةً تطلب منه فيها مقابلة الملك السعودي فوراً وهو ينتظره في منطقة الدوامي الصحراوية، فطار الى جدة ثم الى حيث ينتظره الملك يقول (كرافتي سميث): «مادخلت خيمة الملك حتى خرج كل من كان فيها. واذهلني ما حدثني به الملك. قال انه قبل عشرة ايام استفسر موظفو الحدود الغربية بشأن السماح لثلاثة من الصحفيين السوريين بالتوجه اليه فوافق ولما وصلوا ودخلوا عليه انسحب اثنان منهم بعد السلام اما الثالث فقد كشف عن لثامه وفاجأه بقوله «انا (رشيد عالي الغيلاني)» فهتف الملك «لا حول ولا قوة الا بالله». ثم صارحني الملك بما فهمت انه لم يكن راغباً في استغلال الورقة التي وقعت بيده فما وسعني الا ان انزل الى رغبته واقترحته معاملة (الغيلاني) معاملة كريمة واستضافته مدة الضيافة التقليدية لدى البدو ثم اخراجه من البلاد في احدى نقاط الحدود. ولم افكر في تسليمه للعراق أو لنا - لكني كنت أمل ان يتمكن الملك من اقتناعه بمغادرة بلاده الى ارض عربية كالكويت مثلاً. واذ ذاك تتمكن من القبض عليه ان عاجلاً أو آجلاً. على اني لم انجح في اقناع الملك باقتراحي فقد ذكر لي انه ليس في الامكان رفض دخالة الغيلاني وان تسليمه او اخراجه سيكون عاراً» أه.

كان موقف الملك (عبدالعزیز) صائباً من الناحيتين القانونية والعرفية. فمعاهدة تسليم المجرمين المعقودة بين السعودية والعراق تستثنى المجرمين السياسيين وتهمة (الغيلاني) التي حوكم بموجبها ذات طابع سياسي واضح. ثم ان خرق تقاليد الإجارة العربية قد يسيء الى سمعة الملك السعودي كثيراً. وهناك سبب آخر لايمكنني اغفاله: وهو العداء الشديد الذي لم تخب ناره قط بين البيت الهاشمي وبين الاسرة السعودية الحاكمة منذ ان أزيلت دولة الهاشميين بسيف آل سعود في ١٩٢٤.

وعاش (الغيلاني) في كنف عبدالعزيز في الرياض وجعله واحداً من مستشاريه يتمتع بمكانة وحظوة على نحو ما كان معروفاً في حينه حتى وفاته. الا ان خلفه الملك (سعود) لم يكن يحبوه بعطف كبير على ما يبدو وبتمادي الزمن راح أحدهما يضيق ذرعاً بالآخر. لم يكن الملك الجديد يرتاح الى ما اعتبره صلاقة من (الغيلاني) واستعلاء لا مبرر له وهو مجرد لاجئي. ولم يكن (الغيلاني) يطبق الصبر على الاهمال المتعمد وكان يجتاحه الغضب ويخرج عن طوره الى الحد الذي يتعدى به حدود اللياقة - كلما استمزجه الملك في رأي ثم اهمل الأخذ به. حتى بلغ الأمر الى أن طلب منه ترك المملكة الى بلد آخر.

وكان الموقف السياسي في سورية موافقاً والخصام على أشده بين النظامين العراقي والسوري. وهذا ما اتاح (للغيلاني) فرصة اللجوء في العام ١٩٥٣ وعاش في دمشق مع أسرته حتى انتقل منها الى مصر بعد ان منحه الرئيس (عبدناصر) اللجوء السياسي مدخراً اياه لمعركة مع النظام العراقي او ربما لأمر اعظم خطراً.

في الرابع عشر من أيلول (سبتمبر) ١٩٥٨ اصدرت حكومة (عبدالكريم قاسم) مادعى بـ(قانون العفو عن القائمين بحركة مايس) المرقم ٣٣ وفيه أدرج انقلاب نيسان (ابريل) ١٩٤١ الذي قام به (الغيلاني) والعقداً الاربعة بأنه «عمل من اعمال النضال الوطني الذي يستحق تقدير الوطن» وبهذا ألغى حكم الموت الصادر عليه في ٦ من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ وابطل تبعاً له قرار مصادرة املاكه. لكن بطل حركة مايس كان قد وصل بغداد قبل صدور القانون. عندما خرج من الطائرة رآه مستقبليه في مطار بغداد ويبيده صورة لصلاح الدين الصباغ واسرع يرفعها ويلوح لهم بها!!

وعقب مقابلة صحافية اجرتها له صحيفة الأهرام القاهرية «عبر فيها عن تأييده الحار للوحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة متحدثاً باسم الشعب العراقي «كالعادة» ومعبراً «عن رغبتهم» ولم تتح له الفرصة بعد لاستطلاع تلك الرغبة وقد فصلته عنه سبعة عشر عاماً

طويلة وهذا ما قاله نصاً:

«إن العراقيين يشعرون بوجود إقامة وحدة كاملة مع الجمهورية العربية المتحدة. وهذه بدورها ستكون نواة للوحدة العربية الشاملة. وأملتي كبير ان تكون بغداد اليوم مثلما كانت دمشق قبل اربعة شهر.»

لكن أمله ما عتم ان خاب.

كان قد تحدث عن موضوع الوحدة في مقابلة وداع له مع (جمال عبدالناصر) وقد سبق لبعض انصاره المتحمسين من القوميين العراقيين اللاجئين أن ادخلوا في روعه بان الضباط الذين قاموا بثورة ١٤ من تموز قد قرروا اسناد رئاسة الجمهورية اليه ولاندرى مقدار تصديقه لهذا إلا ان تصرفاته التالية قد تشير الى ان الفكرة استهوته فاذا به يأخذها مأخذاً جدياً^(٥٤) قد يكون مصدر ذلك مبالغة في اوهام عقل مكدود وتقدير مبالغ فيه لسمعته ونفوذه في العراق تمثلت في افضل الاحوال بتلك الزيارات والاتصالات الفردية لبعض المدنيين والعسكريين المتقاعدین الذين كانوا يقصدون مصر للاجتماع به وببعض اعداء النظام الملكي، بتشجيع من عبدالناصر - اعتباراً من العام ١٩٥٥ حتى عودته، وبلغ الأمر ببعضهم الى اعتباره المفجر الحقيقي للثورة والمرشد الروحي لرجال الرابع عشر من تموز^(٥٥) ولست أدري كيف أقنع (الكيلائي) نفسه بهذا؟

ومهما يكن من أمر فقد بدا مغلق الفكر بعيداً عما يجري حوله لفرط ايمان منه بشعبيته وبنفسه بحيث لم يدرك إلا بعد زمن بالأقل قبل له بمنافسة بطل قومي من طرز جديد هو ضابط، حق له ان يفخر (إن كان في ذلك ما يستحق الفخر) بقضائه على الأسرة الهاشمية وعرشها في العراق حين قصرت يده هو عن ذلك، ضابط مغمور غمره القوميون بالاضواء الساطعة وسلموه قيادهم الى الوحدة المنشودة.

أصيبت كرامته او ربما أوهامه بضربةٍ اذ ما كان يتوقع قط أن يتلقى رجال العهد الجديد

(٥٤) عن (يحيى ثنيان) الذي رافقه في طريق العودة. انظر (خليل ابراهيم حسين) في موسوعة ١٤ تموز ج ٥ ص ١٨- بغداد ١٩٨٩.

(٥٥) نسب له (السهورودي) (المرجع السالف) الفضل في الإعداد لثورة الرابع عشر من تموز ونجاحها، جاداً لا هازلاً. وخصص لذلك فصلاً كبيراً محاولاً اثبات صلاته وتعبئة وتاكثيك قام هو بها شخصياً بناء على توجيهات حميه الكيلاني وباسمه مع ضباط احرار وغير احرار قبل الثورة بسنوات. ثم يصف بعبارات ملؤها المرارة والخيبة كيف انكر هؤلاء الجهود والمساعدات فاقتمسوا فيما بينهم غنائم الثورة وحرموه وحرموا حماه ملهمها ومفجرها الحقيقي من أي نصيب بل أغلقوا ابوابهم في وجهه. وخص باكثر اللوم الضابطين (عبدالسلام محمد عارف) و(احمد حسن البكر).

مقدمه ببرود أقرب الى الإهمال فالبطل القومي الجديد (عبدالسلام) الشديد الحساسية بخصوص مركزه والذين بأصغر جزءٍ من المجد الذي عُمر به عارضاً في رجوعه معارضةً شديدة^(٥٦) وان جامله بعدها بزيارة خاطفة حرص فيها على تذكيره بأن من الخير له ان يخلد الى الراحة، على ان لقاءه القصير باللواء (قاسم) كان اكثر حرارة.

ما عتم ان وجد نفسه كمية مهملة في عالم السياسة المحلية. لكن لم يخيب ظن (عبدالناصر) به كما سنرى. واحنقه وامضه تجاهل الحكام العسكريين الجدد. وباندفاعاته المأثورة وتحولاته المفاجئة من الضد الى الضد، فقد ايمانه بالضباط العراقيين (وان كان بعضهم قد أصعده الى قمة السلطة يوماً ما). فنقل عنه أنه كان يشكو منهم لزواره بقوله:

«هؤلاء رجال الجيش عندنا ماذا يعرفون؟ لا مقدرة لديهم على الإفادة من أبسط قواعد الدبلوماسية. البلاد ليست ملكاً لهم خاصاً ولا حق لهم في ان ينفردوا بالسلطة.»

تلك الشهوة الجامحة للسلطة والتزعم لم تكبحها فيه سنه المتقدمة. فها هو قد بلغ السابعة والستين وهي سن يعاف المرء فيها كثيراً من متاع الحياة الدنيا عادة ويطلب اموراً أخرى أسمى منها وهي سن تقاعد لأغلب البشر.

خيل له بان ما عد في حينه خصماً للقومية العربية، وما روح عن الخطر الشيوعي الذي يهدد مستقبل البلاد، هو استراتيجية جيدة للدعوة لنفسه والائتمار بالحكم الجديد. فمالبث ان أضت داره مركزاً لندوات واجتماعات ضمت مما ضمت اصداقاً قدامى اقطاعيون نعموا على العهد الجديد الذي افقدهم الاصلاح الزراعي امتيازاتهم. وخيل له أن المناورات السياسية الدموية للاعوام ١٩٣٥ و ١٩٣٩ و ١٩٤١ التي كانت تفوز له إما برئاسة الحكومة او بوزارة الداخلية مازالت صالحة. فرسم خطة بمعاونة الاصدقاء والناقمين على تلك الأسس عينها. اعني باثارة قبائل الجنوب ولاسيما انصاره من آل فتله ومن الالههم وتبعهم، وتنظيم اجتماعات وتظاهرات معادية وقيام اعوان له من الضباط والمدنيين بالإستيلاء على المراكز الحساسة وارغام (قاسم) على التنحي. إلا أن محاولته باءت بالفشل وهي في اولي مراحلها ومالبث ان وجد نفسه في قفص الاتهام أمام قاضٍ لا عهد له بمثله من قبل^(٥٧).

(٥٦) مثلاً يذكر الزبيدي (ثورة ١٤ تموز ص ٤٢٧) نقلاً عن محمد صديق شنشل مدير الدعاية العام في حركة مايس. ووزير الاعلام في اول وزارة بعد ١٤ تموز - ان (عبدالسلام عارف) كان من المعارضين في عودة الكيلاني والسبب هو انه اراد الاستئثار بالسلطة.

(٥٧) يرى مسجلو تاريخ هذه الحقبة من القوميين (امثال السهورودي، الزبيدي، العبد، خليل ابراهيم حسين =

واحيل (رشيد عالي) وابن اخيه (ميدر كامل الكيلاني) و(عبدالرحيم الراوي)^(٥٨) الى المحكمة المهداوية (المحكمة العسكرية العليا الخاصة) واستخدم بقية المشاركين في المحاولة شهود إثبات بعد عرض العفو عنهم وفقاً لاصول المرافعات الجزائية العراقي وبدأت المحاكمة في ٩ من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٩. ووجهت التهمة للثلاثة وفقاً للمادة (٨٠) من قانون العقوبات وتقضي بالحكم بالموت على كل من ترأس فريقاً واستخدم السلاح لقلب نظام الحكم. وهي بالنص:

«التآمر على الجمهورية ومحاولة قلب نظام الحكم بالتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة.»

لم تطل المحاكمة اكثر من يومين وبريء (الكيلاني) لعدم كفاية الادلة واوصت المحكمة بنفيه خارج العراق لمدة خمس سنوات. وحكمت بالموت على زميله.

الظاهر ان هذه النتيجة أزعجت (قاسماً). كان قرار المحكمة التي اشتهرت بتهريجها وصلافة رئيسها صحيحاً لأن الادلة لم ترق إلى ربط (الكيلاني) بالمؤامرة مباشرة. لكن (قاسماً) كان يخشى ان يغدو الكيلاني بؤرة تجمع اعلامي - تأمري ضده اذا ما ابعد خارج العراق. وبعد ان تجمعت غيوم طخياء فوق العلاقات بين النظامين المصري والعراقي مؤذنةً بشر مستطير لجأ (قاسم) الى واحدة من حيله بمعاونة قانونيين ومقايضة المحكومين الاثنيين بالموت على حياتيهما بالشهادة ضد (الكيلاني) في محاكمة ثانية. ولكثرة ما يزخر به قانون العقوبات وتعديلاته من المواد التي تعاقب على القيام المسلح والتآمر ضد نظام الحكم. لم يجد القانونيون الذين استعان بهم (قاسم) صعوبةً ما في تكييف تهمة أخرى للكيلاني وكانت هذه

(الخ... أن التهمة كانت مؤامرة حكومية مدبرة للايقاع (بالكيلاني) وينفون ان يكون ثم محاولة للاطاحة بحكم (قاسم) تزعمها الكيلاني. ويبقى نفيمهم هذا مجرد ادعاء وانكار فحسب، ولايدعمون رأيهم بدليل او تحليل خلا رفضهم الاسلوب الذي استخدم لإستدراج الضالعين في المحاولة. وهو اندساس عناصر رسمية وامنية في الحركة بغية الحصول على دلائل ثبوتية صالحة قضائياً. في الواقع ان هذا أسلوب يقره القضاء الحديث وعلى ارفع المستويات وعند تلك الدول التي تعتز بجهاز قضاء مستقل محكم. ففي خلال العقود الأخيرة من قرننا هذا تم في ايطاليا والولايات المتحدة مثلاً - تحطيم كثير من معازل المافيا وعصابات المتاجرين بالمخدرات بطريقة اندساس رجال السلطة في تنظيماتهم او اقتناع بعضهم بالشهادة على الآخرين. او باستخدام آلات التسجيل الحديثة لاستراق احاديثهم وقد تمت الاستفادة من كل هذا في قضية (الكيلاني) وخير دليل يمكن تقديمه على ان القضية لم تكن مفتعلة قط. هو ان سلطات التحقيق والمندسين الرسميين لم يحاولوا أن يعثوا بالادلة ليجعلوها كافية للحكم على (الكيلاني) أول مرة.

(٥٨) كان (عبد الرحيم الراوي) زميل دراسة في كلية الحقوق وكلية ضباط الاحتياط كما كان (عبدالامير العكيلي) المدعي العام الذي استعان به (قاسم) لصياغة تهمة قانونية ثانية - زميلاً لنا أيضاً!

المرّة وفقاً للمادة الثانية من الباب الثاني عشر منه. فحوكم بها وصدر عليه الحكم بالموت شنقاً.

إلا ان (قاسماً) لم يكن وراء دم (الكيلاني). كان يريد فحسب أن يستريح منه بإيقائه وراء اسوار السجن. لم تكن للكيلاني سمعة يخشى منها كما يعرف الدكتاتور.

ثلاثون عاماً مرت على نشر وقائع هاتين المحاکمتين وليس هناك من يطعن في سلامة نصوص محاضرها من العبث، وكاتب هذه السطور مازال يقف عاجزاً حائراً في المفاضلة بين موقف وسلوك اثنين في تلك المحاكمة، وايهما كان ادعى الى القرف والاشمئزاز!

أستخذاء المهتم، وتخاذله وابدائه كل مظاهر الذلة والمصانعة كأبي متهم عادي عريق في الاجرام يحاول استجلاب عطف حاكم غطريس نصف متعلم جاهل بالقانون أم موقف محاميه المنتدب المخزي الذي لم يجد من دفاع يقومه عن موكله غير قوله «ان المتهم محامٍ ورجل قانون معروف وهو يعرف القانون جيداً»... ايها الطبيب اشف نفسك!!

رغم كل صلافة وبذاءة لرئيس المحكمة عرف بها في تعامله مع المتهمين، لم ينل (الكيلاني) من لسانه شيئاً. لم يوجه اليه اية أهانة او يهزأ به كما فعل بالآخرين والتزم جانب الأدب قدر ما عرفه عن الأدب مع هذا كله بدت اجوية (الكيلاني) متسمة بخنوع واتضاع وتذلل قد يأنف منه اي مجرم عادي.

قرأت وقائع المحاكمة سطراً واطحيت ٩٤ كلمة «سيدي» و«ياسيدي» و«سيادتكم» وامثالها كان (الكيلاني) يستخدمها في محلها او غير محلها اثناء ادلائه بافادته^(٥٩). في

(٥٩) مثال ذلك (وقائع المحكمة العسكرية العليا الخاصة ج ٥)

(ص ١٧٨): اجابة عن سؤال (للمهداوي) حول زيارة بعض الضباط له: «والله سيدي، اظن عرضت

لسيادتكم في التحقيق وفي المحاكمة الاولى انه عند مجيئي زاروني وذكرت اسماءهم لسيادتكم»

(ص ١٨٣): اجابته عن سؤال حول زيارة رؤساء العشائر: «والله انا عرضت لكم سيدي...»

كان (الكيلاني) قد عرف عنه إستيلاؤه على مزارع القطن الشهيرة في الصورة بلواء الكوت، واخفى ملكيته لها بتسجيلها في الباطن باسماء اقاربه درءً للشبهات. وقد استدرج بسؤاله عما يملك (ص ١٧٨): «سيدي انا ليس اقطاعي ولا املك والحمد لله حتى ولا ذرة من تراب بلدي».

بعدها مباشرة اعترف بانة اقطاعي كبير ويملك اكثر من ذرة من تراب بلده عند اجابته عن سؤال يتعلق بكيفية استيلائه على اراضي (الشاذي) في لواء الكوت ان قال: «اراضي الشاذي هي اراض اميرية (اعطيت) واعطوا مقابلها الى الملك علي. انا عندي مزرعة صغيرة هنا وراجعي الفلاحون من (شمر طوكه) وقالوا لو تاتي انت هنا فتنصب مكائن في اراضينا». وأبى كثير من القوميين ولاسيما اولئك الشباب الذين حوكموا بتهمة محاولة اغتيال (قاسم) أن يخفضوا رأسهم كما فعل هو. وكان الوحيد بين امثاله من المتهمين الذين حوكموا الذي أشار الى (قاسم) باللقب الذي عرف به اي (سيادة الزعيم الأوحده) في معرض ذكره وتعدت مجاملته الى حد التشفي والطعن بابن اخيه ونصيره الآخر (الراوي) بعد =

احيان كثيرة كان يتعمدها متحاشياً طوال الوقت اغضاب (المهداوي) بضروب من المجاملة حتى على حساب مصلحته ودفاعه، في حين ترَفَع عن هذا الموقف متهمون آخرون لا يمكن وضع أسمائهم في قوائم رجال القومية العربية من امثال السيد (سعيد قزاز) و(فاضل الجمالي) و(غازي الداغستاني) وبخصوص موقفه هذا ولهجته الذليلة اشير على القاريء بمراجعة نصوص الردود البرقية ذات اللهجة الغطريسة المتعالية التي كان يكتبها للملكة اثناء احتدام الازمة الآشورية وقد اثبتناها في الجزء الأخير من هذا الكتاب.

لا مجال للانكار بان ارادة (قاسم) لا ارادة القانون هي التي قضت بإجراء محاكمة ثانية. ولولا البيئة التي وفرها مكر (قاسم) اضافة الى القرائن التي تضافرت في المحاكمة الأولى لما كان له من سبيل اليه قضائياً. وكرجل قانون تهمة قوة الادلة اكثر مما تهمة التطبيقات القضائية والاصول القانونية التي اتبعت في التحقيق والمحاكمة لا أجد مبرراً للشك في وجود مؤامرة علم الكيلاني بها وعمل لإنجاحها ورضي بتزعمها انتقلت من طور التفكير الى طور الإعداد للتنفيذ. وقد جرى التقليد القانوني ان لم يكن بنص صريح فيه أن يصار الى التخفيف لا الحكم باقصى العقوبة. وأرى ان للعناية الإلهية كما يقال يداً في أن يقف (الكيلاني) عين الموقف الذي سببه حكمه لكثير من الأبرياء ويعاني بعض ما عانا.

بقي قرار الحكم في درج (قاسم) دون ان يفصل في أمر تنفيذ زهاء سنتين وكان يكفي لصعود (الكيلاني) درج المشنقة توقيع صغير. ثم اصدر عنه وعن زميليه عفواً واطلق سراحه لينزوي في عقر داره منسياً. القوميون الذين اطاحوا بحكم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣، كانوا من طراز آخر يختلف عن طراز (الكيلاني) القومي. وهو في نظرهم لا اكثر من سياسي مخضرم من ساسة عهد بغويض قضت عليه ثورة الرابع عشر من تموز. كانت عيونهم محصنة من هالة المجد الذي زين به قوميو الاربعينات العراقيون هامة (الكيلاني). وآلم كثير منهم واخجلهم تخاذله وتذلل امام قضاته كما استنكروا موقفاً له مع (قاسم) عشية اطلاق سراحه تناقلت المجالس أمره في حينه.

= الحكم عليهما وتبرئته وقد حرصا الى الأخير على كتمان دوره بشهامة وإنكار ذات. يروي مؤلف كتاب (موسوعة ١٤ تموز: ج ٥ ص ٩٢) نقلاً عن (عبدالرحيم الراوي) هذه الحادثة: قال: «تلاقينا (والكلام لعبدالرحيم) ثلاثتنا في الممر المؤدي الى خارج المحكمة وجهاً لوجه مع (المهداوي) فالتفت الاستاذ (رشيد عالي) علي وعلى (مبدر) وقال للمهداوي: «اعطيتهم نصف حقهم والله لو ان ولدي ووحيدي (فيصل) عمل نصف ما عملوا لاقتطعت يده قبل ان اسلمه للقضاء ليقترض منه»، وكان يتحدث بصوت عالٍ جهوري. ثم عاد لصوت اخفض وقال: «اترجاك ياسيادة العقيد نحن رايعين عند الزعيم. ارجوك خلصوا معاملتي هذه الليلة حتى اسافر خارج العراق!»

روى لي شاهد عيان لا أشك في صحة اقواله كان حاضراً مساء الرابع عشر من تموز ١٩٦١ عندما جيء (بالكيلاني) من السجن لمقابلة (قاسم) في وزارة الدفاع ليسمع نبأ الإفراج عنه مع عددٍ من رجال العهد الملكي الذين شملهم العفو، فقد وقف دونهم يشكر الدكتاتور ويعدد مناقبه ويشيد بعبقريته مسرفاً الى حد الاسفاف في تعداد فضائله^(٦٠) حتى ارتسمت على وجه الحضور من محكومين وحاضرين إبتسامات الاستخفاف والاحتقار.

وأهملته سلطات الجمهورية العربية المتحدة بعد ان خيب آمال رجلها القوي فيه. ولم تغده شيئاً البرقية الحماسية التي بعث بها لانقلابي الثامن عشر من تشرين ١٩٦٣ يبارك لهم فيها انقلابهم ولازم بينته شهراً ثم رحل الى بيروت وفيها توفي.

حرم من نهاية مشرفة كنتك التي انتهت بها حياة زملاء له من رجال حركة مايس. لاسيما اولئك الجنود المجهولون الذين دفعوا حياتهم ثمناً لقضية خاسرة في قتالٍ غير متكافئ فاستحقوا رغم كل شيء ان يلقبوا بالشهداء.

ان السنوات التي بقيت من حياته وسلم من يد الجلاد والمنتقمين، سنوات استجداها بهدر الكرامة والمصانعة. كشفت عن جوانب كثيرة من شخصيته ونفسيته.

رجل نال من العلم والنباهة شيئاً غير قليلٍ فما عرف طريقة لاستخدامها الا لمنفعته الخاصة واطلاب المجد والتهافت على السلطة والاحتراب الشهبواني عليها. لم يترفع قط عن اللااخلاقية السياسية وان كانت وسيلة رجال الحكم العراقيين عامة، لكنه بزهم فيها وأوغل، وبدا مثلاً لسرعة التقلب وعدم الاستقرار على نهج سياسي واحدٍ الا ليستبدله بأخر كلما لاح له ان ذلك يؤمن له السلطة. ولم يتعفف بل عمد الى الافادة مالياً من تلك السلطة فأثرى بطرق لا تحمد. في عين الوقت كان كثير من اقرانه مقيماً على خط سياسي واحدٍ مترفعاً عن استخدام السلطة للكسب غير المشروع.

وكان بامكانه وهو في قمة السلطة تجنيب العراقيين كوارث ثلاثاً: مذبحه الآشوريين، مذابح شيعة الجنوب، حركة مايس، لو خطر بباله تجربة الحل السلمي لها. الا انه فضل استخدام القوة الباطشة والتنكيل المتعمد.

(٦٠) ورد في مذكرات (توفيق السويدي) وهو من رؤساء الوزارات السابقين عن هذا الموقف ما يلي: «ذهبنا الى وزارة الدفاع ونحن متفاهمون على ان لا نتكلم كثيراً وان لا نفسح مجالاً للغو هذا الزعيم الذي اشتهر بالثرثرة الباطلة... حتى اذا انتهى من ذلك قلت له اننا نشكره على تقصير مدة محكومياتنا ونأمل له النجاح وسكت. الا ان (رشيد عالي الكيلاني) الذي شمله العفو معنا اطنب في مدحه واسف في ذكر محاسنه بخلاف ما تم بيننا الاتفاق من اختصار الحديث» (مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية: دار الكاتب العربي ١٩٦٩- ص ٦١٣).

ولا يسعني هنا الا ان أقارن (الغيلاني) بمعاصره (بيبير لافال) رئيس الوزراء الفرنسي الذي نفذ فيه حكم الموت جراء تعاونه مع الالمان بعد هزيمة بلاده في ١٩٤٠. كانت محاكمته من حيث الاجراءات والنتيجة شبيهة بمحاكمة (الغيلاني) وبدت حياتهما السياسية للفترة عينها متشابهة تقريباً. فكلاهما كان يلجأ الى المناورات والتأمر. وكلاهما كان محبباً للذات في نشاطه السياسي. ولاشك في ان (الغيلاني) كان يفكر عين تفكير (لافال) لنفسه وقد أجمله في شهادته اثناء محاكمة رئيسه (المارشال بيتان) في العام ١٩٤٥. اذ قال متسائلاً:

«اعتقدون بان اي رجل سليم العقل يمكن في العام ١٩٤١ أن يتوقع اي شيء غير انتصار المانيا؟»

كذلك بقي (الغيلاني) لا يستطيع ادراك نتيجة الحرب حتى العام ١٩٤٤.

أفضل ما يمكن الحكم على (الغيلاني) افتراضنا انه كان يتصرف بحسن نية وبدافع الاخلاص لما يعتقد ويؤمن به في فترة معينة من الزمن إلا ان حسن النية والاخلاص لا يكفيان مطلقاً لاغتفار الزلات السياسية الخطيرة لاسيما اذا تكررت ولم يستفد منها صاحبها درساً. لايسعنا والحالة هذه تبرئته لا من عناده واصرارته ولا من رؤيته المحدودة التي جعلته يؤمن بان مصلحة بلاده هي في انحيازها الى معسكر المنتصر مهما كانت نوايا هذا المنتصر ومهما كانت طبيعته. و(الغيلاني) على اية حال رجل لا يؤمن بالديمقراطية ولا يحترم مبادئها. كان مثل (لافال) يأمل بـ«امتيازات» و«تنازلات» من النازيين بعد تحقيق الانتصار النهائي. ومع طول اقامته لاجئاً في المانيا (ثلاث سنين) لم تفسح له مكابرتة مجالاً للتأمل في الشرور التي نشرتها النازية والخراب الذي أحدثته حروبها في العالم المتحضر فيعلن بشكل ما عن تراجع او ندم او يعترف بخطأه. وها هنا يفترق الرجلان. ففي العام ١٩٤٤ تبين لصنوه الفرنسي بان أمله في «تنازلات وامتيازات» من النازيين لا أساس له. ولم يعد يثقله ما أثقل (الغيلاني) من ايمان غير محدود بصحة سياسته. فكتب (لهتلر) إثر قيام الدكتاتور باعتقال (ادورد هريو) الشخصية الوطنية ورئيس مجلس النواب محتجاً بشدة. وختم احتجاجه قائلاً:

«ارجو ان تعتبرني سجينك لنفس الاسباب التي دعيتك الى اعتقال مسيو (هريو)».

وحقق (هتلر) سؤله واعتقله.

وك(لافال) لم يشعر (الغيلاني) باي خوف على بلاده ومواطنيه من ان يلقي عين المصير الذي لقيته شعوب وبلاد أخرى، واثقاً الى النهاية بكلمة شرف للدكتاتور، ما اهتم لحظة واحدة بالمحافظة عليها. ولم يقف في وجهه اي رادع خلقي.

لم يتأس (الغيلاني) مثلاً بعمل رئيس حكومة هنغاريا الذي اطلق النار على رأسه اثناء دخول الجيش الالمانى بلاده في ١٩٣٩^(٦١). وأبى الا ان يعلل نفسه بالوهم بان هتلر كان سيفرد العرب والعراق بمعاملة خاصة تختلف عن معاملته للشعوب الاوروبية. وتتضمن «امتيازات وتنازلات» عندما القى خطبته بين يدي نائب العريف الباقاري وقد عد لقاءه به شرفاً له وفخراً لبلاده.

واختلف مصيره عن (لافال) ولم يتردد الجنرال (فرانكو) الاسباني في تسليمه للفرنسيين. في حين أبى الملك عبدالعزيز السعودي تسليم (الغيلاني) للعراقيين.

حاولت كثيراً العثور على عمل ايجابي او خدمة قدمها هذا الرجل خلال فترات مسؤوليته فما وجدت، ولعل من حرص على الكتابة عنه وضناً بسمعته ان تتناولها اقلام القدح - يستطيع ان يدلنا السهروردي الذي نكن له بأعمق الشكر على تزويدنا بهذه المعلومات الثمينة عن حميه في ألمانيا.

الا إذا جارينا اولئك الذين مازالوا يعتبرون (حركة مايس) انتفاضة وطنية وادخلناها في سجل المآثر القومية... الخالدة.

قرأت في الكتاب الذي ألفه الكاتب العراقي المجيد [عبدالمجيد حسيب القيسي] (التاريخ يكتب غداً: هوامش على تاريخ العراق الحديث) وهو بجملته رد على كتاب (الدكتور السهروردي) وصفاً طريفاً للغيلاني رأيت ان لا احرم القاريء منه وهذا هو:

«اذا تحدث او حيّاً، شبك يديه على صدره وأحنى رأسه إحناء خفيفة على طريقة العصمنلي (العثمانلي). وإذا تحدث تحدث بأدب بالغ وتدقق سريع ومنطق بليغ، ولا يتأخر عن مناداة المخاطب بيا سيدي وهو يوجه اليه طعنة نافذة. ولكن اذا ما عارضه احد في قول او عمل غلب طبعه على تطبعه وفقد اعصابه وثار ثائره وارغى وازيد وعلا صوته (في هذه الحالة كما يقول طه الهاشمي) قد يلطم رأسه وتتحدر دموع القهر من عينيه ويبكي. والرجل مستغرق لا في هموم الناس ومشاكلهم وانما في نفسه ومع مطامعه ومطامحه منصرف اليهما لا يعبأ بالذنيا والناس ولا يعرفهما الا من خلالها. ومن أجلها قد جعله استغراقه هذا، حزمة من اعصاب مشدودة شدّ الوتر الذي ترمى منه النبال. فهو مشدود متحفز متوتر دوماً

(٦١) هو (الكونت تليكي) وكان على رأس اللجنة التي ارسلتها عصبة الأمم الى العراق في ١٩٢٤ لاستطلاع آراء اهالي ولاية الموصل والفصل في مسألة ضمها الى العراق.

لا يعرف الراحة او الاسترخاء وهو عابس متجهم دوماً لا يعرف الفكاهة، ولا يرضى بالنكتة منه او عليه فإن أريحية النكتة وسماع الفكاهة امران كثيران على طاقته الروحية والفكرية والنفسية ولهذا فلم تكن الابتسامة بله الضحك ليجدا سبيلاً الى وجهه».

وذكر المهندس الصديق رفعت كامل الجادرجي في كتابه عن والده (صورة أب، ص ٥٠). أنه استأذن اباه لحضور حفلة قران أخيه في مصر في ١٩٥٣ بواحدة من بنات رشيد عالي الكيلاني في دمشق. يقول الاستاذ رفعت «كان الجادرجي ممتعضاً من قيام ابنه بمصاهرة الكيلاني وقال ان الابتعاد عن رشيد اسلم عاقبة. وأوصى ابنه ان لا يحمل من الكيلاني اي رسالة او كلمة لاي كان. لان الرجل لايتورع من ان يورط اقرب الناس اليه وحتى بناته في سبيل مآربه الشخصية».

بكر صدقي شوقي العسكري

١٨٩٠-١٩٣٧

وقد انتقلت اليها أسرته في زمن لا يعرف ولا أسباب غير معروفة وقد عرفنا له أخاً ثانياً يدعى «محمد برقي»^(١). وأنا ببغدي عن بغداد لا أستطيع إلا الترجيح بأن ميلاده كان في بغداد. وأنه بلغ رتبة نقيب (بوزباشي) في ختام الحرب العالمية الأولى^(٢) منسباً الى مرتبات الجيش الرابع العثماني المرابط في سورية. لم يلتحق (بكر) بشريف مكّة عند اعلانه ثورته. إلا انه أسوةً بمعظم الضباط العراقيين المتواجدين في الجيش الرابع التحق عند انحلاله بالجيش العربي الذي تمّ تشكيله بعد اعلان فيصل نفسه ملكاً على سورية. والظاهر أنه لم يشارك في النشاط السياسي بشكل يلفت اليه انظار الجهات العسكرية البريطانية التي كانت تحتلّ سورية وقتذاك. فلم يكن اسمه في القائمة الطويلة لأسماء الضباط العراقيين النشطين سياسياً التي نظمها الحاكم السياسي البريطاني العام في دمشق^(٣) ولا القائمة التي نظمها القيادة العسكرية البريطانية في القاهرة للضباط العراقيين الاعضاء في جمعية العهد السرية^(٤). ولانعلم عنه شيئاً خلال الفترة التي قضاها في الجيش العربي وما أظنّها بالطويلة

(١) هو الشقيق الأصغر، وكان ضابطاً عثمانياً أيضاً التحق بالجيش العراقي عند تشكيله. وفي العام ١٩٣١ كان برتبة نقيب أمراً لقوة زحفت على بارزان وأصيبت بهزيمة كبيرة ولم ينج منها غير القليل. بنوه صاحب تاريخ الوزارات العراقية بالحادث تفصيلاً (ج٣ - ص١٨٩ - الطبعة الخامسة) فيذكره أنا بوصفه أمراً للمنطقة الشمالية وبرتبة عقيد. مستنداً في الظاهر الى تخطيط ناجي شوكت احد رؤساء الوزارات العراقية في مذكراته (سيرة وذكريات) [دار اليقظة العربية - بغداد ص٢٠٠]. وأظنه توهم به شقيقه بكر صدقي الذي كان يتولى هذا المنصب. إلا أن صاحب تاريخ الوزارات العراقية عاد بعد قليل (ص٢٠١) فذكر رتبة «برقي» الحقيقية دون اهتمام بتصحيح غلطته.

إن الوقعة التي بنوه بها الصنعي مستقاة من المصادر الرسمية. وخلصتها أن القوة التي كان يقودها «برقي» لاحتلال بارزان وقعت في كمين في ليلة ٩ من كانون الثاني ١٩٣١ فسقط معظم أفرادها قتلى أو جرحى وعادت فلول لها الى اربيل. كان من نتيجة ذلك أن اكتفى باحالاته الى التقاعد بدلاً عن اتهامه بالعجز والجن واحالاته الى مجلس عسكري. فاتخذ الموصل مسكناً له حتى وفاته في مطلع الخمسينات. وله ابن وحيد عرفته طالباً في كلية الحقوق في العام ١٨٤٧ او نحوها ثم مدير ناحية بعد تخرجه على ما اذكر كما عرفت له ابنة واحدة لقبّتها صدفة في حفل وتعرفت بها بصحبة زوجها الكاتب الفلسطيني - العراقي المعروف جبرا ابراهيم جبرا.

(٢) قبل قيام الحرب العالمية الأولى، كان ثم مدرستان تدعيان بالرشدية العسكرية واحدة في بغداد، والأخرى في السليمانية. يقبل فيهما خريجو المدارس الابتدائية الذين اختاروا المسلك العسكري فيقضون فيها اربع سنوات ثم يُعدّون للدخول في (الاعدادي العسكري) وهي المدرسة الوحيدة من نوعها في بغداد. ومدتها ثلاث سنين يرسل بعدها الخريجون الى الكلية الحربية في استنبول ليخرجوا ضباطاً بعد سنتين. لانعرف متى دخل بكر المدرسة الرشدية ثم الإعدادية ومن كان زميلاً له وقتذاك.

(٣) تراجع الوثيقة المؤرخة في ٦ من ايلول ١٩١٩ الموجهة الى وزارة الهند. F.O. 371-4150. Hind. 06351.

(٤) الوثيقة المؤرخة في ٣ من كانون الثاني ١٩١٩. الى وزارة الهند. F.O. 371-4186. X.M. 0640.

يذكر له مجيد خدوري نشاطاً في الحركة الوطنية السرية العربية قبل الحرب العالمية الاولى (العراق المستقل. ط واشنطن في ١٩٦٠ ص ١٠٧ Majid Khaduri: Independant Iraq ولايذكر مرجعه. وينقل =

هذه ليست سيرة حياة متصلة الحلقات. بل مجرد وقفات روعي فيها ما أمكن - التسلسل الزمني. رغم ما تخللها من فجوات تعذر علينا ملؤها بسبب الغموض الكبير الذي يحفّ بالقسم الأوّل من حياة الرجل، وهو ما لم يحاول أي من كتب عنه ولوجه وتسليط الضوء عليه، بعد أن قذفت به مذابح آب ١٩٣٣ في دهوك، وأعمال القمع الوحشية في الفرات الأوسط ١٩٣٥ الى السطح وصار اسمه يتردد في المحافل الدولية والصحافة بسبب من ذلك - فما عرف عن حياته قبلها كان أقلّ من القليل. ويدركني العجب من اغفال هذه الناحية اثناء الكتابة عنه. وأقرب المصادر متناولاً هو ملفّ خدمته الشخصية الذي لم يحظ باهتمام من اولئك الذين تناولوا بالبحث عصره وتفصيل انقلابه الخطير^(*). وقد كاد الجميع يطبق على الأثر السياسي الكبير الذي أحدثه انقلابه لا في تاريخ العراق الحديث وحده بل في مسار تاريخ البلاد الناطقة بالعربية خلال القرن العشرين فقد اختط به تلك السنة الكريهة لتغيير الانظمة السياسية في كثير من البلاد الناطقة بالعربية لتحديد بها عن المسار الديمقراطي. وليستخدمها القوميون العسكريون والمدنيون منهم بصورة خاصة وسيلة للوصول الى الحكم والعبث فيه، بالسير على خطوط عقائد النازية والفاشية التي غزت المفاهيم القومية العروبية وشابتها الى الأخير وبآثارها التي مازالت قائمة حتى يومنا هذا، بدراية منهم أو بغير دراية. ومن القليل الذي اجتمع لي عن حياته الأولى وهو ما أهتم به شخصياً عند الكتابة عن الشخصيات السياسية - أن مسقط رأسه هو قرية (عسكر) الكردية القريبة من مدينة كركوك ومنها اتخذ لقبه كزميله (جعفر العسكري) وربما فضّله الاثنان لانفاقه الصدفي مع صفة المهنة التي احترفاها ولأنها تضيف على صاحبها صفة متميزة.

والده «شوقي» لم يكن ضابطاً عثمانياً. بل كان موظفاً صغيراً في دائرة البريد ببغداد،

(*) مرة واحدة أشارت فيها الى إضرابه بخصوص المجلس التحقيقي حول اغتياله (ص١٨٧) صاحبة كتاب (تأسيس الجيش العراقي) د. رجاء حسين خطاب.

عندما انتهت بخروج فيصل من سورية وانحلال جيشه. لكن يبدو انه قضى فترة تعطل قصيرة جرب نفسه خلالها سياسياً اذا سلمنا بصحة الرواية التي اثبتها الدكتور علي الوردي، وهذه هي:

«بعد أن ترك علي جودت الأيوبي دير الزور في اواخر ١٩٢١ شعر الضباط العراقيون بأن عليهم أن يغادروها ايضاً إذ لم يعد لهم مستقبل. وعاد بعضهم الى تركيا، وبعضهم الى العراق. وبعضهم عرج على (الرقّة) وكانت قد تشكلت فيها حكومة صغيرة برئاسة الشيخ [حاجم ابن مهيد] بتأييد من الأتراك، عمل فيها بعض الضباط العراقيين العثمانيين من أمثال تحسين علي وبكر صدقي ويوسف العزاوي. مالبت الشيخ حاجم ان ضاق بهم ذرعاً فطردهم قاتلاً "روحوا لأهلكم حصلوا استقلالكم ببلادكم وخلوناً بحالنا"»^(٥)

ويستفاد من وثيقتين بريطانيتين^(٦). انه وجد بعد عودته عملاً مديناً له عند القيادة

= حنا بطاطو (المرجع السالف ص ٣٦٩) ذلك عنه. إلا انه يشير بانه لم يكن من ضباط الشريف حسين. (٥) علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. بغداد ١٩٧٩. ج ٥ القسم ٢، ص ١٥٩. [يذكر انه استند في نقل الخبر الى مصدر موثوق (لم يعينه) إلا اننا عثرنا على ما يؤيد هذا القول في «مذكرات تحسين العسكري» مطبعة العزي النجف ١٩٣٨ ج ٢ ص ١٦٧. فهو يذكر عن حكومة الرقة التي تم تأليفها في اواخر آب ١٩٢٠ برئاسة الشيخ حاجم ماليي: «وعاد الى الرقة كل من تحسين علي وبكر صدقي العسكري وحاجم ابن مهيد وعقدوا مؤتمراً مع رؤساء العشائر وقرروا تأليف حكومة شورى يرأسها الشيخ حاجم پاشا. وتألّف مجلس شورى من رؤساء العشائر وانتخب تحسين علي رئيساً للمجلس، وبكر صدقي العسكري للأمر الخارجية، ويوسف العزاوي للدفاع، وعبدالهادي خليل قائداً للدرك. وكانت منطقة هذه الحكومة المؤقتة تمتد من [مسكنة الى جوار اورفه ودير الزور والجزيرة الى حدود سنجان]... وأرسل مصطفى كمال پاشا وساماً عثمانياً من الدرجة الأولى للشيخ حاجم...

(٦) الوثيقة الأولى: رسالة من جورج راندل أحد كبار موظفي وزارة الخارجية الى كبير السفير البريطاني في العراق: ٢١ كانون الثاني ١٩٢٦ ورقمها F.O. 371 - 20015. E 1195 وهذا نصها: «يسعدنا أن نزودكم بالمزيد من التفاصيل عن بكر صدقي. نتيجة تحقيقاتك. وبهذه المناسبة انبأنا شعبة الاستخبارات في وزارة الطيران قبل ايام بانها اكتشفت بأن بكر صدقي استخدم في حدود ١٩١٩-١٩٢٠ وكيل مخبرات للقات البريطانية في المنطقة المحايدة المستحدثة بين العراق وتركيا... (التوقيع: راندل)

فاكّد السفير البريطاني هذا برسالة جوائية مؤرخة في ١٩ من كانون الثاني ١٩٢٧ - 20015 - F.O. 371 (2067) قال فيها: إن معلوماتكم هذه أكدتها لنا القاعدة الجوية هنا (في بغداد). وان شعبة المخبرات فيها. أعلمتني فضلاً عن ذلك أن بكر صدقي منحت له رتبة في الجيش العراقي بناءً على توصية خاصة من هيئة الاركان العامة للقوة الجوية الملكية R.A.F في كانون الثاني ١٩٢١. [التوقيع كلارك كير]

نقل البرقيتين د. فاضل البراك: «دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١». ط. بغداد. ١٩٧٩. ص ١٥٥. مع صورة للوثيقتين وقال أن الباحث نجدة فتحي صفوت هو الذي زوّده بهما. إلا انه رغم استحالة التزوير - أبدى شكاً غريباً في صحة معلوماتهما. وهذا من أعجب العجائب. كيف يمكن أن يتبادل دبلوماسيون كبار من دولة واحدة معلومات يزورها أحدهم على الآخر =

البريطانية العسكرية في العراق. باستخدامه وكيل مخبرات لها على الحدود بين ١٩١٩ و ١٩٢٠. ولهذا زكّي منهم وقيل في الجيش العراقي المؤلّف بعدها بسنة واحدة^(٧) والذي يظهر من التقارير التي كان يكتبها رؤساء البعثات العسكرية البريطانية كالجنرال روي روبنسن والجنرال هاي. أن بكاراً كان موضع رضى وتقدير لكفاءة عسكرية فيه فرشحوه الى دورات عسكرية في الهند وإنجلترا^(٨) وليس لدينا شيء كثير عن حياته الخاصة أو الزوجية. وقد علمت أنه في وقت ما قبل ١٩٣٣ وهي سنة سطوع نجمه «بالقضاء على التمرد الآشوري» كان قد عقد زيجة على واحدة من أسرة آل الزهاوي في بغداد. إلا أنها لم تدم وانتهت بطلاق أو فراق وذكر لي من غاب اسمه علي أنه أنجب منها ابنة. ولا أدري إن كان اسم «بلكيس» هو اسم لزوجته أم لابنتها. وعلى أية حال أظن أن هذه الابنة فضلاً عن الزوجة لم تكن بين الأحياء في العام ١٩٥٨^(٩) عندما أصدر (قاسم) مرسومه الذي جعل من (بكر) بطلاً وواحداً من شهداء الوطن الذين يستحقون التكريم الأدبي والمادي.

= ويصطنعونها لغاية التضليل! ثم أن خدمة بكر صدقي للبريطانيين في هذه الفترة لم تكن سرّاً وقد أشار إليها طه الهاشمي (مذكراته ج ١: ١٩١٩-١٩٤٣. دار الطليعة بيروت ١٩٦٧. ص ١٥٢) بقوله «وقد اشتغل بالتجنس للانگليز ضدّ الأتراك ضدّ الايرانيين».

(٧) ليس في هاتين الوثيقتين ما يشير الى الرتبة التي منحت له والمعروف أن وزارة الدفاع العراقية عند قبول الضباط العثمانيين في الجيش المستحدث لم تكن تتقيد بالرتب التي كانوا يحملونها في الجيش. وبصورة عامة وبسبب كثرتهم وعجز الجيش الصغير عن استيعابهم، كان المقبول منهم يرضى برتبة أقلّ باستثناء من جاء بحقّه توصية بريطانية. والظاهر هو أن بكر صدقي بناءً على التوصية البريطانية انضمّ الى الجيش برتبته التي بلغها في الجيش العثماني (يوزباشي = نقيب). إلا أن الدكتور رجاء حسين خطاب التي اوردت نصّ الوثيقتين البريطانيتين وبلغتهما الأصلية في كتابها الكبير الموسوم (تأسيس الجيش العراقي وتطوره السياسي من ١٩٢١-١٩٤١. ط بغداد ١٩٧٩. حاشية ص ١٦٩) نوهت في متن الصحيفة بقولها: أن بكر صدقي منح رتبة ملازم في الجيش العراقي بناءً على توصية من هيئة الاركان البريطانية. فمن اين جاءت بهذا وهي لاتعزو قولها الى مرجع وأقربها ملفه الشخصي في وزارة الدفاع ولم تراجع. بل لم تجد حاجة الى مراجعة له الا مرة واحدة حول المجلس التحقيقي الذي شكل في قضية اغتياله. في حين انها رجعت ملفات ما يزيد عن عشرين ضابطاً أصغر منه شأنًا وأقلّ أثرًا في تاريخ العراق. بل في تاريخها الذي ألّفته. ولانعتقد أن ذلك يعود الى قصور لها في الانكليزية بترجمة كلمة Commission (بملازم) وهي تعني بالأصل (رتبة عسكرية) فقط. من الواضح أن بكر صدقي لا يمكن أن يقفز من ملازم الى عقيد خلال اثنتي عشرة سنة وبموجب نظام الترقيات المعمول به آنذاك.

(٨) أنظر الجزء الثاني من كتابنا «الجريمة: مأساة الآشوريين».

(٩) ذكر صلاح الدين الصبّاغ «فرسان العروبة في العراق. دمشق ١٩٥٦ ص ٨٩) أنه تزوج وطلق مرتين. وقال أن ارساله زوجته النمساوية الثالثة (هرمين) الى مسقط رأسها انما كان بنية فسخ زواجه منها بغية طلبه يد إحدى أميرات الأسرة المالكة. وهو ادعاء خصم تآمر على قتله، لايدعمه مصدر آخر. وإنما ينفيه اصرار كثير من خصومه على أنه كان ينوي ازاحة الاسرة المالكة واعلان نفسه سيداً للبلاد لو طال به الاجل. [راجع السيد محسن أبو طيبخ: المباديء والرجال. ط. دمشق ١٩٣٨. الص ١٠٥-١٢٢].

يقول (برتراند رسل) احياناً تتعقد البديهييات في خلد المرء حتى تبدو امامه معضلة لا تقتحم. وهكذا فمن خلال كل ما نقل لنا وكتبه مؤرخونا حوله. لاسيماً من حاول الاعتذار له عن ثلاث كباثر على الأقل ارتكبتها هذا الرجل في سرى تاريخ العراق أنه كان أول من اختط سنة الانقلابات العسكرية ودكتاتوريتها في البلاد الناطقة بالعربية. لا تجد من يقوم عمله السياسي بوصفه أول ضربة عظمى تنزل بالقوى الديمقراطية ومثلها ومؤسساتها في هذه البلاد التي تنطق بلغة الضاد. وأول مثل سيء على التغيير السياسي بطريق العنف.

وبخلاف هذا الجرم العظيم. فقد الصقت به تهم جانبية. وعزيت اليه اياها بيضاء ثانوية وموهومة. واعتذر له عن ايقاعه بالآشوريين وقبائل الفرات الأوسط المذابح الجماعية. ورأها بعضهم دليلاً على كفاءة الرجل العسكرية وعبقريته وهو ما لا يمكن أن يقوم شاهداً ودليلاً قط. فبكر الضابط العراقي القائد لم يدخل قط معركة ضد جيش نظامي ليسجل نصراً أو مأثرة أو براعة في القيادة. وإنما واجه مجموعات قبائلية بدوية ألتها الفؤوس والفتالات والرماح والبناريد القديمة بمدفعية وطائرات حربية وآليات حديثة^(١٠). إلا أن ما بدر منه بعد ذلك، ذلك على سعة حيلة وذكاء تميز به عن رفاقه وبمقدرة عالية على ضبط النفس. وإنه لم يكن من فئة الضباط المتزمتين الذين يحرسون على اخفاء ما يعده الآخرون نقيصة وعبياً. فلم يحاول في أي وقت تغطية ادمانه الخمر أو التخرج من تعاطيه علانية بحفلات لضباط أصفياء في داره أو في النوادي. ولم يؤثر عنه قط أنه بلغ حد الافراط ليفقده زمام عقله ووقاره رغم المقدار الكبير الذي كان يتحمله منه^(١١). وهذه الرواية التي أقصها الآن قد تكون دليلاً على دهاء

(١٠) في تقدير كفاءته تتخذ كفاءة زملائه المرشحين لرئاسة اركان الجيش مقياساً. جاء في مذكرات طه الهاشمي: قال (المرجع السالف): كنت كلما أفكر في اعتزال الخدمة (كان رئيساً لأركان الجيش في حينه) أنظر الى الاشخاص الذين يلحون محلياً وهم خليل (امير لواء خليل زكي) وعبد اللطيف (نوري) ويكر وبكل من هؤلاء نقص. فخليل أكثرهم خبرة وله معلومات جيدة همه لعب الورق مع الضباط والكسب منهم... أما عبد اللطيف نوري فعاطل بكل معنى الكلمة معلوماته قليلة وليس له خبرة عسكرية سابقة. يتظاهر بالجد... ويحب البقاء في بغداد وكثيراً ما يمتارض. أما بكر فهو ذو معلومات جيدة وخبرة عسكرية كافية... غير انه سيء الاخلاق ولا يحمل شعوراً جيداً نحو البلاد... كنت أقارن بين الثلاثة وأرجح بكرأ عليهم لذلك كنت أميل للاحتفاظ به ولأشجع الضباط على الوشاية به... ولما طلب بكر احواله على التقاعد قبل حركات الديوانية الأخيرة أصررت عليه بأن يسحبها. أظهر بكر خبث طبيته وسيرته... وقيامه بإسقاط الحكومة بالقوة فلاح لي أنه كان للانجليز حق في طلب محاكمته عندما خالف الاوامر في حركات الآشوريين^{١٥٢-١٥٣}.

(١١) جيرالد دي غوري: ثلاثة ملوك في بغداد Three Kings in Bagdad. وقع عليه (يقصد بكر) لأول مرة ولفترة لا تتجاوز بضع دقائق. قال: كنت في أوتيل مود الجديد الصغير القريب من الجسر ذات مساء أنتظر ضابطاً في استخبارات القوة الجوية R.A.F. حانت مني إلتفاتة فاستدرت لتقع عيني وأنا مستشرف النهر، والشمس ماتزال في الأفق - على غرفة صغيرة في الطابق الأرضي وفيها ضابط عراقي متوسط العمر وحيداً يشرب الويسكي؛ غليظ الرقبة مسطح القذال بشفتين تنطقان بحساسية شديدة وبوجه ذي =

واناة ودقة في التخطيط وقد رواها لي شاهد عيان.

بحكم أمريته المنطقة العسكرية الشمالية وجب عليه الإجماع كثيراً بقائد منطقة الحدود السورية الفرنسي لبحث قضايا تنقل العشائر ومشاكل الحدود والتجاوزات، بصحبة مترجم مدني. فيحار هذا المترجم في اصرار (بكر) عليه بأن يترجم له أقوال نظيره الفرنسي الى العربية، في حين كان يعرف عنه إمامه الجيد باللغة الفرنسية ولا يصعب عليه قط فهم الضابط الفرنسي. كما يصير على نقل ردوده مترجمة من العربية في حين كان يسهل عليه الاجابة عن معظمها رأساً دون حاجة الى ترجمة.

لم يستطع المترجم مقاومة فضوله، فسأله: «ما الذي يجعلك تستعين بمترجم وأنت ملم بالفرنسية لا يصعب عليك فهم ما يقوله الجانب الآخر؟

كان جواب (بكر) هذا: «الوقت الذي تستغرقه الترجمة يتيح لي فسحة زائدة من الوقت للتفكير في إجابة سديدة!

هذا السلوك بحد ذاته يفسر الكثير من طبائع (بكر). مقدرته على التخطيط والكتمان والتظاهر بما ليس فيه عند الحاجة واختيار الوقت المناسب لا يقاع ضريته وتنفيذ ما اعتزمه منذ زمن بعيد ليبدو وكأنه من وحي الساعة أو لضرورة أنية لا يمكن دفعها. وعلى هذا الضوء يمكن تفسير تخطيط القضاء على حياة جعفر العسكري وتنفيذ مذابح آب بحرصه على أن يكون بعيداً عن محل الحادث. وبدا مخادعاً لا يشق له غبار. وليس هناك قلم يجيد وصف ذلك أفضل من قلم احذق المخادعين رشيد عالي وهو يصف حالته بعد سماعه أن اسمه مدرج في قائمة الساسة التي أعدها بكر للتصفية أي للقتل (هذه المرة بضمير المتكلم المفرد):

«كنت ساعدت بكر صدقي منذ أبرز كفاءته المشهوددة في حركة تأديب التياراتين عام ١٩٣٣. وكان هو يخلص لي اخلاصاً مطلقاً ويتظاهر بالتفاني في محبته لي. حتى انه كثيراً ما كان يفتح باب سيارتي لأنزل منها، أو يمسك بمعطفي لألبسه، وكنت لا أأرد له رجاءً. ولا يرد لي أمراً فلم يكن والحالة هذه ما يستلزم اساءة الظن

= ملامح في غاية الصرامة. وجه مجرم بالطبيعة. خلف منظره في نفسي إنطباعاً عميقاً. حتى اني لم اتمالك من السؤال عنه من صديقي القادم فأجاب انه لا يعرف عنه إلا كونه من ضباط الجيش العراقي ويدعي بكر صدقي وهو من مقربي الملك غازي» (ترجمناها عن الأصل). أقول: علينا أن نأخذ هذه الفقرة بكثير من التحفظ سيما بخصوص الأوصاف التي خلعتها المؤلف على شخص لا تكفي نظرة بعيدة لبضعة دقائق لتكوين فكرة طبيعية الاجرام في وجهه. وليعلم أن دي كوري كتب مؤلفه هذا بعد مرور حوالي عقدين من السنوات على انقلاب بكر صدقي.

فيه. على اني كنتُ أحرص على أن لاتتسرب اخبار الجيش الى الخارج. ولهذا منعتُ دوائر الاستخبارات من مراقبة سلوك الضباط والقادة بصورة مطلقة ولاسيما وأن للجيش دوائر استخبارات مستقلة واسعة والجيش بقادته ورجاله وأفراده مخلص تمام الاخلاص للوزارة القائمة^(١٢)»

وشببه بها طلب إحالته على التقاعد فجأة قبل اناطة مهمة قمع حركات العشائر في الفرات الاوسط بفترة وجيزة. في الظاهر احتجاجاً على نقل بعض الضباط الذين يلتزمهم أو هم من خاصته الى مناطق أخرى وفي الحقيقة انها استقالة صورية، كان يعلم حق العلم ان كبار رجال الحكم لن يفرطوا به قط. وقد قصد منها تقوية مركزه ليس غير. وأثبت لهم بأنه العسكري الذي لا يستغنى عنه في الوقت العصيب^(١٣). وليعلم ايضاً أن هذه الاستقالة قدمت في أواخر شهر تموز ١٩٣٦ وليس بينها وبين انقلابه غير ثلاثة أشهر وبضعة أيام.

في رأيي وأستناداً الى مصدر عسكري موثوق ادركته وهو من انصاره انها لم تكن قط من قبيل المجازفة بكل شيء أو لا شيء، وإنما خطوة مدروسة. كان التخطيط لانقلابه إمتيازاً له وحده. وليس ثم من يستطيع الادعاء بشراكة له في هذا معه. أي مثلما كان الأمر في انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨. وانقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مثلاً. فالتخطيط والتوقيت كان من تدبيره وحده وهو لم يخبر قائد الفرقة الأولى الفريق عبداللطيف نوري شريكه إلا في ٢٣ تشرين الاول اي قبل التنفيذ بستة ايام. ولم يعلم به حكمت سليمان رئيس وزرائه إلا قبل أربعة أيام. ولم يعلم جماعة الأهالي بنية القيام بانقلاب إلا قبل ثلاثة أيام فحسب^(١٤).

وهؤلاء استبشروا بالانقلاب واعتبروه فاتحةً لحريّة واسعة في النشاط الشعبي والتغلغل
(١٢) الحسني «تاريخ الوزارات العراقية» ج ٤ ص ٢٥٩ الطبعة الخامسة ١٩٧٨. من رسالة الى المؤلف مؤرخة في ٢ كانون الثاني ١٩٣٧.

(١٣) رفع الى رتبة زعيم (عميد) بعد آب ١٩٣٣. وكان برتبة أمير لواء عندما انيط به اخماد حركات الفرات الاوسط. وفي ١٩٣٧ عندما دخل بغداد فاتحاً كان برتبة فريق، قائداً لواحدة من الفرقتين الكاملتين في الجيش العراقي. يذكر طه الهاشمي (المرجع السالف ص ١٥٣) «انني اصرت على بكر صدقي بسحب طلب احالته الى التقاعد» إلا أن الدكتور مجيد خدوري (المرجع السالف ص ١٠٧) يؤكد أن طه الهاشمي الذي كان رئيساً لأركان الجيش: «رأى أن يقبل طلبه التقاعد لثلا يبلغ الدلال والغرور بهذا الضابط درجة الخطر». وإني أرجح هذا القول ولا أرى الهاشمي يقول الحقيقة فقد عده بكر صدقي من خصومه. وطرده من الجيش بحجة العجز وعدم الكفاءة.

(١٤) لم يكن لجماعة الأهالي وجمعية الاصلاح الشعبي تلك الجماهيرية التي حاول بعض الكتاب المتأخرين أن يعزوها لهم. كانت خليطاً من الشباب المثقف لايجمعهم جامع عقائدي موحد يستقطب حول جريدة الأهالي التي يقرأها المثقفون. إلا أن النشاط الشيوعي الذي كان أحياناً يتخفى تحتها بدا الخصم الحقيقي الذي وجب على الدكتاتورية أن تحسب حسابه.

بشعاراتهم الاصلاحية بين الجماهير. كانوا على ثقة - لا أدري من أين جاءت - بأن الجيش بعد تخلصه من الفئة الحاكمة التقليدية - سيضع شؤون البلاد بأيديهم. وكان حكمت سليمان يظن ذلك أيضاً. هذه الجهات الثلاثة ظنت أن دور بكر صدقي سينتهي بالتخلص من عصابة النظام السياسي وبأنه سيقنع بمنصب القيادة العليا للجيش ويقصر جهوده عليه. والخداع كان مزدوجاً، كتب النجاح فيه أخيراً لزعيم الانقلاب وانكشف الوهم بعد أيام معدودات. فظهر أن الجيش لن يقف عند حدّ تغيير الحكومة فقد احتفظ (بكر) برئاسة اركان الجيش ولم ينزل الى مستوى المشاركة في الوزارة. وأصرّ على أن يعهد لزميله عبداللطيف بوزارة الدفاع. وكان هو الذي فرض على الملك (رئيس الدولة) اختياره بنصب حكمت سليمان رئيساً للحكومة. كل ذلك إشارة لاتخطئها العين بأنه عدّ نفسه ارفع من الحكومة^(١٥).

لم يكن بكر يؤمن بالحلول النصفية قط. وبدا ذلك في معالجته قضية الآشوريين. فالقى عليهم الدرس الذي ما كان في تصور حكمت أن يبلغ هذا الحدّ من الشراسة وتخطى به الحدود التي رسمتها الوزارة القومية (وزارة رشيد عالي). وقد رأينا انه وفي الوقت الذي كانت المنشورات الرسمية تلقى على الآشوريين العائدين من سورية مستأمنة ومتعهدة بحفظ ارواحهم عند استسلامهم، كانت الدوريات العسكرية التي أطلقها بكر في شعاب جبل بيخير تتصيدهم وتقضي عليهم. وقد طبق هذه السياسة في العامين ١٩٣٥ و ١٩٣٦ عندما أُطلقت يده في اخماد ثورات الجنوب. إننا وخلافاً لما عرفناه من تفاصيل حول أحداث ١٩٣٣، لا نعرف ولو على وجه التقريب كم سفكت قوات (بكر) من الدماء وكما أحرقت ودمرت من القرى هناك إذ لم تتح لها اقلام أجنبية للكتابة فيها والتحرّي عنها كما اتيح للآشوريين. ومصدرنا وهو تاريخ الحسني كاد يكون الوحيد الذي أورد نماذج وتقديرات عن الفظائع التي ارتكبتها قوات بكر هناك في أيار ١٩٣٥ ونيسان ١٩٣٦ بأوامر صريحة منه أو بإغضاء^(١٦) وأتخذ من

(١٥) بعد عشرة ايام من الانقلاب تلقى رئيس الحكومة «أمراً» من وزير الدفاع يطلب فيه اصدار تعليمات لأعضاء وزارته بوجوب تنبيه مرؤوسيه الى ضرورة معاملة المراجعين من الأهالي باللفظ والكياسة. بدأ هذا بشكل توجيه من الجهة العسكرية الى رئيس الحكومة لتظهر بوضوح من هو الموجّه الحقيقي للأمر في البلاد.

(١٦) ورد في حاشية ص ١٣٠ (تاريخ الوزارات. المرجع السالف) حول اخماد حركة سوق الشيوخ في أيار ١٩٣٥. [لا يوجد احصاء رسمي بعدد القتلى والجرحى من الاهلين كما أننا لانعلم شيئاً عن عدد خسائر الجيش. وقد أكد لنا عليم بأن عدد القتلى من الاهلين والجيش والشرطة قد بلغ زهاء ستمائة]. إن كاتب هذه السطور شاهد مشاقق علق عليها أربعة من أصل عدد آخر في مدينة الناصرية. كما اتحت له زيارة لسوق الشيوخ بعد نهاية الحركات، ليشهد منظرأ واحداً من الاجراءات التأديبية. كانت البلدة قد عريت تماماً عن غابات النخيل المحيطة بها التي تحجبها عن أعين القادمين اليها. فقد نفذ أمر القوات بكر توصية رشيد عالي الكتابية بأمانة وجرّد أكثر من عشرة آلاف نخلة من أغصانها وفروعها ولم يبق منها إلا =

جماعة الأهالي واجهةً اعتباراً من الساعات الأولى لبدء عملية الانقلاب ووسيلةً للدعاية وانتشر المتحمسون للاصلاح بعد اسقاط منشوراته من الجوّ والزحف على بغداد، يوزعون منشوراته بين العامة، بتوقيع «قائد القوة الاصلاحية. الفريق بكر صدقي». واستخدمهم بعض الوقت لادارة شؤون الدولة. لكنه لم يكن مستعداً للنزول عن أي قدر من سلطته لهم أو السماح بمشاركتهم في الحكم أو تنفيذ برامجهم الاصلاحية، فخرجوا من الحكومة دون أن يحدثوا أثراً في بنية الحكم التي خلقها. وهو ما سيأتي الحديث عنه.

كان ينوي التخلص من معظم رجال الحكم السابقين بتصفيتهم جسدياً. وبدأ بجعفر العسكري. وادّعى حكمت سليمان بأنه نجح بعد الجهد الجهيد في انقاذ ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني ورستم حيدر. إلا أنه لم يسعَ أو بالأحرى لم يستطع انقاذ نوري السعيد الذي

= أجداع قائمة. وهذا ما رأته عيني ومن المصدر عينه جاء في ص ١٩٣ حول اخماد حركة الرميثة الثانية: «شاع في الأوساط يومئذ أن قيادة القوات التأديبية في لواء الديوانية والقائد الفريق بكر صدقي - أصدر الأوامر بوجوب قتل الأسرى والأطفال من الثوار الذين يقعون بيد الجيش. فشحخص وزير الدفاع جعفر العسكري الى الديوانية بنفسه للتحقيق في صحة هذه الشائعات لكنّ تقريره بقي مكتوماً. فلما دالت ايام الوزارتين الهاشمية الثانية والسليمانية سمعت من رئيس الديوان الملكي رستم حيدر يقول إنه أسف لتكذيبه هذه الشائعات في حينه بينما تحققت صحتها بعدئذ. وكان السيد رشيد عالي حاضراً هذا الحديث».

وهناك شهادة أخرى للواء الركن ابراهيم حمدي الراوي، فقد كتب في ص ١٦٥ من مؤلفه «من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث»: «فانه (اي بكر) كان قد أصدر أمراً عسكرياً صارماً بان لا تستخدم اية شفقة أو رحمة مع الثائرين. وعلى العكس أن تحرق مزارعهم وهي الموعول عليها في معاشهم وأن يقتل أي أسير أو جريح وتهدم بيوتهم ومفاتيحهم». ويعود الحسنى ليقول (المرجع عينه) [أخبرني مدير الشرطة العام هاشم العلوي بأن الجيش قبض على ثلاثين ثائراً فاعتبرهم أسرى حرب وأمر بكر صدقي برميهم بالرصاص فوراً. وتولت بلدية الديوانية دفنهم في حفرة واحدة].

ومن الحسنى أيضاً: جاء في كتاب «محكوميتي» للأستاذ سلمان الصفواني «... وهكذا عومل الثوار بأشد ما عرف من القسوة. وهكذا أمتد الشرّ واتسع الخرق على الرافق. إذ لم يقتصر الضرر على المحاربين وحدهم بل أصاب غير المحاربين أيضاً وقتل كثيرون صبراً رميةً بالرصاص دون محاكمة (اتى الصفواني الى ذكر اسماء اثني عشر من هؤلاء المساكين).

وقال جمس مورّي في كتابه «الملوك الهاشميون» (ص ١٧٤): «تم اخماد هذه الثورات (في الفرات الاوسط) بالعنف ومن دون رحمة أو هوادة. وكان بطلها بكر صدقي الذي قضى على الأشوريين في ١٩٣٣. كانت قواته تزحف على مناطق الثورة فوراً فبتبطش وتضرب وتقتل وتذبح. ثم تعقل المئات وتتشنق العشرات من دون محاكمة أو بعد محاكمات عسكرية صورية.

وروى الحسنى (ص ٢٠٢) نقلاً عن القاضي عبدالرحمن خضر العضو المدني في المجلس العرفي العسكري الذي أمر (بكر) بتشكيله في الديوانية. أنه أمر المجلس العرفي بأن يحكم بالاعدام كل من (شلال، وعبدالجليل) باعتبارهما جاسوسين انكليزيين. لم يجد المجلس دليلاً يدينهما فبرأهما. إلا أن بكرأ أرسل من يقتلها غيلة بين سراي الديوانية ومحطة القطار يوم براعتها.

تمكن بسرعة خاطفة من اللجوء الى المفوضية المصرية ثم الى السفارة البريطانية التي أمّنت له الطيران الى مصر^(١٧).

ذهب أكثرية من كتب حول مصرع جعفر العسكري الى أن بكرأ كان يخشى من تأثير القتل على ضباط الجيش ليفسد عليه انقلابه بسبب يمت الى شعبيته ومدى محبة الضباط واحترامهم له^(١٨) وهذا التحليل في نظري بعيد جداً عن الواقع بوزن منطقي للدلائل والحقائق.

كان جعفر في الواقع يريد أن يلتقي بكرأ ليشنيه عما اقترفه لا غير ولم يكن ينوي بل ما كان بوسعه أن يجتمع بضباط الفرقة. فقد خرج وليس معه غير مرافق وسائق فاعترضه القتل في أرض براح وسلم لهم سلاحه الصغير طواعية. فكان رجلاً لا يملك نفعاً ولا ضرراً، ولا يقدم أو يؤخر في ما انتواه رجل الانقلاب. ولم تكن هناك ضرورة لقتله. وكان من السهل احتجازه حتى يتم الانقلاب. إلا أن بكرأ وجدها فرصة لتصفية حساب قديم، بسبب ذلك التقرير السري الذي كتبه جعفر حول الفظائع والقتول الجماعية وعمليات الإبادة في الفرات الأوسط^(١٩)

(١٧) بعد سنوات عديدة. سألت اسماعيل عباوي عمّا كانوا سيفعلون بنوري السعيد لو ظفروا به. فأجاب بصريح العبارة. كان لدينا أمر صريح من الياشا (يقصد بكرأ) أن نفتك به حالاً. وقد لحقنا به فعلاً لكنه كان أسبق منا بدخوله المفوضية المصرية.

(١٨) لم يدرك كاتب هذه السطور جعفرأ ولم يلقه مرةً واحدة لكنه سمع عنه من أصدقائه ومعارفه الكثير ومنهم الاستاذ عبدالمنعم وزير صاحب معجم المصطلحات العسكرية. والكل دون استثناء يجمع على سمو خلق فيه ودمائة وبساطة وخفة الروح وحبه الفكاهة والاستئناس بها وإن كانت تقصده، قالوا أنه كان يبحث عن الفكاهة بحثاً فان لم يجدها اخترعها لنفسه. رجل لا يعرف الحقد لنفسه سبيلاً. لم يوجه اليه ما يشينه بعد مقتله إلا بعض كسل وقلة اهتمام بالأمور طمس الى حد ما نشاطه الفكري وذكاءه وتوقه الى التتبع والمعرفة. شهدت له الأنسة كيرترود بل بتفوقه اللغوي. فقالت انه يتحدث بطلاقة بسبع لغات هي التركية والانكليزية والالمانية والفرنسية والعربية والفارسية فضلاً عن لغة الأم الكردية. وقالت أنها عجزت عن مجاراته في معظمهما. ما زالت اللسان تتناقل نوادره وحكايات عن ظرفه. وأذكر منها واحدة انه انتظم ايام كان وزير دفاع للوزارة النقيببية في ١٩٢٢ في مدرسة الحقوق المسائية. وفي درس للقانون الدستوري. أراد الأستاذ المحاضر (نسيت اسمه) مداعبته فقال له «جعفر پاشا، هيا عدد لنا واجبات وزير الدفاع! رد عليه جعفر على الفور: «هذا سؤال في غير محله، كيف غاب عنك اني جئت الى هنا لأتعلمها؟!»

(١٩) لم يكن جعفر وحده ضحية التقرير السري. فقد قُتل بسببه أيضاً ضياء يونس سكرتير مجلس الوزراء وهو نائب سابق وسكرتير مجلس الوزراء. قال سليمان فيضي: [المذكرات الطبعة ٣. الص ٤١٢-٤١٣] جاغني ضياء (يونس) بعد الانقلاب بايام قلائل وهو بادي القلق والارتباك وقال لي إن بعض الضباط دخلوا مكتبه وطلبوا منه إحضار إضبارة تتعلق بالتهم التي نسبت الى بكر صدقي في عهد الوزارة السابقة والتحقيق الذي جرى بشأنها بقصد اتلافها. فلما أخبرتهم «بأنه لايعلم من أمر تلك الاضبارة شيئاً توعدوه بالقتل إن هو لم يحضرها ثم خرجوا» فنصحته بالاقامة في داري هو واطفاله ريشما ينجلي الموقف... كان يخشى أن يصيبيني ضرر بسببه فصمم على الخروج رغم معارضي الشديدة فأرسل اهله الى الموصل وعاد الى داره ومرت ايام دون أن يحدث حادث مكر. وفي ذات مساء تربص له اربعة رجال في سيارة بالقرب من داره في السعدون (حي من أحياء بغداد) فلما خرج ماشياً انهال عليه الرصاص من =

كان جعفر لا يمثل أي خطر على الانقلاب. وكان بكر بوسع أن يبقي على حياته ويبعث به الى الخارج كما فعل بالآخرين. إلا أن القسوة وعامل الانتقام الشخصي كان الدافع الأول والآخر. ولدنا عن كيفية مقتله روايتان. اولها نقرأها في كتاب اليافي^(٢٠) وهو أسبق الرواة، وثانيتها وهي رواية وثقت بالشهادات العيانية لمن بقي حياً من لاعبيها^(٢١). وتتفق كلتاها على أن أمراً صريحاً من (بكر) صدر للضباط الاربعة أو الخمسة بقتله. ومن خلال اجتماع لضباط الفرقة أمر به، قام هو بانتقاء الضباط المكلفين بالمهمة وعينهم بالأسماء^(٢٢) وبعث بهم.

= كل جانب وتقدم أحد القتلة والقي بالجتة في الساقية المحاذية للشارع... انتهى دور ضياء وجاء دوري وبالبريد وصلتني رسالة تهديد بالقتل من الجمعية السرية ولم تكن هذه الجمعية في الحقيقة إلا زمرة من أعوان الدكتاتورية. امهلتي الجمعية المهومة في رسالتها ثلاثة أيام تكفي لحمل حقايمي ومغادرة بغداد وفي حالة رفضي فاني سألقى حتفي كما لقي (ضياء) حتفه...».

(٢٠) عبدالفتاح أبو النصر اليافي: «العراق بين انقلابين، ط. بيروت ١٩٣٨، الص ٢٤-٢٨».

(٢١) مجلة آفاق عربية بغداد، العدد ١٢ في آب ١٩٨٠.

(٢٢) سأنبت ما جاء في الروايتين جوهرياً. بعد حذف العبارات الوصفية، يقول اليافي: قال بكر صدقي لضباطه المجتمعين «إن جعفرأ قادم برسالة من الملك فمن يقتله؟» فطأط الجميع رؤوسهم وكان أول المجيبين المقدم راستم سردست (ينوه به جعفر العسكري في مذكراته، المرجع السالف، ص ١٣٠، وهو من الملحقين بثورة الشريف) الذي رفع رأسه وقال لبكر «لاتصبع مطلع عهدك بدم العسكري يا باشا». فألقى عليه (بكر) نظرة ازدراء، ثم تقدم منه فأمسك بكتفه وهزه هزاً عنيفاً وتناوله بضربة قوية أوقعته على الأرض... ثم عاد يتمشى وهو يصرخ «لاتتدخل فيما لايعنك». وراح يوجه الى كل الضباط هذا السؤال «هل تقتله أنت؟» فكان يجيب كل منهم «نعم» فترتب عليه أن ينتقي ونظر الى اسماعيل عباوي وقال له «أنت» ثم الى الضابط لازار وقال «وأنت أيضاً» ثم الى جمال جميل «وأنت» ثم الى الضابط السائق جواد حسين «وأنت» فركب هؤلاء وانطلقوا لأداء المهمة حتى رأوا سيارته قادمةً وأماوا اليها بالوقوف واخذوه معهم حتى وصلت بهم الى خيمة منصوبة فأدخلوه فيها وفي أقل من لمح البصر وقع جثة هامة. ابي (بكر) إلا أن يتحقق من قتله فأرسل سبعة من الضباط للتأكد.

إلا أن «آفاق عربية» تثبت شهادة الضابط الرابع الذي أختير للتنفيذ وهو الملازم جواد حسين (الضابط السائق في رواية اليافي). قال: «كنا مجتمعين حوالي ثلاثين ضابطاً في مقر بكر باشا. واذا بجندي (ربما نائب العريف خليل اسماعيل) جاء اليه وهمس في أذنه فظهرت عليه امارات التأثر والهيلاج الشديد، ولم يتمالك نفسه. فبين لنا أن جعفرأ قادم الينا فمن يقتله؟ فلم يجبه أحد، ثم كرر القول فلم يجبه أحد أيضاً. التفت يميناً ويسرة فرأيت المقدم جميل فتاح واقفاً الى جانبي فقلت له بصوت خافت «ماكو هناك غير القتل؟ إنفيه، أحجزه» فردد المقدم جميل فتاح كلامي هذا بصوت مسموع «أي صدك باشا، ماكو غير القتل؟ إنفيه، احجزه» فأجابه بكر صدقي غاضباً «لعد شنسويله جنابك؟» ودون أن يعطيه فرصة قال له «تفضل أنت»، وأشار الى جواد (حسين) والحق بهما جمال جميل والرئيس الأول لازار وطلب الينا الذهب حلاً لقتل جعفر باشا. فركبت انا والمقدم جميل في سيارة وتبعنا السيارة الأولى التي كانت تقل الملازم جمال جميل والرئيس لازار حيث لم تكن نعلم الجهة التي تقصدها بالضبط. وبعد مسيرة رأينا الملازم اسماعيل توكله (عباوي) متأبطاً (ذراع) المرحوم جعفر باشا وهما يتمشيان فنزل الملازم جمال جميل وتبعه الرئيس الأول لازار وأنا والمقدم جميل واستدرت حول السيارة لأعيق سيرتي كي لااشترك في الجريمة المرتقبة وكذلك فعل المقدم جميل فتاح وإذا بجمال جميل يصب فوهة مسدسه نحو جعفر =

ولاتختلف الروايتان إلا بالقليل من التفاصيل. وجرت محاولات اغتياالات عدة ضد لفيف من الشخصيات السياسية نجح بعضها مما حمل الكثيرين على التسلل خارج البلاد. وادعى حكمت سليمان فيما بعد أن بكرأ عرض عليه قائمة تتألف من ستين اسماً اراد التخلص منهم بتصفية جسدية عامة فادعى حكمت أنه بذل جهداً لحمله على العدول مهدداً بالاستقالة^(٢٣). لأدري كم كان (بكر) يدرك بأن ضباط الجيش هم الخطر الحقيقي عليه وعلى نظامه، وليس المدنيين.

واصطنفى لنفسه فئة من صغار الضباط أناط بهم المسؤولية المزدوجة: حمايته وأدوات تنفيذ عمليات الفتك بالخصوم ومنهم أولئك الذين غمس ايديهم بدماء مذابح آب والفرات الاوسط وجعفر العسكري ليغدوا قتلته محترفين. أباحوا لأنفسهم في بغداد من الكبراء ما صار حديث الشارع^(٢٤).

= وأطلق عياراً نارياً = = فالتفت جعفر حالاً وصاح «لا... لا» وخرّ صريعاً مضرجاً بدمائه. وحيث كنا نخشى ملامة بكر صدقي لعدم اشتراكنا فأطلق كل منا طلقة بجانب القتل تنفيذاً للأمر».

(التقرير العدلي الذي نظم على اثر تشريح جثة جعفر أثبت انه أصيب بخمس عبارات نارية) أنظر خلاصة لتقرير المحقق العدلي الذي اشار صراحة بأن المتهمين الخمسة (ضمنهم اسماعيل عباوي) قد اعترفوا بارتكاب الجريمة بأمر صادر من رئيس اركان الجيش بكر صدقي. وطلبوا غلق القضية بحقهم استناداً الى قانون العفو العام الذي أصدرته حكومة حكمت سليمان. فأطلق سراحهم. بالمناسبة أرى أن أنقل تليلاً عجيباً للسبب الذي حدا بجعفر الى الخروج وحده أورده توفيق السويدي [وجوه عراقية عبر التاريخ. لندن ١٩٨٧ - ص ٤٤٧] بدا فيه جعفر وكأنه لقي جزاءه العادل لقاء طموحه. قال «كان من مفهوم جعفر (بعد توجه الجيش الى العاصمة) أن الأمر سيتم وفق رغبته بالتخلص من رشيد (عالي) ياسين (الهاشمي) فسعى لدى الملك ومجلس الوزراء الى أن يحمل كتاباً خاصاً من الملك الى الجيش الزاحف لوقفه قبل دخوله العاصمة وهذا ما كان يظهره شكلاً وقولاً. لكنه كان ينوي في الحقيقة أن يلحق بالجيش لتقلد قيادته ويدخل معه العاصمة وقد خاب ظنه. إذ فاته أن يعلم أن بكر صدقي القائد كان قد استحوز على برقية أصدرها جعفر بصفته وزيراً للدفاع يطلب بها من المناطق العسكرية التابعة له اتخاذ كل الاجراءات لمناهضة الحركة التي يقوم بها بكر صدقي. فكانت لعبته ذات الوجهين قد قربت من أجله. (البرقيات التي ينوه بها المؤلف تراجع في الحسني ج ٤ الص ٢٤٥-٢٤٦).

أراء كهذه مبعثها عداة شخصي أو غرض معين تزهدي كثيراً في الركون الى مذكرات ساسة العراق، وقد رأيت أن لأفرط بوقت في مناقشتها واطهار زيفها الواضح ازاء ما حصل فعلاً.

(٢٣) لم تنجح محاولة قتل مولود مخلص (عضو مجلس الأعيان ورئيس مجلس نواب سابق) فقد بادل القتل اطلاق النار وأرغمهم على الفرار إلا أنه ترك العراق خلصة خشية التكرار. وأجهز القتل على شقيق جعفر، نائب بغداد علي رضا العسكري، عندما نمي الى بكر بأنه هدد بالثأر لشقيقه القتل. أعتيل في داره رماً بالرصاص حين اذاعت الحكومة أنه انتحر، وفشلت محاولة اغتيال (جميل روجي) مرافق ياسين الهاشمي ونجا بطعنة سكين غير قاتلة.

(٢٤) أطلق هؤلاء الضباط العنان لغرائزهم دون حدود وكتب عنها بعد زوال عهد بكر. ولم يكن هناك من سبيل لتغطية بعضها حتى في ايامه. ومنها حادثة المغنية المصرية التي كانت تؤدي دورها في أحد «الملاهي» البغدادية. عندما امتنعت عنهم، تعقبها ذات ليلة كل من لازار بردروس واسماعيل عباوي، وعلي غالب الاعرجي وجمال جميل الى الفندق الذي كانت تنزل فيه مع والدتها. واقتحموا عليها الغرفة وراحوا =

كيف استقبلت المحافل البريطانية الانقلاب. وقيام دكتاتورية عسكرية جديدة لا عهد لهم
بمثلها في البلاد الناطقة بالعربية؟

كان بكر قد خصّ بكثير من الاهتمام عند البريطانيين واحتل منزلة خاصّة منذ أن استخدم
عميلاً لهم ويتوصيتهم دخل الجيش العراقي وأختير لدورات عسكرية للضباط الاقدمين في
كلّ من الهند وبريطانيا. إلا أن مكانته هبطت فجأة بعد مذابح آب. وتحت ضغط الرأى العام
البريطاني طالبت الحكومة البريطانية بمحاكمته مع الضباط الأعوان الذين شاركوا في تلك
المذابح. إلا أنّ (بكر) كان اذكى وابعده نظراً من أن يربط حصانه وهو معصوب العينين
بالبريطانيين بعد تجاوز الأزمة في ١٩٣٣، مفضلاً ربط مصيره برجال الحكم العراقيين الذين
دافعوا عنه بحمية وجنوه صولة الرأى العام الدولي والبريطاني خاصة بل اغرقوه بالترقيات
والامتيازات والمنح.

وكان من سياسة بريطانيا في العراق بعد دخوله عصبة الأمم وانتهاء الانتداب والتعويض
عنه بمعاهدة - أن تسحب نفسها تدريجاً من التدخل في شؤون البلاد الداخليّة. والنائي ما
أمكن عن الصراعات والمؤمرات الداخلية بين الشخصيات والكتل السياسية طالما كانت
المعاهدة في مأمن، وطالما يبقى الفائز يصرّح فور تشكيله الحكومة بحرصه على علاقته مع
الحليفة وتطبيق المعاهدة نصاً وروحاً.

هكذا فعلت الوزارة التي أمر الدكتاتور الجديد بها. بل بدا حقاً ينوي السير على خطوط
السياسة البريطانية، مع التعاون الوثيق ولاسيما في المسألة التي كانت تقلق بال البريطانيين
كثيراً أعني الخطر الشيوعي وانتشار المعتقدات الشيوعية في البلاد. وتحتفظ دار الوثائق
البريطانية برسالة كتبها السفير البريطاني ببغداد الى وزير الخارجية مؤرخة في ٢٩ تشرين
الثاني أي بعد شهر واحد من وقوع الانقلاب. أورد فيها تصريحاً لبكر في مقابلة له مع

= يواقونها غصباً واحداً إثر الآخر أمام عيني أمها. لم يكن بالامكان التستر على الجنابة بعد أن قصدا
المفوضية المصرية التي وجهت إحتجاجاً شديد اللهجة وهددت بفضح القضية في الصحافة المصرية. ثم تم
ترضية المغنية بمبلغ الف دينار (وهو مبلغ ضخم جداً أيامذاك) وسفرتا فوراً الى مصر. (يغلب على ظني
أن الحكاية وردت في أحد كتابين. أحدهما لطالب مشتاق «الذكرى والعبارة أيام النكبة ٢٩ تشرين الأول
١٩٣٦ ط. بيروت ١٩٣٦». أو كتاب يوسف ابراهيم يزبك (المحررون. ط. بيروت ١٩٣٨). ومن اوراقي
ابيات اربعة من قصيدة للشاعر النجفي الشهير عبدالحسين الأزري يصف فيها أحوال ذلك العهد ورجاله.

أضحكتنا وربّ ضحك بكاءً	فترة من زماننا رعناء
فترة ضاعت القيايس بين الـ	ناس فيها وسادت الاهواء
لمة من بني الشوارع عاشت	حيث عاش الاعيار واللقطاء
حشرات طلعت من لقطات الـ	أرض لما استتبت الظلماء

مراسل جريدة النيويورك تايمس:

«سياستنا ازاء الانكليز سياسةً وديّة. علاقتنا بهم ترجع الى عشرين سنة. وقد
عرفونا ونحن بدورنا نعرفهم والصديق الذي تعرفه خير من الذي تجهله ولو تخلوا
عنّا فسوف نلاحقهم ونحاول إعادة علاقتنا بهم»

لم يفعل البريطانيون شيئاً لزعزعة النظام الجديد وتابعوا بعين الرضى والارتياح الاجراءات
الصارمة التي اتخذها بكر شخصياً ضدّ اليسار الناشط في النقابات، وحملة الافكار التقدمية
عموماً عندما تحدّثه بالاضراب العام.

وفي ١٧ من آذار ١٩٣٧. استدعى بكر روفائيل بطي صاحب جريدة البلاد ليذلي بتصريحه
الخطير ضد العناصر الديمقراطية والتقدمية واليسارية وغيرها التي تمثلها جماعة الاهالي تحت
ستار مهاجمته الشيوعية والشيوعيين كان سهماً موجهاً الى قلب جماعة الاهالي من غير
شك. وقد تبين مساعيهم المحمومة للحيلولة دون قيام حكم فردي أو دكتاتورية شبيهة
بدكتاتوريات أواسط اوروا وأمريكا اللاتينية، مستندة الى قوة الجيش. وهو خطر ماثل فعلاً
بشخص بكر صدقي رئيس الانقلاب. يذكر حسين جميل:

«فسر هذا الحديث على أن المقصود به جماعة الأهالي لأنهم هم الذين عرفوا
بالنشاط اليساري والتقدمي والديمقراطي. أما الشيوعيون الذين كان قد تألف لهم
حزب في العام ١٩٣٤ فلم يكونوا ظاهرين للرأى العام. ولم يكن الكثيرون
يعرفون عنهم شيئاً» (٢٥)

(٢٥) الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥-١٩٤٦ موقف جماعة الأهالي منها ببغداد ١٩٨٣ ص ٣٣٥. أنظر نص
الحديث في آخر هذا البحث. نشر في العدد ٨٢١ من جريدة البلاد في ١٨ من اذار. يشير بكر فيه
بصراحة الى انه حاكم البلاد الفعلي المطلق بتأكيده على الوصف الذي اتخذته لنفسه عند شروعه بالانقلاب
لا بوصفه رئيساً لأركان الجيش. وهو حديث سياسي صرف لايجوز دستورياً لرئيس اركان الجيش.
وسياخذ من النص انه لايرى ثمة تناقضاً بين هذه الصفة التي أصر عليها وبين تأكيده في آخر الحديث
على صيانة العرش والملكية في العراق. فدكتاتورية موسوليني القائمة آنذاك بقيت محتفظة بالنظام الملكي
مظهراً الى الأخير. ومن الصعوبة بمكان استخلاص موقف معين للملك غازي من الانقلاب عموماً بسبب
حالته العقلية المعروفة. بل من تحديد موقف لبكر صدقي ازاء النظام الملكي لو امتد به الأجل. يدعي
محسن ابو طيبيخ في «المباديء والرجال ط. دمشق ١٩٣٨ الص ١٠٥-١٢٢» ان بكر صدقي طلب منه
العون لتنفيذ خطته في إقصاء الملك واغتيال بعض القيادات السياسية ويورد «الحسن» ما يفيد بأن الملك
كان على معرفة مسبقة بالانقلاب ولم يفاجأ به وعلته هي أن الملك اراد بشكل ما أن يتخلص من القيود
التي فرضها ياسين الهاشمي على تصرفاته الصبانية، ومنع عشراء السوء والاوشاب من الناس من اللقاء
به. في حين كتب السفير كلارك كير لوزير خارجيته في رسالة مؤرخة في ٢٥ من كانون الثاني ١٩٣٧
(بعد مقتل بكر) خلاصة لحديث له مع الملك. الذي قال له «من بين الأوراق التي عثر عليها عند (بكر) =

وبطبيعة الحال لم يكن هناك اعتراض على الخطوة الخاصة التي تمتع بها دبلوماسيو المانيا وايطاليا من لدن زعيم البلاد الجديد. ففي تلك الفترة كانت سياسة بريطانيا الثابتة ازاء ألمانيا النازية وايطاليا الفاشية جزءاً من سياسة تقوية الحزام الأمني ضد الطغيان الشيوعي المحتمل. بل تابعت السفارة البريطانية لا بعين الاغضاء بل ربما بعين الرضا تلك الصداقة الوثيقة التي ربطت بين (بكر) وبين الدكتور فريتز غرويه الوزير المفوض الالماني والعضو المتقدم في الحزب النازي. ولم تثر أي اعتراض في مسألة كانت الى حينه تعتبرها حكراً عليها عندما واصل بكر موضوع شراء أسلحة حديثة للجيش من ألمانيا. كما أرسل مبعوثه الخاص لعقد صفقة اسلحة مع ايطاليا. بالمناسبة كتبت صحيفة الهيرالد تريبيون اللندنية في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) مقالاً افتتاحياً بعنوان: ألمانيا وراء الانقلاب العراقي.

ويخطوة حاذقة منه راح يتقرب من القوميين العربيين كثيراً واشتدت أواصر الصداقة القديمة التي كانت قد نشأت قبل سنين بينه وبين المفكر القومي ساطع الحصري وكثيراً ما زاره في داره وبقي الحصري معجباً به. وسعى كثيراً للتقرب الى أعضاء نادي المثني القومي^(٢٦). كان الوزيران المفوضان الالماني والايطالي لا يدعان فرصة إلا انتهزها ليظهرها معه ويحضرها حفلاته. وبدا واضحاً رغم قصر اجله ما صورته لنفسه في المستقبل. متخذاً من الشاه رضا بهلوي ومصطفى كمال أتاتورك وادولف هتلر وبنيتو موسوليني نماذج له حية ناجحة^(٢٧).

= مشروع لإقامة دكتاتورية والتخلص من الملكية والقضاء عليه E 40 (172-45-93) F.O. 371-218.

(٢٦) تأسس في ١٩٣٥. ورئيسه الدكتور صائب شوكت (وهو اخ لاجي وسامي) ونائبه محمد مهدي كبة (رئيس حزب الاستقلال في ١٩٤٦، وعضو مجلس السيادة بعد ١٤ تموز) وعضوية الدكتور متي عقراوي وخالد الهاشمي ودرويش المقدادي والمقدم محمد فهمي سعيد (من ضباط حركة ايار ١٩٤١ الاربعة). والدكتور صبري رشيد، وعبدالرحمن البزاز (رئيس وزارة في ١٩٦٦) يقول هذا الأخير (كتابه: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال. ط بغداد ١٩٦٧ ص٢٣٨): «رأى هذا الفريق القومي الذي انشأ النادي أن طريق الخلاص لايتأتى باصطناع الاشتراكية والمباديء اليسارية المستوردة قدر ما يتأتى من بعث قومي شامل». ويعمل محمد مهدي كبة سبب تأسيسه (كتابه: مذكراتي في صميم الاحداث، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٥ ص٥٤): «راحت بعض الفئات (اليسارية) تنحو بهذه المباديء منحى عالمياً محضاً من شأنه أن يصرف النشء الجديد عن تاريخ امته ومقومات قوميته ووطنيته. فرأى فريق من الشباب العربي المثقف ضرورة مواجهة هذا الخطر الواقد الذي يهدد قوميته وتراثه... وعلى هذا الأساس ولتحقيق هذه الاهداف انبرى هذا الفريق لتأسيس نادي المثني ابن حارثة الشيباني». من أهداف النادي المعلنة. نشر الثقافة وإحياء التقاليد العربية وابقاظ شعور المواطن العربية. ومما كان يطالب النادي به احتثات أمانة العاصمة على ابدال اسماء الفنادق والمحلات العامة بأسماء عربية.

(٢٧) من [ثورة رمضان المبارك] للصحافي الملقب بالسائح العراقي يونس بحري. دار الاندلس. ١٩٦٣. ص٢٥: «كنت في بغداد أصدر جريدتي (العقاب) المسائية اليومية. وكان مكتبي يعج مساء كل يوم بالاصدقاء من عراقيين ومن لاجئين عرب من مختلف الاقطار. ومن جملة الاصدقاء الخالص الذين كانوا يزوروني الفريق بكر صدقي الذي نال شهرة فائقة بقمعه ثورة الأشوريين في ١٩٣٣. وكنت قد تعرفت عليه في الموصل =

لم يخلف بكر صدقي أية أوراق أو وثائق شخصية لا حول نياته بالعرش الهاشمي كما ادعى الملك. ولا حول أي خطوة انتهجها أو انتواها خلافاً لمذمبات طائفة من الكتاب تناولت حياته أو وقائع منها. وربما كان يونس بحري أقرب الناس الى الحقيقة عندما ادعى بأن الحقيقة التي كان يحملها وهو في طريقه لزيارة رسمية لألمانيا. حوت مسودات اتفاقات صفقات السلاح. وهذه الحقيقة هي التي طال الجدل حولها وحول إختفائها بشكلٍ محير^(٢٨).

لم يخلف بكر أية وثائق شخصية. وقد أيدت الوقائع أنه كان رجل السر البارح في إخفاء نواياه وما يضمه، ألتاجح أبعد حدود النجاح في فن المخادعة ورجل السر الذي لايشق له غبار القليل الكلام، البارح في إخفاء نواياه حتى على أعرف الناس به وأقربهم اليه. وفي شهادة (رشيد عالي) الكفاية وقد أثبتناها.

وجدناه يُعهد لمذبحه أب بإبعاد الضباط البريطانيين المراقبين عن وحداته، ويلزم مقرّ منطقتة أثناء المذابح، ويجتنب القلم ويصدر أوامره شفاهاً. وقد كشفت مذكرات طه الهاشمي مدى اجادة بكر في حيازة ثقته وآية ذلك اسناد وكالة رئاسة اركان الجيش اليه أثناء غيابه. وإثبات زهده في الخدمة بتقديم استقالته.

ونجح ايما نجاح عندما استطاع خلال فترة قصيرة من الزمن وكما يتبين من دراسة التقارير التي ترفعها السفارة البريطانية لوزارة الخارجية المحفوظة في دار الوثائق البريطانية، ان الوايت هول لم يتوجس خيفة قط من الانقلاب واعتبره جانباً من جوانب التناحر الداخلي مع السلطة لايمس مصالحهم بل يحميها فحرصوا على حياته. وحذرهُ السفير البريطاني من مؤامرة لاغتياله أكثر من مرة^(٢٩) قبل سفره الى الموصل.

= عملتُ بقيادته عندما كنت رئيساً لكثائب الشباب المتطوعين لمؤازرة الجيش العراقي. وكان المقدم محمد علي جواد قائد السلاح الجوي العراقي من زملائي في الدراسة ببغداد... كانت علاقتي منذ سنة ١٩٣٠ متينة بالدكتور كوبلن وزعيمه هتلر وكنت أذهب الى برلين وميونخ في صيف كل عام للترويج عن النفس. وفي ١٩٣٥ ذهبت الى برلين برفقة الفريق بكر صدقي وعرفته على بعض قادة الجيش الالماني الذين أعجبوا به كقائد عربي مُلمٌ إلماماً واسعاً بالتعبئة وسوق الجيش... وهناك أقنعت المرحوم بكر صدقي بلزوم تدخل الجيش لتغيير الاوضاع في العراق». (وجاء في ص ٢٨ من المرجع بالذات) «إني انا الذي أوحيت له بفكرة الانقلاب عندما كنا في برلين يوم أن عرفته على بعض قادة الرأي والجيش الالماني (الكاتب معروف بالفخر والمغلاة بإنجازته وأفكاره وقد تقدم ذكر ذلك عنه). وأنا الذي زوجته من فتاة ألمانية من فيينا... وعندما كان يقود الجيش العراقي لسحق ثورة الأشوريين أظهر لي بأنه تشعب بالروح العربية ولكن ما أن صار الحاكم بأمره في بغداد حتى أصبح عدواً لدوداً للقومية العربية» (وجاء في ص ٣٠) «أن بكر صدقي كان يحمل معه مسودات الاتفاقات مع ألمانيا لتسليح الجيش العراقي لتوقيعها في برلين عندما قتل في الموصل».

(٢٨) أفاق عربية. المرجع السالف.

(٢٩) الحسن ج ٤ ص ٣٦٦ (المرجع السالف). لم يقدم البريطانيون على عملٍ يشير الى قلقٍ من النظام =

لم يكن من الحمق والسذاجة قطّ لِيُفضي بنواياه المستمرة لأحد. ولذلك بدا سليماً وتحت ضغط الدلائل - نعلن رفضنا القاطع لما أشاعه عنه الضباط القوميون من تقريبه الضباط الكرد وإبعاده الضباط العرب. وكذلك رفضنا القاطع لما ادعاه الدكتور كرويه الوزير المفوض الألماني في مذكراته حول نيّة (بكر) في العمل على إقامة دولة كردية مستقلة.

حول الإشاعة الأولى، حاولنا عبثاً أن نجد أحد المتقدمين بهذا الادعاء يدعم زعمه بدلائل. أو بايراد مثل واحد يؤيد الزعم في حين أننا وجدنا من الدلائل خلاف ذلك. فقد كان جميع الضباط المقربين منه عرباً ليس بينهم كردي واحد^(٣٠).

ومن ادائه «بالكردية» من العرب. خصوصاً شارك بعضهم في قتله. قال طه الهاشمي «انه يحمل فكرة كردية» وقال صلاح الدين الصباغ «لايعترف بعروية العراق ومن دعاة القضية الكردية والمتعصبين لها.»

ومن مفارقات الدهر، أن هذه الكذبة أنظلت على عددٍ من الوطنيين الكرد فأمنوا بها وأزلوا (بكرًا) في القضية الكردية منزلة لا يستحقها مطلقاً!!

كان الرجل يعمل لحسابه ووجد في الانحياز الى العروبة والتقرب من القوميون مصلحة له فأقدم على ذلك كما رأينا، وراح يوثق صلته بدعاة القومية المعروفين وقتذاك. وأدخل اثنين

= الجديد وتركوا كل شيء يسير في مساره الطبيعي حتى أنهم تخلّوا تماماً عن صديقهم القديم نوري السعيد ورفضوا التعاون معه للإطاحة ببكر صدقي. راجع الوثيقة. F.O. 371-20015 P 235. PRO. (٣٠) وجدت بعد التحقيق المضمني أن كل من لصق ببكر من الضباط ومخضوه ودهم واعتبروا من كتلتهم هم عرب. وأولئك هم من ورد اسمه في كل ما كتب عن الفترة، أثبتهم هنا بالأسماء: المقدم شاكر الوادي، المقدم اسماعيل صفوت. المقدم محمد علي جواد، الرئيس علي غالب الأعرجي. المقدم يوسف العزاوي الرائد خليل مخلص. النقيب سعدي يوسف. الرئيس الطيار موسى علي. الضباط الخمسة المرافقون الذي أمروا بقتل جعفر العسكري وتنفيذ الاغتيالات. الضباط المشايعون الذين وردت اسمائهم في آفاق عربية (العدد ٢، في تشرين الاول ١٩٧٧) وهم العقيد أحمد حمدي زينل. المقدم أحمد فخري عبدالله. الرائد محمود جلال. المقدم احمد الحاج ايوب. الملازم حسين فوزي الخيال. الملازمون الطيارون رشاد الياور. وأحمد عزيز وفؤاد علي ومحمود الحاج أيوب. الزعيم اسماعيل حقي الأغا. اللواء الحاج رمضان، هؤلاء كلهم ضباط عرب. لم تشمل معظمهم عملية التطهير لانصار بكر بعد مقتله. ولم أجد بين من وقفت عليه من الضباط الكرد أثناء بحثي هنا، غير اسماء ثلاثة لم يُذكر أي منهم بعلاقة خاصة أو بامتياز خص به منه وهم المقدم بهاء الدين نوري. والمقدم نورالدين محمود والرائد رفيق عارف. والأول منهم ذكر عرضاً في مهمة عسكرية صرفة. والاتان الأخيران نوه بهما لأنهما كانا من ضمن الوفد العسكري المرافق لبكر بمناسبة زيارته الرسمية لتركيا وألمانيا. مما يؤكد أن هؤلاء الثلاثة لم يكونوا من حاشية بكر أو المتحمسين له أن عملية التطهير لم تشملهم بعد زوال عهده. هم ضباط مسلكون ربما كان انتقاؤهما لوثوق بانهما غير منحازين الى جهات تاتمر به. وبقي اولهما يمثل منصباً رفيعاً حتى ١٤ تموز ١٩٥٨. في حين أصبح نورالدين فريفاً ورئيس وزارة ١٩٥٢ وكان رفيق عارف رئيساً لاركان الجيش يوم ١٤ تموز.

من كبار الشخصيات القومية في التعديل الوزاري (بعد إستقالة صالح جبر والچادرچي وأبي التمن ويوسف عزالدين) هما علي محمود الشيخ علي ومحمد علي محمود. وجمعت من قبل السلطة الجديدة من الأسواق فور صدورها كراسة تتحدث عن حقوق الأكراد ونضالهم في سبيل حريتهم ووجوب تمتعهم بالمواطنة العراقية على حدّ سواء مع اخوانهم العرب^(٣١).

على أن الإشارة التي باتت الأكثر اثاراً للجدل وردت في مذكرات الدكتور فريتز كرويه^(٣٢) أبي النازية في العراق. والوزير المفوض الألماني الذي التفت حوله القوميون العرب طوال مدة خدمته المديدة في العراق. نقل الاستاذ فجة فتحي صفوت الجزء الذي ورد فيه عن العراق ومنه هذه الفقرة العظيمة الدلالة:

« كان بكر صدقي يزورني يومياً تقريباً لبحث موضوع شراء الأسلحة وفي أحد الأيام قال أنه يودّ أن يستقدم ضابطاً ألمانياً من ضباط الأركان يعهد اليه مهمة وضع خطة للدفاع عن كردستان. وعلى أثر ذلك حضر الى بغداد (س. هاينتز) وهو ضباط كبير متقاعد منتحلاً صفة جيولوجي... فطلب اليه بكر صدقي أن يقدم له اقتراحات للدفاع عن كردستان على نطاق واسع وعن مقاومة أي هجوم محتمل من الجانب الايراني. وتنفيذاً لرغبة بكر صدقي سافر (هاينتز) الى حدود ايران للاطلاع على وضع الحدود وتكوين فكرة عن العدو المحتمل. كما ذهب الى كردستان مرتين وتحادث هناك مع شيوخها وأغواتها في موضوع الدفاع واختيار مواقع استراتيجية. وتباحث مع بكر صدقي في كيفية تأسيس جيش كردي والاستعدادات اللازمة لتسليحه وتموينه...»

... وعندما كان يتصل بي ويحدثني عن خطته في الدفاع عن كردستان. أخبرني أيضاً وبصورة (سرية) انه كردي وانه يهدف الى خلق دولة كردية تضم السكان الأكراد في العراق وتركيا وايران وأن هذه الدولة يجب أن تكون قادرة على صيانة إستقلالها من اعتداءات جيرانها. وأن هذه القضية مهمة لديه لأنها في قلبه. ويبدو أن بكر صدقي قد صرح بهذه الفكرة ليس لي فقط وإنما صرح بها للآخرين.

(٣١) ظهرت في بغداد العام ١٩٣٧ بتوقيع عُقل ومؤلفها الحقيقي هو الأستاذ ابراهيم أحمد. مما ذكره لي أنه وأصحابه من الشباب القومي الكردي استتبشروا بوجود شخصية كردية على رأس الانقلاب فخاب قائلهم عندما أخذ رجال الأمن يجمعون الكراسه وأطلق بكر بهذا تحذيراً يحظر اي نشاط قومي كردي.

(٣٢) «د. فريتز كرويه الرجال والسلطة في الشرق Dr. Fritz Grobba: Mannes und Macht im Orient فرانكفورت. ص ١٧٣. [قام فاروق الحريري في ١٩٧٩. بترجمة الكتاب كاملاً. بمساعدة وزارة الثقافة في بغداد].»

أما تصريحه بأنها يجب أن تكون قادرة على الدفاع عن نفسها ضد بغداد في حالة احتلال الانكليز اياها فكان من قبيل التغطية فقط... وهذا يفسر عداة القوميين العرب له كما يفسر اغتياله. »

ثم يعود ليؤكد في فقرة أخرى ما ذكره:

«وكما سبق فبينت كان بكر صدقي يرمي الى هدف آخر وهو خلق كردستان مستقلة ولهذا كان يعمل على تأليف جيش يحتوي على عناصر كردية. »

هذا الضرب من التصريحات لا يمكن أن يصدر من شخص مثل بكر صدقي أطبق كل من كتب عنه ومن عرفه على حيازته قابلية فذة في كتمان ما يضمرة وتناجحت خطواته الوئيدة السديدة بكل دهاءٍ وحيلةٍ وقدره على الكتمان والتغطية لتحقيق انقلاباً عسكرياً فريداً من نوعه. ومهما بلغت درجة إمام القاريء بتاريخ العالم في ذلك الزمان وارهاساته السياسية، بل مهما كان قليل الاحساس بالتناقض من الأمور، وبما لا ينسجم مع المنطق السليم، يتعذر عليه أن يتصور كلاماً كهذا يُفرضي به سيّد مطلق على شؤون بلاده لدبلوماسي وعميل نازي معروف. وهو سرٌّ من أخطر الأسرار في عالم حافل بالدساتيس السياسية والتكتلات الدولية، عالم ١٩٣٧. وكيف يتصور أن تبلغ ثقة هذا الدكتاتور الحذر على نظامه وحياته بصديقه، أو الغفلة به، ليضمن أن لا يقوم صديقه هذا بكتابة تقرير لحكومته بما سمع. وهو من صميم واجباته الدبلوماسية. قد لا يقامر بمركزه وحده بل بمستقبله وحياته لو كنتم ما سمع أو تأخر لحظة واحدة عن اعلام مرجعه بوزارة الخارجية، اكراماً لثقة أودعها فيه صديقه الدكتاتور. ثم كيف يمكن أن يتصور (بكر) بأن صديقه هذا سيحفظ «السر». أو يتصور بأن الحكومة الالمانية في حالة وقوفها عليه ستعمل على ابقائه سرّاً. ولا تستخدمه ورقة رابحة في مجال علاقاتها الوثيقة ايامذاك بالنظامين التركي والايرواني؟ نوايا بالغة الخطورة على كيانهما السياسي في محاولة عراقية أو كردية لفصل جزءٍ كبير من بلديهما لتكونا جزءاً من دولة كردية جديدة؟

قال «گرويه» أن ما أفضى به بكر حول خلق دولة كردية هو «سرٌّ»، ثم نسي بعد قليل ليقول أن آخرين كانوا أيضاً مطلعين على هذا «السرِّ». وأنه لم يكن الوحيد الذي خصّ بهذا الامتياز. الدبلوماسي الألماني لم ينوه باسم واحد من هؤلاء الآخرين، ولم يدع أحد لا قبل گرويه ولا بعده وقوفه على مثل هذه النية من (بكر). وتحدث عن الخبير العسكري الجنرال المتقاعد (هاينتز)^(٣٣) لغرض الاستعانة به على استحداث «جيش كردي». والاجراءات (٣٣) استقدم Generalstabs Oberst A.D.R. Heins فعلاً تحت غطاء خبير جيولوجي. [ليس في هذه الرتبة الرقيقة في القيادة الالمانية مقابل في الجيوش الأخرى].

اللازمة «لتسليحه وقوميه». وزعم أن هذا الجنرال قام بجولات في كردستان وأعد خطة دفاعية لهجوم ايراني على كردستان وأن هذا الجنرال تحدث كثيراً مع شيوخ المنطقة في هذا الموضوع وقال انه «حاول مراراً التأثير على بكر ليشنيه عن موقفه العدائي ضد بريطانيا وخطه ضدّها».

وكلّ هذا خلط وهلوسة. فقد رأيناه يعمل ما في وسعه لاطهار ولائه للبريطانيين وحرصه على السير في نطاق سياستهم الخارجية في مهادنة النازية والفاشية وفي ضرب اليسار. باذلاً كلّ جهده لإزالة آثار بقيت في ذهن الحكومة البريطانية عما أقدمت يدها في العام ١٩٣٣. حتى بدأ وكأنه لم يعد في ذهن الوايت هول شيء مما فعله هناك. والرأي العام عادة ضعيف الذاكرة.

وأظن گرويه الذي طال أمد محكوميته، إختلطت عليه الأمور في موضوع دخول البريطانيين بغداد في العام ١٩٤١ ليخيل له إنها كانت ستقع عندما يقوم (بكر) بتنظيم جيشه الكردي (طبعاً بسرية تامة!) ويهيؤه لفتح بقية أجزاء كردستان (بعيداً عن انظار تركيا وايران... والعالم طبعاً). وتحقيق وحدة كردستان بدولة مستقلة ثم توجيه هذا الجيش الكردي لمقاومة الجيش الانكليزي والحيلولة دونه ودون بغداد!!

في تلك الأيام التي سرد گرويه أحلام (بكر) كما أراد أن يقدمها، كان بكر مشغولاً في المحافظة على حياته من المؤامرات المتكررة التي ينظمها ضباط الجيش الناقسون عليه والحاسدون. وهم خليط من العرب والكرد ولكل عملٍ سبب. ما الذي جعل (گرويه) يختار هذا الوقت بالذات ليطلق كذبتة عن (بكر)؟ باختصار القول انه كان يريد به تحذير اصدقائه القوميين العرب من خطر الثورة الكردية التي يقودها ملا مصطفى البارزاني في ذلك الحين مردداً مزاعم القوميين وكتابهم حول النيات السيئة التي تضمهرها الثورة للوطن العربي. وقد سمتها الاقلام العربية بالمقالات والكتب المشهورة بها بالخنجر المسدد الى ظهر الوطن العربي. بمقابل الخنجر الاسرائيلي المسدد الى صدره^(٣٤).

(٣٤) قضى كرويه في السجن عشر سنوات بحكم صدر عليه من محاكم تصفية النازية Dinazification Courts بوصفه واحداً من أخطر اعضائها المرتبطين رأساً بالدكتور گوبلز وزير الدعاية النازي. كانت صلاته ونشاطه اثناء وجوده في العراق قاصرة على القوميين. واسهم بدور مركزي في حركة رشيد عالي. اعيد رأساً الى العراق منسقاً وكان المسؤول المباشر عن كلّ الهاربين الى ألمانيا بعد فشل الحركة ووسيلة اتصالحهم بالسلطة. وعلى صلة ثابتة بالضباط العراقيين وزعماء الحركة والقوميين السوريين وغيرهم. بعد انتهاء محكوميته أسرع بتجديد علاقاته بأصدقائه القدماء فزار رشيد عالي في بغداد (١٩٥٨) واللواء ابراهيم الراوي وغيرهما من رجال حركة مايس. كما زار فوزي القاوقجي وزار مصر. وفي حينه كانت =

وينحو هذا المنحى بطبيعة الحال لتعليق كرويه لإصرار بكر صدقي على استخدام الخبير العسكري الألماني. إلا أن استخدامه لم يكن (سراً) يفضي به إليه بكر ويستأنمه عليه فقد جاء فعلاً وقام في وضع النهار بزيارات عدة لمنطقة الحدود. كما أنه استطلع الحدود أيضاً من الجهة الأخرى بإجازة إيرانية للخبير الجيولوجي.

السبب الحقيقي لعملية الاستطلاع هذه واضح لا يحتاج الى كثير من الحدس والتخمين، وهو خلاف ما قدمه كرويه من تعلييل.

تحدثت في الباب الأول من هذا الكتاب عن طبيعة تكوين هيئة الضباط في الجيش العراقي. وما نوهت به بصورة خاصة أن تجمعات وتكتلات عدد محدود من الضباط كان وبقي أساساً وعلى الدوام ينتظم على قاعدة الولاءات الشخصية التي تستقطب حول قائد أو ضباط عالي الرتبة. أمّا ما شاء كتاب جيلنا القوميون العرب أن يَدْخُلوا في الروع وجود كتل ومجموعات عقائدية منذ قيام الجيش تعمل وفق برامج معينة في الأعوام ١٩٣٦ و ١٩٣٧ فأظنه محض خيال في رؤوس القوميون وكان الاستقطاب حول شخصيات ضباط. لم تكن هناك كتلة ضباط قومية ولا كتلة ضباط كردية^(٣٥). وسنرى أن رئيس مجموعة الضباط التي

= زعامة عبدالناصر وجهاده في سبيل القومية والوحدة العربية مطلب الساعة. وفي العام ١٩٦٦ جاءت المؤامرة العسكرية التي أطاحت بعبدالرحمن البزاز صاحب بيان ٢٩ حزيران. وترأس الحكومة العراقية ضابط مشهور بولائه لعبدالناصر فتنكرت للبيان وهوجمت الثورة الكردية وشن عليها هجومًا اعلاميًا عنيف من الكتاب العرب وحذر من مراميها ومما اتهمت به في حينه نية الانفصال وتكوين دولة مستقلة. إذن فليس هناك من خدمة يقدمها هذا الدبلوماسي العتيق لأصدقائه القوميون أفضل من تبنيهم الى قديمة الخطر وبالتلميح على هذه الشاكلة بأن نية اقامة الدولة الكردية ليست حديثة بل هي قديمة. وأن بكر صدقي قبلها كان أول من دعا وخطط لها.

(٣٥) أكد لي المقدم أحمد الحاج ايوب - وهو من انصار بكر صدقي والمحسوبين عليه. وقدر ورد اسمه بهذا الصفة في (آفاق عربية المرجع السالف). انه لا صحة مطلقاً للزعم بأن بكرًا كان يبعد الضباط العرب ويقرب الضباط الأكراد. وقال أن معظم الضباط الذين شايعوه إن لم نقل كلهم كانوا عرباً. ولم يكن هناك شيء يسمى كتلة عربي أو آخر يسمى كردي وقد بقيت تقاليد الانتساب والمحسوبية التركية في الجيش العراقي قائمة الى حد ما، يلجأ اليها الضباط الأدنى رتبة يعلم من القادة أو بدون علمهم ويتحزبون لهم، ويتظاهر واحدهم بذلك بالادعاء صدقاً أو كذباً بأنه من جماعة فلان. لغرض واضح على الأغلب إما تأميناً للحصول على تقارير تضمن له الترقية في اجلها المحدد وتزليل كل الموانع لها. أو تقادياً للنقل الى وحدات بعيدة غير مريحة أو طمعاً في الإنتقاء الى دورات عسكرية مريحة أو بعثات الى الخارج وغير ذلك من الامتيازات الصغيرة. ويجب القول أن الانتساب في أحيان كثيرة قد يكون بدافع الإعجاب بالصرف بهذا القائد أو ذاك لخصال معينة محببة فيه. كما يجب القول ايضاً أن معظم ضباط الجيش كانوا بعيدين عن هذا السلوك وهناك ما يعزز هذا ايضاً في وقائع أخرى تؤيد صحة ذلك. ففي حركة رشيد عالي كانت هناك فئة عددها محدود ايدت الضباط الأربعة الذين سيطروا على الجيش مقابل أكثرية ساحقة مسلكية بادرت فوراً الى إعلان ولانها للحكومة الجديدة بعد انهيار الحركة. وفي ثورة ١٩٤٥ الكردية لم يلتحق بها أكثر =

نفدت عملية اغتيال بكر صدقي في الموصل ومساعدته كانا كرديين.

فالواقع حول هذا الخبير هو بعكس ما زعمه كرويه. والتعلييل الوحيد الذي يمكن القبول به منطقياً هو أن هذا الخبير العسكري ما جيء به إلا لرسم خطة عسكرية تتضمن إقامة تحصينات ومراكز عسكرية على الحدود تأميناً لضبط الأمن داخل كردستان العراقية والحيلولة دون انتفاضات مسلحة كتلك التي سبقت، وضمان عدم اتصال بين كرد العراق وكرد ايران وتركيا. وفقاً لمعاهدة سعد آباد التي تم توقيعها تمّ تمديد العمل بمعاهدة العام ١٩٢٦ التركية العراقية. ففي ذلك الحين نشبت الثورة الكردية المعروفة بثورة (درسيم) في تركيا وسرت إشاعة لاندري كم كان نصيبها من الصحة أن بعض الرؤساء الكرد في العراق الى جانب منظمات سرية كانت تمدّ الثوار بالارزاق والسلاح وتسهل لجوء الهاربين من مطاردة الجيش التركي. فشخص (بكر) الى السليمانية برفقة مدير الشرطة العام حسن فهمي المدفعي. ومن الاجراءات التي اعتمدها إلقاء القبض على عدد من الوطنيين الأكراد من ناشطي حزب هيووا بينهم أربعة شيوخ من جماعة الشيخ محمود^(٣٦). وشدد الحراسة على الحدود الشمالية.

هناك دلائل كثيرة أخرى غير هذا الذي أوردناه، تؤكد سلامة (بكر) من «مرض القومية الكردية» وتؤيد في عين الوقت وقوفه ضدّ المصالح الوطنية الكردية أو رعاية لحقوقهم بأدنى = من ثمانية ضباط كرد من أصل أكثر من سبعمائة ضابط كردي في الجيش العراقي. وفي ثورة أيلول الكردية ١٩٦١ لم يكن ثم أكثر من اثني عشر ملتحق حتى انقلاب شباط ١٩٦٣. زاد عددهم بعد ذلك الى حوالي الستين من أصل أكثر من ألف ضابط كردي في الجيش العراقي العامل. (بينهم عدد كبير أضطر الى ذلك لأسباب سياسية أخرى). ومن أصل أكثر من أربعة آلاف ضابط، لم يستطع أي كاتب أو مؤرخ لثورة ١٤ تموز أن يخص أكثر من مائتين وبضعة عشر ضابطاً انتظمتم أربع أو خمس خلايا أو تكتلات. (٣٦) جاء في كتاب اليافي (المرجع السالف الص ٢٤٥) حول هذا: «في هذه الأثناء ظهرت الثورة الكردية في الولايات الشرقية من تركيا. فجردت الحكومة الكمالية حملة قوية استطاعت أن تحاصر العصاة وتشتت شملهم في الجبال. ألا أن الصحف أخذت تنشر يومئذ أنباء مختلفة المصادر يستفاد منها أن يداً غربية تمدّ الثوار بالسلاح لغايات خفية. فأى يد كانت تلك اليد الغريبة؟ يستفاد من البرقيات التي أذيعت في ذلك التاريخ أن بكر صدقي ذهب بنفسه الى السليمانية وكان يصحبه مدير البوليس، فالقى القبض على أربعة شيوخ من جماعة الشيخ محمد (محمود) الكردي. وهو الثائر الذي حجزت عليه الحكومات السابقة في بغداد إلقاء شره وخوفاً من أن يثور مرة أخرى».

نقول: لم نجد طوال بحث دؤوب ما يشير الى وجود أي صلة بين ثوار (درسيم) وكردستان العراقية يؤكد صحة الاشاعة. إلا أن شخوص (بكر) الى السليمانية في حينه أيدهم الانباء الصحفية في بغداد. ولم تذكر له سبباً معيناً وضاعت مجهوداتي في معرفة أسماء أولئك الذين القي القبض عليهم. في حالة ما لو كان النبا الذي نقله الحسني أيضاً عن اليافي (ج ٤ ص ٣٢٣) صحيحاً. فكتاب (اليافي) هو واحد من كتب أخرى ألفت في الخارج خصيصاً لفضح الأعمال الاجرامية وتعدد مثالب الانقلاب لاسلم من اخبار مدسوسة أو عنصر مبالغ. (يراجع كتاب ابراهيم يوسف بيزيك «المحررون: بيروت ١٩٢٨». وطالب مشتاق: أيام النكبة (١٩٣٨) وغيرهما.

مستوى^(٣٧) منكرًا في عين الوقت انتماؤه القومي ومؤكداً أصله العربي فأوعز بنشر مقال في جريدة البلاد لسان حاله بتوقيع [أحد المشتغلين بالقضية العربية] جاء فيه هذا:

«مع هذا نرى أولئك الوصوليين يذيعون عن الفريق بكر صدقي العسكري أنه كردي لا يعطف على العرب. أما إذا وضعنا عروبته وعروبة زعماء العرب الآخرين في الميزان رأينا في دم بكر صدقي العسكري من العروبة أكثر مما في دم الزعيم المغفور له ابراهيم هنانو والدكتور عبدالرحمن الشهبندر وغيرهم من زعماء العرب. ولو أراد بطل الانقلاب التبرجح بارومته العربية لكان في استطاعته، فإنه ينحدر من تتبع نسبه الى أسرة عربية مكينة عريقة نزحت الى العراق مع من نزح من عرب الحجاز في عهد الفتوح العربية. هذا فضلاً عن نشأته العربية وثقافته العربية وجهاده من أجل العرب والعروبة^(٣٨)»

وما أظن أولئك القوميين الكرد الذين انطلت عليهم أكذوبة (كرويه) وآمنوا بها، سيسرون لو ذكرناهم (بميثاق سعد اباد) المشؤوم وقد قصد به تعاون الدول الثلاث التي تتقسم كردستان على وأد وسحق اية ثورة كردية أو نشاط سياسي قومي^(٣٩).

وبطبيعة الحال لا يمكن هؤلاء أن يتخذوا دليلاً على اهتمامه وربما نبه للقضية الكردية - ابقاء الشيخ محمود الحفيد والشيخ احمد البارزاني وسائر شيوخ بارزان مبعدين في حين كان بكر يستطيع بجرة قلم أن ينهي معاناتهم ويعيدهم الى موطنهم تماماً مثلما فعل عندما فك إيسار الشيوخ العرب المبعدين في ثورات الفرات الأوسط.

ولست أدري ان كان هؤلاء قد أغفلوا ملاحظة خروج الانقلاب عن التقليد الذي ظلّ متبعاً منذ تشكيل أول حكومة عراقية وهو ضمّ وزير كردي واحد على الأقل الى كلّ حكومة يتم

(٣٧) ذكرنا: قال عنه طه الهاشمي (المذكرات): انه يحمل فكرة كردية. وقال عنه صلاح الدين الصباغ (فرسان العروبة) انه من دعاة القضية الكردية والمتعصبين لها. لايبورد هذان وغيرهما دليلاً على هذا الزعم وهما يعتبرانه كما ترى مثلبة ومادة اتهام على اية حال!

(٣٨) جريدة البلاد العدد ٨٧٥ المؤرخ في ٩ آب ١٩٣٧ (اي قبل مقتله ببومين) من الملاحظ ايضاً أن جعفر العسكري هو الآخر سبقه الى الادعاء بالأصل العربي. [أنظر مذكراته. لندن. ومير بصري في «اعلام السياسة في العراق الحديث. ص ٨٥»].

(٣٩) نصت المادة السابعة من هذا الميثاق الذي عقد في طهران (١٩٣٧) بين العراق وتركيا وايران وافغانستان: «يتعهد كل الفرقاء السامين المتعاقدين كل داخل حدوده بعدم اعطاء المجال الى تأليف العصابات المسلحة والجمعيات. أو كل حركة غايتها قلب المؤسسات القائمة أو قيامها باعمال لغرض الاخلال بالنظام والأمن العام في أي قسم من بلاد الفريق الآخر سواء في منطقة الحدود أو غيرها أو الاخلال بنظام الحكم السائد في بلاد الفريق الآخر.

تشكيلها - رغم شكلية هذا التقليد. لا يمكن أن يعزى هذا الى غيره فهو الذي اختار الحكومة وأعضاءها وهو الذي فرض التعديل فيها^(٤٠).

لم أجد بين من كتب عن انقلاب بكر صدقي من نفى أكذوبة كرويه إلا واحداً من اعلام مؤرخينا العراقيين المغتربين الدكتور مجيد خدوري، وهو ممن عاصر فترة بكر صدقي مريباً وأستاذاً جامعياً ومؤلفاً فقد نفى في كتابه [العراق المستقل] أن يكون لبكر صدقي أية طموحات كردية^(٤١).

والى الآن ورغم هذا لا يفتن اولئك القوميون الكرد السدج بأن هذه الأكذوبة التي عمل الكتاب ورجال السياسة العرب في العراق على ترويجها لم تكن في الواقع إلا تبريراً للتأمر على حياته - لا لأنه دكتاتور عدوٌ للديمقراطية مضر بالمسيرة الدستورية بل لأنه عدوٌ لكل ما مثل الطبقة الحاكمة العراقية.

ويتجلى هذا في قوام تشكيلة عناصر تنفيذ المؤامرة الرؤساء. فبين كتلة المؤامرة السباعية، كان هناك ثلاثة ضباط كرد منهم رئيس المؤامرة المنفذة لعملية اغتياله^(٤٢) ومعاونه.

(٤٠) أدرك رئيس الحكومة (حكمة سليمان) من هو سيد البلاد المطلق في ٢٨ حزيران ١٩٣٧ عندما سلب منه (بكر) وزارة الداخلية التي كان يشغلها وكالة. ليودعها مصطفى العمري. ووزارة الداخلية كانت كما هو معروف السبب الذي حمل حكمت على التعاون مع بكر وتشجيعه على قيامه بالانقلاب. فحرمان الهاشمي له من توليها هو الذي جعله يرتمي في احضان بكر. وقد احتفظ بها منذ وقوع الانقلاب حتى نزحها منه بكر.

(٤١) Dr. Majid Khadduri: The Independant Iraq واشنطن. الطبعة ٢ ص ١٠٧.

(٤٢) هو المقدم عبدالعزيز ياملكي. وهذه اسماء الضباط الستة الآخرين: العرب المقدمون صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وكامل شبيب وفهمي سعيد العربي الأب والتركي الام واللواء حسين فوزي وهو كردي الأب والزعيم محمد امين العمري. وعزيز ياملكي هو سليل اسرة كردية سليمانية معروفة بمساهمتها في الحقل القومي. ووالده الفريق مصطفى باشا كان رئيساً للمحكمة العسكرية العثمانية التي صدرت حكماً غيابياً باعدام مصطفى كمال اتاتورك في العام ١٩٢١. كما كان واحداً من الوزراء في حكومة الشيخ محمود الحفيد. ذكر العميد المتقاعد عبدالرحمن التكريتي في (آفاق عربية المرجع السالف) «ترأس زمر اغتيال في الموصل المقدم عبدالعزيز ياملكي معاون أمر كتيبة الخيالة الثالثة. يعاونه الضابط الكردي النقيب محمد خورشيد وهو من عشيرة (دلو) أحد أمري سرايا الخيالة الذي «تبرع» بالقاتل وسلحه. والضابط محمود هندي الذي نقل القاتل بسيارته الى المطار حيث (بكر) وسهل له الوصول الى الضحية. وذكر [لونغريك: المرجع السالف ص ٢٧٧] مؤيداً بأن «عبدالعزيز ياملكي كان المتأمر الرئيس في عملية اغتيال بكر صدقي. وقد ظلّ على ارتباطه بكتلة السبعة. حتى العام ١٩٣٨ ثم تضاعف نفوذه فيها خلال ١٩٣٩، وفي ١٩٤٠ قطع ارتباطه بها وزاد ارتباطاً بنوري السعيد. وجدناه في العام ١٩٣٩ رئيساً للمحكمة العرفية العسكرية التي أدانت حكمت سليمان ورفاقه بتهمة التآمر على إحداث انقلاب وقتل الوصي. عرفنا عنه انه نقل الى السلك الدبلوماسي. وكان في طهران في العام ١٩٤٦ حين أصدر كتاباً بالتركية حول القضية الكردية عنوانه «كردستان وكرد اختلالري (انتفاضات الكرد وكردستان)». وقفنا =

نشرت مجلة النيوزويك بعددها المؤرخ في ١ آب ١٩٩٧ هذا التعليق بالعنوان الساخر المثير:

«ايتها الكولونيالية. تعالي أنقذينا»

«الاستقلال يبدو جيداً حتى تجرّبه»

«في العام ١٩٧٥ نالت الكوموروس Comoros جزر القمر استقلالها. وهي مجموعة من الجزر تقع على مسافة من ساحل أفريقيا الشرقي، بينه وبين جزيرة مدغشقر. هذه الجزر تحررت واستقلت بعد حكم فرنسي مباشر دام قرناً ونصف قرن. في الأسبوع الماضي خرجت مظاهرة عفوية في الجزيرة الكبرى منها تألفت مما يزيد عن سبعة آلاف. رفع متظاهروها الاعلام الفرنسية وصور الرئيس الفرنسي جاك شيراك يهتفون ويناشدون الفرنسيين والحكومة الفرنسية بشعار أعيدوا إلينا استعماركم.»

هؤلاء ضاقوا ذرعاً بالدكتاتورية الحاكمة التي ابقتهم في حالة من الفقر المدقع والإرهاب الدائم. وقارنوا كما قالوا أحوالهم تلك بسكان جزيرة (المايوت) المجاورة لهم التي مازال يحكمها الفرنسيون وقد بدت لهم مثل جنة الفردوس! أترى سيأتي الاستعمار الفرنسي لانقاذهم؟ سبق لهذا الاستعمار أن قال: لا. إلا أن الطلب مازال ملحفاً ومازال أملاً يرجوه الشعب».

ليس من أغراض هذا المبحث التطرق الى تفاصيل الفتك بكر وأمر قواته الجوية المقدم محمد علي جواد. فقد رويت في أكثر من مرجع واتفقت كلها في الجوهريات إلا أنها اختلفت في بعض التفاصيل الصغيرة والقليلة جداً^(٤٣).

(٤٣) كانت هذه آخر محاولات ثلاث في الموصل. لم يخطط لها ويظهر أنها بنت ساعاتها عندما أرتأتى (بكر) أن يفضل الاستراحة في حديقة صغيرة تتوسط غرف الضباط في المطار. وأسرع ياملكي ومحمود هندي باستدعاء محمد خورشيد الذي جاء ومعه نائب العريف محمد عبدالله وهو تركماني من بلدة تلعفر معروف بدقة الاصابة وسلمه مسدساً من نوع براوننغ عيار ٤٥. فأخذ (محمود هندي) بسيارته من قاعدة الغزلاني العسكرية الى المطار حيث يسكن وأدخله غرفة سكناه ومنها دله على (بكر) فخرج من الباب المفضي الى الحديقة ودنا من الضحية حتى صار على بعد متر واحد تقريباً وأطلق على جمجمته رصاصتين وعندما تقدم المقدم محمد علي جواد صائحاً «ولك شتسوي؟» فصاح به الجندي «سيدي لست المقصود» إلا أن المقدم واصل التقدم نحوه فعاجله برصاصتين أخريين ودار على عقبه محاولاً الهرب =

على ضوء الوقائع التي أثبتناها. قد يسهل الحكم على بكر صدقي بأنه وفي أفضل الاحوال لم يكن مهتماً قط بالقضية الكردية عموماً لا في العراق ولا خارجه. بل بدا دوماً محاولاً النأي بنفسه عن هذه "الشبهة" التي اتخذها اعداؤه والمؤثرون به تعلقة للطنع فيه ومبرراً للقضاء عليه واعني بهم ذلك الاتحاد الذي تمّ عقده بالتأكد بين ضباط ناقلين تستروا برداء الدفاع عن القومية العربية وبين أقطاب الطبقة الحاكمة التقليدية الذين طاردهم بكر وحاول قتلهم. وقد بقيت تفاصيل الصلة والاتفاق سراً مغلقاً على المؤرخين العراقيين بمدى علمي. مع حرص الساسة ورجال الحكم العراقيين على اخفاء أدوارهم في التآمر على حياة الدكتاتور في مذكراتهم المطبوعة وأحاديثهم المنشورة. ومؤامرة «ياملكي» التي نجحت كانت واحدة من أكثر من عشرٍ دبرت للقضاء عليه.

ووجه المفارقة المضحكة أن أكذوبة «كردايتي» بكر التي انطلق منها الضباط القوميون ورجال الحكم المبعدون والناقمون لتبرير تأمرهم على حياته، مدعمة بما كتبه غرويه، انطلت على طائفة من الوطنيين الكرد وأمنوا بها لتؤدي بهم بالنتيجة الى وضع بكر صدقي في قائمة الشخصيات الوطنية الكردية العاملة في سبيل تحرر الكرد.

على أثر صدور كتابي «رجال ووقائع في الميزان» وتناولتي في فصل من فصوله مسألة كردية بكر صدقي. انكر أحد الاصدقاء المثقفين الديمقراطيين والعاملين في القضية الكردية والثورة ان يكون (بكر) كما وصفته. وقال مما قال في سبيل الدفاع عنه انه ككردي وطني يفضل فعلاً أن يتم تحرير الكرد وتوحيدهم وتحريرهم من تسلط الأجنبي على يد دكتاتور. ولم أعقب على هذا الرأي لفرط عجبي من امكان قيام حركة تحرر من التبعية والاستعمار بسعي وزعامة دكتاتور أو طاغية مستببد. أي من الخضوع فوراً لعبودية جديدة تحت غطاء الاستقلال. وطافت مخيلتي صور بشعة شنعاء لاعمال الابادة الجماعية في البلدان الافريقية التي نالت استقلالها وتحررت من الاستعمار والامبريالية لتقع شعوبها فريسة للصراع الوحشي الدموي بين الطغاة والزعماء المحترين على السلطة بهلاك مئات الألوف بل الملايين من الأنفس في غمار ذلك الصراع الشرس وما اراني هنا أستطيع حرمان قارئتي من هذا التعليق العظيم الدلالة معتذراً لخروجي عن السياق:

= منذ زمن وبمحض صدفة، على مقال له في جريدة المواطن البغدادية بتاريخ ١٥ آذار ١٩٥٣ حول دوره البارز في عملية اغتيال بكر صدقي نافعاً أي علاقة للانكليز بمقتله. ويشير العميد عبدالرحمن التكريتي في (آفاق عربية المرجع السالف) الى أن مذكرات ياملكي غير المطبوعة كانت واحدة من مصادره الرئيسة في مقاله (كيفية اغتيال الفريق بكر صدقي).

الفصل الأخير لهذه الدراما، وهو مصير القاتل وشريكه تسكت عنه المصادر كلها سكوتاً مطبقاً. لم أجد في كل ما كتب من حاول متابعة الخاتمة وتدوينها. وكل ما جاء هو أن محمد أمين العمري حال بين لجنة التحقيق العسكرية التي جاءت من بغداد وبين إلقاء القبض على عدد من الضباط الضالعين. وأعلن انفصاليه (انفصال الموصل عن العراق) حيناً من الزمن ليرغم حكمت سليمان على الاستقالة.

ويقي السؤال حائراً، كيف استطاعت حكومة جميل المدفعي اسدال الستار عن جريمة مروعة مشهودة ذهب ضحيتها اثنان من كبار ضباط الجيش. وتم فيها إلقاء القبض على القاتل، بعشرات من الأعين التي شاهدت عملية القتل؟

لا أذكر العام بالضبط. ربما كان في يوم ما من ١٩٥٠ أو ١٩٥٣ ولا أدري كيف انجرّ الحديث الى بكر صدقي ونحن في غرفة جلوس المحامين بمحاكم الموصل. وهذا ما رواه الزميل محمد صدقي سليمان (اصبح فيما بعد عضواً في محكمة تمييز العراق). قال جرت محاكمة

= إلا أن الضباط الطيارين القريبين تكاثروا عليه وكادوا يفتكون به إلا أن الملازم الطيار محمود الحاج ايوب أقنعهم بالبقاء عليه حياً بغية الكشف عن الجناة. وهرب محمود هندي واختفى حيناً من الزمن. [راجع الحسني ج ٤ ص ٣٦٦، وأفاق عربية (المرجع السالف تشرين الأول ١٩٧٧) اعتماداً على مخطوطة يملكها]. رواية عبدالفتاح اليافي ليست أهلاً للاعتماد (الصل ٥٨-٥٩) فمعظمهما من نسج الخيال. وهو يخطيء في ايراد اسم القاتل فيسميه محمد صالح. كتاب محمود شبيب [الموسوم بكر صدقي وانقلابه العاصف] ط بغداد ١٩٩٢ لا يتضمن شيئاً عن الحادث على أن هناك رواية قصصاً على المقدم أحمد الحاج ايوب نقلاً عن شقيقه الملازم محمود الحاج ايوب الذي عقب القاتل لاختلافه إلا بالقول أن القاتل تقدم من بكر وكان يخفي مسدسه تحت صينية فوقها أقذاح مشروبات ومرطبات. وبهذا تمكن من الاقتراب دون أن يثير شكاً.

مما أثرت ذكره هنا هو أن المقدم محمد علي جواد كان ابن عمه عبدالكريم قاسم وهو إذ ذاك برتبة ملازم أول، وقد شملته حملة تشييت شمل الضباط القلائل الذين دانوا بالولاء للانقلاب فنقل الى الجنوب. وبعد ثورة تموز واستتباب الأمر له أمر بتأليف مجلس تحقيقي من الضباط عبدالرحمن شرف وعلي غالب الأعرجي وموسى علي وكلهم متقاعد ومن انصار بكر القديما. للتحقيق في «قضية مقتل الضابط بكر صدقي ومحمد علي جواد». فأصدر قراراً بأن القتل كان أثناء القيام بواجب الخدمة. وبناءً عليه قرر مجلس الوزراء في ١٣ من كانون الثاني ١٩٦٠ منح ورثة المرحوم الفريق بكر صدقي العسكري الذي أُغتيل غدرًا فاستشهد (كذا!) بتاريخ ١٢ من آب ١٩٣٧ مبلغ خمسة آلاف دينار تدفع الى ورثته من وزارة المالية. ومنح ورثة المرحوم الطيار المقدم محمد علي جواد الذي أُغتيل فاستشهد بتاريخ ١٢ من آب ١٩٣٧ مبلغ خمسة آلاف دينار تدفع لورثته من وزارة المالية. ويكتب للتقاعد بضم العجز للدرجة الأولى الى رواتب تقاعدهما اعتباراً من تاريخ وفاتهما».

من الجدير بالذكر أن قراراً مماثلاً صدر بحق أربعة ضباط من كتلة السبعة التي تأمرت لقتله وهم صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد وكامل شبيب ومحمود سلمان وقد اعتبر حكم الاعدام الذي صدر بحقهم ونفذ استشهاده أيضاً [يظهر أن بكرًا لم يخلف عقباً من أي زوجة له. فقد سألت ابنة أخيه برقي هل تسلمت هي وأخوها الاكرامية فأجابت بالإيجاب (أنظر ما سبق).

المتهمين محمد عبدالله ومحمود هندي أمام محكمة عسكرية في الموصل وكنا وكلاء الدفاع عنهما. وأنكرا ضلوعهما ووجودهما وقت الحادث. ولم ترد شهادة عيانية واحدة. وختمت المرافعة وجلسنا بانتظار القرار. وبعد برهة جاء عريف وقال أن هيئة المجلس العسكري تطلب حضوركم في غرفة المداولة، فقمنا وتوجهنا الى الغرفة. واعترتنا الدهشة لأغرب طلب من محكمة تتقدم به الى محامي المتهم. قال الرئيس «دعوناكم لتعاونونا على صياغة قرار قانوني بالحكم ببراءة المتهمين»، ففعلنا. وعدنا الى مجلسنا وبعد قليل خرجت هيئة المحكمة لتتلو علينا قرار البراءة الذي شاركناها في صياغته.

لأذكر المناسبة التي دعت زميلنا هذا الى الحديث في هذا الموضوع ولم أكن حينذاك مهتماً بالمسألة، ولم يكن هناك مبرر لاستيضاح والقاء أسئلة على الراوي تبدو الآن على غاية من الأهمية. هوية المحامين الآخرين؟ أي جهة أوكلتهم؟ من دفع أجورهم؟ من قام بالتحقيق الابتدائي؟ هل سمح لهم بالاطلاع على محتويات المجلس التحقيقي (يقابل التحقيق القضائي في المحاكم المدنية).

ومرت سنوات عشر أو أكثر. وأنا والمرحوم المقدم أحمد الحاج ايوب^(٤٤) موقوفان بأمر من الحاكم العسكري العام في سجن الموقف ببغداد، سألته مرةً ونحن نتجاذب أطراف الحديث عما إذا كان له علم بما حصل للقاتل بعد مقتل (بكر) والى مآل اليه مصيره وبدأ وكأنه لا يملك معلومات عن اجراءات قضائية ومحاكمة. وقال جازماً بأن شقيقه (محمود) وهو أحد الذين امسكوا بالقاتل وحالوا دون هروبه، لم يدع الى شهادة. وأن كل ما علم حول مصير العريف القاتل انه نقل الى بغداد وعين خفراً أو بستانياً في مقر وزارة الدفاع. ثم ارتوي ترحيله بعد منحه إكرامية وعينت بلدة (الشطرة) في لواء المنتفك محل اقامة دائمي له لا يبرحه. وأنه تزوج هناك وتوفي هناك.

قتل الفريق بكر صدقي العسكري قائد القوة الاصلاحية التي دخلت بغداد فاتحةً وهو على رأسها. قتل سيد البلاد المطاع مدة عشرة أشهر بيد جندي مغمور حامل الذكر، حتى ولا بيد ضابط. وقضت المقادير بعد بضعة وعشرين عاماً، أن يجتريء الجنود ثانيةً على ضباطهم فيقتلون فيهم تقتيلاً باسم العقيدة والمبدأ.

(٤٤) هو الأخ الشقيق للقاص العراقي «ذوالنون الحاج ايوب» احيل الى التقاعد بعد سنة ونيف قبل بلوغه سن التقاعد وبرتبة مقدم. وكان من شيعة بكر صدقي.

- يضحكني وايم الله أن أرى الأحابيل الواهية التي ينصبها للعراق العزيز أولئك المفسدون الذين ذكرتهم. فلو عمدوا الى غير هذه الدسياسة، لربما كان في افتتاحهم بعض المنطق، أو بالأحرى سفسطة مقبولة في القياس المنطقي. ولكن لحسن حظ العراق سلكوا طريقاً وعرّة إذ وقع اختيارهم على موضوع الشيوعية. وهذا وحده كافٍ ليكشف عن كذبهم ودسيستهم للناس.

أفي العراق شيوعية؟ أيكون العراق شيوعيّاً؟ كلاً ثم كلاً ليس العراق تربة صالحة للشيوعيّة، قل لي بريك أين معاملنا وعمالنا؟ اين مشروعاتنا الاقتصادية الصناعية ورؤوس اموالنا وارباب رؤوس الأموال عندنا حتى يستثمروا أموالهم بارهاق الناس فينشأ بين ظهرانينا طبقة عمال خاصّة تؤلف أكثرية كبيرة ويسرح الالوف أو الملايين من عمالنا بلا شغل ولا عمل حتى تؤثر فينا الدعوة الى الشيوعية وتتغلغل مبادؤها في نفوسنا؟ كل من أوتي مثقال ذرة من العقل يضحك من سخف أولئك الذين يقولون بأن في البلاد استعداد (كذا) للشيوعية. نحن لانزال في الدور الابتدائي من أدوار الحضارة الصناعية. وبلادنا زراعية أكثر بكثير منها صناعية، ولايبد من انقضاء زمن طويل قبل أن نصل الى بعض ما وصلت اليه الأقطار الأوروبية الصناعية تلك التي على بلوغها القدر المعلى في الصناعة نراها أرضاً قاحلة جدباء لمباديء السوفييت، تلك المباديء التي ما عتمت أن وصلت اليها حتى رأينا عليها ردّ فعل شديد قضى على الشيوعية القضاء المبرم. كلاً تربة العراق غير صالحة للشيوعية والذي يحاول بث المباديء الشيوعية في العراق كمن يحاول زرع نخيل البصرة في جبال النرويج. لأن كما كان للنباتات الخاصة تربتها الخاصة كذلك للمباديء بيناتها الخاصة. وليطمئن العالم أن لا خوف على العراق من البلشفة.

وفضلاً عمّا تقدم أن ليس من مصلحة العراق الأخذ بالمباديء المتطرفة وهو في دور التكوين واستجماع القوى. مباديء تحسبها الدول القوية العريقة في مدينتها ومؤسساتها والرصينة في اقتصادياتها واجتماعياتها مباديء متطرفة. ثم أن الذين يحبذون المباديء الشيوعية فريقان: فريق ساذج قليل المعرفة يأخذ ما تصل اليه يده من الغرب دون أن يفرق بين غشه وسمينه فيجاهر به. وهذا فريق سرعان ما ينبذ المباديء الشيوعية متى اكتسب قليلاً من الخبرة ووقف على حقائق الأمور فيها. أما الفريق الآخر فهو أولئك الذين يريدون شرّاً بالبلاد فيتخذون الشيوعية وسيلة لتسويد صفحة العراق وحكومته ليتمكنوا من الاضطهاد في الماء العكر ولاشك في أن وراء هؤلاء يد الاجانب ودسائس أجنبية. فالعود بالله من شيطانهم الرجيم. ولكن العراقيين لاتنظلي عليهم الحيلة وهم واقفون لكل دساس بالمرصاد فلاتخف وأزيدك أن

حديث بكر صدقي العسكري

نشر في عدد من صحيفة البلاد بتاريخ ١٨ آذار ١٩٣٧ بعنوان [حديث بطل الانقلاب سعادة الفريق بكر صدقي العسكري مع رئيس تحرير جريدة البلاد].
استغرق الحديث الصحيفة الأولى من الجريدة وفي وسطه صورة لصاحب الحديث وهو ممتطٍ جواداً. واستهله رئيس التحرير «روفائيل بطي» بهذه الكلمة:

روح المصطادون في الماء العكر اشاعات خبيثة ابتغاء تسويد صفحة العراق البيضاء في الخارج. من ذلك انهم دسّوا بين الناس أن النزعة الشيوعية متغلغلة في النفوس. وعلى أثر هذه الاشاعات الكاذبة التي ما أنزل الله بها من سلطان، قصد رئيس تحرير هذه الجريدة الى سعادة بطل الانقلاب وحبیب الشعب الفريق بكر صدقي العسكري للوقوف على رأيه في هذه الاشاعات والوزن الذي يصح أن يقام لها.

دخلت مكتب القائد العظيم فقابلني بمعهود بشاشته ولطفه وأجلسني الى جانبه. فجلست اليه جلسة الصديق دون أن أشعر بتكلف في الحديث الذي جرى لنا. ولما استقرّ بنا المقام وجهت السؤال التالي الى سعادته:

- لاريب في أن سعادتكم عالون بأمر الشاعات التي يبثها المفسدون الذين يضمرون الشر للبلاد ولحكومتها حول الشيوعية وتسربها الى النفوس العراقيين. فما قول سيادتكم الفصل في هذه الاشاعات المنكرة وأنتم الذين لكم اليد البيضاء على العراق سابقاً ولاحقاً. وأنتم الذين لم تحجموا ولن تحجموا عن التضحية بالنفس والنفيس لخلاص وطنكم من كل ورطة وأزمة؟

فلما سمع سيف العراق البتار هذا السؤال، فاضت على وجهه ابتسامة عريضة تدفقت من ملامحه الجذابة وامتزجت ببريق عينيه اللامعتين اللتين يشع منهما نور الذكاء والفتنة فقال:

العراقيين ثلاثة أقسام في تلقيهم هذه الاشاعات الكاذبة، فسوادهم الاعظم واكثريتهم الساحقة لاتهتم بهذه الاشاعات ولاتعنى بها اوتعرها (كذا) اهتماماً، لان الناس منصرفون الى اعمالهم في غير هذه النواحي. وهناك قسم آخر يسمع بهذه الاشاعات وقد يصدقها فيتألم - وحقه ان يتألم - لتسرب هذه المباديء الى وطنه العزيز الأمين. اما الفريق الثالث وهو أقلية ضئيلة جداً، لا بل دون الأقلية بكثير فهو اولئك الذين يسرهم أن تروج هذه الاشاعات وذلك ليس لأنهم يدينون بالشيوعية أو يقبلون مبادئها بل لأنهم ناقمون على العهد الاصلاحى الحاضر وعلى حكومته لأنهم لا يستطيعون ترويح مصالحهم الدنيئة ولا جرّ مغامرات السحت. فيدفعهم حسدهم القتال الى النقمة على الوطن ولا يهتمهم إذا فني العراق كله في عشية وضحاها.

وأخيراً أقول لكم أن العراق لا يزال متديناً في ثقافته ولم يبلغ المستوى الذي يمكنه من تلقي الافكار المتطرفة واقامة وزن لها. لذلك لا يمكن أن يقبل بهذه المباديء.

ثم أن الشيوعية لاتتمشى مع الحكومة الملكية. وليس في العراق فرد واحد يريد غير الحكومة الملكية. واني بصفة كوني قائد القوة الاصلاحية أذكركم بالمنشور الذي نشرته ووزعته على الأمة يوم الانقلاب وذلك أن الجيش انما قام على الحكومة البائدة لاحداث الانقلاب، دفاعاً عن عرش جلالة ملكنا المقدى ونسله من بعده. فلا يخفى عليكم أن الجيش لن يرضى عن ذرة من شأنها أن تخلّ بمبدأ الاخلاص للعرش. فبصفة كوني أكبر ضابط في الجيش رتبة بعد مولاي الملك المعظم جلالة قائدنا الأكبر. أصرح لكم بأن الجيش مستعد أن يقاوم حتى النفس الأخير كل حركة لها أقل مساس مضر بعرش جلالة قائدنا العظم ويقضي على تلك الحركة القضاء المبرم سواء أكانت الحركة شيوعية أو غيرها.

هذا رأيي ورأي جميع العراقيين. فاعلنها على رؤوس الأشهاد.

حکمت سلیمان
۱۸۸۶ (۱۸۸۵) - ۱۹۶۶

ويبدون ارتياحهم منه ورضاهم عنه عندما يؤكد لهم في مقابلة بأنه حريص على علاقات العراق مع بريطانيا. ويزدرون به ويبدون شكوكاً واستياءً من مواقف أخرى ككثرة تردده على المفوضية الألمانية واجتماعاته بوزيرها المفوض النازي الموغل في نازيته. ويمطرونه بإعجابهم وثنائهم عندما يسدد ضربته الى رفاق الأمس (جماعة الاهالي) فيغلق جمعيتهم وينفي زعماءهم. ويبدون امتعاضهم ويتهمونه بالميل الى النازية عندما تبادر حكومته الى عقد صفقات الاسلحة وابرام اتفاقات تجارية مع المانيا وايطاليا الفاشيتين.

وعندما يبلغ استيائهم منه شأوه الأقصى يعودون ليذكروا روساهم في لندن بدوره في معالجة القضية الآشورية بالنار والحديد، ثم تسترّه على القائمين بالمذابح في الرميثة، وسوق الشيوخ وسميل وغيرها.

ويندرج في هذا الباب رأي المقدم (ستافورد) فيه الذي دوّنه في كتابه، فقد منحه دون تردد صكّ براءة من مجرزة سميل وجبل بيخير ودهوك، رغم علمه بالتقرير الأكدوية البالغ السخف الذي كتبه هذا الوزير لحكومته إثر زيارته لموقع المجرزة فور ارتكابها وفيه برأ الجيش العراقي واتهم العشائر العربية والكردية بها.

وهذا (توفيق السويدي) أحد ابرز رؤساء الوزارات السابقين يخشى أن يقول ما يعرفه عن (حكمت) في مذكراته المطبوعة. إلا أنه يدون ما بذات نفسه منه في اوراق خاصة لتكتشف فيما بعد وتطبع عقب وفاته. ومع هذا ففي تعرضه لسيرته بثلاث صفحات صغيرة من الكتاب الذي نشره فيما بعد [وجوه عراقية عبر التاريخ] لم يشر ولو بعبارة واحدة عن دوره في وقائع آب ١٩٣٣ أو غيرها.

وبكثير من الاطمئنان نقول مبدئياً أن شخصيّة حكمت لا تخلو من الازدواجيّة كمعظم الساسة العراقيين المعاصرين له، وربما فاقهم فيها كما سنرى فيما بعد، على أنه لم يملك من سعة الحيلة والدهاء قدر ما ملك غيره لتساعده على تغطيتها تغطية متقنة بإقدامه على أي عمل جيد أو خدمة عامة أو بمحاولاته الضعيفة للظهور بمظهر الوطني المتجرد المتحرر الذي يعمل للمصلحة العامة في كلّ المناصب السياسية التي تولّاها. اذ سرعان ما يكتشف زملاؤه والمقربون قصوره وخيلاءه واعجابيه بنفسه وادلاله باصله فينأون عنه أو يضعون بينهم وبينه حاجزاً من الشك والحذر. وقليلاً ما انطلت على الآخرين مناوراته السياسيّة إذ ما تلبث أن تفضحها السذاجة التي كانت تحبك بهاد محاولاته الخائبة في سترها. وهو ليس (برشيد عالي) الأريب الذي كان ينجح في ازالة الآثار المدمرة أو السيئة التي تتخلف جراء تحولاته

دور (حكمت) في حلبة السياسة العراقية والصراع على الحكم كان قصيراً نسبياً قد لا يتجاوز السنوات الخمس جمعاً. لكنه دورٌ فاصل عظيم الخطورة لانه يمثل في مرحلته الأخيرة نقطة تحول في تاريخ العراق الدستوريّ باستخدام الجيش لأول مرة استخداماً ميدانياً لحسم المواقف، وليضع البلاد بعدها على خطّ انقلابات عسكرية وشبه عسكرية بلغ عددها ثمانية عشر سجلّها التاريخ الحديث، فضلاً عن عدد غير معلوم من محاولات انقلابيّة دفنت في مهدها.

لم يكتب عن (حكمت) سيرة كاملة، ولا أفاض المؤرخون في حياته السياسية كغيره، وإنما ذكر فيها ذكراً عابراً من خلال حدثٍ سياسيٍّ معين، وكل ما وقع في ايدينا لم نجد فيه محاولة للنفوذ عميقاً في وقائع حياته وتناول شخصيته ومكوناتها بالتحليل ودراسة نشاطه السياسي من خلال ذلك.

واغفلوا عن عمد أو بغير قصد الجانب المظلم من تلك الشخصية واقتضب بعض من تطرق اليه بل وعدّ بعضهم أعمالاً منه غير مشرفة من الحسنات وبعض الهفوات والأخطاء من قبيل الحزم السياسي وأصابة الرأي.

من المفترض أن تكون الوثائق الدبلوماسية البريطانية مادة جيدة تعين على تفهّم هذه الشخصية بعيداً عن النوازع والأغراض الخاصّة. إلا أن اقوال الدبلوماسيين البريطانيين عنه بدت متضاربة متناقضة نابعة من درجة تعاونه معهم أو ازواره عنهم، ومن المدى الذي يبلغه في تأمين المصالح البريطانية. لاسيما في الفترة التي جاء به انقلاب بكر صدقي رئيساً للحكومة. فهو آنأ رجل «يتمتع بنفوذ كبير في الاوساط السياسية. وفيها يحظى ذكاؤه بتقدير كبير»^(١). وهو آنأ مجرد ستار «أو العوبة بيد بكر صدقي» لا حول له ولا طول.

(١) من تقرير عن الشخصيات البارزة في العراق. رفعه السفير البريطاني سر ارشيبالد كلارك كير الى وزير الخارجية (ايدن) في ١ من كانون الثاني ١٩٣٦.

السياسية الفجائية بمنعطفاتها الحادة ومنزلقاتها الخطرة. ولم يبلغ كذلك شيئاً من حذق نوري السعيد وجلده وعناده وصراخه في متابعة النهج السياسي الذي قرّ رأيه عليه ذلك الخطّ الذي لم يسع غالبية منتقدي سياساته وأساليبه القمعية الغليظة وتجاهله الرأي العام، والأعيبه المنفرة إلا النظر اليه بنوع من الاحترام والتهيب واستخلاصه كشخصية فريدة من شخصيات تاريخ العراق السياسي الحديث وما أقلهاً.

وبعكسه كان حكمت شخصية مائعة، جشعة، متهالكة لاتوحي بكثير من المهابة وقد اعطاه البريطانيون في لندن وفي لحظة انزعاج منه صفة «حصان الدريئة» لبكر صدقي^(٢).

كما سنرى عند استعراض حياته العامة انه لم يكن لديه رأي سياسي معين ولا نهج فكري واضح ولا هدف سام أو مثل أعلى يعمل لتحقيقه وأنه اصل طوال فترة وجوده في حلبة السياسة تسيرُه عواطفه الشخصية ومصالحه الخاصة وأنانية واضحة. اللهم الا إعجابه المتناهي بمصطفى كمال اتاتورك وأنجازاه.

ينتمي (حكمت) الى أسرة جيورجية مسيحية اعتنق مكوّنها وعميدها أو وجد نفسه بالأحرى لأنه ربي ونشأ في بيت مسلم ووسط مسلم ولم يعرف ديناً غيره فعميد الأسرة هذا كان مملوكاً خطف طفلاً وبيع في سوق النخاسة باستنبول وجيء به الى بغداد فابتاعه سليمان باشا الكبير والي بغداد (١٧٨٠-١٨١٢) وسماه «بطالب». وعندما بلغ أشده ضممه الى خاصته من قوات الانكشارية ونشأ صحبة شاب مملوك آخر اسمه (داود) الذي بلغ منصب «الكهية» لسليمان باشا المذكور، ثم خلفه في ولاية بغداد باسم داود باشا (١٨١٧-١٨٣١) وهو آخر المماليك الولاية في بغداد^(٣).

(٢) التعبير الذي استخدم هو Stalking Horse، ومعناه شاخص جامد على هيئة حصان يقيمه الصيادون لخداع الطريدة.

(٣) كل ضابط في مؤسسة الانكشارية العسكرية التركية مهما علا شأنه يطلق عليه لقب (أغا). والمقصود بالملوك والانكشارية يقتضي مني بعض ايضاح. اقول ان الملوك يختلف حكمه عن العبد أو الرقيق. وإن كان الشراء الأصل في اقتناء الصنفين. فاولهما يجب أن يكون من العنصر الآري أو القفقاسي ذي البشرة البيضاء. في حين لايشترط هذا في العبد. ويستخدم الملوك في أعمال المنزل لا كخادم بل بوصفه عضواً من أعضاء أسرة صاحبه. ولايخصى وليس لسيدة أن يبيعه بل عليه أن يعلمه ويدربه على فنون الحرب والقتال ويلقنه ما تيسر من العلوم والمعارف، فيغدو مقاتلاً في معية سيده ينفذ أوامره ويمحضه اخلاصاً وسيده هو الآخر مملوك بدء حياته كما بدأها هو ويقتنى الملوك عادة وهو صبي أو حدث غير مميز، في حين يقتنى العبد بكل سن ومن الجنسين. والملوك عادة يعتق. وكثيراً ما يتزوج هؤلاء من بنات اسياهم ليكونوا هم سادة فيما بعد. حكم المماليك مصر والشام زهاء ثلاثة قرون ابتداء من العام ١٢٥٣=

ولقي الصبي والشاب (طالب) رعاية خاصة من هذين الحاكمين وربما عادت الخطوة التي نالها الى كونهما مثله من أصل جيورجي (أو گرجي) أو (كوله مندي) أو چركسي وهي تعبير درج البغداديون على اطلاقه على المماليك وذريتهم.

ولقب «الأغا» الذي لايعرف جد حكمت بغيره، يدلّ انه كان على الأقل ضابطاً أو قائداً في الييني چري (الانكشارية) وهي القوة العسكرية التي كانت تحت تصرف پاشا بغداد.

في الفترة الأخيرة لحكم داود پاشا، كان (الحاج طالب آغا) بمنصب الكهية أو ما يعادل منصب رئيس الوزراء. وقد هلك بوباء الكوليرا الذي اجتاح بغداد قبيل دخول (علي رضا)^(٤) بأسابيع وسقوط دولة المماليك في تموز ١٨٣١.

= ولقبوا بالسلطين. وقضى السلطان سليم ياوز العثماني على سلطتهم في معركة [مرج دابق] في العام ١٥١٧ بقلطين وضم مصر وسورية الى الامبراطورية.

وحكم المماليك الجيورجيين ولاية بغداد والموصل والبصرة (العراق الحالي تقريباً) زهاء قرن واحد (١٧٤٩-١٨٣١) حكماً فعلياً باسم السلطان العثماني دون أن يكون له يد في تعيينهم على أن (الباب العالي) كان يصدر فرمان بتثبيتهم في حين أنهم يكونون قد مارسوا السلطة الفعلية دون انتظار فرمان. لأن اختيارهم للمنصب يتم موقِعياً عن طريق التغلب والاستظهار بدعم قوات الانكشارية.

هذه المؤسسة العسكرية الفريدة في تاريخ الجيوش ظلت تزود الجيوش العثمانية بنخبة مقاتليها طوال خمسة قرون وأفرادها يجندون من السبي وأسرى الحرب الاحداث أو ابناء المسيحيين المخطوفين المباعين في اسواق النخاسة [روس، بلغار، روم نمساويون، البان، جيورجيون، صربيون، پولنديون، الخ...] فيلقنون مبادئ الدين الاسلامي متشرباً بروح التعصب والحماسة والغيرة. وفي الفترات المتأخرة لعمر هذه المؤسسة شجع افرادها على الانتماء الى الطرق الصوفية وأهمها (البكتاشية) لينتظموا وقت السلم في حلقات ذكر. وفي أواخر القرن السادس عشر بدء الاتراك انفسهم يتسللون الى صفوف هذه المؤسسة التي كانت وهي تحت رعاية السلطان واهتمامه ذات امتيازات وكلمة مسموعة فقيوت شوكتها فيما راح التفسخ والتحلل يدب فيها وفقد سلاطين آل عثمان بالتدرج سيطرتهم عليها، وصارت في احيان عديدة تتحكم في عزلهم ونصبهم وتشارك في التصفية الجسدية لافراد اسرة السلطان المتنافسين. وكثيراً ما تمردوا واعتصبوا وتظاهروا عسكرياً طلباً للمزيد من الامتيازات.

في مصر استأصل الخديوي (محمد علي الكبير) في العام ١٨١١ شأفتهم بالمذبحة الكبرى المعروفة بمذبحة القلعة. كما قضى عليهم بمذبحة مماثلة في استانبول العام ١٨٢٦ السلطان (محمود الثاني)، وقضى على حكمهم في بغداد (علي رضا باشا) القائد العثماني في ١٨٣١. حين استعاض السلطان المذكور عنهم بنظام التجنيد الحديث.

(٤) زحف وباء الكوليرا على بغداد في اواخر شهر آذار وقدر عدد ضحاياه بمائة الف اي ثلثي مجموع سكانها في ذلك الحين، فهي والحالة هذه نكبة تفوق المذبحة التي أوقعها هولوكو بسكانها في ١٢٥٨. أتى الى وصف مراحل فتك الوباء المبشر الانكليزي (انتوني. ن. گروفز) في يومياته المطبوعة في لندن (١٨٣١) بعنوان Journal of Mr Anthony N. Groves, Missionary الذي بقي في المدينة يعني بالمصابين وفيه هلكت اسرته. قال أن عدد الضحايا اiban استشرء الوباء كان يتراوح بين ١٥٠٠-١٨٠٠ يوماً.

ووالد حكمت هو المؤرخ (سليمان فاتق ١٨١٤-١٨٦٩)^(٥) الجركسي الأصل والقائمقام ثم متصرف البصرة، من زوجته الثانية. وله من زوجته الأولى الفريق (محمود شوكت باشا) زعيم الانقلاب المعروف (بحركة آذار) على السلطان (عبد الحميد الثاني)، الذي أصبح صداراً أعظم بعد نجاح الانقلاب^(٦) والحاكم الفعلي المطلق، وقد أحفظ عليه استقلاله بتصريف الأمور الجناح المتطرف من الاتحاديين فدبروا مؤامرة اغتياله في أحد شوارع العاصمة بان اعتراضوا سبيل مركبته بنعش خالٍ وأوقفوا مسيرتها وأطلقوا النار عليه وهو داخلها فصرعه.

عاش (حكمت) هذه المأساة وهو شاب يتلقى علومه في العاصمة. وشاهد بأم عينه سقوط أخويه [خالد]^(٧) و[مراد] اللذين كانا بفضل أخيهما الأكبر يتمتعان بنفوذ وسلطة عظيمتين، ويعتبران من زعماء جمعية الاتحاد والترقي. كان لهذا أثر عظيم في حياته ونهجه السياسي كما سيتضح فيما بعد.

ولد (حكمت) في بغداد العام ١٨٨٥ أو ١٨٨٦^(٨) لأمٍ چركسيّة قبل أنها كانت قوية

(٥) الف كتبه بالتركية، ومنها: تاريخ الممالك الكوله مند في بغداد، وتاريخ نجد، وتاريخ عشاير المنتفق، وحروب الإيرانيين في العراق، وهذه الكتب في مدى علمي ماتزال مخطوطة. إلا أن كتابه (تاريخي بغداد) ترجم إلى العربية بقلم (موسى كاظم نوري) وطبع ببغداد ١٩٦٢.

(٦) هؤلاء الذين هربوا أو نفوا في عهد (عبد الحميد) وسكنوا باريس الفوا فيما بينهم جمعية عرفت باسم الاتحاد والترقي، ومهدوا للثورة بما كانوا يصدرونه من صحف ونشرات تهرب إلى الداخل. وثورة العام ١٩٠٨ بدأت أولاً في صفوف الجيش الثالث المعسكر في مقدونيا بقيادة الرائد (احمد نيازي ١٨٨٣-١٩١٢) الذي خشى أن يفتضح دوره امام لجنة التحقيق العسكرية التي ارسلها الباب العالي فبادر إلى ترك المعسكر على رأس مائتين من الجنود وعدد من المدنيين متوجهاً إلى العاصمة وما أن ذاع نبا زحفه الجريء هذا، حتى اجتاحت البلاد موجة من الهياج والغليان وذر قرن الثورة على (عبد الحميد)، فبادر إلى الاعلان عن عودة العمل بدستور ١٨٧٦ الذي كان قد عطله. إلا أن ذلك لم يقد في تهدئة الحال. إذ قام في نيسان ١٩٠٩ (٣١ من آذار بحسب التقويم الرومي السائد) عصيان عسكري كشف من جهة عن ضعف الاتحاد والترقي، كما اتاح لزعمائهم من جهة أخرى الوصول إلى الحكم على اكتاف الجيش وعزى سبب العصيان إلى سوء احوال الجنود واهمال امورهم وعضدت العصيان جمعية اسلامية تسمى (الوحدة المحمدية). عند ذلك انتهز الفريق [محمود شوكت باشا سليمان] فرصته فزحف من مقدونيا على رأس قوة عسكرية واحتل العاصمة في ٢٤ من نيسان. وحمل إلى (عبد الحميد) فتوى الخلع. ووجه إليه السلطان المنسوب (محمد رشاد) الخامس فرمان الصدارة العظمى. (قال في تصريح له لصحيفة فرنسية: «وصلت استانبول من سلانك باذاعتي بياناً على الجنود أن الپادشاه والأمة في خطر. ولو عرف الجنود بأننا نخطط لعزله لانقلبوا علينا وانتهى امرنا».

(٧) تزوج رشيد عالي الكيلاني من [لمعي] إبنة مراد سليمان. (حكمت) عمها والحالة هذه. هذا وقد عاد الاخوان إلى العراق بعد نهاية الحرب العامة الاولى.

(٨) يثبت الاستاذ (مير بصري) في كتابه [اعلام السياسة في العهد الملكي ص ١٨١ ولادته بالعام ١٨٨٩ =

الارادة متحكمة معاندة. وأعطى اسم [عارف حكمت] المزدوج جرباً على عادة ذلك الزمان. وكانت اللغة السائدة في المنزل هي التركية. إلا أن علاقة الاسرة الدائمة بفلاحهم وملتزمي اراضيهم المزارعين في الريف واختلاط (حكمت) بهم جعله يتكلم العربية باللهجة الجلفية وبقي حديثه بها وبمساعدة المفردات والتعابير التركية - يلزم لسانه إلى آخر حياته.

أكمل دراسته الاعدادية في بغداد. وانطلق إلى استانبول ليدرس الحقوق ولم يتميز بذكاء وكان يعدّ من التلاميذ الخاملين الذين لا يصبرون على الدراسة لذلك لم يبق في مدرسة الحقوق أكثر من سنة واحدة وتركها ودخل المدرسة الشاهانية بارادة ملكية، وهي مدرسة مخصصة لابناء الذوات الذين يعتمد عليهم السلطان تشبه مدرسة (هارو) الانكليزية من بعض الوجوه. فقد دخلها أيضاً قبله (عبد المحسن) وأخوه (عبد الكريم) آل سعدون. وفي العام ١٩١١ اكمل (حكمت) دورة ضباط الاحتياط وتخرج فيها برتبة ملازم ثانٍ، وبقي في حامية استانبول، ثم اصبح مرافقاً لواليتها.

عاد حكمت إلى بغداد ضابطاً مرافقاً للوالي جاويد باشا. وفي شباط ١٩١٤ عين قائمقاماً للمركز وخلع لباسه العسكري. وبعد ايام عين مديراً لمدرسة الحقوق وفي ١٩١٥ نسب مديراً لمعارف الولاية. ودعي لخدمة الاحتياط عند نشوب الحرب العامة الا أنه لم يرسل للجبهة والظاهر انه استطاع التملص منها بتوسط الفييلد مارشال [فون در گولتز] رئيس البعثة العسكرية الالمانية في تركيا والقائد العام للجبهة العراقية، صديق أخيه (محمود شوكت باشا). فترك بغداد بعجلة إلى تركيا ومنها إلى برلين عندما كانت قوات الجيش البريطاني تواصل زحفها السريع نحو بغداد وعندما بدا الوضع العسكري ميؤوساً منه.

بقي في برلين ملحقاً في أحد بعثات التعاون التركي الالمانى أو بأيّ زعمٍ آخر حتى اعلان الهدنة واستسلام المانيا. وعاد إلى استانبول وبقي فيها زهاء سنتين.

كان (حكمت) عضواً بارزاً في جمعية الاتحاد والترقي ومن الناشطين في حياتها كأخويه ولاسيما أثناء وجوده في بغداد قبل الحرب وفي أثنائها. والاتحاديون مجموعة سياسية قومية متعصبة للتركية من اهدافها محاولة تتريك جميع القوميات التي تتألف منها الامبراطورية العثمانية. ولم يكن رفعها الشعار المثلث [حرية - عدالة - مساواة] الا غطاءً سترت به هدفها الحقيقي. وقد أخذ عليه هذا الماضي طوال حياته السياسية التالية واستخدمه خصومه

= ولم نجد من يزعم هذا في كل ما وقعنا عليه، ورجحنا اقرار (حكمت) نفسه بعمره في العام ١٩٥٨ أمام وفدٍ جاءه بمناسبة التفاوض على صفقة بيع اراضٍ تعود له. فقد ذكر لهم عرضاً بأنه ابن الثالثة والسبعين.

السياسيون في العراق للنيل منه، لاسيما وأنه كان يقوي هذا الانطباع بتصريحاته لاسيما تلك التي كانت تتضمن اعجابه بالنهضة التركية وبالزعيم مصطفى كمال (أتاتورك).

في الظاهر أن زواجه من ابنة (محمد فاضل الداغستاني)^(٩) الفريق ووكيل الوالي تم أثناء وجوده في بغداد. وهي كذلك چركسيّة الاصل ولا يعلم هل كان قد اصطحبها معه عند خروجه.

لم يكن بحاجة الى كثير من الذكاء وبعد النظر ليدرك بأن الامبراطورية العثمانية باتت من حكايات التاريخ. فقد قطعت الهزيمة أوصالها ومزقتها شرّ تمزيق والسلطان (محمد رشاد الخامس) حبيس قصره. والحكم الفعلي لما تبقى من الامبراطورية تتولاه سلطة الاحتلال الثلاثية في العاصمة. وفلول الجيش التركي تدافع دفاع المستميت عن قلب الامبراطورية بوجه الغزاة اليونانيين. ثم أن املاكه وأسرته هي في العراق وهو موطن ابيه وجدّه على كل حال.

مع هذا فقد تريث. وربما كان آخر من عاد بين الساسة. بقي يرقب الأحداث، حتى اطمان الى استقرارها باعلان ولادة الدولة العراقية فعاد بعد تنصيب الملك فيصل في ٢٣ آب ١٩٢١ مباشرة^(١٠).

عاد وهو رجل في حدود السادسة والثلاثين، فارح الطول نفاذ البصر، ببشرته القفقسايّة البيضاء، وقيافته التي تبلغ حدّ الأناقة وتفصح عن عناية خاصّة بمظهره وأخذ التأني والتوقف في حديثه مأخذ الوقار والدقة في اختيار التعبير في حين ان مآثاه عيّ وحبسة لسان طبيعية وكان قليل الامام بالعربيّة، يتكلم قليلاً من الفرنسية التي أخذ مبادئها أثناء الدراسة، ويلم ببعض الالمانية التي كانت نتيجة إقامته في برلين. في تصرفاته يبدو مهذباً كيبساً برفقة حاشية إلا أنه يفقدها كلها في لحظات الغضب الشديد فيبدو شكساً معانداً. وقد عرفه خلصاؤه بمقدرة على السخر والتفكّه وهي خصلة لم تفت ملاحظتها على الدبلوماسيين البريطانيين. القليل من العلم الذي ملكه كان من مصادر تركية وعلى مقاعد الدراسة، وأجمع من كتب عنه انه كان عزوفاً عن المطالعة وكل ما اكتسبه كان من المخالطة والتجربة. وقد صعب عليه قراءة العربيّة والكلام بها بما يقارب الفصيح واذا تكلمها طرّحها بتعابير تركيّة، لذلك كان يلجأ الى

(٩) هو شقيق الأميرة (كتسمان) امرأة (الغازي محمد) ابن الثائر الداغستاني الشهير [شاميل ١٧٩٦-١٨٧١] أمير داغستان ورئيسها الروحي (كانت سيرته وكفاحه موضوعاً لقصص الكاتب الروسي تولستوي). و[فاضل باشا] كان قائد حرس السلطان عندما اتهم ظلماً بمشاركته في محاولة انقلاب. فنفاه عبدالحميد من العاصمة الى بغداد في أواخر القرن التاسع عشر. وكان ينتدب بين أن وآخر للوكالة عن الوالي عند شغور المنصب ولحين يعين وال جديد. ومما تجدر الإشارة اليه انه والد اللواء غازي الداغستاني قائد الفرقة الثالثة عند قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

(١٠) يذكر مير بصري ان عودته كانت في ١٩٢٠. (المرجع السالف).

التركية عادة عند مخاطبته من يحسنها.

عند عودته الى بغداد عين مديراً للبريد، بعد أكثر من سنة بقي فيها عاطلاً أنتدب خلالها لإلقاء محاضرات على طلبة مدرسة الحقوق في علم المالية. إلا أنه لم يقض كما يبدو فترة طويلة فيها. وعندما ابدل عنوان مديريته الى مديرية عامة للبريد والبرق ثبت مديراً عاماً لها في ١٩٢٣.

كيف بدء حكمت حياته السياسيّة؟

بعدت الشقّة بينه وبين الطبقة الحاكمة الجديدة، إذ لم يكن لديه ما يدلّ به عليهم ويفخر، فجلّ هؤلاء من الذين ناصبوا فكرة التتريك الاتحادية العداً وتمسكوا بعروبيتهم أو كرديتهم عن طريق تأليف الجمعيات السريّة قبل الحرب العامة. وبينهم كثير ممن التحق بالجيش العربي عندما أعلن الشريف حسين ثورته وحارب الأتراك، في حين كان (حكمت) في المعسكر المعادي الى آخر رفقٍ ومن الاتحاديين المتعصبين لتركيتهم الذين لم يكن لديهم ما يصفون به أولئك إلا بكلمتي «خونة وخيانة».

هؤلاء هم الآن أرباب السلطة والتقرب اليهم صعبٌ والانضمام اليهم أكثر صعوبة ونحن لانجد مندوحة من تصديق (توفيق السويدي) رغم بعض تحاملٍ على حكمت - حين ذكر «انه رجع الى بغداد وبدأ نشاطاً سياسياً غامض الهدف منتظراً تطور الحوادث بشكل أصرح وأوضح حتى قيل عنه أنه كان مع جماعة آخرين يحاولون تمهيد الطريق للرجوع الى تركيا الأمّ ولما استقرت الأمور وبان وجه السياسة واضحاً اشترك بالعمل متعاوناً مع عناصر مختلفة جلها ينقم على الوضع الراهن آنئذ لجلب الرأى العام الى جانبه كما كانت العادة جارية» وقال ايضاً «كان الرأى العام لا يستسيغ وجوده في المسؤولية لماضيه الاتحادي ونزعاته التورانية غير أن استمراره في العمل مع (السعدون) جعل منه سياسياً محلياً قطع علاقته بتركيا وصار يحرص على موطنه القديم... لم يتحمل ما كان يتعرض له من تهجمات وانتقادات عطفاً على اعماله السابقة وتشهيراً باتجاهاته التركيّة...»

ووجد فرصته لدخول المعتزك السياسي في (عبدالمحسن السعدون) فهذا النجم الصاعد في سماء الحياة العامة قبله لا ماضٍ «ثوري» يفخر به ويدلّ. وهو خريج المدرسة الشاهانية مثله من ذوي الخطوة ابان الحكم العثماني^(١١) ولم ينتم طوال بقائه في استانبول الى جمعيّة سريّة (١١) على أثر تخرج عبدالمحسن واخيه من مدرسة المشاة برتبة ملازم بادر السلطان عبدالحميد الثاني الى منحهما رتبة مقدم (بينباشي) استثنائية وضمهما الى بلاطه مرافقين وبعد خلعه انزلت رتبتهما الى الرتبة التي يستحقانها فاستقلا من الجيش وعادا الى العراق في حينه.

أو يلتحق بجيش الشريف حسين ابن علي.

تشيع (للسعدون) ويادر الى الانضمام عضواً في حزب التقدم الذي كان يرأسه وأصبح من المقربين اليه فلم يكن بغريب أن يختاره وزيراً للمعارف عندما كُلف بتأليف وزارته الثانية في حزيران ١٩٢٥.

لم يكن الملك فيصل يكتفٍ ودأً لحكمت والمعروف هو أنه عارض في اختيار السعدون اياه وحاول شطب اسمه من قائمة المرشحين لكن السعدون أصر.

بعد تشكيل الوزارة بشهر واحد، وجدنا (حكمت) يدخل مجلس النواب في أول دورة له نائباً عن لواء ديالى إلا أنه كان سبباً أو ربما العلة في استقالة (عبدالمحسن) فقد اراده رئيساً للمجلس ورشحه إلا أنه أخفق أمام مرشح المعارضة (رشيد عالي) فعدّ (السعدون) ذلك بمثابة حجب ثقة المجلس عن وزارته فاستقال في تشرين الثاني ١٩٢٦. لذلك إشتراط حين تكليفه بتشكيل وزارة ثالثة في أواخر ١٩٢٨، أن يكون قبوله مرهوناً بحلّ ذلك المجلس وتمّ له ما أراد وجاء (بحكمت) وزيراً للعدلية وهي أهم من وزارة المعارف التي لم يترك (حكمت) له فيها أثر أو مآثرة يذكر بها وفي الواقع كان (بومان وسمرفيل وسمث) بالتعاقب يشرفون على وضع المناهج ورسون أسس التعليم والتربية الحديثة وهم من الاختصاصيين. ولم يكن (حكمت) من التجارب والمؤهلات ما يجروّه على التدخل في شؤونهم. إلا أنه اراد هنا وكوزير للعدل كما يبدو أنه يثبت شخصيته ومؤهلاته القانونية كذلك وبوصفه مديراً لمدرسة الحقوق التركيّة سابقاً ومحاضراً فيها أثناء فترة الاحتلال وقد كلفه ذلك منصبه.

كان مقرراً أن يقوم البريطاني سر (الفرد موند) بزيارة للعراق، فأشيع قبل مقدمه أنه من الساسة المعروفين بتشيعهم للصهيونية ودفاعة عن دعوى اليهود بموطن قومي في فلسطين، وانه سيأتي لاستطلاع رأي رجال الحكم العراقيين في هذا ولاقناعهم بوجهة نظره. فانفجرت تظاهرات بين الطلاب تدخلت فيها الشرطة وأدت الى اشتباكات ووقوع اصابات كثيرة بين المتظاهرين. وقررت الحكومة وضع حدٍ لها باصدار مرسومين فرضا عقوبات انضباطية وجسدية على الطلاب المتظاهرين تتراوح بين الطرد، والجلد.

عند وضع صيغة القانونين حصل بين (حكمت) وبين مستشار العدلية خلاف فقهي لايمت الى المبدء أو العقوبات المقترحة بصلة. وعندما عرض الأمر على مجلس الوزراء، أعتمدت صياغة (دراور) فعدّ (حكمت) ذلك انتقاصاً لشخصيته ولعلمه ويادر بتقديم استقالته.

بهذه المناسبة قال (حكمت) لمؤلف [تاريخ الوزارات العراقية]:

«إن فكرة اقرار مجلس الوزراء للمرسومين ١٣ و ١٤ قد نضجت (يقصد الأخذ بصياغة المستشار كما هو واضح) قبل أن أفاتح في موضوع طرحهما عليه بصفتي وزيراً للعدلية. وإنني فوجئت باحضار مستشار العدلية الى جلسة المجلس التي عرض فيها المرسومان فاضطرت الى الاستقالة.»

وهو كما ترى هنا يثور لكرامةٍ شعر انها جرحت ولأن زملاءه فضلوا صيغة المستشار البريطاني على صيغته. فالاعتراض لم يقع على المبدء ولا على العقوبة ولا حرصاً على قدسيّة القانون الأساسي وصيانتته من عبث الحكومات باصدار المراسيم.

مع هذا فقد استطاب وغدّى الاشاعة التي سرت بأن استقالته انما كانت احتجاجاً على اصدار المرسومين بالأصل. مع ذلك بقي في الوزارة وسحب استقالته عندما طلب (السعدون) منه ارجاءها حتى إتمام الانتخابات العامة للمجلس الجديد. بل جرب وزارة الداخلية خلال تلك الفترة عندما عهد اليه بوكالتها، فاصبح منذئذ وهو لايرضى بغيرها كلاً ففتح في انضمامه الى حكومة جديدة.

أخيراً قبلت استقالته في ٣ من حزيران ١٩٢٨. وفي خلال ذلك دأب فيصل على حث (السعدون) والالحاح عليه بقبول الاستقالة.

جرت الانتخابات وفاز حكمت بمعقده ثانية عن لواء ديالى. إلا أنه فشل في دورة المجلس الثالثة (تشرين الأول ١٩٣٠). وفاز بها للمرة الرابعة (١٩٣٣) نائباً للواء بغداد هذه المرة.

عندما كُلف (السعدون) بتأليف وزارته الرابعة في ايلول ١٩٢٩ وعرض على (حكمت) المشاركة أصرّ هذا على اسناد وزارة الداخلية اليه، وهي أهم وزارة في العراق - إلا أن (السعدون) كان محرراً. «فالتبخة» الوزارية كما كانت تنعت آنذاك - قضت بإسنادها الى (ناجي السويدي) وهو رئيس وزراء سابق، فاجتاح الغضب (حكمت)، ولم يقبل بغيرها وكان هذا بداية تحوّل السياسي والقطيعة بينه وبين (السعدون) فلم يكتفٍ بخروجه من حزب التقدم بل انضم الى الاعداء المعارضين الذين كان يمثلهم الحزب الوطني العراقي ثم حزب الاخاء الوطني وكان واحداً من السبعة الكبار^(١٢) الذين تحالفوا فيما بينهم ووقعوا ميثاق ٢٣ من

(١٢) الآخرون هم ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني، ومحمد جعفر ابو التمن، وتوفيق السويدي، ومولود مخلص ومحمود رامز. وتآلف الميثاق من ثلاثة تعهدات هي:

(١) ان معاهدة ١٩٣٠ مع بريطانيا هي معاهدة فاسدة وجائرة ويجب تعديلها

(٢) وجوب حلّ المجلس النيابي الحالي لأنه لايمثل العراقيين.

(٣) إن أي وزارة تؤلف في المستقبل يجب أن تهدف الى تحقيق الشرطين الاولين.

والملاحظ هو أن كل من شارك من هؤلاء في وزارة تالية تنصل عن هذا التعهد وابتلع توقيعه. حتى اننا =

تشرين الثاني ١٩٣٠ وعلى هذا الميثاق أقيم حزب الاخاء الوطني (في كانون الثاني ١٩٣١) الذي تزعمه ياسين الهاشمي. وبقي يحمل لواء المعارضة حوالي سنتين.

في آذار ١٩٣٣ قضت «طبخة» وزارية أخرى أن يعهد الى (رشيد عالي) بتشكيل الوزارة، ونال (حكمت) فيها ما صبا اليه. إلا أن الثلاثة الذين وقعوا عهد تشرين الثاني، فقدوا سمعتهم وبقيّة احترام عند الرأي العام عندما وجد في منهاج هذه الوزارة الوزارة تعهداً [باحترام المعاهدات الدولية] الامر الذي ألجأ الحزب الوطني الى فك ارتباطه بحزب الاخاء وعدّ (حكمت) من أولئك الذين لا يحترمون توقيعهم أو على الأقل من لا يعبأ بتغيير رأيه كلما وجد في ذلك مصلحة.

سميت تلك الوزارة بالوزارة القومية، لأنها تصدّت لخطر عظيم كاد يلحق الضرر العظيم بالقضية العربية والكيان العراقي هو التمرد الآشوري أو ما أطلق عليه مؤلف تاريخ الوزارات العراقية [عصيان التباريين!] بجهل منه أن التباري هم واحدة من خمس عشائر رئيسة.

الغلام الشركسي ينقلب الى قوميّ عربي

وماذا عن ماضيه؟ وتشيعه لكل ما هو تركي^(١٣)؟ والاعتزاز به، القضية والحالة هذه من الوضوح والبساطة بمكان. فهؤلاء الافاقون الدخلاء هم الذين ترمّدوا على دولة كان اخوه يوماً ما فيها رئيساً لحكومتها بل حاكمها الفعليّ المطلق، فانضموا الى اعدائها وكان لهم سهم في ازالتها وتقطيع أوصالها. وها هوذا الفلك يدور دورته العجيبة لتقع تلك الشردمة الدخيلة المتمردة تحت رحمته بعد ثمانية عشر عاماً فحسب، وبالجيل الذي عمل على تغيير حظوظه لم ينقرض معظمه.

لا شبهة ثمّ فيما سيكون موقفه منها وقد أسهم فيها بوصفه عراقياً عربياً لا تركياً تورانياً. مرت (بحكمت) فترة دامت خمس سنوات تقريباً قبل أن يدعو أحد للمشاركة في الحكم. على أن صديقه آنذاك ونسيبه، ثم عدوّه فيما بعد، ثم صديقه دعا لوزارة الداخلية في آذار ١٩٣٣. فحقق بذلك امينته لا في الوصول الى المركز الذي صبا اليه وحده، بل الى الفرصة = نجد في منهاج وزارة (حكمت سليمان) نفسه هذه العبارة «تعزير روح التآزر بين العراق وبريطانيا العظمى والعمل المتواصل لتأمين أقصى الفوائد مالياً واقتصادياً وعسكرياً من الحلف العراقي - البريطاني!!».

(١٣) هناك عبارة وردت عرضاً في تقرير للسفير البريطاني عن الشخصيات الرئيسة في العام (١٩٣٥) جاء فيه: «قام (حكمت) بزيارة لتركيا في صيف ١٩٣٥ وعاد وهو يلهج بمديح اساليب تركيا العصرية، ويقادها [مصطفى كمال اتاتورك]».

الفريدة للغنى الفاحش. ففي تلك السنة بديء العمل بقانون تسوية حقوق الأراضي.

هذه الفترة تمثل المرحلة الثانية من حياة حكمت السياسية. نقول وبكل ما نملك من حذر إن (حكمت) لم يكن له سهم في التخطيط لمذابح الآشوريين ولعله أخذ بها على حين غرة، إن كان الوصف الذي زودنا به [ستافورد] له، إثر معاينته مجزرة سميل من الجو هو وصف حقيقيّ وإن كان (حكمت) ليس من أولئك الذين يملكون موهبة في التمثيل والظهور بمظهر مخالف لما يكتون. لكن ليس هناك أي دليل يثبت بأنه كان يريد أن يبلغ «عقاب» الآشوريين هذا الحد من الصرامة والوحشية. إلا أن موقفه اللاحق واجراءاته السابقة التي اعتمدها لمعالجة المشكلة، تؤيد لنا على أقلّ التقدير صحّة ما روي عنه من سوء نيّة ترافقها وقلة علم مع ضيق صدر وعناد اشتهر به الشركس والأترك وأنه كان حصان (رشيد عالي) مثلما بات حصان (بكر صدقي) بعدها. وعاد فهو شريك في المسؤولية أصليّ بحكم مركزه وبحكم تصرفاته الشخصية ويتوقعه صدر مرسوم اسقاط الجنسية المخالف للدستور وهو الذي حاول تلك المحاولة الخرقاء لطمس معالم المذابح عامداً بتقريره الرسمي الذي رفعه الى الحكومة ليخرج الجيش وبكر صدقي من طائفة المسؤولية ويتهم العشائر الكردية والعراقية بارتكاب مذبحه سميل.

لم يطل الوقت (بحكمت) ليستفنيق من تأثير ما رآه. وببرود دم الجاني باشر في عملية التغطية والتزوير وبأسرع مما كانت المجارف والفؤوس تعمل لحفر واهالة التراب على جثث القتلى في بيادر قرية سميل بذلك التقرير الذي سخر منه كل من كتب حول المسألة، ولا استثنى منهم أولئك الذين لم نجد عندهم ذرة عطف على الضحايا، ومنهم من كان يرى أخذ الآشوريين بمنتهى الحزم والشدة، ويدافع عن موقف الحكومة واجراءاتها^(١٤).

بدا (حكمت) في تقريره هذا اشبه بالسارق المستجدّ الذي حاول ازالة بصمات اصابعه بذر الرمل على الحزاة التي افترعها. بل وأقرب تشبيهاً، بذلك السباح القليل التجربة الذي اراد انتشاره صاحبه فغاص معه الى الاعماق.

بقي (حكمت) وزيراً للداخلية حتى تشرين الاول من العام ١٩٣٣ عندما اضطر رئيسها الى الاستقالة نتيجة واحدة من تلك المؤامرات الصغيرة التي يمارسها افراد الطبقة الحاكمة بعضهم على بعض. فقد وقف منها المجلس النيابي موقف عداء. وعجز (رشيد عالي) عن اقتناع الملك باصدار الارادة الملكية التي تقضي بحلّه، وعقبت تلك الوزارة اربعاً آخر (أنظر التفاصيل في

(١٤) تحاشياً لقطع السياق. أثرتنا اثبات نصّ التقرير في آخر الحديث عن السيّرة.

سيرة رشيد عالي).

وفي آذار ١٩٣٥ عندما كُلف (ياسين الهاشمي) بتأليف الوزارة ودان يضم إليها (حكمت) في الوقت الذي كان يحرص على ضم (رشيد عالي) أيضاً وكلاهما كان يريد وزارة الداخلية لا غيرها. قال (الهاشمي) له أنه مستعد لإسناد اي وزارة له يشاؤها غير الداخلية لأنه وعد بها (رشيد عالي). فأجاب انه يريد الداخلية فحسب، وتعلل بأنه لا يعرف شيئاً من الأمور المالية ولذلك لا يقبل أن يكون وزيراً للمالية وهي الحقبة التي اقترحها (الهاشمي) له.

في تلك الفترة لم يكن بوسع (الهاشمي) التفریط (برشيد عالي) وإبقائه حرراً طليقاً خارج الوزارة بسبب صلاته الوثيقة برؤساء عشائر الجنوب، وبالنشاط الذي آمن (للهاشمي) اسناد الحكومة اليه. ثم أنه كان يدري أن بقاءه خارج الحكم سيجعله عرضةً لمؤامراته. في حين لم يكن (حكمت) مثل تلك الأهمية السياسية سوى ارتباطه بالحزب الوطني ثم بخروجه منه ووضع يده في يد جماعة «الأهالي»^(١٥) وهم جماعة من المثقفين التقدميين الشباب لم يكن

(١٥) أصدر هؤلاء في كانون الثاني ١٩٣٢ جريدة يومية باسم (الاهالي) تعبر عن افكارهم وهو مبادئ إصلاحية تبناها لأنفسهم وقالوا أنهم يعملون على تحقيقها. من مؤسسيها عبدالفتاح ابراهيم ومحمد حديد (زميلان في جامعة بيروت الأمريكية) وعبدالقادر اسماعيل وحسين جميل المحاميان والثلاثة من مواليد ١٩٠٦ الأ (حسيناً) فقد صغرهم بسنتين. يستفاد من المقالات التي نشرتها جريدتهم آراء اشتراكية - دارونية - فابية. ويقولون انهم يضعون مصلحة الشعب فوق كل شيء ويقصدون أغلبيته، ويقصدون بالمصلحة العامة، رفع مستوى الشعب معاشياً واقامة نظام سياسي إقتصادي سليم، واستثمار الطاقات الفكرية ومصادر الثروة الوطنية الى أقصى حد. وإن كل هذا يقتضي نبذ الماضي وعدم الالتفات اليه وبناء اسس جديدة لحركة احياء أصلية ترتكز على الفلسفة الاشتراكية والقوى الروحية. وإن هذا يتطلب قيام ثورتين في آن واحد: ثورة ثقافية، وثورة خلقية نفسية. وجريدتهم (الاهالي) وهي «اللسان المعبر عن حركة البعث المنشود ستكون مدرسة للجمهور تعمل ولا تعلن. وإن السبيل الأقوم للوصول الى الغاية هي نشر التعليم» بعبارة أخرى إنهم يفضلون التغيير سلمياً على الانقلاب والثورة. كل هذا كما قلنا افكار غامضة على انها ظهرت في العام ١٩٣٥ بمثابة دعوة اشتراكية الصبغة مبنية على أسس ديمقراطية ليبرالية عبر الجماعة عنها باصطلاح [الشعبية].

معظمهم كان من الموظفين الذين لا يحق لهم قانوناً تأليف حزب سياسي أو الانتماء الى حزب. فأسسوا بدل ذلك في ايلول ١٩٣٢ ما عرف بـ[جمعية مكافحة الامية] وتحت هذا الغطاء وسعوا دائرة نشاطهم فانداحت الى البصرة والكوفة والناصرية ويعقوبة والحلة وكان لهم فيها أنصار وأشباع ويعود الفضل في هذا الى سمعة (جعفر أبو التمن) الذي منحهم تأييده والانضمام اليهم وقبوله رئاسة الجمعية. وقوي جانبهم بإنضمام (كامل الجادرجي) اليهم في العام ١٩٣٥. وهو محام جريء غير هياب في الافصح عن رأيه وكان قبلها من اقطاب الحزب الوطني. أمّا (حكمت) الذي انضم الى الجماعة بعد يأسه من وزارة الداخلية وكله حقد واضطغان (للهاشمي والكيلاني) فقد تم قبوله بتردد وشك واتضح فيما بعد انه ما انتمى إلا وهو في سبيل البحث عن مطية تقوده الى السلطة. كان (للجادرجي ولأبي التمن) الأثر العظيم في تحول تام فكري للعصبة الى جمعية ذات اهداف عملية. فلخصت الى حد كبير من التناقضات واللبلة. (ومنها مساندتها حكومة رشيد عالي القوية في تأديب الاثوريين في حينه ووقوفها موقفاً سلبياً بارداً =

لهم في حينه حساب ولا وزن في الطبقات الحكومية والمعادلات السياسية التي تقام على أساسها الحكومات وتسقط. إلا انه كان يصعب عليه الاستغناء عن (حكمت) في ذلك الوقت

= من عمليات القمع التي باشرتها الحكومات في شمال العراق وجنوبه حتى العام ١٩٣٥). وافلت شمس قادتتها الشباب ومنهم (عبدالفتاح ابراهيم) الذي تركها ذاكراً أن السبب الأصلي لخروجه هو دخول (حكمت): «رجل ليس اهلاً للثقة» حسب تعبيره، و«ربط الحركة بيكر صدقي». ولم يكن عبدالفتاح الوحيد في معارضته وتطييره من صلة الجمعية (بحكمت ويكر) وشاركه في الرأي (فيما بعد) كل من الجادرجي وجعفر وكلاهما عرفه من خلال وجودهم معاً في الحزب الوطني. مع هذا فقد ترأس الثلاثة اللجنة العليا للجمعية في ١٩٣٦.

من اعضاء الجمعية البارزين الاوائل عزيز شريف المحامي (النائب زمن الانقلاب والقاضي، ثم الوزير في عهد البعث الأخير) وحسن الطالباني (الوزير في عهد قاسم) وعبدالكريم الازري (الوزير في العهد الملكي) وعلى حيدر سليمان (السكرتير ثم الوزير في العهد الملكي ثم السفير في عهد قاسم). وعيسى طه المحامي ومحمد مكي الجميل وجميل توما، وابراهيم بيثون وكامل قرانجي وموسى حبيب. وقد وجدت في الوثائق البريطانية رسالة مرقمة ٤٤١ ومؤرخة في ٢٧ من آب ١٩٣٦ كتبها (چارلس بيتمان) القائم بأعمال السفارة البريطانية في بغداد الى وزارة الخارجية جاء منها هذا: «ان الهدوء السياسي الذي كان سائداً خلال الاسابيع القلائل الماضية اختل في ١٢ من آب بعودة الجريدة المحلية (الاهالي) الى الصدور ثم منعها فوراً. هذه الجريدة اتصفت بحدة لهجتها وعنف هجومها على الحكومة... وقد أغلقت في أكثر من مناسبة نتيجة تدخل سفارة جلالته. وفي ١٢ من آب خرجت الجريدة عن الصمت الذي فرض عليها قبل سنة واحدة وكان يشرف على تحريرها [حكمت سليمان] و[جعفر ابو التمن] هذان سبق أن اشغلا وزارات ومارسا نفوذاً غير قليل، وهما من اصدقاء رئيس الوزراء (الهاشمي) سابقاً الا انهما اختلفا معه، وكان خروجهما من غمورهما النسبي في شهنما حملة عليه وعلى وزير الداخلية (رشيد عالي) بسبب دورهما في مفاوضات اتفاقية السكك الحديدية إذ زعم هذان انها قيدت الحكومة العراقية بأغلال البريطانيين... ومما يذكر ان حكمت سليمان قد وجه نقداً ماثلاً في جريدة (البيان) التي كان صاحبها في نيسان الماضي.

ويبدو أن الحكومة تلقت انذاراً عن محتوى إفتتاحية (صوت الأهالي) فقامت الشرطة في ساعة مبكرة من صباح ١٢ آب بمداهمة مكاتب الجريدة وصادرت جميع ما وجدت من نسخ ذلك العدد. لكن قيل لي أن حكمت سليمان احتفظ سراً بعدد من النسخ وراح بنفسه يبيعهما من الناس في الشوارع. الأمر الذي يدل على انها خلصت من المصادرة وبيعت بدرهم (خمسة أضعاف ثمنها) فعملت الجريدة فوراً لمدة سنة واحدة أخرى. وبعد أيام قليلة ذهب (حكمت وجعفر) الى الملك معاً واحتجاً لديه احتجاجاً شديداً على تعطيل الجريدة وأصغى الملك لشكواهما بعطف واهتمام إلا انه لم يبد لهما أي تشجيع. وربما كان مرد ذلك الى أن (حكمت سليمان) على الأقل - لم يكن حذراً كما يجب في انتقاده الأسرة الهاشمية اثناء الهياج الذي سببته حكاية الأميرة عزة».

ويذكر (فؤاد حسن الوكيل) في «جماعة الاهالي في العراق: الطبعة الثالثة، بغداد، ص١٤٢» أن اتصالات جماعة الاهالي (بحكمت) بدأت في أواخر العام ١٩٣٣ عندما كان خارج الحكم. فاتجهت انظار الجماعة أو بالأحرى بعضهم اليه للسمعة الحسنة التي كان قد كسبها شخصياً بسبب موقفه من المشكلة الاشورية».

ونحن شخصياً لانرى في ذلك غرابة ولعل القول قريب من الحقيقة ودليل على النجاح العظيم الذي حققته الحكومة في تأليب الرأي العام وحشده الى جانبها الى الحد الذي أوقعت جماعة الاهالي في شركها. وكانت الجريدة في خلال تلك الفترة من أعلى الأصوات في تأييد اجراءات الحكومة القمعية والدفاع عن =

بالذات. اذ كان يعلم عن طريق اخيه (طه) رئيس اركان الجيش بأن (حكمت) وطيد الصلة بعدد من ضباط الجيش القادة والاعوان فضلاً عن ارتباطه ببعض شيوخ الجنوب والوسط. ولذلك رأى أن يتوقف عن اعلان اسماء وزرائه وأن يعتذر عن تأليف الحكومة حتى يقنع (حكمت) بالمشاركة فيها وزاد من حدة المنافسة وبعد الشققة بين الصديقين القديمين قيام [المدفعي وعلي جودت] بتحريرض (غازي) على رفض وضع توقيعه على الارادة الملكية بتشكيل وزارة يكون فيها (رشيد عالي) وزيراً فيها. اذ كان كما ذكرنا في سيرة رشيد، السبب في اسقاط حكوماتهما.

كان امام (الهاشمي) من جهة، مصير تلك الحكومات التي قوّضها (رشيد). ورشيد يهدد «بتترك العاصمة الى منطقة بعيدة... في الجنوب!» إن لم تسند إليه وزارة الداخلية. ولكلمة "الجنوب" المخيفة معناها وهاننا يتدخل (رستم حيدر) الذكي الأريب المستقيم، أثقف الساسة العراقيين وأزدهم، ويتمكن من حمل الملك على ترك الحرية (للهاشمي) ولم يكن هناك بدّ من التضحية (بحكمت). كان هذا في العام ١٩٣٥، وقد مضى على انصواء (حكمت) الى جماعة الأهالي عامٌ وأشهر قلائل وفي الوقت الذي كانت علاقته الصميمة (برشيد عالي) معروفة للجميع.

يصف الجادرجي لقاءه الأوّل (بحكمت) عند انضمامه اليهم فيقول «زرت (حكمت) ذات ليلة في داره، وتحدثنا ملياً عن الوضع السيء في البلاد يومئذٍ وعن لزوم التصدي له. ومع أنه وافقني كل الموافقة لم أجد أملاً قوياً في نجاح مسعاي. لم يكن يعلم شيئاً عن اعمالنا السرية وعن اعتزامنا تأليف جمعية باسم «الشعبية» كما لم يعلم بعلاقتنا (بجعفر أبو التمن) وقد ذكرت له اسم (جعفر) وقلت أنه مستاء جداً من الوضع الراهن ولايبعد أن يوافق عل العمل إذا وجد سبيلاً الى ذلك. فتغيرت اسارير (حكمت) وظهرت عليه بوارق أملٍ وقال «هل يرضى (جعفر) أن يشتغل معي؟ لا أظنه يثق بي كثيراً». وقد كان سؤالاً ذا خطورة وحكماً غريباً مما جعلني افكر لبرهة في جواب مناسب... كان يجب عليّ أن أكون على حذر منه لعلمي بعلاقته القوية (برشيد عالي الكيلاني) الذي لم يوافق أحدٌ منا على الاشتغال معه أو الاتصال به بأي طريقة أكانت مباشرة أم غير مباشرة، وفي أي ظرفٍ من الظروف. وكان (جعفر) أيضاً من أنصار هذا الرأي فقد سبق أن بيّن أن من محاذير العمل مع (حكمت)

= الجيش ونفي قيامه أو مشاركته في المذابح، كما أنها هاجمت الحكومة لأنها سمحت لمندوبيها في عصبية الأمم بالاقرار بوجود التجاوزات والوعد بانزال العقاب بالفاعلين. على أن الوقت لم يطل بالأهالي وجماعتها، ليجدوا أنفسهم ضحيةً للذين حمدوا موافقهما ووثقوا بهما.

صلته (برشيد عالي).

بعد القطيعة مع (الهاشمي) أصدر (حكمت) صحيفة (البيان) ولما كان عاجزاً عن الكتابة فقد استأجر لها اثنين من المحررين ذوي الشهرة المعينة، إذ كانا قبلاً من هيئة تحرير صحيفة (حيزوز) الانتقادية الفكاهية، هذا الى جانب معاونه فعالة من كُتّاب الأهالي. إلا أن عمرها لم يمتد الى أكثر من عشرين أو ثلاثة فقد أصدر (رشيد عالي) أمراً بتعطيلها لمدة سنة واحدة. وانفجر (حكمت) غيظاً وحنقاً على (رشيد والهاشمي) وراح يوجّه تعليقاته ونكاته الساخرة اليهما في المجالس التي يغشاها.

قال (حكمت) لجماعة الأهالي، إن اصراره على تولي وزارة الداخلية هو من أجلهم ومن أجل جمعية مكافحة الأمية. فمن ذلك المنصب سيكون بوسعه ازالة العراقيل امام عملهم ونشاط الجمعية وحمايتها بالشكل الذي يضمن توسيع دائرة انصارها وأعضائها.

من جهة أخرى ذكر (السيد عبدالمحسن أبو طيبخ) العين وأحد الساسة البارزين من الجنوب - بهذا الصدد، أن (حكمت) اجتمع في داره بكل من (الهاشمي ورشيد عالي) قبل تأليف الوزارة وابلغهم - وكان هو رابعهم - بأن الجمعية اي جماعة الأهالي. قررت مشاركته في الوزارة «على أن اتولى وزارة الداخلية، وكلّ وزارة غيرها لايمكنني قبولها»!!

بعد تأليف الوزارة، وبمحاولة منه إيهام جميع الاطراف بثقله السياسي أقدم على عمل اثار تساؤلات وتكهّنات وتفسيرات عديدة لغرابته. فقد أقام مأدبة عشاء في داره لشيوخ العشائر والشخصيات البارزة التي وفدت لتهنئة (الهاشمي) بتشكيل الوزارة^(١٦).

بعد تعطيل الجريدة أطلق (حكمت) للسانه العنان في نبش اعمال مشينة عزيت الى خصميه الجديدين وتحدث عن سرقات (رشيد) وإساءة استخدامه لمناصبه الوزارية واتخاذها وسيلة للغنى^(١٧) والاستيلاء على الأراضي الاميرية.

واستغلّ زلّة لسان (للهاشمي) أثناء إلقائه خطاباً بمناسبة افتتاح دار الحكومة في البصرة عند قوله «انه يأمل في البقاء في الحكم لمدة عشر سنوات أخرى ليكرسها لخدمة البلاد». فراح (حكمت) يشيع بأن (الهاشمي) ينوي اعلان نفسه رئيساً للجمهورية ويزيل النظام الملكي

(١٦) من المدعويين الشيخ محمود البرزنجي الذي كان مبعداً في بغداد! آنذاك.

(١٧) ذكر (حكمت) للسفير البريطاني في ١٩ من تشرين الثاني ١٩٣٦ أن (رشيداً) حصل على مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة باستغلاله جهاز تسوية حقوق الاراضي. وابتزازه النقود من مستأجري الاملاك القادرية (وقف الكيلاني) عندما كان وزيراً للداخلية ووزيراً للعدل.

وراحت عنه فكاهة لقيت لها مكاناً في رسائل السفارة البريطانية الى مرجعها في لندن^(١٨).

المرحلة الثالثة من حياة (حكمت) السياسية هي صعوده الى قمة السلطة بأسنة حراب الجيش العراقي ثم سقوطه السريع وخروجه نهائياً من حلبة الصراع السياسي والحياة العامة. ويكل ما جرته عليه من متاعب وشقاء ومهانة.

ليس من أغراض الكتاب التطرق الى تفاصيل الانقلاب وكيفية الإعداد له وتكفيينا منه الإشارة الى أنه كان مفاجئاً لكل من الحكومة والعراقيين جميعاً وللملك نفسه، رغم ادعائه فيما بعد مفتخراً بأنه كان على علم مسبق^(١٩) - إلا أنه لم يكن مفاجأة لأولئك الوطنيين التقدميين الذين وضعوا مصائر حركتهم ومبادءهم ومثُلهم بين يدي انتهازيين أحدهما مدني وآخر عسكري طوح الحقد والتهافت على السلطة ببقية من شعور لهما بالمصلحة العامة وبثقل (١٨) الوثائق: من القائم بالاعمال الى ايدن في ١٧ ايلول ١٩٣٦: «سُمع حكمت سليمان وهو يعلق تعليقاً لاذعاً على خطاب الهاشمي إذ قال: إنه يتوقع أن يتغير الشعر بالنظر الى رئيس الوزراء فبدلاً من الهمس يحيا الملك Vivre Le Roi سيكون الشعر «يحيا انا Vivre Le Moi».

ويلاحظ هنا الجناس بين كلمة Roi وMoi الفرنسيتين وهو لبّ الفكاهة. على أي حال، لا يستطيع (حكمت) أن يفخر بان الفكاهة هي من ابداعه الخاص. فهي من الماثورات الفرنسية التي جرت على ألسن العامة تاريخياً منذ عهد لويس الرابع عشر الذي حكم فرنسا حكماً مطلقاً. ويظهر أن هجمات (حكمت) على الهاشمي يمثل هذه التعليقات كانت مؤثرة الى الحد الذي اضطر هذا الى تبديدها بالنص في منهاج وزارته على المحافظة على احكام الدستور ومبادئه. ومما يؤكد خشية (الهاشمي) أيضاً أنه ابقى باب الأمل بضم (حكمت) الى الوزارة مفتوحاً، بتركه منصب وزارة المالية شاعراً لمدة اسبوعين قضاها في محاولات عقيمة. ومن تلك المحاولات قيام (طه الهاشمي) بدعوة (حكمت) الى داره بتوسط (بكر) صدقي وكان على علم بعلاقتهم - فرفض (حكمت) الدعوة.

(١٩) في برقية السفير كلارك كير السرية المؤرخة في ٢٩ من تشرين الثاني (عشية الانقلاب) رأى من المحتمل أن يكون غازي قد أحيط علماً بالانقلاب إلا أن الحسني (تاريخ الوزارات، ج ٤ ص ١٩٩) يؤكد نقلاً عن (رستم حيدر) رئيس الديوان الملكي آنذاك - بأن (غازي) كان يرتعد فرقاً واضطراباً وبقي لياكل ولايشرب حتى كلمه (بكر صدقي) تلفونياً من مخفر شرطة المغيسيل مؤكداً له ولاء الجيش للعرش. وأكد (حكمت) جهل غازي التام بالأمر لعين الجهة. ويقص (طه الهاشمي) في مذكراته نقلاً عن ناظر الخزينة صفوت العوا (أحد اللصيقين بالأسرة المالكة) هذه الواقعة: قال أنه دخل على غازي في ٢٩ من تشرين الثاني فوجده منشراحاً منبسطاً يتبجح قائلاً أنه دبر الانقلاب ومؤامرة الجيش فقال له (صفوت العوا) أنت لاتعلم عن الأمر شيئاً فلم تلقي نفسك في ورطة، وواجب البقاء على الحياد؟»

هذا بطبيعة الحال وجه من أوجه صبيانيات غازي ولا شك في أن تظاهرة وقع بعد المكاملة التلفونية. وهو بالأحرى تعبير عن غبطته لزوال إجراءات الحجر الذي ضربه عليه (الهاشمي) ويؤكد ذلك أيضاً تلك المقابلة التي جرت بين غازي والسفير البريطاني بحضور من الهاشمي ونوري السعيد صباح الخميس ٢٩ تشرين الثاني. فجفل غازي عندما ابلغه (الهاشمي) عن مكاملة تلفونية له مع بكر صدقي قبل زحفه على بغداد، زعم فيها أن الانقلاب انما يقع بمعرفة الملك وتأييده وبادر الى انكار صحة هذا الزعم بإصرار لاتعمل فيه.

التبعات الخلقية.

حمل (حكمت) كتاب قائد الانقلاب مخاطباً في بطانة سترته وكان قد أعد سلفاً. وأسرع به الى (غازي)، وفيه طلب من الجيش بإقالة (الهاشمي) فوراً واسناد الحكومة الى (حكمت) عينه وليس غيره. وأسرع (الهاشمي) برفع استقالته وسرى رعب في نفوس الطبقة الحاكمة بعد مقتل وزير الدفاع. كان قائد الانقلاب وراء دم صديقه وحاميه والمتستر عليه (رشيد عالي) ووراء دم (نوري السعيد) بصورة خاصة الذي استنكر علناً الأعمال القمعية الوحشية التي أوقعتها بالاشوريين وزارة كان عضواً فيها وبغيا به هذا الى جانب دخول وثارات شخصية أخرى. مع هذا كُله فالدلائل تجمع تقريباً على أن (حكمت) لم يفكر في القضاء على خصومه الكبار قط بل كان يعمل على انقاذهم من بكر صدقي وضباطه القتلة، ضمناً جهوده الى جهود السفارة البريطانية في هذا السبيل وهي كما يبدو جهود صادقة. على أنني لا أرتاب في أنه كان يهجنس بنية قائد الانقلاب في تعقيبهم والفتك بهم بعد مصرع (جعفر العسكري).

في الواقع أنه كان يأمل بانقلابٍ شبيه بذلك الذي حققه اخوه قبل سبعة وعشرين عاماً ولم ترق فيه قطرة دم. إلا أن الفرق بين الاثنين فهنا لم يكن (حكمت) بطل الانقلاب الحقيقي وإن كان الانقلاب من بنات أفكاره بالأصل، وفي تركيا حقق (شوكت باشا) انقلاباً فوق انقلاب كان قد تمّ قبله بسنة واحدة.

وقائد الانقلاب الفعلي الآن هو عسكري دموي مستقل الرأي كتوم لايعرف سره ولايدرك ما هو في سبيله. وقد اتضح (لحكمت) بعد فترة قليلة بأنه ليس غير مطية (لبكر صدقي) الذي يحكم فعلاً من ورائه وبمنصبه المحدد نسبياً.

ما الذي كان يجول برأس (حكمت) عندما واجه (غازي) بالرسالة التي فرضته رئيساً للحكومة؟ كانت الصورة تختلف عن تلك التي رسمها اخوه. الظاهر انه لم يكن مهيباً لاستعادة منظر اخيه قتيل الاتحاديين وهو جثة هامدة داخل مركبته، فجماعة (الاصلاح الشعبي) الذين استخدمهم وجاء باسمهم ثم انقلب عليهم وشتت شملهم، ليسوا بحملة مسدسات كالاتحاديين.

نال جماعة الأهالي نصف المقاعد الوزارية. وأمكنهم ممارسة نشاط جمعيتهم علناً. على أنهم مالبشوا أن وجدوا أنهم لايملكون من حرية التصرف إلا بالقدر الذي يرضي قائد الانقلاب المسك بزمام (حكمت) بدوره. وأفرزتهم تلك الجرائم الخلقية التي لا عهد للعراق بمثلاها من قبل ومرسحها بغداد ومرتكبوها مرافقو القائد وخلصاؤه. فقدموا استقالة جماعية «احتجاجاً

على تدخل رئيس اركان الجيش في شؤون الحكم».

كان الانقلاب العسكري ومجيء وزارة بالقوة المجردة الى الحكم ظاهرة جديدة في تاريخ البلاد. فالعادة جرت أن تتم تنحية وزارة واستبدالها بأخرى بمؤامرة صغيرة ضيقة النطاق تتم في المنازل أو في أبهاء المجلس النيابي أو في قصر الملك مع المحافظة على جميع المظاهر الدستورية. ولذلك لجأ الوزراء الأربعة الى الحيلة الدستورية اي إحراج (حكمت) باستقلالهم وارغامه على التنحي عن الحكم بحكم المادة (٦٤) من القانون الأساسي. إلا أنه لم يعبأ وعمد الى ترقيع وزارته ونشر بياناً اتهم فيه المستقلين بأنهم من ذوي الأفكار الهدامة^(٢٠).

وأما عن موقف بريطانيا من الانقلاب، فهو مستوحى من سياسة حكوماتها طوال العقد الرابع من هذا القرن، ومن سياسة الديمقراطيات الغربية بصورة عامة ازاء الدكتاتوريات في المانيا وايطاليا ثم اسبانيا فيما بعد. عرفت هذه السياسة عند المؤرخين الغربيين باصطلاح: المصانعة والمهادنة plocation and appeasement policies، وأيتها الاستكانة والخنوع وغض الطرف عن كل ما تقدم عليه تلك الدكتاتوريات من اعتداءات خارجية وخرق للعهد والمواثيق الدولية، إذ كانت تعتبر الاتحاد السوفياتي والشيوعية الدولية الخطر الحقيقي على نفوذها ومصالحها الاستعمارية في آسيا وافريقيا، وبإيمان لا يداخله شك في أن المانيا وايطاليا تقفان سداً منيعاً ضد الطغيان الشيوعي مؤمنة ايماناً لا حد له بأن الصراع القادم سيكون بين هذه الدكتاتوريات وبين المعسكر الشيوعي. لذلك لم يكن بالعسير تفهم الحرية التي استمعت بهما دبلوماسيتا المانيا وايطاليا في العراق لنشر الافكار الشوفينية وإنماء روح التعصب

(٢٠) الوزراء المنسحبون هم كامل الجادرچي (الاقتصاد)، ويوسف عز الدين ابراهيم (المعارف) وصالح جبر (العدلية) ومحمد جعفر ابو التمن (المالية) وهذا هو نص كتاب الاستقالة:

«لما كانت امانى البلاد التي طالما ضحينا في سبيل تحقيقها حرصاً على سعادة ابناء البلاد ورفاههم واطمئنانهم وتأمين العدل بين الجميع، قد حيل دون تحقيقها والتدابير الحكيمة والسلمية التي قررناها في سبيل استقرار البلاد والتي أجمع الرأي العام على تحبيبها، وتوخى الجميع حسن نتائجها قد شاعت الاقدار إلا أن تنعكس الآفة، فتهرق دماء ابناء البلاد ضحية لتصرفات بقيت مكتومة عنا لولا شياخ استهجانها في كثير من الاوساط ولأن التمادي في اتباع السياسة المحسوسة (٩) والانذفاع اليها لا يتفق مع السياسة الرشيدة الواجب على المخلصين اتباعها. فلم يبق لنا أي أمل في الاشتراك في المسؤولية. لذلك قدمنا استقالاتنا مع الاحترام. (٢٩ حزيران ١٩٣٧) [التواقيع]

هذا وقد شرع في مطاردة اعضاء الجمعية البارزين إثر ذلك وصدر قرار في ٢ آب بإسقاط الجنسية عن عضوين بارزين فيها وابعادهما خارج العراق وفقاً لعين المرسوم الذي أصدره (حكمت) و(رشيد) في ١٩٣٣. وألغيت اجازة الجمعية في ١٣ من تموز. وجاء في قرار الالغاء «ثبت للحكومة أن مقاصد هذه الجمعية مضرّة بكيان الملكة وسلامة المجموع، واستهدافها فكرة مسمومة كالشيوعية. وقد ظهرت آثارها في المواقف المخلة بالامن العام ولذلك تقرر اغلاقها...».

القومي الذي وجد له ارضاً خصبة ومرتعاً في بلاد الرافدين، فقد ارتأت السياسة البريطانية أن تصاعد المد القومي باتجاهه النازي هنا هو خير عاصم من تسرب الافكار الاشتراكية والشيوعية وانتشارها.

ولذلك كان البريطانيون مستعدين لقبول اي تبرير تقدمه حكومة (حكمت) الانقلابية طالما يتضمن تأكيداً على ضمان مركز بريطانيا الممتاز في العراق وتعهداً بالمحافظة على مصالحها وقواعدها العسكرية وتطبيق معاهدة ١٩٣٠. وهذا ما كان (حكمت) على استعداد لتأكيدهِ قولياً. وما كانت السفارة البريطانية ومن وراءها الوايت هول مستعداً للرضا به، رغم أن صلات (حكمت) بالمفوضية الالمانية وميول قائد الانقلاب اليها كانت معروفة للدبلوماسيين، ولاسيما اللقاءات اليومية المستمرة بين (حكمت) والدكتور (فريتز غروبا) الوزير المفوض الالمانى. وتقريباً لهذه الصورة لأرى مندوحة من اقتباس الفقرة التالية من التقرير السري المرقم (٥٤٦) الذي أرسله السفير البريطاني بعد مقابلة شخصية له (بحكمت):

«... ذهبت اليه صباحاً واستغرقت زيارتي ساعتين وأقر بأنني كنت متحيزاً ضده. الا اني وجدته وبيعض خيبة في حدسي مرغماً على تصحيح سوء ظني فيه عندما تبينت فيه اتخاذ موقف ودي وفي جديته ولهجته المخلصة بطلب تأييدي. ان التأكيدات التي عرضها لي حول ايمانه بقيام علاقات ودية بين حكومة صاحب الجمالة وبين العراق، ورغبته في المساعدة والتوجيه مني كانا فوق ما أملت وقد استبقني في التحفظات التي كنت انوي طرحها حول السبيل الخاطئة التي سلكها للوصول الى الحكم وحول المخاطر التي تكتنفها قائلاً أنه يعرف ما يجول في خاطري، وأنه ربما كان اول من يأسف لما جرى، وربما كان يفوق الآخرين في تقدير المخاطر الناجمة عن دور الجيش في الانقلاب. إلا انه يستطيع أن يقطع عهداً بأن يعيد الجيش الى موقعه الأصلي وأنه لن يبقى في منصبه يوماً واحداً إن أخفق. ومع ذلك فان اقواله لم تمنعني عما كنت أريد ابلاغه به: قلت إن حكومتي لا ترى ما تم في العراق غير دكتاتورية عسكرية. واني سأرحب بأيبادرة تصدر منه تبرهن على عكس ذلك. فعاد يؤكد مرة أخرى بأن أمله قوي في نجاحه باعادة الجيش الى ثكناته وأنه لن يبقى في منصبه يوماً واحداً إن فشل في هذا...»

إكتفى السفير البريطاني بهذا، إلا أن الجيش بقي وبقي (حكمت) معه الى الأخير.

حاول التشبث بالحكم محاولة المستميت بعد اغتيال (بكر صدقي) وبدا متظاهراً وكأن موته

لا يعنيه في شيء. إلا أن اعلان قائد حامية الموصل انفصال اللواء عن الدولة العراقية واعتصاب الضباط القوميين الضالعين في الائتثار بحياة (بكر) أخطوا المحاولة فأرغم على الاستقالة إذ لم يكن له في الاوساط السياسية والشعبية ما يكفل له البقاء.

انفرد عهد (حكمت) بظاهرة تصفية الخصوم جسدياً ومن بين اعضاء الطبقة الحاكمة. فبعد مقتل (جعفر) جرت محاولات لقتل ثلاثة رؤساء وزراء آخرين ورئيس مجلس نواب سابق، واغتيل اثنان من كبار موظفي الدولة. ومع انه لا يمكن أن يعزى ذلك الى (حكمت) شخصياً لا بالنية ولا بالفعل، فقد كان من العسير قانونياً ودستورياً أن يخرج من طائلة المسؤولية على الأقل باعتماده تغطية تلك الجرائم ومنح الحصانة لمقتريها باصداره قانون العفو العام عن القائمين بحركة ٢٩ تشرين الأول. وإباحة الافعال الجرمية التي ارتكبوها خلال فترة حكمه.

وبقي خائفاً وجللاً لا يبرح منزله الا ماماً، ولم يكن في الواقع مستهدفاً ومع أن (المدفعي) الذي تلاه في رئاسة الحكومة أكد له بأنه لن يكون اداة انتقام بيد أحد أصيب من جراء انقلابه وأنه قرر إسدال الستار على الماضي. مع هذا فقد وضع (حكمت) تحت المراقبة رداً من الزمن، ويقول من عرفه وكان على صلة به في تلك الفترة، انه بدا عصيباً تنتابه الهواجس والاحيلة السوداء يجتنب اصداقاه ومعارفه. ويبدو شديد التحفظ في كلامه عندما يرغم عليه. وعمد (المدفعي) بإيحاء من السفارة البريطانية وموافقتها الى محاولة ابعاده عن جو بغداد بتعيينه سفيراً للعراق في تركيا، فأسرع بقبول العرض مغتبطاً. إلا أن الحكومة التركية اعتذرت عن قبول أوراق اعتماده، لأسباب اظنها واضحة. ولا شك في انها كانت صدمة نفسية كبيرة له وحز في نفسه أن ترفضه تركيا التي محضها وده وإخلاصه واعتبرها وطناً ثانياً له إن لم يكن الأوّل، فقد ظلّ ابداً أشبه بداعية لها والحكامها وفي مقدمتهم (مصطفى كمال) بل كان اعجابه بهتلر والمانيا النازية والدكتاتوريات ناجماً عن هذا الخطّ.

لم ينج (حكمت) من انتقام (نوري السعيد) الذي اسندت اليه الوزارة بعد (المدفعي) في ١٩٣٨ ويشبه انقلاب دبره الضباط الاربعة المشاركين في المؤامرة على حياة (بكر) وزميله (محمد علي جواد). وفي عهد (نوري) جرت محاكمة (حكمت) امام مجلس عرقي عسكري وصدر عليه حكم الموت.

ما تزال ملابسات هذه القضية يحيط بها الغموض لاسيما بعد ضياع ملف المحاكمة وأوراق التحقيق الابتدائي المربوط بها. وبقيت التساؤلات لا تجد لها جواباً مرضياً: أكان هناك مؤامرة

حقيقية؟ هل كان (حكمت) على رأسها؟ أم هي من بنات أفكار (نوري) دبرها وحاكها انتصافاً من قتلة قريبه (جعفر)، وجزاء لما لحقه من ذلّ ومهانة وتحايلاً على قانون العفو العام الذي حال بينه وبين محاكمة الفاعلين.

ملخص القضية كما عرض وتناوله الكتاب فيما بعد، أن المتآمرين فاتحوا (عبدالله) برغبتهم في توليه العرش بعد التخلص من (غازي)، وأنه تظاهر بالقبول. ورتب أن يعمد (عبدالله) يوم التنفيذ الى دعوة عدد من كبار الساسة العراقيين قدروا بخمسين بينهم أعضاء وزارة (نوري) من أجل الفتك بهم جميعاً بأيدي ضباط مخصوصين تتم دعوتهم ايضاً الى قصره بمناسبة تدشينه وانتقاله اليه، وبناء عليه قام عبدالله بتسليم خرائط قصر الرحاب الى النقيب البيطار (حلمي عبدالكريم) لمعرفة المداخل والمخارج تسهيلاً لعمل القتل. والقول هو أن (عبدالله) كشف الامر وراح يطلع الحكومة على صفحات المؤامرة اولاً بأول.

كان (نوري) قد أرسل من يطمئن (حكمت) بعد تشكيله الوزارة بان سياسة حكومته هي استمرار لسياسة سلفه بخصوص اسدال الستار على الماضي وأن لا شيء يخشاه منه على حياته وحرية لعلمه بأن مقتل (جعفر) قد حصل ضد رغبته. وكان (حكمت) قد حزم حقائبه معتزماً السفر الى الخارج حال سماعه نبأ تكليف (نوري). فعدل وبقي. وممرت ستة أشهر ولم يبد من (نوري) ما يدل على أنه قد يأتي بعمل يخالف عهده.

لكن وفي السادس من ايار ١٩٣٩ أعلن فجأة عن اكتشاف المؤامرة. (يؤكد نوري الذي كان خارج البلاد أنه لم يعلم بها إلا بعد عودته). ومع الاعلان عنها فرضت الاحكام العرفية في منطقة معسكر الرشيد فقط! أمر من الغرابة بمكان فالمعسكر هو رقعة من الأرض محاطة بسيياج من الاسلاك لا تزيد مساحتها عن ١٦ كيلومتراً مربعاً. وأحيل مع (حكمت) عدد من الضباط الذين عرفوا بولائهم لبكر صدقي. وصدر عليه الحكم بالموت إلا انه ابدل فوراً بالاشغال الشاقة لمدة خمس سنين^(٢١). ولم يكمل غير سنتين وبضعة أشهر ليطلق سراحه مع

(٢١) أكد (حكمت) للحسني (تاريخ الوزارات، ج ٥ ص ٧٠) أن الحكومة البريطانية هي التي حالت دون وضع جبل المشنقة في عنقه. وأضاف أن [لويد] رئيس جمعية التمور العراقية الذي كان يقضي اجازته في لندن تلقى من المراجع الرسمية البريطانية ايعازاً بإبلاغ (نوري السعيد) بأن اصداقاه الانكليز سيسأون من اعدام (حكمت). وأما السفير البريطاني (موريس بيترسون) فيذكر في كتابه [كلا الجانب من الستارة Both Sides of the Curtain ص ١٤٣] «كان ثم واحدة من تلك المؤتمرات الصغيرة اتاحت (لنوري) بعد اسابيع من وصوله الى الوزارة - فرصة تسديد طعنة (لحكمت سليمان) أحد خصومه القداماء، فاقحمه فيها بأسخف الدلائل وأوهنها وحكم عليه بالموت. لكني وبعد محاولات وجدال مع (نوري) استطعت الحصول على وعد بعدم تنفيذ الحكم». وفي الواقع بذلت مساعٍ محمومة لاطلاق سراحه بعد أشهر قليلة =

بقية المحكومين في القضية بارادة ملكية أصدرتها حكومة (رشيد عالي) في نيسان ١٩٤١. ما أن أطلق سراحه حتى شد الرحال الى ايران هذه المرة لا تركيا. ثم عاد ولم يلبث فيها الا قليلاً وانصرف الى معالجة اعماله الزراعية.

بهذا التاريخ غير المشرف الذي لا يذكر له فيه مآثرة أو حسنة واحدة أو خدمة قدمها لبلاده وبوجود عبدالاله وصياً ثم ولياً للعهد وهو الشخص الوحيد الذي يعرف مبلغ صحة اتهام (حكمت) بوصفه الشاهد الرئيس في تلك المحاكمة - لم يكن هناك ما يغري اي مكلف

= من الحكم عليه باشرها (محمود صبحي الدفتري) وزيراً العدلية الذي كان بينه وبين آل (سليمان) مصاهرة. حاول أولاً استصدار ارادة ملكية بالعفو عنه بحجة ابتلائه بمرض لايرجى له شفاء (وهو من الاسباب القانونية لإخلاء سبيل المحكوم) ورتب الامر مع طبيب البلاط، عميد كلية الطب الدكتور (هاري سندرسن) الذي انتدب لفحصه فقدم في ٩ من تموز ١٩٣٩ تقريراً طبياً يؤيد اصابة حكمت بالتدرن الرئوي في مراحله الأخيرة ونشب خلاف شديد داخل الوزارة ونوقشت صحة التقرير ثم عدل عن الأخذ به. وارنؤي بدل ذلك ان ينقل الى المستشفى لتلقي العلاج والعناية الطبية في الجناح الخاص بذوي اليسار من مستشفى (المجيدية) وهو جناح Nursing Home ثم أرسل في الأشهر الأخيرة الى السليمانية ليمتتع بجو الحرية الذي افه في بغداد ايضاً.

تطالعتني في كتاب مذكرات (سندرسن) [A Thousand and One Night عشرة آلاف ليلة وليلة واحدة] رواية له حول معاينته الطبية (حكمت) السجين تختلف تماماً عما هو معروف. فهذا الطبيب الانكليزي الذي قضى حوالي ثلاثين عاماً في الخدمة، وكان الطبيب المعتمد للأسرة المالكة ويتأثير من رجال الحكم في العراق، خص في مذكراته المطبوعة بلندن ١٩٧٠ - قضية فحص (حكمت) في السجن بثلاثين سطراً وبتفاصيل ما كان القاريء أغناه عنها بدا فيها وكأنه يدفع تهمة ويحاول تبديد شك في أمانته كطبيب. أشار (سندرسن) في كتابه أكثر من مرة الى كثرة ما تعرض له من الحسد والغيرة والمنافسة على مركزه الذي كان حريصاً عليه بامتيازاته وما يدره عليه من مكاسب ومقام لولاها لكان واحداً من أكثر من عشرة آلاف طبيب يمارس مهنته في بريطانيا. علمته تجاربه الأولى في العراق كيف يحتاط لنفسه بمحاولة كسب رضا الجميع عنه وبقبول وساطات رجال الحكم والمتنفذين مما امن البقاء له. وكاتب هذه السطور يعرف أكثر من حادثة واحدة خرق بها (سندرسن) قواعد القبول في كلية الطب بقبوله اناساً لا يستحقون بناءً على توسط أشخاص لايسعه إغصابهم. والحقيقة المجردة هي انه كتب فعلاً تقريراً طبياً كاذباً حول اصابة (حكمت) بالتدرن الرئوي وإن لم يذكر ذلك في مذكراته كما ترى الآن. قال (باختصار شديد): عومل حكمت في السجن معاملة السجين العادي وانتدبت لفحصه بعد شتاء شديد البرد قضاها. ففزعت لسوء حالته الصحية والنفسية. كان قد فقد ١٢ كيلوغراماً من وزنه وبدا على شفا انهيار عصبي وأزمة نفسية حادة فأوصيت بنقله الى المستشفى وتم ذلك الا أن حالته لم يطرء عليها تحسن فقد أحدث السجن في نفسه أثر عميقاً وزادت حالته سوءاً فاقترحت نقله تحت الحراسة الى الشمال أو الى مصح لبناني أن امكن... ووافق (نوري السعيد) بعد لأي على نقله الى «بنجوين» ليمضي الصيف في مزرعة ملكية إلا انها كانت من المناطق الموبوءة بالملاريا. والعيش فيها بدائي [ثم يسرد بعدها محاولات العديدة لتحسين وضع (حكمت) الى درجة «المخاطرة بعلاقتي مع نوري السعيد»]. ما الذي كان يدفع (سندرسن) الى تلك المخاطرة ببذل الجهود الخاصة العظيمة؟ كان هناك كثيرون من رجال الحكم والاسر البارزة التي لايسعه المخاطرة بمركزه لديها أو إزعاجها.

بتأليف حكومة أو يجرؤه على عرض حقيبية وزارية له. وغاب تماماً عن الميدان السياسي العراقي فانصرف الى انماء ثروته واستثمار اراضيه التي استحوذ عليها بعين الاسلوب الذي اتبعه غيره من الساسة.

شاعت الصدف في العام ١٩٥٨ أو ١٩٥٩ أن ألقى (حكمت) وجهاً لوجه وقد أناف على السبعين - في دائرة الكاتب العدل ببغداد وفي بناية المحاكم القديمة، كان يحتل كرسيّاً في زاوية وبدا لي كالتمثال جامداً لا يأتي بحركة من اعضائه حتى بعينيه اللتين بدتا متحجرتين تبهلقان في فراغ. إلا انه بطبيعة الحال لم يكن يبدو كأولئك المصابين بالسل. ولاسيما بعد مرور أكثر من عشرين عاماً على التشخيص الطبي الذي قام به سندرسن مع ذلك فقد بدا لي بوجنات وجهه البارزة وبشرته البيضاء وعينيه المتقاربتين وملامحه القفقاسية الخالصة شبحاً منفراً من اشباح الماضي وراعني منه رقبته اللولبية التي كانت تدير رأسه بين فترة وأخرى بحركة بطيئة رتيبة لولبية تذكر بحركة الدمى ولعب الاطفال.

وخطر ببالي وأنا واقف أنتظر دوري في التوقيع على عقد، مراجعةً في نظرية العالم الجنائي الايطالي (امبروزو) حول وجود علاقة وثيقة بين المجرم بالطبع وبين سحنته وتقاطيع وجهه وقياساته الجسميّة وهي نظرية لا تجد لها سنداً من العلم والنطق. فما رأيت فيه في تلك الساعة إلا واحداً من تلك النماذج الذي قد يتوق هذا النظري الجنائي الى اتخاذها لاثبات صدق نظريته.

وربطت وجوده هناك بعد ايام بقصة نزاعه مع لجان الاصلاح الزراعي ومع جمعية المساكن لمدينة «جميلة» التي شاعت وتناقلتها الألسن في مفتتح العهد الجمهوري وأدت مما أدت الى تدخل بطلي ثورة الرابع عشر من تموز الشخصي وكيفية نجاحه في استثناء اراضيه وحدها من احكام قانون الاصلاح الزراعي وخروجه بغنيمة بلغت مليون دينار (حوالي ٣ ملايين ونصف مليون دولار تقريباً).

والحكاية أو «فضيحة الثورة» كما أطلق عليها «اعداء الثورة!» في ذلك الحين هي هذه وباختصار (٢٢):

في قديم الزمان وعندما كان (حكمت) وزيراً للدخالية تمكّن كغيره من رجال الحكم من وضع يده (قانوناً) على قطعة كبيرة من الأراضي الزراعية القريبة من مدينة بغداد تبلغ مساحتها ١٦٦٧٦ دونماً (٢٣). ولم يقتضه الأمر غير عريضة وطابع مالي بقيمة ٤٠ فلساً. فوضت له

(٢٢) تجد تفاصيل هذه الفضيحة في كتاب [موسوعة ١٤ تموز، ج ١، ص ٢٠٠-٢٠٥] للعميد خليل ابراهيم حسين نقلاً عن سكرتير الجمعية العميد الركن [احمد محمود الجنابي].

(٢٣) الدونم يعادل ٢٥٠٠ متر مربع.

هذه الأراضي بموجب قانون تسوية حقوق الاراضي الصادر في العام ١٩٣٣ ودخلت ضمن خريطة بغداد الكبرى.

إلا أن قانون الاصلاح الزراعي الذي أصدرته حكومة الثورة في العام ١٩٥٨ حدد ملكية اصحاب الاراضي الزراعية بألفي دونم ومنع في الوقت عينه القيام بأي معاملة نقل ملكية عن الاراضي الخاضعة للقانون الى ان تتم معاملة فرز تلك الحصّة للمالك واعادة البقية للدولة.

كان (حكمت) قبل صدور القانون وقبل الثورة قد عقد صفقة بيع لما مساحته ١٢٠٠ دونم مع جمعية انشاء مساكن للمعلمين وضباط الجيش الصغار من ذوي الدخل المحدود، ببدل قدره مليون وربع مليون دينار، وقد قامت الجمعية بدفع نصف مليون من الثمن (لحكمت) ثم تأخرت عن دفع الاقساط وجاء قانون الاصلاح الزراعي عقبةً قد تقضي على الصفقة الرابحة وترغم حكمت على اعادة المبلغ الذي تسلمه، وعندها فكر في حيلة؛ عرض على الجمعية أن يتنازل لها عن ربع مليون دينار من أصل الثمن على ان تقوم بالوساطات من أجل إتمام صفقة البيع. في تلك الاثناء وبعد أن تأكد (لحكمت) أن تلك الوساطات قد أحدثت اثرها - تأخرت الجمعية عن سداد بعض الاقساط فأذرت الجمعية بأن يدفعوا بقية الثمن وإلا فسيقبل البيع لأن قيمة الأراضي ارتفعت كثيراً باضعاف البديل المتفق عليه».

على أثر تهديد (حكمت) راجع لعريف من الضباط والمدنيين المشاركين في الجمعية السلطة العليا في البلاد بشخصي (عبدالكريم قاسم) و(عبدالسلام محمد عارف) وجرى بين الاثنين نقاش ظريف حوله ارى أن لا احرم القاريء منه سيما وأنه يتضمن اجمل ما يمكن أن يعزى الى الأخير من قول وأكثره عقلانية من بين كل ما عزي اليه من احاديث. كما انه يوضح وجهة نظر الاثنين في انقلاب (بكر صدقي وحكمت سليمان). يروي من كان حاضراً:

رأى (عبدالسلام عارف) أن يرغم (حكمت) على ردّ ما استوفاه من المشاركين وإقالة البيع، والانتظار قليلاً لحين استيلاء الحكومة على حصتها من تلك الاراضي اي ١٤٦٧٦ دونماً، ثم تملكها لافراد الجمعية مجاناً أو ببدل رمزي. فالارض بالأصل هي اميرية وقد استولى عليها (حكمت) بما يشبه السرقة كغيره من رجال الحكم.

قال الراوي: انفجر (قاسم) غضباً وقال:

- أن (حكمت سليمان) وطني، وقد خدم العراق! فحاربه الانكليز ونوري السعيد وحكموا عليه بالاعدام. وهذه الأراضي بيعت قبل الثورة وإنّ عدم اكمال اجراءات البيع والشراء الاصولية لا يقتضي فقدان العدالة.

ثم حمل على قانون الإصلاح الزراعي الذي كان يعتبره واحداً من مآثره والذي ذيله بتوقيعه، بقوله يجب أن لاتصدر القوانين قبل استكمال دراستها وتلافي النقصان فيها.

كان قانون الاصلاح مغلوطاً هنا لأنه لم يستثن صفقة (حكمت سليمان) ولأنّ (حكمت سليمان) كان الشخصية الثانية في حكومة كان ابن خالته الشخصية الثالثة فيها^(٢٤)!

اجاب (عبدالسلام) مبتدئاً بالمثل البغدادي المشهور [صيف وشتا فرد سطح ما يصير: أي لايمكن الجمع بين فصلي الصيف والشتاء بالنوم فوق الأسطح].

- بالأمس فقط وافقت على جميع المقترحات التي نوقشت حول مشكلة الاسكان واليوم تنقضها بسببه (أي حكمت). أن الانكليز لم يعادوا في يومٍ من الأيام (حكمت) بل هم الذين أنقذوه من تنفيذ حكم الإعدام به وهم الذين سعوا الى اخراجه من السجن. والعداء بين (نوري) و(حكمت) لايمت الى الوطنية والاخلاص لتربة العراق بصله فهو مجرد صراع شخصي على السلطة والكراسي من أجل مصالحهما ومآربهما وكل يبكي على ليلاه.

إلا أن (قاسماً) بقي معانداً. وبلغ الأمر كلاً (حكمت) مع مجمل ما دار بين قائدي الثورة فشارت ثائرتة وراح يهدد وفد الجمعية الذي جاءه طالباً صرف النظر عن تهديده باقالة البيع. وخاطب الوفد بعصبية:

- أسأتكم الى سمعتي. حيث أن أكبر شخصية في البلاد: الزعيم عبدالكريم قاسم قد انتقص من وطنيتي واخلصي عندما شرحتم له الموضوع بالشكل الذي تريده...

قال الراوي أن (حكمت) راح يرتجف ويردد بأنه يبلغ الثالثة والسبعين من العمر «وماتفعلونه يؤثر في صحتي وكياني». وانصرف الوفد من لدنه خائباً.

ووقع (قاسم) في حرج. ورأى أن يدوس على القانون بقدمين لا بواحدة اكراماً (لحكمت) لأنه وطني مخلص وأن يرضي الجمعية في آن واحد. فاستدعاه واتفق معه أن ينجز الصفقة باستيفائه نصف مليون أخرى من الجمعية المؤلفة من موظفين صغار لايملكون غير رواتبهم، في حين كانت الحكومة الثورية قادرة وبحكم قانونها على منحهم قطع الأراضي بثمان رمزي أو بدون ثمن!

والظاهر أن هذه المقابلة لم تخلّف عند (قاسم) اثراً طيباً وأن (حكمت) لم ينل عنده حظوة إذ لم تعقبها أخرى حين كان (حكمت) بحاجة الى عطفٍ ثانٍ. فالاستاذ [مير بصري] يذكر

(٢٤) هو المقدم الطيار (محمد علي جواد) قائد القوة الجوية الذي أسقط قنابل الانقلاب على بغداد. وقد قتل مع بكر صدقي.

يداً بيد ويقول متلهفياً: أنا الجاني، أنا المسؤول. كنت أول من أقحم الجيش في السياسة، فسننت سنة عادت على البلاد بالويل والثبور. »

التقرير

الموصل في ٢٢ آب ١٩٣٣

١ جمادى الاولى ١٣٥٢

فخامة رئيس الوزراء - بغداد

تخلل حادثة عصيان التياريين وتآديبهم بعض الوقائع تعتبر بعض الأوساط اثنين منها على جانب من الأهمية: الاولى حادثة (سميل) والثانية قضية أسر بعض العصاة من قبل الجيش. وفيما يلي نأتي الى تفصيل هاتين المسألتين على ضوء تحقيقنا والتقارير التي تلقيناها عنهما من المراجع المختصة:

١- ان (سميل) قرية كبيرة يربو عدد بيوتها على المائة. من ضمن ذلك عشرون بيتاً من الاعراب والبقية من التياريين وهي في موقع متوسط ما بين كثير من القرى الصغيرة المهولة بالآثوريين. وقد اتخذها الآثوريون مركزاً لاجتماعاتهم لتدبير المؤامرات وبت الدعاية وعلى أثر الشرارة الأولى من عصيانهم المسلح، نزح سكان القرى الآثورية المجاورة من رجال ونساء الى (سميل) للاحتماء بها. وما لبث أن التحق بهذا الحشد الكبير جماعة من العصاة. لكن العشائر التي كانت ترقب هذا الوضع عن كذب وتسمع فظائع اعمالهم وتشاهد تمردهم على الحكومة، أخذت تتجمع من مختلف الجهات بحماس وتوجع. فاشتبك الطرفان صباح ١١/٨/١٩٣٣ أي العشائر المحتشدة والكتلة الآثورية المتحصنة بسلاحها في نفس قرية سميل، وحصلت مصادمة عنيفة استمرت نحو ساعتين بلغ فيها عدد القتلى نحو ٣٠٥. وقد تبين لدى التحقيق وعند الدفن أن بين القتلى عدداً لا يستهان به من العشائر، كما جرح عدد كبير منهم ايضاً.

أمّا وحدات الجيش فإنها لم تشترك قطعاً بالمعركة. اذ كانت اثناء جريان هذه المصادمة في طريقها من (زاخو) الى (دهوك). وقد أكد لنا أمر المنطقة الشمالية أن قوة «عماد» لم تصرف طلقة واحدة منذ مصادمة (ديره بون) ولم يتكبد الجيش أي خسارة في الأنفس من جراء حادثة (سميل) لعدم اشتراكه فيها.

ان العشائر شرعت عقيب المصادمة بالنهب والسلب لكن سرعان ما وفقت الشرطة الى

في كتابه^(٢٥) أن (حكمت) قدم الى (الشبيبي) زائراً وهو موجود وطلب منه التوسط عند (قاسم) للافراج عن (رشيد عالي) نظراً لحالته الصحية السيئة وما تعاناه أسرته من آلام. يقول الاستاذ (بصري) إن (الشبيبي) اجابه قائلاً انه يرثي لحال الكيلاني وأسرته ويود لو استطاع التوسط إلا انه لايجد فائدة في مقابلة (قاسم) واستعطافه لعلمه سلفاً بخيبة مسعاه.

وعلى ذكر ما دوته هذا الكاتب عن (حكمت). يؤسفني أن هذا الكاتب والاديب الطيب السمعة الذي كان ذا علاقة بعدد كبير من رجال الحكم في العهد الملكي ووقف على ما عجز عن الوقوف عليه كثيرون من دواخلهم - يؤثر لنفسه العافية كما يقولون، وبعد العمر الطويل فيدفع قاربه في عين الماء الذي عامت فوقه قوارب الكتاب الآخرين بتغطية الجوانب المظلمة من حياة هؤلاء الساسة الذين نكبوا البلاد واهلها وبلغوا بهما الى ما نجده اليوم فيهما. يقول الاستاذ بصري عن (حكمت):

« كان رجلاً حازماً نبيلاً طيباً السريرة ميلاً الى التقدم والأخذ بأسباب النهضة الغربية معجبا بكمال اتاتورك وخطته. وقد عرف بشدته عندما أصبح وزيراً للداخلية فقام بتأديب الآثوريين في صيف سنة ١٩٣٣، وتأييد القائد (بكر صدقي) الذي نكل بهم في قراهم. كان عنوان النزاهة والكياسة. حدثت انه... [واورد هنا قصة محاولة رشوة حكمت اثناء ما كان مديراً للمعارف في العهد العثماني بمبلغ كبير وكيفية رفضه]. »

فالاستاذ يرى قيام (حكمت) «بتأديب الآثوريين» حزماً وشدة نابعاً عن نبل وطيب سريرة. ولو قال هذا أحد غيره لعذرناه. فهو ينتمي ايضاً الى أقلية عراقية عريقة كالأثوريين تماماً طالما «أدبت» وتعرضت للنكبات والويلات منها المذبحة الكبرى التي أوقعها حكم عسكري بأبناء طائفته في بغداد، وآخرها ذلك الجلاء القسري عن أرض الأجداد والوطن الذي فرض عليهم فرضاً في العام ١٩٥٠ وما بعدها وشمل أكثر من مائه وعشرين الفاً.

انصرف (حكمت) الى تنمية ثروته الضخمة وادارة مشروع الالبان الذي يملكه وقيل أنه كان مهتماً بترجمة آثار والده القلمية الى العربية. وقد ذكر الدكتور سندرسن أن بصره كف في آخر سنوات حياته بنزول الماء، وإن كان هناك ما يختم به الحديث عنه فأرى أن أقتبس فقرة من كلمة الاستاذ (بصري)، وعليه العهدة قال:

« حدثني أحد المتصلين (بحكمت سليمان) في أعوامه الأخيرة، أنه كان يصفق

(٢٥) «اعلام السياسة في العراق الحديث» لندن ١٩٨٧.

ايقاف التجاوزات وصدّ العشائر عن القرية وتملكت ناصية الحال. ونظراً لوضع قرية (سميل) الذي وصفناه واحتشادها بالآثوريين العصاة وتجمهر العشائر فإن وقوع المصادمة فيما بين هاتين الكتلتين كان نتيجة طبيعية لتلك الظروف. واثناً لنستغرب استغلال بعض الجهات هذه الحادثة وتوجيه المسؤولية عنها الى قوات الحكومة وهي براءً مما وقع. ويخال لنا أن هذا التنويه يقصد به الاساءة لسمعة الحكومة لغايات بعيدة المرمى واني إظهاراً للحقيقة وخدمة للتاريخ اقدم لكم هذا التقرير مع صورة تقريريّ أمر مخفر (سميل) وأمر قوة «عماد» وكتابي الموجه الى أمر المنطقة الشمالية وجوابه للاطلاع.

٢- عادت بعض دوريات الجيش الموجهة الى اتجاهات مختلفة ومن الجملة الملازم [عادل نجم الدين] الذي كان يصحب بعض الآثوريين لاستجوابهم. وبما أن وصولهم الى المعسكر صادف يوم ١٢ آب، أي خلال مدة الستين ساعة التي أعلنتها الحكومة للعصاة، فإن الجيش لم ير مبرراً للاحتفاظ بهؤلاء العصاة او اطالة الكلام معهم حذراً من أن يرتابوا في صدق وعد الحكومة، فأطلق سراحهم جميعاً ولم يبق لدى الجيش أيّاً كان منهم أمّا فقدانهم الى اليوم فليس بالدليل على كونهم قد قتلوا من قبل الجيش كما يقال.

حكمت سليمان

[وزير الداخلية]

ما الذي حدا (بحكمت) الى تقديم هذا الدليل التاريخي العظيم على مسؤوليته الأدبيّة والجنايئة في مذابح آب؟

ما الذي دفعه الى هذا المسلك الطائش الخالي من الحكمة؟

ضع الحقائق كلها أمام أي محلل نفساني، ولن تجد جواباً منه عن شخصية (حكمت) يختلف كثيراً عن هذا:

أن مسلكه يعود الى ضعف في النفس وتقلّب خلقيّ وازدراء واضح بأراء الآخرين وبالوقائع. فحينما علم بالمذبحة وشاهد آثارها، استفظها واستهولها وهو ردّ فعل طبيعيّ تلقائيّ وإننا لانشك في هذا. إلاّ انه وإن كان يفتقر الى القدرة على تمثيل الادوار، فهو قادر على الكذب حتى على نفسه. لاشك في أنه كان يعاني أزمة نفسية عندما قابل (ستافورد) لكن سرعان ما تمالك نفسه وغلب عليه حرصه على منصبه وحبّه لنفسه فغير من موقفه وراح يدافع عن

الجيش وينفي عنه بشكل قاطع سخيف - كل ما ارتكب ضباطه وافراده من جرائم عندما ادرك الخطر الذي يتهدهه شخصياً في حالة انتقاده الجيش أو معارضته للأساليب الوحشية التي مارسها، بأي شكل من اشكال المعارضة، أو الظهور بمظهر غير منسجم مع موقف رئيسه (رشيد عالي) الذي كان يحرص على ارضائه آنذاك، بأي صورة من الصور.

وقد اقترب (ياسين الهاشمي) كثيراً عند تحليله شخصية حكمت لما طلب منه ذلك احد الدبلوماسيين البريطانيين وهو في المنفى فقال له: «كونت رأيي في (حكمت) منذ عشر سنوات خلت. فهو شديد الحماسة، إلاّ انه لايمتلك من الآراء الاصلية إلاّ النزر اليسير، وهو عاجزٌ تماماً عن تنفيذها حال تبلورها في ذهنه. تراه ينطلق بقوة وجدّ لمدة ستة أشهر، ثم يقف ليغدو متشائماً ساخراً. انه ممتاز جداً في عملية الهدم، لكن لا فائدة منه قطّ في عملية بناء».

أسطورة الملك القومي غازي الاول

١٩٣٩-١٩١٢

التي جمعت بين الأسرة الهاشمية الملكية وبين الاسرة الهاشمية التكريتية. واصر تبعاً لذلك قانوناً يمنع فيه أي تنويه غير مستحب بالأسرة الهاشمية ولاسيما الفرع الذي حكم العراق زمنياً وامر بتجديد الاضرحة في المقبرة الملكية ودعا الملك الاردني لقص شريط (الافتتاح) واولى عناية خاصة بصريح غازي مقوياً اشاعة مقتله على يد البريطانيين وحث على اعادة النظر في تاريخ العراق بهذا الاتجاه وكان في هذا اشارة أو أمر لا تخطئه العين لكتاب الجيل البعثي العراقي ومؤرخيه من مؤيدين ومتزلفين، فراحو يكتبون عن قومية هذا الملك الشاب وشجاعته وعرويته وذكائه^(١)، وشطب من كتب الدراسة كل اشارة سوء الى العهد الملكي ولكل حاكم بغداد كان في هذا وفضلاً عما ذكرناه - كغيره من شباب تلك الحقبة يؤمن ايماناً غامضاً بما علق في جو التاريخ العراقي من تلك الاشاعات التي انتشرت حوله وحول موته. فبكثير من الحماسة والتسرع وبذلك الخوف الذي لازم الاستاذ عبدالرزاق الحسني من الطعن في عرويته ذكر اثناء ايراده سيرة هذا الملك قوله "وقد ابرز مقدرة فائقة في حركة تأديب الآشوريين".

ولم يأت الى ذكر جانب واحد من تلك المقدرة الفائقة اكثر من وصفه للزيارة الرسمية التي اوعز له بها بعد وصول والده وقد دامت اسبوعاً واحداً قال الحسني:

"فقد أمر (يقصد فيصلاً) ان يجوس ولي عهد مملكته الأمير غازي خلال منطقة الموصل على الرغم من اضطرابها. فأصدر أمره بان يستعد للسفر مع رئيس الوزراء (رشيد عالي) فسافرا وبعد ان تجولا في المنطقة المضطربة واتصلا مع الاهلين شكر سمو الأمير عن والده التياريين الذين لم يشتركوا مع المتمردين وأثنى على شعور الاكراد في حفظ النظام وعدم تعديهم على التياريين (يقصد الآشوريين) الآمنين والقرى المسيحية وقفل راجعاً الى العاصمة في ٣٠ آب واستقبل استقبالاً منقطع النظير"^(٢) [بدأت الزيارة في ٢٢ آب اغسطس].

ومن قبيل تلك "المقدرة الفائقة" استقباله بالتظاهرة الشعبية الكبرى التي نظمت لقطعات

(١) من بين ما اخرجته المطابع العراقية تيسر لي وانا في دار الغربية حيازة ثلاثة كتب الفها في هذا الموضوع عراقيون اكاديميون مجدوا فيها (سيرة) الملك غازي القومية ونفوا قصوره العقلي. اولها للدكتور جعفر فرج (الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي: ١٩٣٣-١٩٣٩ من منشورات دار اليقظة العربية، ط. بغداد ١٩٨٧. وثانيها للدكتور محمد حسين الزبيدي من كلية الآداب بجامعة بغداد (الملك غازي ومرافقوه): ط. بغداد ١٩٨٩. وثالثها للدكتورة رجاء حسين حسني الخطاب الاستاذة المساعدة في كلية الآداب بجامعة بغداد (المسؤولية التاريخية في مقتل الملك غازي) منشورات مكتبة آفاق عربية، بغداد ١٩٨٥. الى جانب عدة ابحاث ومقالات وقفنا على بعضها.

(٢) تاريخ الوزارات العراقية ج ٣ ص ٣١٠ (الطبعة الثالثة). بالمناسبة: اخذه الكيلاني الى الديوانية في ٢٦ تموز ١٩٣٥ ايضاً لاستعراض عين الجيش الذي قمع ثورات الجنوب كذلك بالقائد عينه.

لا يمكن أن ينسب لهذا العاهل دور في عملية "تأديب" الآشوريين، كان نائباً لوالده الغائب عندما أريقت دماؤهم في بيخير وسميل ودهوك. والدور الذي ارغمه عليه هذا المنصب في حضور استعراض الجيش المنتصر في الموصل واستقبال القطعات الظافرة عند دخولها بغداد، هو دور تشريفاتي صغير جداً لا يملك معه الا أن نخرجه من طائفة المسؤولية التاريخية، ولولا الجهد الذي بذله كثير من الكتاب العراقيين لتجسيم هذا الدور لما تطرقنا الى سيرة صاحبه وقد بدأ منذ راح القوميون العراقيون، أصلاً وهم ومدعوهم ينسجون قصصاً عن اهتمام الملك بالشؤون العربية ودفاعه عن قضاياها المصيرية مستشهدين بما اذاعته في حينه محطة اذاعته الخاصة التي عرفت باذاعة قصر الزهور من هجوم على النفوذ البريطاني. وتنديد بسياساتها في فلسطين واخيراً مطالبته بتوحيد الكويت العربي مع العراق العربي. وملقين تبعة وفاته في حادث اصطدام السيارة على البريطانيين معززين تلك الاشاعة التي لقيت صدى واسعاً جداً بأن الحادث كان عملية اغتيال شارك فيه البريطانيون بعض رجال الحكم والسياسيين المحليين. وشهد في العقد المنصرم من هذا القرن نشاط قلبي واعلامي كبير لتثبيت هذه الصورة في الاذهان فصدرت كتب في بغداد ونشرت مقالات وتحليلات في هذين الموضوعين الرئيسيين... بذل فيها جهد كبير لاختفاء المرض العقلي الوراثي الذي ابتلي به هذا العاهل واغفل ذكر تصرفاته الشاذة وحياته الخاصة الداعرة، لأن ذلك ما كان ليستقيم قط مع صورة البطل القومي التي حاولوا رسمها له بطبيعة الحال.

وكان لإحياء هذه الاسطورة، وإلباس الاشاعة التي مر عليها اكثر من نصف قرن في السنوات القلائل السالفة - اسبابه ودواعيه والمناسبة هي الحرب العراقية الايرانية، فقد كان حاكم بغداد البعثي بحاجة الى عون الملك الاردني، بعد أن سدت الحرب منفذ العراق البحري الوحيد ولم يعد من خيار غير استخدام ميناء (العقبة) الاردني فيادر الى تزييف شجرة نسل له تنسبه الى الاسرة الهاشمية وراح يضرب على وتر التلال العائلي ورابطة النسب الجديدة

الجيش المظفرة عند دخولها بغداد وعلى رأسها قائدها بكر صدقي - وظهوره في العربة الملكية وعن يمينه رئيس الوزراء.

وأشاد صلاح الدين الصباغ بعروبة الملك وقوميته بعبارات عديدة منها قوله "انه اصيح وكيل ابينه الغائب في أوروبا فتحدى الإنجليز وابدى لهم عزة نفسه وانفتت امام ثورة الآشوريين"^(٣).

ظلت حياة هذا العاهل الخاصة وحالته العقلية بعيدة عن انظار الرأي العام العراقي اذ كان الخوض في خصوصيات حياة الملك والأسرة الملكية التي قد تلقي ظلال شبهة على تصرف معين أو تؤخذ مأخذ انتقاص على تصرف او تحمل محمل انتقاد قد يعرض صاحب الصحيفة الى المقاضاة ومواجهة القضاء بدعوى عمومية. والتعرض للسجن والغرامة^(٤) لذلك ما كنت تجد كلمة واحدة في الصحف في هذا الصدد اكثر من حقل خاص بعنوان [التشريفات الملكية] خصص للقاءات الرسمية وما شاكل من فعاليات عامة من زيارات ورحلات ومناسبات.

واتفقت مصلحة رجال الحكم والسياسة العراقيين على إبعاد اذان المواطنين العراقيين عما يجري في داخل جدران القصور الملكية. وكنتم حقيقة حال رئيس الدولة العقلية، والتغطية عليها بتشجيع اسطورة الملك القومي. واذا كان حضور غازي ومشاركته في احتفالات النصر على الآشوريين، نقطة البداية في بناء هذه الاسطورة فان القوميين العرب انصار استخدام الشدة وإلقاء درس قاس على هذه الاقلية قاموا بمساعدة فعالة من وكلاء الالمان النازيين في العراق على اشادة صرحها وتشبيتها في الازدهان عن طريق الجهاز الازاعي الذي اهداه له ادولف هتلر ونصبه في دار قريبة من قصره لبثاً ما يزعم الحكومة البريطانية ويقلق سفارتها - من خطب ومقالات مطرزة بالشعارات القومية يعدها ويلقيها اولئك الوكلاء.

استأثر بمعرفة حالة الملك العقلية والحالة هذه رجال الحكم وآل بيته وحاشية صغيرة من الخدم

(٣) فرسان العروبة ص ٩٢.

(٤) في قانون العقوبات (البغدادية) المعمول به آنذاك كان ثم فصل خاص بعنوان (العيب في الذات الملكية) يقضي بعقوبة الجنحة (ثلاث سنوات او غرامة او كليهما كحد اقصى). ومما اذكره ان حادثة هروب (عزة) شقيقة غازي الكبرى مع خادم الاوتيل (خرالمبيدس) في اليونان لم تذكر عنها الصحف العراقية شيئاً ومنعت المجلات والجرائد الاجنبية التي تناولت الحكاية من دخول العراق ومما اذكر ان ابن عمته لي كان سكرتيراً للقنصلية الفرنسية في الموصل جاء الى دارنا يحمل نسخة من مجلة L'illustration وترجم لنا التقرير الصحفي الذي كتبته حولها واذكر اني احتفظت بالمجلة زمناً وفيها صورة الاميرة تتأبط ذراع زوجها وهي سافرة في ميدان سباق خيل.

والاتباع الدائمين وبطانة من الخلان والندماء والمقربين تتألف من صغار الضباط والمدنيين يتغير افرادها بتغيير اهواء الملك ونزعاته وهم بين وصولي، ومتحلل خلقياً وانتهازي وسكير عابث وقوآد وكل ذي اهلية ومقدرة على تسلية الملك واشباع رغبته في ممارسة هواياته الغربية احياناً وبقي الشعب العراقي في ظلام عموماً.

ربما تطاير بعض اشاعات وتنوقلت حكايات عن شذوذ هذا الملك في مجالس بغداد الخاصة، الا ان المناحة الكبرى التي اقيمت على صعيد القطر كله عندما قضى نجبه اكدت الجهل العام بواقع أمره.

لم يحصل في مدى علمي ان جرت عملية تغطية في التاريخ المدون ملك مصاب في عقله كنتك التي جرت لغازي الأول.

لم يكن غازي معتوهاً او مجنوناً او مخبولاً، فمن كل ما كتب عن اعراضه المرضية، وصلنا عن اولئك الأجانب الذين خدموا في العراق وكتبوا مذكرات ومن وثائق وزارة الخارجية البريطانية التي أفرج عنها وآضت بمتناول المتتبعين. وكذلك عندما انطلقت بقية من رجال الحكم الملكي تدون خواطرها وتنشر اوراقاً ما كانت لتري نور النهار لولا القضاء على ذلك النظام.

وربما كنت السياق الى ازاحة الستار عن هذه الدراما المؤسفة عند نشري احاديث للعلامة الدكتور داود الجليبي^(٥) حول مواقف له من الملكين الاب والابن في صحيفة الرائد التي كنت

(٥) واحد من اجلّ الباحثين والمؤرخين العراقيين ولد في الموصل في حدود العام ١٨٨٤ وتوفي في ١٩٦٠ تخرج في كلية الطب العسكرية باستنبول في حدود العام ١٩٠٧ ونشر ايام تلمذته في العاصمة العثمانية اول بحث لغوي قدر ان يكون حجر الأساس الذي اعتمده (كمال اتاتورك) للإصلاح اللغوي التركي فقد اقترح الدكتور في كراس وزعه على دوائر العلم والثقافة ونظارة المعارف استخدام الاحرف اللاتينية عوضاً عن الابجدية العربية في كتابة اللغة التركية، مع تعديل طفيف قام بشرحه ووضع قواعد له، فأخذ عنه الزعيم التركي ولم يذكر صاحبه. عين طبيباً في الجيش السادس في العراق وخاض غمار الحرب، وانتخب في العام ١٩٢٤ عضواً للمجلس التأسيسي العراقي الذي وضع الدستور وكان فيه من البرزين بملاحظاته واعتراضاته على مواد في الدستور وعلى المعاهدة مما جلب عليه سخط الملك فيصل الذي حاول استمالته ففشل فابعد عن صفقات الحكم ومثل الموصل في مجلس النواب مرتين. وعين مديراً للأمور الطبية في وزارة الدفاع (أي كبير اطباء الجيش). ثم اختير عضواً في مجلس الاعيان العام ١٩٢٨ ونشر وألف وحقق كتباً علمية. ولم يخلف مذكرات الا انه خص كاتب هذا السطور بذكريات نشرها له عن صلته برجلي الحكم السابقين وبخصوص حادثته مع غازي ذكر ان الاصول كانت تقضي بمقابلة الملك وشكره على تعيينه عضواً في مجلس الاعيان. اجلت المقابلة عدة مرات لان الملك على ما قيل له منحرف الصحة وفوجيء عند المقابلة بدخول غازي مترنحاً وهو في حالة سكر بين مستنداً على رجل من الحاشية (وكان الوقت في حدود الحادية عشرة صباحاً) وراح يتمتم بعبارات ملفوجة مفككة لم يفهم منها الدكتور =

اصدرها في الموصل وقد تواصلت حيناً بعد انقلاب الرابع عشر من تموز ١٩٥٨. ففي اواسط شهر آب من تلك السنة كشف هذا الباحث ورجل الدولة الكبير بثقة وبصراحته وصدقه الذي لا يرقى اليه شك عن حالة الملك غازي العقلية واسلوب حياته.

ويصعب تشخيص العلة على من لا يعاشر صاحبها عشرة دائمة ويكون به لصيقاً وخذناً. ولا يلحظ شذوذاً من كانت صلته عرضية الا في حالات نادرة. واذكر من العاجزين صديقنا العميد والوزير فؤاد عارف. عين ضابطاً في لواء الحرس الملكي في ١٩٣٥ وقد جمعنا ظروف كدنا لا يفترق أحدنا عن الآخر يوماً واحداً فسألته يوماً ونحن نستذكر ماضي الاحداث هل تبين شيئاً غريباً في تصرفات غازي؟ فنفي ذلك نفيّاً قاطعاً ولم اجد عنده غير الثناء عليه، واستشهد بواقعة معينة تدل على شدة (محبتة) لزوجته عالية^(٦). ان كان جانب كبير من حياة غازي سراً فهناك جانب واحد على الأقل لم يعد سراً هو ادمان الخمر بتعاطيه اياها حتى في ساعات النهار ليكون تحت تأثيرها الدائم واتخاذها [قصر الملح] موضعاً للدعارة وتعاطي الموبقات ولقاء الخلان.

في ٢١ اذار ١٩١٢ ولد غازي، وامه (الشريفة حزيمة) وهي ابنة عم لابييه وقيل ان الاسم الذي اختير له كان تيمناً بالغزوة التي قادها والده بامر السلطان العثماني ضد (الادريسي) إمام عسير الثائر على الحكم التركي.

وهو الذكر الوحيد وقد سبقته شقيقات ثلاث وقيل ان من اسباب ضعفه العقلي التبدليل الذي شملته به امه بوصفه وحيدها فلم يكن يرد له طلب مهما بلغ من الغرابة وكان والده بعيداً عنه اكثر السنين في الاستانة.

بعد ان ثبت عرش العراق لفيصل آثر ان لا يتعجل في استقدام اسرته الى بغداد وابقاها في رعاية الجد (حسين) وبعدها نقلت في ١٩٢٣ الى عمان وقيت في كنف شقيقه (عبدالله) سنة واحدة وفي العام ١٩٢٤ جيء بغازي مع بقية الأسرة وادخل المدرسة المأمونية الابتدائية وبقي

= الجلبي حرفاً وفجأة اعلن مدير التشريعات نهاية المقابلة وسحب الملك سحباً. قال الجلبي كانت هناك اشاعات حول حياة الملك الخاصة المتهتكة فلم يصعب عليّ التأكد منها بعد المقابلة. (٦) قال فؤاد عارف انه اتفق في احدى جولاته التفقدية أن مر بغازي وهو متربع على العشب في حديقة القصر يتناول الغداء مع زوجته وولي عهده فيصل فسلم بتحية عسكرية فبادره (غازي) بدعوة للجلوس معه ومع زوجته لتناول الطعام البسوط على الارض [لم ير الملازم الشاب في ذلك غرابة ! وانما عد الدعوة كياسة وكرماً ودليلاً على رهافة حس].

فيها بضعة اشهر ولم يحرز بها تقدماً وضاق بها كما ضاقت به.

يذكر الاستاذ ساطع الحصري^(٧) ان (فيصلاً) استدعاه بهذه المناسبة ليستشيريه فيما يعمل لتثقيف ولده وقال له:

"تعرف يا ساطع بأني احب اسرتي واحب ابني غازي واحب ان أؤسس أسرة مالكة لكنني احب امتي اكثر من اسرتي واكثر من غازي فاذا كان الأمر حقيقة كذلك واذا كان غازي لا يتصرف بالذكاء اللازم لولي عهد وملك فلن اتردد في العمل بما يحتمه عليّ الواجب الوطني، سأجمع مجلس الأمة وسأقول اني اجعل الأمة في حل من ولاية عهد ابني وسأترك لها الحرية التامة في تقرير ما يجب عمله في هذا الشأن."

اذن ففيصل كان يعلم جيداً بحالة ابنه العقلية. وليس هناك أي سبب يدعونا للشك في أمانة (الحصري) بنقل وقائع هذه المقابلة - الا ان فيصلاً لم يكن صادقاً في اقواله وظل مصراً على تفضيل اسرته على (الأمة) واعلن ابنه ولي عهده رغم فشل المحاولات العديدة في تقويم غازي.

سحب غازي من المدرسة وجيء له بمعلمين خصوصيين، وعين العقيد (طه الهاشمي) مراقباً، وجيء له بالمربية الإنكليزية الأنسة فيرلي Miss Fairly لتدريسه الإنكليزية وتعويده على المجتمع الحضري واستمزج رأي اللورد اميري Amery وزير المستعمرات اثناء زيارته العراق عما يصلح لتعليم غازي فاقترح إرساله الى إنكلترا للدراسة وعلى هذا الأساس اختيرت له مدرسة (هارو Harrow) فرحل اليها وكان يرافقه (كاظم الدجيلي) مدرس العربية. وهارو مدرسة ثانوية عتيقة يزيد عمرها على ثلاثة قرون وقد باتت في اوائل القرن التاسع عشر معهداً داخلياً مختصاً بأبناء الذوات والأمراء والملوك الاجانب لتهيئتهم واعدادهم خليفاً واجتماعياً وعلمياً للمركز الذي ينتظروهم وهي والحالة هذه تهتم بالجوانب الرياضية والفعالية الميدانية والسلوك الاجتماعي قدر اهتمامها بالعلوم العقلية. ففي غرف الدراسة يتلقى الطالب النزول اطرافاً وإماماً بسيطاً في مختلف العلوم.

لم يمر وقت طويل حتى بدا من تقارير المدرسة التي كان والده يزود بها، انه تلميذ لا نفع فيه ولا استعداد له لتلقي العلم فهو لا يستوعب درساً وافهم فيصل بالأ فائدة من بقائه وطلب منه أن يسحب ابنه ففعل.

(٧) مذكراتي عن العراق ج١: ص٣٩٦ بيروت.

ظل القلق الشديد يلزم (فيصلاً) على مستقبل ولي عهده وحاول يائساً اصلاح حاله الا انه كان يرفض بشدة عرضه على طبيب نفساني ويكتفي ببث همه بمن يصطفيهم وبأتمنهم على السر، وقد بث همه يوماً لتوفيق السويدي قال هذا:

"كنت وزيراً للمعارف في ١٩٢٨ وكانت مشغلة فيصل كيف يعد ولده لمستقبل مرض من حيث الثقافة والعلم وقد استقدم له ضابطاً بريطانياً لاعداده وقد مر بي هذا الضباط مبدياً اليأس المطلق من امكان حصوله على نتيجة سارة من تثقيف غازي مدنياً وعسكرياً وذكر لي انه مريض بضعف الاكتمال العقلي الدائم-Imma-turite Intellectule وانه اوصى والده بادخاله المدرسة العسكرية بصفة طالب لا ينال امتيازاً عن غيره ففضى فيها سنتين ولم يستفد شيئاً."

وفي خلال فترة صيرورته ملكاً يستذكر السويدي:

"كان الملك غازي حملاً ثقيلاً على ظهر البلاد لا لكونه غير مفيد بالمرّة بل لأنه لم يكن ينقطع عن القيام باعمال تزيد في سوء سمعة الحكومة وتضر بسمعة البلاد لقد ادخل في روعه بعض الدجالين والطامعين في استغلاله بانه اذا وضع محطة اذاعة في قصره فان هذا العمل يكسبه شعبية ومحبة كبيرة ففعل واتخذ احد المهرجين^(٨) مذيعاً لها واسماها محطة اذاعة قصر الزهور وصارت هذه المحطة تذيع ما لا يلائم سياسة الحكومة ومصالحها ولم تستطع الحكومة منعه من هذا العمل مع العلم انه الملك غير المسؤول وقد انصبت اذاعة قصر الزهور على موضوعين دقيقين وخطرين وهما المطالبة بالكويت وتحريض الكويتيين على الانتفاض على حكامهم ومماليكتهم السياسية البريطانية. اما رد الفعل في الكويت فقد ظهر بقيام الشيخ احمد الجابر باجراءات شديدة ضد بعض الشبان والوجهاء فألقاهم في السجون بتهمة الاتصال بالحكومة العراقية لاحداث الشغب والاضطراب في البلد وكذلك في إنكلترا فقد حصل رد فعل مهم لقاء دعاية قصر الزهور فامتنعت عن إمداد

(٨) جاء في «أسرار مايس ١٩٤١ والحرب العراقية الإنكليزية» لمؤلفه يونس بحري الذي مرّ ذكره. نشر في بغداد في الستينات بعد الثامن من شباط ١٩٦٣. قال: "إن ننس فلا ننسى كيف توليت بنفسي حث المستشار الألماني (هتلر) رئيس الدولة على تقديم أضخم جهاز إذاعي قوي هدية للملك في ١٩٢٨، وسماها اذاعة قصر الزهور وقد نقلتها بيدي شخصياً من برلين الى بغداد وكانت الاذاعة بقوة (١٥٠) كيلوواط". "في ١٩ من أيار ١٩٣٥ قدم الوزير المفوض الألماني رسمياً الى الملك نيابة عن المستشار الألماني (وسام الصليب الأحمر) وفي العام ١٩٣٦ أهدى إليه عين المصدر سيارة مرسيديس أوصي عليها خصيصاً له". [ص٧٩].

الجيش بما يحتاجه من اسلحة وعتاد وتجهيزات حتى اني اذكر مقابلة لي جرت مع مستر (بطلر) الوكيل الدائم لوزارة الخارجية قال فيها ان الملك غازي يلعب بالنار واخشى ان يؤدي هذا اللعب الى حرق اصابع جلالتة."

هذه الاقوال حرص السويدي على تدوينها ولم يكن ينوي نشرها وهو في عالم الاحياء خشية اغضاب عميد الاسرة الهاشمية في الاردن على الارجح. الا أنها نشرت بعد وفاته وفي ١٩٦٨^(٩) لكنه عندما اعد مذكراته للنشر مؤملاً أن تخرج للقراء وهو حي لم يذكر سوى هذا: "اما المرحوم الملك غازي فلم يكن يظهر اهتماماً كبيراً في الاشتغال بأمور الدولة بل كان منصرفاً عنها. مع انه رئيس الدولة الأعلى وناظم امورها فالفراغ الذي كان يحصل من تجنّب هذا التنظيم (؟) كان يضعف الحكومة... ويقيت البلاد (بعد وفاة فيصل) بيد ملك تتقاذفه الأهواء وليس فيها زعامة موفورة الكرامة تكمل ما ينقص هذا الشاب من مواهب^(١٠)".

لكن فيصلاً كان مع هذا مصراً على بقاء العرش العراقي في سلالته وبوصفه مؤسساً لها رغم معرفته التامة بواقع حال هذا السليل وانه يبيلو به الشعب العراقي ودولته الحديثة التكوين.

ولطبيب الاسرة المالكة الخاص (هاري سندرسن) في مذكراته التي سيرد الكلام عنها تشخيص حذر مؤدب يكتنفه تحفظ شديد تجنّب فيه اعطاء الاسم العلمي لحالة الملك العقلية واقربها في نظرنا (شيزوفرينيا هيبيفيرنيا schizophrenia hebephernia) لكن وصفه يكفي لدعم أقوال السويدي وفيهما مطابقة ايضا.

يصفه "بالشاب الغرّ الذي تبلغ به السداجة احياناً حد البلاهة ويبلغ به التهور والطيش حد المقامرة بحياته والاستهانة بحياة غيره. ويصل به الخوف من الموت الى درجة تصوره امراضاً فيه لا وجود لها. عنيد في منتهى العناد من جهة، تتقاذفه الاهواء من جهة أخرى حتى يسهل على أي شخص قريب منه التأثير عليه، وبعبارة أخرى لم يكن لديه ذرة من الشعور بخطورة مركزه وتبعاته".

"اسلوب حياة غازي كان مثاراً لقدّر كبير من التقولات لسوء الحظ ولم تكن تلك التقولات جوفاء فقد احاط نفسه بزمرة من الضباط الشبان المتزلفين في الجيش والقوة الجوية واصبح الافراط في السكر والدعارة هي التسلية الغالبة وكانت

(٩) وجوه عراقية عبر التاريخ. ط. لندن ١٩٨٧ رياض الريس للكتب والنشر، ص ١٥ وما بعدها.

(١٠) مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية. دار الكاتب العربي بيروت ١٩٦٩.

نتائجها تصيبني احياناً باعتباري طبيبه الخاص."

ان ملكاته العقلية كانت موضع سخرية واستهزاء اقرانه منذ الصغر. لم يلبث أن وجد لخييبته اقرانه يفوقونه حيوية وبصيرة وذكاء وكان هذا مبعث ضيق واضطغان عظيمين يؤديان به الى وقاحة واطلاق التهديد وكل ذلك كان واضحاً لرفاقه في المدرسة. وقد أئى هذا فيه احساساً بانحطاط الشخصية فراح يحاول التغلب عليها بنيل نوع من التفوق في مجال ما. لم يكن لديه أي اهتمام بشؤون الفكر الا انه بقي يحلم بتحقيق شهرة ما، كأن يغدو من هواة سباق السيارات. وقد اثار فيه هذا حماسة فكان لديه في قصر الزهور سرب صغير من السيارات ذات السرعة الفائقة. شخصية متناقضة. من جهة لم يكن يعبأ بالنتائج عندما يقود سيارته بسرعة خارقة. من جهة أخرى كان يخشى موت الفجاءة الى الحد الذي كان يصر على ان تكون زوجته الى جانبه عند اجرائه عملية تلقيح. وكان يخشى النظر الى الآخرين ويخشى ان ييحل فيهم الناس، فاحفاء لهذا النقص النفسي وستراً لخلجه لم يكن يشاهد من دون نظارات سوداء في الاجتماعات العامة او عند استقبال الزوار الرسميين وفي احدى المناسبات اضطررت الى تأنيبه لحادثة أقدم عليها مع واحد من عبده^(١١) وكان يخشى ان يتوقف قلبه عن الخفقان فجأة لاسيما في

(١١) النص منقول عن ترجمة (سليم طه التركيبي) مع تفويم بسيط في اللغة لكتاب الدكتور (هاري سندرسن) الموسوم عشرة آلاف ليلة وليلة واحدة والحادث الذي يشير اليه المؤلف يقصه الكولونيل جيرالد دكوري في كتابه (ملوك ثلاثة) الى جانب حكايات أخرى تكاد لاتصدق عن غازي لو كان ناقلها غير هذا الملحق العسكري البريطاني في السفارة البريطانية الذي كان يتمتع بحظوة خاصة جداً لدى الاسرة المالكة العراقية ومن اصدقاء عبدالاله وغازي قال: كان احد عبيد القصر يرتعد فرقاً من ركوب الطائرة، فاضمرها له غازي وأمره مرة بصعود طائرة كان يقودها (صباح ابن نوري السعيد) فارتد على عقبيه مرتاعاً وراح يتوسل ويستجير لكنه أجبر على دخول الطائرة بالقوة وما ان حلقت في الجو حتى استولى رعب قاتل على العبد وتشبث بمقود الطائرة وترك الطيار لايدري ما يفعل وهوت الطائرة وقتل العبد واصيب صباح بكسور خطيرة في الجمجمة وكسرت ساقه وشلت يده وذراعه وامضى اشهراً عديدة في أحد مستشفيات إنكلترا. وذكر مما ذكر انه كان ينام واضعاً على رأسه قبعة ملاح جوي فان سئل عن السبب أجاب انه يفعل ذلك لمنع الجن من ولوج اذنيه ويضيف قائلاً انه سبق له لقاء مع الجن في بغداد اذ زخر القصر بهم الا ان أباه فيصلاً تمكن من طردهم بقراءة آيات من القرآن بصوت جهير. وذكر ايضا انه قام ذات يوم بطلاء احد خدمه بدهان (مما يستخدم لصبغ المنازل والاثاث) فادى ذلك الى سلخ جلده وقضاء ايام أليمة تحت الرعاية الطبية وهو ملفوف بالاقمطة. ومن الاعيبه انه كان يربط الاواني المنزلية ببطاريات كهربائية فيصاب الزوار والخدم عند لمسها بصعقات كهربائية ويشتد حذرهم عند اكتشاف الأمر فيتحاشون لمسها ويتعاطف سروره عندما يقطع التيار الكهربائي عنها ويطلبها منهم فيتحاشونها ولايقربونها. وكان شديد القلق على دقات قلبه (وهو سليم في الواقع) بعد لبال من اللهو والعريضة فيستدعي الطبيب ويقول له مشيراً بيده "في هذا الجزء من قلبي اشعر بانه ضعيف"، وبعد انقطاعه عن مهاجمة الكويت في اذاعته تحول الى عمه عبدالله وراح يهاجمه ويتناول عليه بعنف وشدة...

ساعات الليل وكنت أنتزع أحياناً من فراشي ثلاث مرات على الأقل ما بين غروب الشمس وشروقها.

كان غازي يتردد كثيراً في السفر داخل مملكته او خارجها وباستثناء زيارة واحدة قام بها للبصرة وكربلاء والنجف والموصل لم يسافر الى أبعد من المكان الذي تنقله اليه سيارته بعد الظهر.

بعد هذا الوصف السريري الضافي الى جانب ما اوردناه سابقاً ما أظن أي طبيب نفساني سيعجز عن اعطاء الاسم العلمي لحالة الملك العقلية، ويلاحظ ان هذا الطبيب نفسه كان اكثر من ربع قرن اكثر تحفظاً واقتضاباً عند مقابلة له مع السر جورج رندال^(١٢) في لندن فقد وضع هذا الموظف الخطير مذكرة بما سمعه منه عن حال غازي ووشحها بعبارة (سري للغاية لا يجوز اخراجها من الوزارة). قال:

١٠ تشرين الاول: زارني الدكتور سندرسن بعد ظهر يوم ٥ تشرين الثاني ١٩٣٦ ووصف لي بشكل يدعو الى غاية الاهتمام ما في القصر الملكي ببغداد. وكانت الصورة التي رسمها للملك الشاب تدعو الى الأسى والرثاء تماماً. على اني استخلصت بانه مازال يتثبت بأمل طروء تغيير ما على سلوكه. وقال وهو ما كنت اجهله انه فارس مقدم مغرم بركوب الخيل. وأعلمني ايضاً أنه (أي الملك) ماخلا ذلك فهو حامل كسلان قابل للإستهواء والانجراف مع رفاق السوء.

لكن مساعده [مستر وارد J.G. Ward] لايجد صعوبة في إدراك السر في تلطيف الصورة وتهوين المسألة فيعلق في ١٦ تشرين الأول ١٩٣٦:

"واضح أن الدكتور سندرسن يتحاشى الطعن في سمعة الملك أو أخلاقه بشكل جدي، وكان على الدوام - وحين بدأت الفضائح الأولى عنه تنتشر خلال ١٩٣٣-١٩٣٤ ينكرها غاضباً ويبدل أقصى جهده لينشر عن القصر دعاية طيبة. انه على كل حال طبيب القصر. وقد فقد الآن كثيراً من مكانته السابقة وان منصبه بوصفه الطبيب الرئيس في العراق قد انتقل الى الأطباء العراقيين وقد كان عليه أن يتحمل كثيراً جراء الحسد. وهو لن يبقى لحظة واحدة اذا فقد عطف غازي."

قد يعزو علماء الطب النفساني Psychiatrists وعلماء الوراثة Geneticists ظاهرة الخلل العقلي في غازي الى التناسل المتعاقب الداخلي بين اعضاء الأسرة الواحدة وقد كثر ظهور اثر

(١٢) مدير الدائرة الشرقية في الوزارة الخارجية (الوثيقة -F.O37٧/٩٣-٣٠.٨٩-٣٠٤٣٠/E٦٤٣٠/١٧.٢٠٠).

ذلك في اعراض جنونية وشذوذ في جيل غازي واسرته^(١٣) فابن عمه (الملك طلال بن عبدالله) ملك الاردن ووالد الملك حسين الحالي ظهرت عليه علائم الجنون وانفصام الشخصية بعد تسنمه العرش بسنوات قلائل ولم يكن بالوسع كتم الأمر فأزيل عن العرش وحجز في احد مستشفيات الامراض العقلية بتركيا حتى توفي في الستينات.

والاميرة (رفيعة) شقيقة غازي كانت معتوه منذ الصغر وقد حجر عليها في القصر ببغداد حتى ادركها الوفاة في ١١ شباط ١٩٤٣ ولم يعرف العراقيون بوجود لها الا عند اعلان الحداد الوطني عليها بمناسبة وفاتها.

ومأساة شقيقته الكبرى (عزة) الذي زين لها شذوذها الموروث المتعاطف بواقع الحياة المقيدة التي تفرضها تقاليد الاسرة وحرمانها الجنسي - ان تهرب في ٢٦ من ايار ١٩٣٦ مع خادم الفندق في (رودس) وتحولها الى النصرانية^(١٤) هي قصة مؤلمة خفيت عن الرأي العام العراقي زمناً. ولم يكن ذلك ممكناً في النهاية لان الصحف العالمية تناولتها بكثير من الضجيج والتعليق. والاميرة جليدة بنت الملك علي وشقيقة عبدالله شخصت طيباً بأنها مصابة بعدم الاستقرار العاطفي وهو نوع من البارانويا لايفيد فيه علاج وقد ختمت على حياتها بيدها بأن صبت بنزناً على جسدها واشعلت فيه النار في اواخر العام ١٩٥٥.

(١٣) كان الزواج بالأقربين الأدين الصليبيين من الالتزامات المفروضة. وأي زواج آخر. لا تعده الأسرة مناسباً لسلالتها النقية وشرورها وعلى هذا الأساس تزوج الشريف حسين (ملك الحجاز فيما بعد) من عابدية ابنة عمه الشريف الكبير (أيام العثمانيين) فانجبت له ثلاثة ذكور هم علي وعبدالله وفيصل وتوفيت (عابدية) بعد ولادة فيصل بثلاث سنين فبنى (حسين) بابنة صالح بك التركي. فانجبت له زيدا وسارة وفاطمة واستبعد (زيد) عن صفقات العروش بسبب ذلك حتى عندما انصرف التفكير الى اقالة غازي او نصب مجلس وصاية وكذلك لانه متزوج من تركية. وشقيقته (سارة) قطعت عن الأسرة تقريبا لأنها تزوجت بالدبلوماسي العراقي (عطا امين) سكرتير السفارة العراقية في تركيا كما تزوج فيصل بابنة عم له. وفضلاً عن هذا فالنسل ضعيف على العموم فكثير من اعضاء والأسرة توفي بداء القلب (ام غازي وابوه وعمه) وتوفيت زوجة غازي بمرض السرطان وهي شابة.

(١٤) تم الزواج في كنيسة ارتدكسية قريبة من اثينا والزوج يوناني يحمل جنسية ايطالية اسمه اثناسيوس خرامبيدس. وهو نذل في فندق بجزيرة (رودس) وقد اعتادت هي وشقيقتها (راجحة) ان تقضيا اشهر الصيف هناك ويظهر ان الاتفاق بينهما كان قد تم في الصيف الماضي اذ حملت (عزة) كل مصوغاتها وحليها معها. كان التعقيم على الحادث يكون شبه كامل اذ منعت الصحف منعاً باتاً من التنويه بأي شيء ووضع حظر ومراقبة دقيقة على جميع المطبوعات الدورية الاجنبية. ومما اذكره ان ابن عمه لي وكان يتولى وظيفة سكرتير القنصلية الفرنسية حمل الى دارنا وقتها عدداً من مجلة L'illustration المصور: الفرنسية التي تردهم الى القنصلية في الحقيبة الدبلوماسية. وترجم لنا فيها تقريراً صحفياً ضافياً عن الحادثة مزيناً بصورة للاميرة السافرة وهي تتأبط ذراع زوجها في ميدان سباق واذكر ان قراءة اسم الاميرة =

كان غازي بحكم القانون ملكاً دستورياً على اية حال وتصرفاته الكيفية التي تخرج عن النطاق الشخصي الى الواجبات العامة (كمراسيم الافتتاح واستقبال الضيوف الكبار وافتتاح المجلس وقراءة خطاب العرش الذي تعده له الحكومة) تساعد كثيراً على بقاء واقع وضعه العقلي ضمن دائرة محدودة. وكثيراً ما سر بعض السياسيين وضعه هذا الذي كان يؤمن اطلاق يدهم في العبث والتصرف وفق رغباتهم الخاصة. وهو ما لم يكن يسمح لهم به (فيصل) وقد عرفهم فرداً فرداً قبل وصوله الى حكم البلاد وقبل ان تسمو بهم الرتب فحافظ بحيلة ومؤمرات صغيرة - على نوع من الموازنة بينهم، لتصبح له الكلمة الأخيرة في ادارة دفة الأمور.

وكان الأمر مختلفاً مع خلفه ذي العقل القاصر فقد انطلق هؤلاء على رسلهم بلا كايح او ضابط. واطلقوا العنان لاحقادهم الشخصية، وامتدت ايديهم الى الجيش لتحقيق مآربهم وانقلاباتهم بعضهم ضد بعض. مستغلين انصراف الملك الجديد الى هواياته الطفولية. وراحوا يقدمون للرأي العام تفاسير مضادة لبعض تصرفاته التي لم يكن بالوسع اخفاؤها او سترها وسنأتي الى تفصيل ذلك وشيكاً.

تذكر الحوليات العراقية مناسبة واحدة حاول فريق من رجال السياسة تنبيهه غازي الى واجباته واسترعاء اهتمامه بشؤون المواطنين وبخطورة اجراءات حكومة معينة هي حكومة (رشيد عالي) فقد قام بزيارته وفد يضم رؤساء وزارة سابقين ووزراء لعرض نفرتهم واحتجاجهم على القسوة التي استخدمت مع ثوار الجنوب وحول الفطائع التي ارتكبها الجيش هناك وتشير الوثائق البريطانية الى ان الملك لم يظهر أي اهتمام بالأمر ولم يتركهم يتمادون في شكواهم بل أظهر استياءه من التنديد بالجيش والتعريض بقادته^(١٥).

وفي عهد (ياسين الهاشمي) بوزارته الأخيرة بلغت الأمور حداً أجهته الى الإقدام على خطوة غير دستورية. اذ بادر الى اتخاذ تدابير عملية صارمة للحد من تصرفات غازي هي اشبه ما تكون بالحجر القانوني على رئيس دولة مجنون. فاصدر أمراً وزارياً يمنع فيه اشخاصاً معينين من دخول القصر الملكي او الاتصال بالملك. واخرج من القصر عدداً من البطانة المعروفين بسوء

= (راجحة) صعب عليه في حينه بالشكل الذي اثبت بالفرنسية ومنه عرفنا لاول مرة ان الملكنا شقيقات. وقد احتفظ كاتب هذه السطور بالمجلة رداً من الزمن كما يحتفظ ابن الثالثة عشرة المغمم بالقراءة وجمع الاوراق كل ما يجد فيه طرافة او غرابة.

(١٥) الوثيقة (٢٥٥١٥-٢٧١.F.O.) كان بين الوفد ناجي السويدي وحكمت سليمان وجميل المدفعي ومحمد جعفر ابو التمن ومولود مخلص وآخرون. جاء تفصيل ذلك في رسالة بعث بها السفير البريطاني الى وزير خارجيته (انطوني ايدن) في ٢٢ ايار ١٩٣٦.

الخلق وفصل بعض موظفيه وحد من اسرافه إذ وضعت رقابة شديدة على الخزينة الملكية الخاصة وأن تجري تحقيقات عن كل من يراد استخدامه في القصر والبلاط.

ويذكر السر ارشيبالد كلارك كبير^(١٦) السفير البريطاني في تقريره السنوي ان (ياسين) اظهر في علاقاته مع الملك صبراً وتحملاً. وانه كان "يتحدث بمرارة عن نزوات جلالته الصببانية وافتقاره الى الرغبة والاهتمام بالشؤون العامة. لكن لا يمكن ان يقال ان (ياسين) لم يفعل كل ما هو ممكن لرفع مكانة العرش وحماية الملك من الانتقاد. لابد وان اسباباً للقلق ربما كانت تساور الملك في الربيع عندما اشيع ان رئيس الوزارة يهدف الى اقامة دكتاتورية. الا ان (ياسين) كان بارعاً حين قضى على تلك التخريعات بتصريحات اعلن فيها اهتمام الحكومة بالتمسك باحكام الدستور."

وفي رسالة أخرى بعث بها الى وزير خارجيته في ١٩ حزيران، ورد في الفقرة الثالثة منها وصف لحالة غازي:

« طائش، انغماسه في هواياته الخاصة صرفه عن الاهتمام بمصالح المواطنين ومشاعرهم وجعله يهمل شؤون الدولة بصورة مشينة بل واكثر من هذا، فإن اسلوب حياته كان منذ مدة طويلة سبباً لفضائح يتهامس بها الناس، حتى عند غير المتشددين ازاء حالات الضعف الانساني، والمتساهلين الذين لا يقيمون وزناً لها... كان (ياسين) مضطرباً عند زيارتي. وانشأ يتحدث عن اقتراح نوري السعيد بخلع الملك مصراً على وجوب تأليف مجلس وصاية على الملك الطفل فيصل ثم عقب على هذا بقوله انه بعد حديث مع (رشيد عالي) اتفق بان مثل هذا العمل سيؤدي الى الكارثة وان أي مخطط لإقالة غازي في اعتقاده، سيعرض البلاد الى فوضى شاملة. ففي العراق لا يثق انسان بآخر، والجار يغار من جاره وسيكون من المستحيل ايجاد رجال يحظون باحترام ونفوذ يمكّنهم من ممارسة الوصاية بدون اثاره الحسد والبغضاء بين عدد من المنافسين الخطيرين. واذا خلع الملك فسيعقب ذلك

(١٦) هذا الدبلوماسي يعد من اقدر الدبلوماسيين البريطانيين واصدقهم واكثرهم صراحة. وقد وضع بصماته على السياسة الخارجية البريطانية خلال ثلاثة عقود من اوائل هذا القرن. عين سفيراً لبلاده في العراق في اوائل العام ١٩٣٦ وبقي سنتين وبضعة اشهر وكانت تقاريره حول فترة انقلاب بكر صدقي تمتاز بالصراحة والدقة والموضوعية وخير مصدر معتمد لها كانت تقيّماته للشخصيات السياسية العراقية في غاية الدقة والصواب. وحقق نجاحه الكبير في اقامة علاقات حميمة مع الأضداد دون اثاره حساسية او غيرة، ووجه الغرابة هنا انه حقق نجاحاً باهراً في انشاء صلة حميمة مع غازي الذي كان كثيراً ما يلجأ اليه عندما تنتابه الهواجس وتختلط عليه الأمور فيعمل على تهدئة روعه عند كل هزة سياسية.

حتماً صراع على السلطة وستساق البلاد الى الدمار. ليس على المرء الا ان يفكر كيف ستستغل العشائر الشيعية والكردية مثل هذا الحدث ليدرك مدى الكارثة التي سيؤدي اليها هذا العمل الذي يقترحه نوري (السعيد) فاجبته: أراني ملزماً بان اتفق معه على هذا. وان وصفه للوضع المحتمل يجعله مصيباً وانا اشاركه الرأي في فساد اقتراح نوري^(١٧).

وفي فقرة أخرى من رسالته هذه يصف مقابلة له مع غازي:

« لم تكن محادثتي معه مؤلمة بالقدر الذي كنت اتوقعه واظني كنت رقيقاً معه. لقد وافق على بعض ما قلته على كل حال، وقال انه علم الآن فقط ان الاسلوب الذي تجري عليه حياته قد اصبح فضيحة، وانه لحد هذه الساعة لم يجد عند احد ذلك الاخلاص والشعور الصادق نحوه الذي يحمله على القدوم اليه وتحذيره من سوء افعاله. لكن يجب ان لا اصدق كل ما يبلغني عنه. فكل ما ينصب الاتهام عليه هو بعض التصرفات السيئة الصادرة من هم على صلة به. ولن يكرر ذلك في المستقبل مطلقاً.

قلت له: لو ان جلالته اهتم قليلاً بتحسين صورته لشعبه لما بلغ حكم الآخرين عليه هذه الدرجة من الصرامة. وقدمت له عدة مقترحات حول تحقيق هذا. واضفت اليها قولي ان استعادة مكانته واصلاح سمعته انما يعتمد عليه كلياً. وان كان لي أن اجرء على تقديم شيء من النصح له، ففي رأيي ان يضع نفسه بيد وزرائه ويتبع توجيهاتهم فترة من الزمن لأنهم ينشدون مصلحته ليس الا. فاكد لي جلالته ان سيكون من الآن فصاعداً حريصاً على ان لا يجعل حياته الخاصة عرضة للطعن والنقد وانه سيسترشد بوزرائه وزاد قائلاً انه وبالبحاح من رئيس الوزراء قام في هذا اليوم بالذات بطرد كل مرافقيه وسائق سياراته وكل خدمه الشخصيين تقريباً» آه.

على ان (چارلز بيتمان) القائم بالاعمال في بغداد، يردف رسالة سفيره برسالة اخرى بعد ايام قليلة (٢ تموز) موجهة لوزير الخارجية يقول فيها ان الملك يقاوم اجراءات الحكومة الرامية الى اصلاحه فقد رفض التخلي عن واحد من بطانته "وعلمت انه يحاول ان يعيد الى خدمته سائقاً متفسخ الخلق سيء السمعة بحيث ان اسمه وضع في رأس قائمة التطهير".

(١٧) قدم نوري السعيد هذا الاقتراح لياسين ولبعض الساسة وللوزير في اوائل حزيران ١٩٣٦ وظل مصراً عليه الى ان استوزر في ١٩٣٩ بمساعدة ضباط كانوا ايضاً من بطانة غازي! فعدل عن الفكرة وما أظن سبب عدوله بخاف على القاريء.

وفي ١٩٣٧ تؤكد الوثائق البريطانية بأن (غازي) كان على الأقل يعلم بحركة (بكر صدقي) الانقلابية ان لم يكن مشجعاً لها. وتقول ان الموضوع شخصي طبعاً ولا يتعلق بسياسة البلاد. وانما هو نتيجة القرار الذي اصدره (ياسين) للحد من تصرفاته "والرقابة التي فرضت على عاداته القبيحة في حياته الخاصة، أثارت حقه على (ياسين). ان اتصال الملك الوثيق والدائم بالجيش العراقي وخاصة بالعناصر السيئة من مرتبته الشبان كقائد القوة الجوية (محمد علي جواد) ربما حمله على تشجيع الانقلاب بسهولة".

بعد مقتل (بكر صدقي) في آب ١٩٣٧ تعاقب انقلابان عسكريان خلال ما تبقى من حياة غازي. وبين القائمين بهما من كان ضالِعاً في مؤامرة اغتيال بكر صدقي واسقاط حكومة حكمت سليمان وبينهم من كان يختلف الى مجالس سمره ولهوه.

نعت الوثائق البريطانية موت غازي في حادث الاصطدام - بسلسلة من الرسائل والبرقيات، وفصلت في وصف المظاهرات والمناحات الشعبية التي اجتاحت العراق بالمناسبة وأدت واحدة منها في الموصل الى حادث مفتح وأقصد به الهجوم على القنصلية في الموصل وقتل القنصل (مونك ميسن).

ففي رسالة للسفير الجديد (السر بازل نيوتن) الى وزير الخارجية (هاليفاكس) جاء الآتي:

الفاجعة العظمى التي ألمت بالعراق هي وفاة الملك غازي في حادث سيارة بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٩. هذه المأساة التي نجم عنها انتقال العرش لطفل في الرابعة كانت امتحاناً عسيراً للمملكة الفتية العراقية ويبدو المستقبل من خلالها غامضاً بعض الشيء. لا يمكن الانكار بأنها أراحت البلاد من حاكم ماكان ينتظر منه أن يرفع مستواها. لم يكن غازي ضد البريطانيين، والواقع أن تعاونه مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية وممثليها كان جيداً على العموم، وإن كان عبثه في الأشهر الأخيرة التي سبقت موته، قد أدى به الى تبني قضية بعض العناصر العربية المتحررة عن طريق جهازه الإذاعي. إلا أنه لم يكن يملك لا القابليات ولا المؤهلات ولا تلك الشخصية المتزنة لتجعل منه حاكماً مناسباً لشعب معني بالأمور السياسية كعرب العراق...

إن موت الملك غازي كان من جهة أخرى حدثاً هاماً. فقد زودّ الدعاية الألمانية المتجردة من المبادئ الخلقية والواسعة الانتشار بمادة ذات أثر قوي. زاد نشاط

الدعاية الألمانية في الشرق الاوسط عموماً وفي العراق خصوصاً باطراد تردي العلاقات بين ألمانيا وبريطانيا. وعمل الوزير المفوض الألماني ببذل المال والعدد الكبير من العملاء، وعن طريق اذاعته باللغة العربية على نشر الافكار الالمانية ان لم اقل النازية وبثها في الرأي العام العراقي بلا هوادة ولاسيما في الجيش والطلاب والقبايل. ونجحت بطبيعة الحال في استخدام قضية فلسطين خلال مجهوداتها هذه - لتشويه السمعة البريطانية في هذه البلاد. وكان النزاع مع الكويت مادة للطاحونة الالمانية وعندما لقي الملك غازي حتفه وهو في اوجه لم يفوت الدعاة الألمان الفرصة للتأليف بين كل هذه الظروف. ففي خلال اثنتي عشرة ساعة من وقوع المصائب انتشرت اشاعات مفادها بان البريطانيين دبروا موت الملك (في الواقع ان الدكتور كروبا لمح علناً فيما بعد الى الطرق والاساليب التي يمكن تديير ذلك) وقد اندفعت جموع غاضبة من الغوغاء نحو القنصلية البريطانية في الموصل وفتكت بقنصل جلالته فيها... كانت مأساة الموصل صدمة للرأي العام العراقي. فقد أظهرت المدى الذي بلغه تضليله بالدعاية والاشاعات كما كشفت للحكومة أيضاً مبلغ ما وصل اليه الأمن العام من تسيب اثر ذلك. ولم يضع الجنرال نوري السعيد وقتاً، فبادر باقالة وزير الداخلية (ناجي شوكت) القومي المتعصب جداً الذي كان يأبى أن يقدم على اجراءات فعالة للحيلولة دون هذا الغليان. ولمنع التظاهرات التي كانت تدفع بها الدعايتان الفلسطينية والالمانية^(١٨).

يبدو مما سبق بيانه ان فكرة قيام البريطانيين بالتآمر على حياة عاهل غير متكامل العقل فكرة غير عملية وغير معقولة، خرجت كغيرها من مطابخ الاكاذيب التي كانت تنسجها الدعاية الالمانية. وهي تستخدم اليوم لاغراض معينة وخدمة لمصالح دكتاتور آخر. ما اظن ترويجها بوصفها جزءاً من الاسطورة القومية التي نسجت عن غازي - مفيداً للقوميين العرب وللقومية العربية لا في حينها ولا في الوقت الحاضر. القومية العربية في جهادها لاثبات هويتها ويسمو مقاصدها تستأهل رجالاً وشخصيات اكثر طهراً وارجح عقلاً وابعد عن الرذيلة والانحطاط الخلقي من غازي وامثاله ممن ذاع صيته كالمفتي امين الحسيني ورشيد عالي وصالح الدين الصباغ ولا اذهب الى ابعد من هذا.

(١٨) من تقرير السفارة السنوي مؤرخ في ٥ شباط ١٩٤٠ عن العام ١٩٣٩ (٠٥٧٨٩-٢٤٥٥٩-F.O.٢٧١).

نمت اسطورة الملك القومي عندما كانت المعلومات التاريخية المضادة والوقائع المعززة بالوثائق شحيحة. وعندما ازيج الستار عنها وبدت للعيان اعطيت التفاسير المضادة لتصرفات ما كان بالامكان اخفاؤها او التغاضي عنها فمثلاً عدّ تهوّه في قيادة سيارات السباق بسرعة جنونية من قبيل الاقدام وثبت الجنان. وطرده الخيل وسباقاته المظفرة اصالة عربية ومهارة. واعتبرت اذا عتته الغوغائية التي كان يعد برامجها عملاء نازيون دروساً في القومية وجهاداً مبدئياً ودليلاً على اهتمام هذا العاهل بالمصير العربي. ومصاحبته المشبهين وسيئي الخلق تواضعاً ودليلاً على شعبيته.

الصورة التي اعطيت لتغطية شخصية غازي الحقيقية كان يجب ان تكمل بكذبة التآمر البريطاني على حياته واغتياله. وهي صورة جيدة للدعاية ضد العدو الامبريالي تضاف الى الجرائم العديدة (الحقيقية) التي اجترحها نفوذه وتسلطه بحق الشعب العربي وغيره من الشعوب الا ان المصالح البريطانية تتآمر على مصائر الشعوب ولا تتآمر على مصائر افراد. الافراد في عرف السياسة البريطانية نوعان، مجرد بضاعة يمكن شراؤها، أو فكرة تتبنى قضية معادية لا يمكن القضاء عليها بجز رأس حاملها. ولو كانوا حمقى بهذه الدرجة لعمدوا على التخلص جسدياً (من غاندي، واحمد عرابي، وسعد زغلول، ونهرو، والمرشال سματος) ولا اذكر من المتأخرين (جمال عبدالناصر)، هؤلاء وامثالهم اقلقوا راحة الامبراطورية وبعضهم هدد نفوذها تهديداً خطيراً، وجميع هؤلاء كانوا بمتناول يد البريطانيين الا انهم لم يتعرضوا الى حيواتهم، بل نفوهم وسجنوهم وقاتلوهم. ولا احد يستطيع القول ان (غازي) كان اخطر على المصالح البريطانية والنفوذ البريطاني من أي واحد من هؤلاء.

في عالم الجريمة والمجرمين يبحث قبل كل شيء عن القصد او الباعث Motive ثم عن الظروف التي ادت الى ارتكاب الجريمة والفرص التي سهلت للفاعل اقدمه على الفعل. وفي قضية مصرع (غازي) يتعذر ان نجد باعثاً أو مطلباً ملحاً أو مطمحاً لرجال الحكم العراقيين وللبritانيين في اختيار هذا الاسلوب للتخلص منه.

قد تكون تصرفاته الشاذة مصدر قلق للسفارة البريطانية. الا انه قلق لا يؤدي مصالحها هي بل مصلحة النظام القائم برمته.

ففي مطلع العام ١٩٣٦ عندما بدء رجال الطبقة الحاكمة المسؤولون يفكرون تفكيراً جدياً في استخلاف غازي بشخص آخر ويتداولون فيما بينهم ومع البريطانيين في اختيار البديل الصالح، كانت العلاقات السياسية بين ألمانيا وبريطانيا علاقة ود وصفاء وابعدها ما تكون

عن عداء. وقد عرفت عند المؤرخين باسم (سياسة المهادنة والارضاء The policy of appeasement) تلك السياسة التي توجت على يد رئيس الوزارة البريطانية (نفييل چمبرلن) باتفاق ميونيخ في اواخر ايلول من العام ١٩٣٨ المعروف باتفاق السلام. وبقيت السياسة الخارجية البريطانية سادرة في هذا الاتجاه ازاء ألمانيا، حتى الاسابيع القلائل الأخيرة التي سبقت الاول من ايلول ١٩٣٩ عندما بدأت الحرب العالمية الثانية بالغزو الالمانى لپولندا، أي بعد الحادث الذي لقي فيه غازي مصرعه بخمسة أشهر.

في غضون السنوات الست التي عقيبت استيلاء النازي على مقاليد الحكم في ألمانيا، لم تحاول بريطانيا في العراق او غيره من البلاد التي كانت ترتبط مصالحها بها - ان تضع عقبة في سبيل الدعاية النازية او تعمل بشكل ما على الحد من نشاط عملائها بين المواطنين العراقيين (فهتلر) كان يوحى للديمقراطيات الغربية بأن هدفه الأخير والوحيد هو تقويض الشيوعية العالمية والقضاء على الاتحاد السوفياتي.

كانت الشيوعية والحد من النشاط الشيوعي منذ قيام النظام الشيوعي في روسيا المحور الرئيس الذي تركز عليه سياسة بريطانيا الخارجية ولذلك لم تتدخل مطلقاً في النشاط الذي كان يمارسه النازيون وعملاؤهم في العراق عن طريق المفوضية الالمانية بل كانت تتابعه باغضاء ان لم يكن بعين الرضى، ولم تضع أي عقبة في سبيل التقرب العراقي الالمانى. وكانت الوفود من الشباب والشابات العراقيات تتقاطر لحضور المهرجانات النازية، والدعوات الرسمية وغير الرسمية تعرض بسخاء لزيارة ألمانيا فتقبل بترحاب. ولم تعترض بريطانيا على الاتفاقات التجارية التي عقدتها الحكومات العراقية مع ألمانيا والتسهيلات المصرفية التي كانت تمنحها للتجار العراقيين رغم ان ذلك كان مضرراً بالنشاط التجاري الإنكليزي في العراق. وفي العام ١٩٣٧ مر «نظام الفتوة» في مجلس النواب دون اعتراض وشرع في تطبيقه وهو نظام يشبه من اوجه عديدة - بل كاد يكون نسخة من تنظيم الشبيبة النازية وفصائل الشباب الفاشي ذوي القمصان السود^(١٩).

في اواخر العام ١٩٣٨ أصدرت حكومة جميل المدفعي ذبلاً لقانون العقوبات هو المرسوم المرقم (٥١) الذي عرف بقانون مكافحة الآراء الهدامة. وكل من احيل الى القضاء بموجبه كان من الشيوعيين والپارتيين ولم يقدم متهم واحد بالدعاية للنازية (الاشتراكية الوطنية) رغم نص القانون عليها.

(١٩) راجع الفصل (١٦) من الجزء الأول.

من ناحية أخرى: فالتأمل في سياسة بريطانيا ازاء القضية الفلسطينية في تلك الحقبة كان يجد تشديداً واضحاً ازاء هجرة اليهود. وهو التشدد الذي اثار سخط الصهيونية العالمية واحبط الى حد كبير المشروع الصهيوني - النازي، الذي كان يهدف الى التخلص من يهود ألمانيا والبلاد التي تسيطر عليها في أوروبا بتسهيل نزوحهم الى فلسطين [وهو ما تعرضنا له ببعض تفصيل في الجزء الاول من هذا الكتاب] وقد اساء الفلسطينيون والعرب جميعاً فهم جوهر هذه السياسة قدر ما أساؤا استغلالها لمصلحتهم. لذلك فما كانت اذاعة غازي تبثه من تحريض للفلسطينيين رغم غوغائيته وتفاهته - انما يتفق بالنتيجة مع سياسة بريطانيا. وهو كذلك يفسر موقفها من عبث غازي السياسي هنا. وقلة اهتمامها به حتى يبلوغ ذروته في التحريض على ثورة في الكويت.

وفي الكثير من الوثائق البريطانية ومذكرات رجال السياسة العراقيين نجد الدليل القاطع بان الجهة البريطانية كانت ضد فكرة التعرض لغازي بالخلع او باقامة مجلس وصاية، كما رأينا من نماذج قدمناها قبلاً. فمصلحتها النهائية ان كان ثم مصلحة في الواقع نجدتها تتفق ووجود ملك ضعيف العقل على رأس البلاد، لايعبأ قلامة ظفر بشؤون الدولة، ويأخذ بانهماك كلي بأسباب اللهو الترفي الذي يؤمنه له مركزه ووضعه المالي. لم تكن السياسة أو مهام الحكم وشؤون البلاد واحدة من تسليياته وهواياته كما كان الشأن بوالده المغرم بهذه الهواية التي كانت تسبب في احيان كثيرة بعض صدام لبريطانيا.

لم يؤثر عن الأجهزة السرية البريطانية العريقة والطويلة الخبرة في شؤون الشرق توريث نفسها بدم خصم، او مشاركة في عملية اغتيال. وكان النهج في التخلص من اعدائها ان تضرب بعضهم ببعض عند الحاجة القصوى. ونادراً ما كانت تجابه ذلك وفي العراق خصوصاً لأن المتناحرين على السلطة في بلاد الشرق يكفونها مؤونة ذلك وهم ليسوا بحاجة الى تحريض او تشجيع. وفي تاريخ النزاع الداخلي بين رجال الطبقة الحاكمة في العراق المخضرمين والمحترفين (وكلمهم كاد يكون من خلق بريطانيا) نادراً ما ادى النزاع على الكراسي الى سفك دماء. فجعفر العسكري لم يفتك به نظير له، بل كان قاتله (بكر صدقي) عسكرياً طارئاً على السياسة. ونوري السعيد اعدم صلاح الدين الصباغ وصحبه وهم عسكريون طارئون. واعدم (السبعواوي) ولم يكن سياسياً عتيقاً بل طارئاً. وكفت يد (نوري السعيد) عن (حكمت سليمان) بتدخل بريطاني. وعمل (حكمت سليمان) على انقاذ رشيد عالي وجميل المدفعي وباسين الهاشمي من بطش بكر صدقي وامنت لهم بريطانيا ملجأ. ونجا (رشيد عالي) باغضاء البريطانيين عنه رغم كل ما سبب لهم من خسائر ومتاعب.

في بريطانيا حكومات تنصبها وتسقطها انتخابات عامة يجرى تغييرها دستورياً ويهدوء تام لتسببه أزمة ولا تتم ازاخته بالقوة، وهي بسائر اعضائها تعلم جيداً انها عرضة للمحاسبة والتقويم في أي وقت، وسواء في ذلك اكانت في الحكم أم خارجه. ما هناك من سبيل في اضاءة معالم اجراءاتها السرية او العلنية بحرق واتلاف مراسلات رسمية او وثائق تستوجب الادانة ولولا هذا لما استمتعتنا مع غيرنا بالاطلاع على تلك الوثائق واستنساخ بعضها. فالمسؤولية تضامنية ولا عجب.

ويصدد الطريقة التي تم بها مصرع غازي. فان اكثر المجرمين حمقاً وغباء لا يلجأ الى طريقة معقدة للغاية قابلة للافتتاح في تنفيذ جريمة كهذه الطريقة. المجرم يتخذ الحيلة ويختار ضمن الوسائل لتغطية آثار الجريمة. وبقيناً ان المتآمرين المفترضين هنا كانوا يملكون مائة بديل وبديل ابعده عن الشك والمظنة عن هذه الخطة للقضاء على غازي، فمثلاً كان يوسعهم استخدام احد السموم التي يصعب الكشف عنها والادعاء فيما بعد بان الوفاة كانت نتيجة نوبة قلبية وهو ادعاء اقرب الى التصديق لأن غازي كما عرضنا كان مريض وهم بداء القلب وقد عرف عنه ذلك عدد كبير من خاصته. ولأن اباه وعمه ووالدته قد توفوا بهذا الداء. وان كان الاطباء الذين كتبوا تقرير الوفاة بعد الكشف عليه قد ارغموا على التزوير كما ادعى الفريق الذي نادى بفكرة قتله. فبالامكان أيضاً حملهم على كتابة شهادة بالسكتة القلبية، دون ان يتكلف الفاعلون عناء تدبير حادث السيارة الذي يقتضي له مجموعة كبيرة من المتآمرين المنفذين.

كان غازي في مجلس شراب. وقد أصر على عرض فلم سينمائي يحتفظ به في منزل صغير بالحارثية يملكه ابوه ويقع على قيد امتار من قناة فرعية لدجلة. فخرج مع سائقه الى طلبته بسيارة رياضية من نوع (بيويك) تسلمها حديثاً وانطلق بها بسرعة هائلة وهو مخمور.

المنحدر الذي يفصل بين قصر الزهور والمنزل وهو الطريق الذي يؤدي الى بلدة الحديثة ضيق جداً تحف به الاشجار والدغل فضلاً عن اعمدة البرق القائمة على امتداده وبمسافة عن الطريق ويقوم بعد الاستدارة من باب القصر نحو المنحدر قنطرة محدبة صغيرة فوق واحدة من الاقنية العديدة. عندما اعتلت السيارة القنطرة وهي منطلقة بتلك السرعة الجنونية كان لايد ان تفقد العجلتان الاماميتان تماسهما بالارض. وبالسرعة الفجائية التي تمت الاستدارة الى اليسار فقد غازي السيطرة على المقود واندفعت السيارة خارج الطريق فصدمت عمود البرق فاقتلعتة وسقط على رأس غازي.

واستنتاجاتهم وتغليفيها ونشر الضباب عليها عندما لاتستقيم ووجهة نظر الحاكم.
قال عفا الله عنه:

« لا استطيع ان اقول ان غازي قد قتل وكذلك لا أستطيع ان اقول انه لم يقتل
غير اني مع الاحتمال الأخير. أي انما لم يقتل وانما كان لتصرفاته الخاصة اثر في
ذلك فالمعروف عن غازي انه كان مدمناً يكاد لا يفارق الكأس وانه كان مولعاً
بقيادة السيارات. فاذن كل هذه مجتمعة تجعل من موضوع الحادثة شيئاً بديهياً
فالسرع في قيادة السيارة زائداً فقدان الوعي تؤدي حتماً الى التصادم واحتمال
الموت نتيجة ذلك. لكن من الممكن ان نضيف انه اذا كان هناك تخطيط لانهاء
غازي فان احتمال التخريب المتعمد باجهزة السيارة يمكن ان يكمل العملية التي
تبدء بالسرع مع فقدان الوعي مع وجود تخريب آلي بالسيارة. »

هذا التخريب يذكرني بحكاية لبشار ابن برد الشاعر الكبير نزيل البصرة الذي عرف
بالفكاهة اللاذعة:

قصد بشار خياطاً بالبصرة يدعى (عمرو) وكان أعور وطلب منه ان يخيط له قباء، وقال:
ان ارضيتني اجزلت لك. وان اسأت عملك قلت فيك بيتين من الشعر لا تدري أمدحك بهما ام
اهجوك. ويظهر ان عمرو الاعور لم يحسن خياطته القباء فنظم فيه (ابو معاذ) هذين البيتين:
خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سـواء
قلت شعراً ليس يدري أمديح ام هجاء

للتاريخ نقول ان هذا العاهل لم تكن له يد في أي عمل من الاعمال الوحشية التي ارتكبها
الجيش في آب ١٩٣٣ ولسبب بسيط جداً وهو حالته العقلية. واذا كان بوصفه نائباً لوالده،
قد زين له رئيس الحكومة وبكر صدقي المشاركة في «مراسيم النصر». فمن قبيل الفضول أن
نحسد ماذا سيكون موقف فيصل لو وجد في العراق آنذاك؟ أكان سيسشارك في تلك
الاحتفالات أم سيمتنع؟ والارجح في رأبي انه كان سيبقى بعيداً بدليل ارساله غازي بعد
المذابح في الزيارة التفقدية التي نوهنا بها في اول حديثنا.

كان ذلك في ما بين الحادية عشرة والثانية عشرة من ليلة ٤ نيسان ونجا السائق الذي هرع
وهو جريح يطلب النجدة وتلك هي الحادثة كما صورت رسمياً وعن لسان اهل المجلس
الموجودين معه. فلو افترضنا وجود مؤامرة محبوكة لكان على المؤتمرين ومدبري الحادث ان
يعرفوا مسبقاً بان غازي سيدعو اصدقاءه تلك الليلة وانهم سيشربون الخمر وانه سيترك القصر
في ساعة معينة وسيمر بهذا الطريق بالضبط وسيرتطم بعمود تم اقتلعه من قبل ولما كان كل
هذا مستحيلاً تديبره لانه كان نتيجة مبادرات عفوية فجائية من غازي وليس ثم من يملك
مقدرة على قراءة افكاره الاتية فالاقرب الى المنطق هو ان يكون قد تم اتفاق مع مجالسيه ومع
سائقه مسبق، يعطى بموجبه مخدراً يفقد به الوعي ويحمل الى السيارة الى محل الحادث حيث
العمود قد اقتلع ثم تُرطم السيارة به والملك فيها ليستقط العمود على رأسه بالضبط.

وكل هذا يحتاج الى عدد كبير من المنفذين دعك من المدبرين. ولماذا كل هذا العناء الكبير
في تدبير جريمة غير متقنة مألوفة بالثقوب في حين كان ثم وسائل أخرى اسهل واسرع واكثر
اتقاناً كما قلنا؟

الا ان الاشاعة التي خرجت من مطابخ العملاء النازيين كانت أقوى بكثير من ان يتصدى
لها المنطق والحقائق والعقل. وقد لقيت صدى في النفوس وانقلب العراق الى مناحة كبرى
وخرجت المظاهرات العديدة وسمعت فيها اصوات تنادي بدم القتل ضحية الإنجليز. وقاد
طالب في الصف الثالث المتوسط بالموصل مفتون بهتلر مظاهرة ادت مما أدت الى تلك المأساة
التي ألمعنا اليها والى تشويه غبي وعمدي احياناً لوقائع تاريخ البلاد^(٢٠).

أمامي وانا في سبيلي الى ختام الكلام، مقالة للدكتور (فاروق صلاح العمر) من مدينة
البصرة عنوانه (حادث مقتل الملك غازي في ضوء الوثائق البريطانية) يطيب لي أن اثبت هنا
الفقرة الأخيرة منه ليتبين قارئ الصعوبة التي يتكبدتها الباحث العراقي المعاصر في محاولة
قول الحقيقة التي يتوصل اليها، والجهد العظيم الذي يبذله بعض هؤلاء لستتر آرائهم

(٢٠) من الهوسات التي كان ينشدها المتظاهرون اذكر هذه:

الله الله يا عرب غازي انفك من داره
واهتزت اركان السما من صدمته السيارة

ويورد صاحب المقال في حاشية له نموذجاً من المنشورات التي وزعت اثر الحادث اصدرته (جمعية شباب
الوحدة العربية) في بغداد. ويبدأ بهذا الشكل (آه غازي مليكنا. الى الشعب العربي: انهم قتلوا غازي. ان
الإنجليز لا يرغبون في ان يروا الملك غازي يعمل للوحدة العربية [بالختام حرص المنشور على العمل ضد
الإنجليز واتباعهم] فالى الثورة... الى أخذ الثار... الى الأمام.

اسماعيل عباوي (توحلة)

١٩٦٧-١٩٠٩

دخولي الحياة العامة في ١٩٤٦ بمناسبة اجازة الاحزاب والنشاط السياسي وتقرّبه منّا وكنت قبل ذاك اجهل كثيراً من تفاصيل المسألة الآشورية وأجهل تماماً دور اسماعيل فيها .

بعد تنفيذ مجزرة سميل لصق اسماعيل بقائده بكر صدقي واصطفاه هذا ليكون مرافقاً له ولازمه تقريباً طوال السنوات الأربع التالية وقد فصلنا في الكتابة عن بكر صدقي ودوره الرئيس في مقتل جعفر العسكري ومشاركته الفعلية في التنفيذ.

وأرسله بكر صدقي فقتل ضياء يونس سكرتير مجلس الوزراء في ليلة ٢١ من كانون الثاني ١٩٣٧ . وحامت الشبهة في انه كان وراء مقتل عضو مجلس النواب عبدالله باش عالم في ١٦ من شباط بقريته بالموصل لاشتهاره بمعارضة حكم الانقلاب كان أحد الذين حاولوا اغتيال مولود مخلص رئيس مجلس النواب السابق في ليلة ١٠ شباط ١٩٣٧ اذ أطلقوا عليه النار في سيارته التي كانت تقله الى منزله في شارع الرشيد وتبادل اطلاق النار معهم ونجا ثم هرب الى سورية على اثرها . وبعد مقتل بكر صدقي واستقالة حكمت سليمان عاد مولود مخلص وأقام دعوى جزائية على اسماعيل وزمرته التي تعقبته، بتهمة الشروع في قتل، الا انه لم يستطع اثبات دعواه فافرج عن اسماعيل وصحبه لعدم كفاية الادلة. ويرجح انه كان وراء مقتل علي رضا العسكري شقيق جعفر الذي وجد ذبيحاً في داره يوم ٢٢ آذار وقد اشيع في حينه انه انتحر. كان اسماعيل واحداً من ثلاثة أو أربعة ضباط يتمتعون بحظوة خاصة عند قائد الانقلاب. وبفضل تلك المكانة أطلقوا لغرائزهم العنان. وجدناهم يقتحمون مجالس الأئمة العامة (الملاهي كما تدعى) ويعبثون ما شاء لهم العيب ويفرضون اذواقهم على الرواقص والمغنيات ويعربدون ويعتدون على كل من يعترض سبيل اعمالهم ولا أحد يستطيع وقفهم عند حد فهم مسلحون دائماً، حتى «ضجت بغداد من اعمالهم» على حد قول (الحسني) في «تاريخ الوزارات العراقية» وكذلك في كتاب وقع بيدي بعدها لمؤلف مجهول^(٢). ولو علم اسماعيل

(٢) ربما كان عنوان الكتيب «الصحائف السود» أو «ايام النكبة» لمؤلفه المجهول وقد علقت بذهني منه هذه المسألة من سائر حكايات أخرى ربما لشدة وقعها على نفسي وأنا شاب يافع وخلصتها أن اسماعيل واثنين آخرين من ضباط (بكر) ومرافقيه كانوا يراودون مغنية مصرية معروفة تعمل في أحد الملاهي فتصدّمهم عنها وتمتّع عليهم. فلحقوا بها ذات ليلة بعد انتهاء عملها وتعبوها الى الفندق الذي تسكنه مع والدتها. واقتحموا الباب بطلقة نارية في مزلاجها وواقعوها واحداً بعد الآخر وهم يشهرون مسدساتهم على الام بالمنابذة. في اليوم التالي قصدت الضحية المفوضية المصرية شاكية نادبة فهددت بإجراءات دبلوماسية وبمراجعة القضاء وتدخلت المقامات العليا العراقية وسويت القضية بدفع ألف دينار (وهو ثروة كبيرة في ذلك الحين) تعويضاً للمغنية من مخصصات وزارة الدفاع السرية ورُحلت المغنية مع والدتها فوراً.

لصق به اسم (توحلة) بفضل زواجه من بنت عميد اسرة توحلة (سعدالله)^(١) وهو خاله. وكان هذا الحال ذا شهرة خاصة في أواخر العهد العثماني. فقد عرفته دار الولاية بانه زعيم مهربي التبغ في الموصل وانحائها ورئيس عصابة من اللصوص تخصصت بسرقة البيوت ليلاً. وكذلك عرف عنه بانه كان واحداً ممن رحب بالانجليز عند دخولهم الموصل وعرض عليهم خدماته فرفضوها بسبب سمعته التي سبقته. إلا أن ذلك لم يمنعه خلال فترة الاحتلال وأوائل العهد الملكي من استيلائه عنوة على أرض اميرية شاسعة شمال بيته الذي كان اشبه بقلعة ويقع في الشمال الشرقي من ظاهر المدينة بالقرب من نهر دجلة. وقد سجلها باسمه، لم يمر عليها زمن حتى دخلت حدود بلدية المدينة وارتفعت اثمانها ارتفاعاً خيالياً فكان بها مصدر غناه وغنى ورثته من بعده ومنهم زوج اسماعيل. لاندرى أكان سبب طيبه صفحة الماضي الأسود الاجراءات الامنية الصارمة التي اتخذتها الادارة الجديدة أم لصيرورته مالكا كبيراً من ملاك الأراضي ليغدو هو وآله من الوجهاء أم للسبيين معاً.

عن هذه الأسرة عرفت أموراً كثيرة يحكم جيرة ابناء عمه لي «لقلعته» التي كانت تسمى «يقصر سعدالله» وكنت أمر بها وأنا صبي في طريقي لزيارتهم فأجد الشيخ بلحيته البيضاء وعباءته السوداء وعقاله المقصب جالساً في شرفة قصره يحف به الوقار وتشع من المهابة.

دخل اسماعيل الاعدادية المركزية في أوائل العشرينات ثم الكلية العسكرية وتخرج فيها العام ١٩٢٩ برتبة ملازم ثان. وكان برتبة ملازم أول عندما أقدم على تنفيذ مذبحه آب في (سميل).

ولم يكن لي باسماعيل صلة، لكن نشأ بيننا نوع من علاقة عند مزاولتي المحاماة ويسبب

(١) تجد وصفاً ممتعاً لتلك الصناعتين اللتين زاولهما ايام العثمانيين في كتاب (ويگرام) «The Cradle of Mankind: مهد البشرية» وقد نقلناه الى العربية وطبع بدار العروبة للنشر في ١٩٧٠ ببغداد (الصفحة ٧٥-٧٧) ويذكر أن التبغ كان في حينه يخضع الى انحصار الحكومة (ويعرف بالريج) ويحرم على الأشخاص التعاطي به بيعاً أو شراءً بالجملة.

وتم رسالة من وكيل الوزارة الدائم الى السفير البريطاني:

«هناك مسألة تقلقني بعض الشيء. وهي الحصانة الكاملة التي يبدو أن اسماعيل توحلة يتمتع بها رغم مسؤوليته التي يعترف بها على ما يبدو - في قتل جعفر باشا. ويخيل لي أن هذه حالة تنطوي على مخاطر عظيمة للحكومة العراقية وتنعكس عليها بشكل سلبي فاذا ترك رجل كاسماعيل توحلة - بماضيه السيء في (سميل) يفلت من العقاب عن جناية مقتل جعفر باشا. فهذا يعني أن الحكومة سجلت لنفسها المتاعب. سيشعر بطبيعة الحال أن بإمكانه عمل ما يشاء وهو آمن من العقاب، وقد يطمعه في الإقدام على ما هو أخطر من هذا. اني أقدر صعوبة المداخلة في قضية مثل هذا النوع لكنني لأستطيع أن أمنع نفسي من الظن بأننا قد نستطيع أن نجعل حكمت سليمان يدرك مدى الخطر الكبير الذي يجازف بالتعرض له بتركه أمراً كهذا يمر بدون جزاء، واقناعه بأن يتخذ اجراء ما بحق هذا الوغد...»^(٤)

وكان في طريقه الى ايطاليا لاتمام صفقة الاسلحة التي عقدت بين العراق والحكومة الايطالية عندما بلغه نبأ اغتيال بكر صدقي. ويظهر أن مساعي السفارة البريطانية أفلحت جزئياً بابعاد اسماعيل عن بغداد فتوقف في مصر وقدم طلباً للحصول على لجوء سياسي فرفض طلبه لكنه منح حق الإقامة المؤقتة. ثم اطمأن عندما تأكد بأن وزارة المدفعي ستحترم قانون العفو العام عن القائمين بالانقلاب والاعمال التي رافقتها. فعاد الى العراق، ليجد أمر حالته الى التقاعد بانتظاره. إلا أن تحقيقاً شكلياً جرى معه ومع الآخرين الذين شاركوا في قتل جعفر وأطلق سراحه.

سمعت بأمره لأول مرة في أوائل العام ١٩٣٩، عندما جاءت شقيقة لي دار زوجها ابن عمتهت يجاور قصر سعدالله كما اسلفت، وأنبأتنا بالقاء القبض على اسماعيل وشقيقه الأكبر يونس وارسالهما الى بغداد مخفورين. ويظهر انهما علما بالأمر قبل مدهمة الشرطة بيت سعدالله الذي استخدماه كما يظهر مخبأً للسلاح - بوقت كاف. فقامت نساء الدار بنقل كميات كبيرة من الأسلحة والاعتدة وخبائها في منزل زوج شقيقتي المذكور. جرى ذلك اتباعاً للتقاليد الموصلية العريقة من قبيل ما نطلق عليه «حقوق الجيرة».

إلا أن الأسرة التي تحملت تلك المخاطرة وحافظت على تلك «الحقوق» لم تسلم من غدر (٤) الوثائق. من راندل الى ارشيبالد كلارك كبير ١٤١٩ - ١٤٨٥ E ٧٤٨٥ - ٢٠٠١٤ - ٣٧١-٩٣. مؤرخة في ١٧ كانون الاول ١٩٣٦.

وهو على قيد الحياة بمبلغ الاهتمام الذي كانت الاوساط البريطانية والسفارة توليه لشخصه لما وسعته الدنيا فرحاً وفخراً. ففي وثائق وزارة الخارجية ما يدل بوضوح أن السفارة البريطانية في بغداد كانت تجد فيه بصورة خاصة ودون باقي عصابة بكر الباطشة وحشاً كاسراً قميناً بتنفيذ كل ما يأمره به سيده دون اعتراض.

ومن ذلك تعليق لكل من (سكوت فوكس) معاون مدير الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية وتعليق آخر لـ (ج.ك. و.ك. و.ك.) المسؤول الأول عن شؤون العراق في تلك الوزارة على محضر ورسالة من السفير البريطاني في بغداد الى الوكيل الدائم للوزارة:

يقول السفير البريطاني:

«أعلمني (حافظ عامر) القائم باعمال المفوضية المصرية أن بكر صدقي كان موجوداً في حفلة عرس عبدالاله وقد حضرها (حافظ) لأن العروس مصرية. قال كان يجلس في سيارة بكر صدقي (اسماعيل توحلة) وكان مسلحاً. وفي أثناء الانتظار راح اسماعيل هذا يشكو لسائق القائم بالاعمال من الصحافة المصرية التي دأبت على وصفه بـ«قاتل جعفر» وأن ذلك يعرضه للخطر ويلجئه الى حمل السلاح دائماً.»

يعلق (سكوت فوكس) بهامش: «إن الصحافة المصرية لاتعدو الحقيقة في إسناد جريمة قتل الجنرال جعفر الى اسماعيل.»

ويعلق (وارد): «إن التصرفات السيئة المستمرة لهذا الشخص الذي حصل على ترقية بسبب ما ارتكبه في مذبحه سميل - هي تشجيع لعناصر الضعف في الجيش العراقي وتشبيط للعناصر الطيبة. ألا يمكن أن نقترح على السر (كلارك كبير) امكان القيام بمحاولة لازاحة اسماعيل توحلة من الجيش العراقي بهدوء - عن طريق السفارة والبعثة العسكرية؟»
ويعلق (ستراندل بينيت):

«أما فيما يتعلق باسماعيل توحلة فمن الواضح أن ازاحته أمر مستحسن. ومن المستحيل أن تكون لنا أية ثقة حقيقية بالحكومة الجديدة ما لم تعالج أمره ولو كان ما سيتخذ هو على مسؤوليته. لكننا مع ذلك قد نستطيع أن نرسل له رسالة نعرب فيها عن عدم ارتياحنا للحصانة الكاملة التي يتمتع بها اسماعيل. ونسأله فيما كان يرى اتخاذ اجراء فعال في هذا الصدد^(٣)»

(٣) وثائق وزارة الخارجية ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٦. رقم 7482 E ٢٠٠١٤ - ٣٧١.

اسماعيل بعد عشرين سنة كما سيرد بيانه.

التهمة التي وجهت الى اسماعيل وشقيقه امام المجلس العرفي هو مشاركتها في مؤامرة يتزعمها حكمت سليمان ترمي الى الاطاحة بالملك غازي ونصب عبدالاله ملكاً في محله واغتيال خمسين من السياسيين البارزين ومن جملتهم نوري السعيد رئيس الوزراء.

وقيل وهناك قدر من الحقيقة - إن المؤامرة المزعومة هي من نسج خيال نوري السعيد وواحد من دسائسه الحمقاء، اذا اخترنا تعبير أحد كبار موظفي وزارة الخارجية البريطانية. كان الثأر لصوره ورفيق عمره جعفر ينهش في قلبه^(٥) وقد حال بينه وبين حكمت وقتلة جعفر قانون العفو الذي استنته حكومة الانقلاب قبل سقوطها.

والمؤامرة كما قيل - تم الكشف عنها بقيام أحد الضالعين فيها بكشف سرها الى عبدالاله الذي أعلم بها نوري السعيد وأطلعوا عليها غازي وكان من السهل استحصال ارادة ملكية منه بعد ايهاهه أن حياته كانت هدف المؤتمرين. فأعلنت الاحكام العرفية في منطقة^(٦) معسكر الرشيد!! فقط وأحيل حكمت واسماعيل ويونس وضباط آخرون ومنهم الضابط جواد حسين أحد قتلة جعفر، والرئيس (النقيب) البيطري حلمي عبدالكريم وهو المخبر. وحكم على هؤلاء جميعاً بالاعدام. ثم أبدل الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة.

لم يتيسر لأحد الاطلاع فيما بعد - على ملف القضية وقائع المحاكمة وفي العادة يحفظ كل قضايا المجالس العرفية العسكرية في خزانة خاصة بدائرة المشاور الحقوقي في وزارة الدفاع. وقد قيل أن نوري السعيد قام في وقت ما أثناء توليه وزارة الدفاع بسحبها واتلافها. والواقع أن نوري لم يكن يدري بتفاصيل القضية عندما بدىء بالتحقيق فيها إذ كان خارج البلاد وعند عودته وجد فيها ضالته للانتقام من حكمت وقتله صهره فتبناها وحاول احكام حبل المشنقة بتلفيق ادلة اضافية بواحدة من «حيله ودسائسه الحمقاء» وبصدفة من الصدفة حاول نوري استغلالها^(٧).

(٥) كان نوري قد تزوج أخت (جعفر) في حين تزوجت أخت نوري بجعفر.

(٦) ينص مرسوم الادارة العرفية على اعلانها في منطقة محددة من البلاد. ولذلك كان غريباً أن تشمل الادارة العرفية مساحة لاتزيد عن أربعة كيلومترات مربعة وهي مساحة معسكر الرشيد.

(٧) في مساء الثامن من اذار ١٩٣٩ وقبل بدء المرافعات أمام المجلس العرفي. قبض حراس نوري على كل من (محمد مصطفى) وهو شرطي سابق و(جميل عبدالله) وهو قريب له وهما يشربان (العرق) في بستان النخيل المجاور لداره ووجد مع احدهما مسدس غير مجاز. لم يسفر التحري الذي أمر به حاكم التحقيق للنزل الذي يسكنان فيه عن شيء ذي بال. ويظهر أن فكرة خطرت لنوري ليلتها إذ بادر بشكل ما الى دس رسالة مزورة عن لسان اسماعيل عباوي موجهة الى حكمت سليمان، (كما يبدو من محضري التفتيش) =

بقي اسماعيل وشقيقه يونس في سجن بغداد سنتين اثنتين تقريباً وفي نيسان ١٩٤١ أصدرت حكومة رشيد عالي عفوياً عن المحكومين في هذه القضية فأطلق سراح الأخوين وعاد اسماعيل الى الموصل ولم يبارحها. ثم قدم طلباً لاعادته الى الجيش بعد اعلان حكومة الدفاع الوطني وهروب الوصي. فأجيب طلبه ونسب تعيينه في رتل اللواء السابع في القرنة أمراً للقوات الوطنية غير النظامية (المتطوعة المنتشرة في (الشرش) حتى (القرنة) وقيل انها لم تتجاوز المائتين، لكنها تفرقت بعد دخول القوات البريطانية البصرة بهرب اسماعيل سراً في ثياب مدنية، ومن بغداد انتقل الى الموصل وبقي محتفياً عن الانظار خوفاً من إلقاء القبض عليه حتى نهاية الحرب.

= ففي ليلة القبض عليهما جرى التحقيق ثم التحري ودون القائم بأمر التحري انه «جرى وفقاً للأصول... ولم يعثر على شيء وحيث أن زوجة المظنون حامل وعلى وشك الولادة فقد أجل التحري الى الغد» في اليوم التالي ١٩٣٩/٣/٩ أمر بإجراء تحرثان فعثرت الشرطة على الرسالة الموجهة الى حكمت سليمان وعلى أثر ذلك أحيلت القضية الى المجلس التحقيقي العرفي. وهذا هو نص الرسالة.
بسم الله. فخامة ولي النعم حكمت بك ايده الله.
بعد تقديم الاحترام وصلنا كتابكم المرسل صحبة الأخ (جواد حسين) وسررنا من ترتيباتكم الناجحة ان شاء الله.

ونخبر حضرتكم بأن ضباط الجيش وكثير من الأهالي مستعدين لتأييدكم في الحركة المباركة عند أول اشارة تصدر منكم الينا. وأخبرنا الأخ جواد حسين عن كيفية تردد الأمير لما كلف من قبل الاخوان. وتعهد فخامتكم باقناعه. يرجى من المولى الموقية وحسب طلبكم كلفنا جماعة معتمدين لقتل نوري وطه باشا وباقي الخونة أعوانهم وجهزناهم بالسلاح وهم سيراجعوكم بواسطة الذي سيسلمكم هذا الكتاب (محمد) الذي أخبرنا الاخوان باعتمادهم عليه ونرجو مساعدتهم جميعاً عند الحاجة وأن تزودوهم بكل أوامركم كما بينتموه بكتابكم وكذلك تزويدكم بالمال والفك (اطلاقات) كما بينتم.

نعلمكم أن الأخ يونس ساهر ليل نهار في هذه القضية وبالأخص جمع كثير من الأعوان لهذه الغاية وأول عمل يقوم به عند ورود الاشارة هو قتل كل معارض وترتيب مظاهرات للتأييد الى هذه الحركة المباركة. نسلم على الأخ (حلمي) ونخبره أننا أخذنا كتابه وسررنا به وأننا نرجو اسرعه بارسال فشك الذي وعد به أيضاً لأن الذي عندنا لا يكفي عن الحاجة وقد فهمنا أنه تشارك مع أحد الضباط فتوقف للتحقيق ثم أطلق سراحه. ونحن نهيناه ونرجو أن تنصحوه بأن لايفتح بمقاصدنا الا الضباط والأشخاص المعتمد عليهم إجتنباً للمشاكل ولضرورة التكتك الشديد. حضرة الأخ يونس وباقي الاخوان يخصونكم بالسلام وأن كافة آل توحلة والعباوي حاضرين وفدائين لهذه الحركة.

نسلم على الاخوان (جواد وعلي غالب) ونكرر رجاءنا للاهتمام بالفدائين الذين سيراجعونكم ومراقبتهم إذا وجدتموهم غير متمكنين من إنجاز القضية. أخبرونا لنرسل بعض اقاربنا للمساعدة لكي نكون مطمئنين من النجاح وفي الختام نرجو قبول فائق الاحترام مولانا. (اسماعيل: توقيع)

لاشك أن المجلس التحقيقي أدرك التلفيق الظاهر في الرسالة. وان لم يكن لديه فكرة عن كيفية قيام نوري بدسها بمساعدة الشرطة أثناء القيام بتحرثان. بدليل أن المقبوض عليهما لم يقدماً أصلاً للمحاكمة مع المتأمرين وأفرج عنهما في هذه القضية. وأغلب الظن أن قيام نوري باتلاف ملف قضية المؤامرة هو خشيته من أن يفتضح دوره في هذا التلفيق ان لم يكن بسبب آخر.

وكان مورد رزقه وهو محدود - تعاطي الفلاحة على طريقة المزارعة (شكارة) والاتجار بالمحاصيل المحلية وهو العمل الذي كان مدار عيش سائر افراد الأسرة. ولم يصب هو ولا أسرته مردوداً من التعهدات الكبيرة التي أغرق بها الجيش البريطاني الموصليين خلال السنتين الثانية والثالثة من الحرب العالمية الثانية^(٨) لاشك وأن اسمه كان في القائمة البريطانية السوداء. وما أذكر أنه طلب مني يوماً مرافقتي الى بلدة سنجار لتفقد زرع له هناك بمناسبة حضوري مرافعة قضائية في محكمتها وفي الطريق قصّ علي شيئاً حول القائمة التي كان بكر صدقي قد أعدها «لإنقاذ العراق من رجال الحكم الفاسدين». وقال انهم كانوا يعلمون بالتجاء نوري السعيد الى المفوضية المصرية ثم انتقاله الى السفارة البريطانية لكنهم كانوا يريدون القضاء عليه خارج مبنائها إلا أن السيارة التي أقلته الى المطار العسكري أفلتت منهم بعملية تضليل من مسؤولي السفارة ولأنها كانت بحراسة ضباط بريطانيين مستعدين للمقاومة.

زادت علاقتي باسما عيل عند اجازة حزب الشعب وكنت أحد مؤسسيه ومعتمده في الموصل. فقد اتصل بي في حينه مرات وأبدى هو وأخوه يونس عواطفه الصميمة تجاه الحزب وتحدث لي عن علاقة صداقة ربطت بينه وبين رئيسه الاستاذ عزيز شريف ثم قاما بزيارته عند مجيئه. كان عزيز شريف نائباً وزميلاً ليونس في المجلس النيابي الذي جاء به الانقلاب، إلا أن اسماعيل بقي بعيداً عن المعتك السياسي ولم يشارك أي طائفة حزبية في أي نشاط. لكن بدا منه ميل الى التقرب من الجهات التي عرفت في حينه بالعناصر التقدمية واليسارية ولوحظت له صداقات ولقاءات وعدّ في حينه صديقاً للمعسكر الديمقراطي ولأولئك الذين كانوا يشك في أنهم اعضاء في الحزب الشيوعي العراقي.

والظاهر أنه استطاع بمهارة ومن التجارب العديدة التي مرّ بها أن يفيد منها بعد قيام انقلاب الرابع عشر من تموز. فقد بقيت العناصر الديمقراطية لاتطمئن اليه أو لاتعده من أعدائها على الأقل الى حين. وفي خلال فترة صلتني هذه به لم أحاول قط اثاره موضوع دوره في مذبحه سميل وكنت في حينه قد وقفت على تفاصيل كثيرة منها...

في الاسابيع الأولى التي تلت أصدر (قاسم) مرسوماً جمهورياً يصف فيه انقلاب (بكر

(٨) في حينه كانت خطة الحلفاء اقامة خط دفاع شمال الموصل الشرقي والغربي خشية اندفاع الجيش الالماني جنوباً من الكويان في الاتحاد السوفياتي فقام البريطانيون بذلك وقطعوا أشواطاً كما بني مستشفى ميدان تحت الأرض في منطقة مقالع المرمز شمال الموصل وأنفق الجيش البريطاني مبالغ طائلة في هذا السبيل الى جانب تعهدات ارزاق ومهمات ونثر المال نثراً فخلق طبقة جديدة في الموصل من أغنياء الحرب.

صدقي) بالحركة الوطنية معيماً الاعتبار الى القائمين بها ورافعاً الحيف عن كل المتضررين بالاجراءات التي اتخذتها الحكومة التالية بحقهم، وفتح الباب لتعويض من طورد بسببها في حريته ورزقه فأسرع (اسماعيل) وقدم طلباً باعادته الى الجيش ومنح رتبة (مقدم) وهو اقصى ما يمكن منحه المرسوم للضباط المطرودين من الخدمة بالترفيه درجتين فوق الرتبة التي كانوا يحملونها عند اقصائهم.

لايعرف هل أن (قاسم) استطلع رأي بعضهم عندما عينه مديراً لشرطة لواء الموصل على ملاك الجيش. أم انه انفرد بالأمر وقد شاءت الصدفة أن يكون موعد مباشرته مهام وظيفته في عين اليوم الذي أعلن العقيد عبدالوهاب الشواف عن محاولته الانقلابية. فانزوى اسماعيل طوال الايام الثلاثة ولم يتم بمحاولة لتسلم مهام وظيفته حتى تأكد من اتمام تطويق المحاولة والقضاء عليها بعناصر موالية من الجيش ودعم الجمهور الغاضب الذي استفز بالاجراءات القاسية والاشتباكات السابقة للاعلان عن المحاولة وسقوط عدد من القتلى والجرحى اثناء الاصطدامات. ولم يأت بنفسه بل جيء به وكان متخفياً لإعتباره من العناصر القومية آنذاك. وأفسح له السبيل الى غرفته بعد الاستيلاء على مركز الشرطة العام^(٩).

(٩) مازال هذا الملازم الاحتياط حياً. وهو مسيحي من أهالي الموصل. فقد قاد فصيلاً من الجنود واقتحم البناية وأفلح في تجريد الضباط ومعاوني الشرطة المتحصنين فيها من أسلحتهم بجرأة منقطعة النظير ومما يذكر جيداً أن (اسماعيل) جاءه واستأذنه في دخول غرفته وطلب منه أن يسلمه بمسدس ففعل. هذا ما حدثني به ويؤثر أن يبقى اسمه مكتوماً.

لم يكن تعيين (عباوي) مديراً لشرطة الموصل معروفاً عند المتصددين لمحاولة الشواف الانقلابية بل عرف عندهم بأنه من المتعاونين وكان الشيوعيون المقاومون لها يجدون في البحث عنه. ذكر لي الدكتور خليل عبدالعزيز في رسالة مؤرخة في الأول من حزيران ١٩٩٩ قال شاعت الاحداث أن أكون بين محتلّي مديرية الشرطة. ومنها صرنا ندير ونوجه المقاومة للحركة الانقلابية بهدف إلقاء القبض على المتآمرين وأنصارهم. وفي اليوم التالي لقمع المؤامرة وهو العاشر من آذار وبحدود نصف الليل رن جرس الهاتف في غرفة مدير الشرطة وكنت فيها. فرفعت السماعة واذا بصوت يقول: «هنا وزارة الدفاع، الزعيم عبدالكريم قاسم يريد التكم معكم». وبين الدهشة والمباغته وقبل أن أنطق بحرف فاجأني (قاسم) بالسؤال: «من أنت؟» أجبت «أنا خليل عبدالعزيز رئيس اتحاد طلبة الموصل» قال «ماذا تفعل في غرفة مدير الشرطة؟» قلت «نحن في عملية القضاء على مقاومة اعداء الجمهورية وأعدائك» قال «تمّ القضاء على العقيد الشواف، ومهمتك انتهت عليكم تسليم السلطة والأمور للجيش والشرطة وقد عينت اسماعيل عباوي مديراً عليكم البحث عنه فوراً وتسليمه منصبه الجديد» أجبت قائلاً أن (اسماعيل) واحد من المتآمرين! قال بحدّة «اتركوا مديرية الشرطة وسلموا الادارة فوراً» وقطع المكالمة.

نقلت للزملاء الحاضرين نص ما سمعت. وبعد قليل رنّ جرس الهاتف مجدداً وقال عامل البندالة «الحاكم العسكري العام أحمد صالح العبدوي سيكلّمكم» ثم بدأ الحاكم العسكري بالقول «إنّ الزعيم عبدالكريم قاسم قد أصدر أمراً بتعيين اسماعيل عباوي مديراً للشرطة فاذهبوا وأتوا به الى المديرية وسلموه الادارة» فاجبت «الجميع يفتش عنه بوصفه واحداً من المتآمرين» قال «هذا لا يخصكم، عليكم ترك مديرية الشرطة =

اتخذت المديرية أربعة أيام متوالية مقراً للجان من الحزب الشيوعي الذي قام بدور رئيس في قمع المحاولة. وشرعت هذه اللجان ترسل مسلحيها من رجال المقاومة الشعبية للقبض على المشتبه بتعاونهم مع القاتمين بالانقلاب وعمت الفوضى. وكانت تستقبل من يأتي الأشخاص والغوغاء والمقاومة الشعبية بهم بدوافع قد تكون على الأغلب شخصية. كان يكفي أن يصيح أحدهم بين الجمع بأن هذا «متآمر» لتتلاقفه الايدي قبل أن ينجح أسروه في الولوج به داخل البناية. وقتل عدد بهذا الشكل كما قتل عدد آخر بين الجنود الذين فقدت السيطرة على اعمالهم تماماً وأسكرهم انتصارهم. أطلقت الغوغاء لغرائزها العنان وحصل ما حصل ولم يكن لاسماعيل دخل فقد كان شبه حبيس في غرفته لايسمح له بمغادرتها. قتل من قتل وأنقذ من أمكن انقاذه. وسيمقى دور الشيوعيين في تشجيع تلك الغرائز وقمعها أو المشاركة في منطلقاتها والسيطرة عليها موضع نقاش وبحث قد نتصدي له في المستقبل. كان المتحكمون في المديرية بطبيعة الحال يعلمون بأنه انما أختير مديراً للشرطة لثقة بغداد باتجاهاته، فهو بنظر قاسم وقتذاك صديق يمكن التعاون معه، أو على الأقل ليس من العناصر القومية.

عندما هبت الريح في اتجاه معاكس بعد بضعة أشهر وبدء (قاسم) يدير للشيوعيين ظهره لم يضع (اسماعيل) وقتاً في التنكر لهم في الموصل وكان يردد كلما وجب التصريح بأنه (قاسمي) لا يدين لأحد غيره بولاء. وقد وجدناه شاهداً رئيساً على هؤلاء في المحاكمات العرفية التي جرت لهم، لم يدخر وسعاً في ارضاء (قاسم). ووضع نفسه تحت تصرف المتضررين من تلك الأحداث واقرباء الضحايا انصار الشواف. فكانت شهادته نسيجاً من خيال كثير وتلفيق مقصود ببعض الحقائق سببت حشر ابرياء كثيرين لا دخل لهم في كل ما حدث ارضاء لنوازح حاقدة ونفوس مفعمة بحب الإنتقام^(١٠).

لاشك في أن الاهمال وقلة الاهتمام به من العناصر التي تحكمت في بناية الشرطة، وتجريده

= فوراً وتسليمه الادارة حالاً».

تداولنا فيما بيننا قليلاً ثم قررنا إطاعة أوامر بغداد وارسلنا جماعة مسلحة للبحث عنه. توجهت الجماعة أولاً الى داره وشاع الخوف في آل بيته لاعتقادهم بأن الغرض هو اعتقاله. بعد أن افهموا خلاف ذلك هدأ روعهم. ونتيجة التفتيش عثر عليه مختفياً في منزل أحد اقربائه. فجيء به الى مديرية الشرطة وعند مدخلها هجم عليه الجمهور المحتشد وبذلت جهود خارقة لرد الاعتداء عنه. وكانت العبارة الأولى التي تقوه بها عند دخوله علينا قوله: «أنا في ذمامكم يجب أن تدافعوا عني. أنا في خدمتكم». أبلغناه بأوامر بغداد وبوجوب تسلمه الادارة فرفض قائلاً «أنا لأستطيع السيطرة على المدينة بل أنتم». وبالفعل بقي عاطلاً ولم يحاول إصدار أمر أو يشارك في اجراء في حين تركنا غرفته له. وانتقلنا الى غرفة معاونه. وقد بقي طوال الوقت خائفاً ومرتاعاً».

(١٠) كاتب هذه السطور كان واحداً ممن تناولته شهادته الملققة بالكذبة بالوقائع.

فعالاً من صلاحية المباشرة بعمله خلال هذه الأيام الأربعة، كانا عاملين لإنماء حقد على هذه العناصر. وقد بدا ذلك جلياً في مساعيه المحمومة طوال تلك الأيام السوداء في اخراج تلك العناصر من المديرية. فقد ظل على اتصال دائم تارة ببغداد وتارة بقيادة موقع الموصل. مشيراً أولاً الى خطر وجود أكثر من الفتي مسلح كردي دخلوا المدينة انتصاراً للعناصر الموالية لقاسم، وكانت بقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني. وبعد أن تحقق له ذلك قامت شاحنات عسكرية باعادتهم الى مناطق سكناهم.

ونجح اسماعيل في مسعاه واجليت العناصر الشيوعية واتباعها من رجال المقاومة الشعبية عن المديرية. على انه بقي يتظاهر بالود لهم حتى أنزل قاسم ضربته بهم، فاذا باسماعيل خصمهم العنيد وقد ارتفعت أسهم القوميين ويات من الضروري أن يخطب ودهم ويتظاهر بالولاء لهم مجدداً.

وفي شهر تموز من العام ١٩٥٩ حانت لقاسم الفرصة التي كان يريد لها للابقاع بالشيوعيين وأنصارهم والمناسبة هي الحوادث الدامية التي وقعت في مدينة كركوك يوم الاحتفال بالذكرى الثانية لانقلابه، فالى جانب العناصر الشيوعية التي اتهمت بمأساة كركوك. تناولت عملية القمع شيوعي الموصل ومن ساند حكومته وعاون في القضاء على محاولة الشواف الانقلابية. وتعاون اسماعيل تعاوناً وثيقاً مع لجنة التحقيق التي أرسلت من بغداد بأوامر القبض. كما تعاون مع العناصر القومية المتضررة، وذوي القتلى فاتسعت دائرة المقبوض عليهم بتلفيق الشهادات وتزويد اللجنة التحقيقية بالمعلومات المزيفة. ونشطت شرطته في اصطياد اصداقاً الأمس نشاطاً لم يعهد فيها من قبل. وأصبح اسماعيل قومياً متحمساً.

وكوفيء على مجهوداته وعلى الشهادات التي أدلى بها أمام المجلس العرفي العسكري بالترفيح وبما كان بداية لجمع ثروة جعلته في مصاف الاغنياء.

وقبض له مصدر ثان للثراء.

ففي أوائل النصف الثاني من العام ١٩٦١ انطلقت أول رصاصة للفترة المريعة التي عانتها الموصل. وهي ما عرف «بفترة الاغتيالات»، فترة أعطيت فيها الحرية المطلقة للقتلة المحترفين المأجورين ولأرباب السوابق المجرمين لقتل أكثر من مائة وخمسين من الابرياء بوصفهم شيوعيين أو متعاونين مع الشيوعيين ولعب المال لعبته في شراء الضمائر والتستر على القتلة. وكان دور اسماعيل فيها لا يحتاج الى دليل اثبات.

مقصوداً ولهذه الغاية.

نقل قاسم الدراجي من العمارة. وكان قد عينه هناك بعد أن أطلقه من السجن على أثر اتهامه بصلووعه في حركة ٤ تشرين الأول التي كانت ترمي الى الاطاحة به وإقامة عبدالسلام عارف في محله. ثم ورد اسمه في قائمة المؤتمرين بحكم قاسم اثناء محاكمة رشيد عالي الكيلاني. وقام فيما بعد بدور فعال في الاطاحة بحكم قاسم.

وكأنني بقاسم أراد بتعيينه محافظاً للموصل في تلك الفترة بالذات ادامة فترة الارهاب بل كان يدخره بوصفه الشخص المناسب في الوقت المناسب والمكان المناسب.

وظهرت على اسماعيل علائم الغنى عند ابتياعه منزلاً فخماً في بغداد. وجاءت الثروة الطائلة تسعى اليه من مصدر ثالث. هو قيام النزاع المسلح في كردستان وتطوره الى حركة وطنية عرفت فيما بعد بالثورة الكردية.

في مطلع العام ١٩٦١ شن الزبياريون حملة على البارزانيين وحلفائهم الآشوريين ووقفت موقف المتفرج شرطة الموصل بقيادة اسماعيل وقد خفت الى مواضع الاشتباكات، في حين كان الزبياريون يدخلون القرى الآشورية والبارزانية ويعملون فيها حرقاً ونهباً^(١٢).

عندما دخلت الثورة الكردية مرحلة الاشتباكات مع القوات النظامية انطلق اسماعيل كمن به مس من الجنون في تكديس الثروة مستخدماً آل بيته وأقرباءه فضلاً عن رؤوسيه واستلب قطعان الغنم والمواشي من الكرد بحجة تعاونهم مع الحركة الكردية المسلحة. وجمع أموالاً طائلة من الرشاوى بالاستيلاء على الدراسات والآلات الزراعية وامتلاكها لقاء مبلغ معين والقبض على أناس من المزارعين والملاكين في المنطقة لا دخل لهم في الحركة وبحجة مشاركتهم فيها ثم اطلاق سراحهم لقاء رشاو كبيرة.

وأعلنت قيادة الحركة الكردية المسلحة قرار اهدار دمه ووضعت مكافأة مالية لمن يأتي به حياً أو ميتاً أو من يتولى قتله. ولم يعد السكوت عن أعماله ممكناً فأسرعت السلطة في بغداد الى احواله على التقاعد. ولم يضع هو وقتاً فترك الموصل بعد أيام الى بغداد. وأحاط نفسه هناك بحرس مسلح ولم يمتد به الأجل كثيراً ليستمتع بالثروة التي جمعها. فبعد ثلاث أو أربع سنين من استقراره في بغداد وفي أثناء اشرافه على تشييد عمارة ضخمة له مؤلفة من عدة طوابق أصيب بنوبة قلبية وسقط ميتاً. كان ذلك في العام ١٩٦٨.

(١٢) عين المرجع (ص ٢٠١): «وذكر لي (البارزاني) أن الزبياريين كانوا يهاجمون البارزانيين والآشوريين الذين هم في حمايتهم فيحرقون بيوتهم ويستولون على قطعانهم والشرطة واقفة لاتعمل شيئاً.

فخلال تلك الفترة وقفت شرطته ورجال أمنه وكأنما تلقت أوامر صريحة، موقف المتفرج الذي لا يعنيه الأمر في شيء. وسالت دماء الضحايا في راتعة النهار. في الشوارع الكبيرة، في المحلات العامة، في الطرق، في اماكن العمل، في أي مكان يتواجد المارة وعابرو السبيل. لأن القتلة كانوا يحرصون على ارتكاب الجريمة بمرأى ومسمع أكبر عدد من الناس ليضربوا بالضحية مثلاً ويشيعوا الرهبة في النفوس. وكثيراً ما كان القاتل باطمئنان تام من حياد الشرطة، يتعمد في أن يكسو جريمته ثوباً درامياً. وبكل متسع له من الوقت بعد أن يجهز على ضحيته برصاصة في مقتل - يتمهل قليلاً ويسير بتودة متبخترتاً متشاغلاً بتنظيف سلاحه، تشييعه الانظار الوجلة الخائفة دون أن يأتي أحدها حراكاً.

اسماعيل في مكتبه يقبض ثمن اتعابه وهو بعيد عن محل الجريمة. مذبحه سميل لن تتكرر هنا. ولا أحد يستطيع ان يقول ان اسماعيل كان منفذاً أو آمراً. مع هذا كله فالقارئ تصرخ بصوت جهير.

لم يقبض على جانٍ واحد ولم يحقق مع مشتبه به واحد ولم تتخذ تعقيبات قانونية بحق أحد.

ولم يحدث بتاريخ هذه المدينة هجرة اختيارية منها كالذي حصل خلال سنتين، فقد نزع عنها أكثر من ألفي أسرة وبضعة آلاف من الأشخاص ولجأوا الى بغداد والى مدن كردستان وشلت الصناعة والتجارة في المدينة بمغادرة طبقة مفلحة نشطة.

وكان عدد الضحايا من المسيحيين أكثر بكثير من عدد الضحايا المسلمين وكذلك النازحون اذا اتخذنا النسبة السكانية مقياساً^(١١).

وكما كان لاسماعيل في العام ١٩٣٣ من يحميه ويشجعه ويتستر عليه كان له في عام الاغتيالات الزعيم (العميد) عبداللطيف الدراجي متصرف الموصل الجديد وربما كان تعيينه

(١١) خصصنا بحثاً مستقلاً لهذا في الجزء الثاني من كتاب «العراق في عهد قاسم» الص ٧٩٣-٨٢٩. (ستوكهولم ١٩٨٨). وأريد هنا أن أشير الى فقرة وردت في كتاب «الشرق الاوسط في ثورة The Middle East in Revolution» من تأليف السرِّ همفري تريفيليان السفير البريطاني في بغداد خلال تلك الفترة. واليك الفقرة نصاً: «وفي الموصل بدء اعداء الشيوعيين في الثأر لأنفسهم وشرعوا يردون برصاصهم الشيوعيين وانصارهم في الشوارع بعد حلول الظلام في مبدء الأمر، ثم خلال ساعات النهار فيما بعد. ولم تتدخل الشرطة قط. ومما نقل في حينه أن المنتقمين وضعوا مرة رؤوس ثلاثة من أنصار الشيوعيين فوق (يونيت) السيارة العائدة للضحايا وأطلقوها لتتحد بما تحمله الى قريتهم».

دور

عبد الحميد الدبوني
قائم مقام قضاء زاخو

محرضاً لهم على القيام بالثورة ضد الانكليز قبيل وصول عسكر الشريف (شريف مكة) اليهم اذ سيكون ذلك شرفاً عظيماً لهم « وخير جواب لرؤساء العشائر الذين أوفدوه اليهم » واقترح بعض الحاضرين استشارة الضابط (جميل افندي محمد خليل) في الأمر. وكان هذا مستخدماً لدى الادارة البريطانية بوظيفة قائد الدرك تحت امرة ضابط انكليزي. وكان موضع ثقة الجالسين وصديقاً حميماً لعبد الحميد الدبوني الذي أخذه الى جانب بعد حضوره وراح يحاول اقناعه بالانضمام اليهم وشاركة رؤساء تلعفر في الثورة على الانكليز فأقتنع (جميل خليل) بهذا ووافق تلك رواية (جميل هذا) لصاحب كتاب الوقائع الحقيقية^(٤) وفيها: « كنت قائد الدرك لدى القوة الانكليزية في تلعفر. ولما علمت بمجيء حميد الدبوني بالقرب من قلعة تلعفر خرجت وتواجهت معه وكلمني عن ان الانكليز قد استولوا على الموصل بغير حق ولا حرب ولا سيما وانهم دخلوها بعد عقد الهدنة. والاتراك الآن يريدون استردادها لكنهم لم يتمكنوا. وان السوريين بعد ان استقلوا هيمنوا على جميع وظائف الدولة ونحن بقينا من غير عمل وفكرنا باننا يجب ان نتحرك ضد الانكليز »^(٥).

لا يمكن الجزم في ان التحريض الذي عمده اليه الدبوني مع قائد الدرك هذا والضباط العراقيين في دير الزور، نابعاً عن يقظة ضمير وطنية مفاجئة بعد انفصاليه عن الخدمة عند الانكليز مباشرة وبعد التأنيب الذي لقيه من الكولونيل ليتشمان بسبب اختلاس عذاه اليه. ان مصدراً موثقاً معاصراً أكد لكاتب هذه السطور في الموصل ان الدبوني لم يستقل من وظيفته بعد التأنيب كما ادعى صاحب كتاب ثورة تلعفر. وانما طرد من وظيفته.

نجح عبد الحميد الدبوني في اقناع صاحبه قائد الدرك، وهاجم الاهالي الحامية الصغيرة. وقتل الضابط السياسي الانكليزي الرائد (بارلو) كما قتل الملازم ستيورات واثنان أو ثلاثة من نواب العرفاء والعرفاء الانكليز والهنود مع الجنود الهنود. وبقي الحال كذلك حتى تقدم الحملة التي جردت على البلدة من الموصل. وهرب الدبوني وجميل خليل والملازم محمد علي النعلبند رؤوس الحركة وكانت رصاصة الأخيرة التي فتكت بالملازم ستيورات.

واما قوة دير الزور التي تقدمت نحو تلعفر بقيادة جميل المدفعي - فقد أسرع الى الانسحاب نحو دير الزور، بعد أن بعثت بالدبوني لانزال العلم العربي الذي رفع فوق سراي تلعفر اثناء الانتفاضة، مع الأمر باحراق مركز القيادة واتلاف كل ما فيه واشعال النار في السيارات المتقدمة الباقية من النجدة الانكليزية الأولى. فقام بذلك ثم أختفى عن الانظار

(٤) علي الباركان: الوقائع الحقيقية لثورة العشرين. ط بغداد ١٤٥٤. ص ١٨٥.

(٥) المصدر السابق باختصار ص ٢٠٩.

يذكر على جودة الايوبي وهو من رؤساء الوزارات العراقية في كتابه « ذكريات »^(١) حول الدبوني قوله:

« وصل دير الزور في تلك الأيام (١٩٢٠) رجل موصلني اسمه عبد الحميد الدبوني وهو من الضباط القدماء كان قبل قدومه الى (الدير) موظفاً لدى الانكليز في تلعفر برتبة معاون حاكم سياسي. لكنه اختلف معهم فاستقال من الوظيفة والتجأ الى (الدير) وروى لي أحد المطلعين من أهل تلعفر ان سبب استقالة الدبوني من وظيفة هو ان ليچمان^(٢) اتهمه بالاختلاس وعاملة بفضاظته المعهودة. »

أخذ الدبوني يحرض زملاءه الضباط العراقيين في (الدير) على مهاجمة تلعفر موضعاً لهم سهولة احتلالها لماله من معرفة وثيقة برؤساء البلدة، واصفاً أولئك الرؤساء بالميل العظيم للثورة على الانكليز. واستطاع اقناع الضباط العراقيين برأيه هذا. وفي أوائل شهر من العام ١٩٢٠ بديء باعداد الحملة للهجوم على تلعفر. ويستتلي علي جودة ليقول:

« رأينا الجواسيس الانكليز في دير الزور يسرحون ويمرحون وقد كثر عددهم... وهم حريصون على ايصال اخبارنا وحركاتنا الى ضباط الاستخبارات... فاستأجرنا قوارب (شخاتيز) ووضعنا فيها بعض الارزاق وقلنا لبعض الجنود المتطوعين نحن قريباً نتحرك بالقوة حتى نفاجيء الانكليز. »^(٣)

وتقرر ان يتوجه المحرض عبد الحميد برفقه بدويين من موضع (الخنزيرية) شرق جبل سنجان نحو تلعفر. ووصلها في الثاني من حزيران وقصد دار السيد عبدالله آغا رئيس عشيرة السادة... فقام هذا بدوره بدعوة الرؤساء الآخرين. وعندها قام السيد عبد الحميد فيهم خطيباً

(١) ط. بيروت ١٩٦٥، الص ٩٦-٩٨.

(٢) يقصد به العقيد ليتمان الذي كان وقتذاك الضابط السياسي لولاية الموصل التي احتلها في تشرين الثاني ١٩١٨.

(٣) باختصار عن كتاب قطان احمد عبوش الموسوم (ثورة تلعفر لسنة ١٩٢٠ والحركات الوطنية الأخرى في منطقة الجزيرة) ط. بغداد ١٩٦٩ وما بعدها.

وكان عدد من رؤساء تلعفر يظلمونه ليقتلوه بوصفه سبباً لما حل بهم وما انزل الانكليز بهم من عقاب أثر عودتهم الى تلعفر.

التجأ الثلاثة الدبوني والتعلبند وجميل خليل الى تركيا. سافر الأخير الى تركيا مباشرة والتحقا بالجيش التركي رأساً. اما الدبوني فلم يقصدها مباشرة. ان صاحب كتاب (ثورة تلعفر) يروي ما حل به بتفصيل ونحن نؤثر ان ننقل الوقائع مختصرة منه قال^(٦):

توجه الدبوني الى مضارب شمر على الحدود التركية ومكث فيها نحو شهر ونصف شهر ثم انضم الى قافلة متجهة الى الموصل متنكراً. لكنه لم يستطع البقاء فيها أكثر من يومين للرقابة المضروبة على المدينة فغادرها متجهاً الى الحدود التركية وزاول وهو في طريقه مهنة راعي غنم أجبر تارةً وفلاحاً في احدى البساتين تارةً أخرى. حتى أفلح في اجتياز الحدود الى تركيا. فلقى القبض عليه وهو في نصيبين وأرسل مخفوراً الى ماردين. ومن سورية وتركيا تشفع له عجمي السعدون وأمير العمري. فأطلق سراحه وأعيد الى الجيش التركي برتبة لما قبل الحرب (ملازم).

وكان الاتراك قد أعدوا وقتئذ فرقة عسكرية رابطة في جزيرة ابن عمر (الجزيري) لغزو العراق بقيادة (عاكف بك) فانظم الدبوني في تلك الفرقة. ولم يلبث إلا أن وشى به عند القائد بانه ترك الجيش التركي بعد الهدنة وأنضم الى الانكليز.

فأعتقل ثانيةً وقدم لمحكمة عسكرية. وهنا توسط له كل من عجمي السعدون وأغوات تلعفر فأطلق سراحه وعين بعدها عضواً في وفد سمي «بوفد الاصلاح» مهمته اثاره القبائل الكردية ضد الانكليز في العراق. ومساعدة القوات التركية عند زحفها نحو الموصل. والغريب في الأمر انه أعتقل للمرة الثالثة مع الاعضاء الآخرين لوفد الاصلاح ووجهت اليه اربع تهمة (١) تركه الخدمة في الجيش بعد الهدنة. (٢) اثاره القبائل الكردية ضد الاتراك. (٣) اتصالة بالانكليز. (٤) تهريبه السلاح.

وقدم الدبوني الى المحكمة العسكرية في ديار بكر وكاد يحكم بالاعدام الا ان الذي انقذه ابراهه نسخة من جريدة الاستقلال البغدادية. وصلت ديار بكر اثناء المحاكمة وكان فيها خبر اعلان العفو العام في العراق عن رجال الثورة العربية مع استثناء نفرٍ منهم جميل خليل المدفعي وهو (اي الدبوني) فقدم عريضة مع نسخة من الجريدة الى المجلس العسكري الذي قضى بشطب التهم عنه وأعيد الى الجيش برتبته العسكرية.

(٦) قحطان احمد عبوش المصدر السابق، الص ٤٠٧-٤٠٩.

والقى القبض عليه للمرة الرابعة مع كل من اسماعيل صفوت وجميل خليل ومحمد علي التعلبند ومكثوا في السجن قرابة شهرين بتهمة التعامل مع الانكليز ولكن أفرج عنهم لعدم توفر الأدلة، وأعيدوا الى الجيش التركي.

وبقي الدبوني في الجيش التركي حتى العام ١٩٢٥ عندما تم الاعلان عن العفو العام غير المقيّد أو المستثنى، فأستحصل على اجازة امدها اربعة أشهر وعاد الى العراق متنكراً بغية التوسط للحصول على عفو خاص ولم يؤثر البقاء في تركيا كما فعل زميلاه. ووصل بغداد حاملاً رسائل توصية من الشيخ عجيل الياور شيخ مشايخ شمر الى الملك فيصل وياسين الهاشمي. وتكر بزى سيد يمتنه مهنة (فتح الفأل) وبنى له كوخاً من قصب في مقبرة الشيخ معروف يلجأ اليه ليلاً ويتجول نهاراً في ازقة الكرخ يفتح الفأل وينبئ بالغيب لمن يطلب منه لقاء اجرة يقبضها. «وكان يشاهد في أثناء تجواله في الازقة على الجدران اعلانات بمنح جائزة لمن يقبض عليه ويسلمه الى السلطات العسكرية».

كان الدبوني خلال ذلك يتصل سرّاً بياسين الهاشمي وغيره للتوسط له في نيل عفو خاص فلم يوفق لذلك^(٧) وضافت به سبل الحياة في بغداد. وكاد يبأس - فرحل الى الموصل وبقي فيها شبه مختف حتى انعقاد مؤتمر لوزان في ١٩٢٦ الذي تقرر منه العفو عن المستثنى من العفو العام فعاد الدبوني الى بغداد وتمكن بتوسط زملائه الضباط السابقين الذين اصبحوا وزراء ومتصرفين من تعيينه مديراً للثانوية المركزية ببغداد.

ولم يلبث انه سعى بوساطة من جميل المدفعي الى نقل خدماته الى وزراء الداخلية. وفي العام ١٩٣٠ عين قائمقاماً في زاخو. وأحيل الى التقاعد فور بلوغه السن القانونية في ١٩٥٦. ولم يرتق الى منصب أعلى بسبب مساهمته المشبوهة في مذبحه سميل.

في الخمسينات ضمتني الى هذه الشخصية مجالس صدفية فقط ولم أعرفه معرفة جيدة. والارجح انه ابنه (عدنان) كان مصدر المعلومات التي دونها صاحب كتاب (ثورة تلعفر) اذ لم

(٧) في ٣٠ من شهر أيار ١٩٢١ أصدر المندوب السامي سررسي كوكس بياناً بالعفو العام عن القائمين بثورة ١٩٢٠. واستناداً الى القرار المتخذ في مؤتمر لوزان المفقود في ١٩٢٦ الذي تقرر فيه العفو عن المستثنى من العفو العام الصادر في ٣٠ أيار كما ذكرنا، فقد نصت الفقرة الثانية منه على ما يلي:

ب: يستثنى من العفو كل من جميل بك وحميد أفندي الدبوني المتهمان بالتحريض رأساً على قتل المرحومين الميجر بارلو والملازم ستينورات وغيرهما من الموظفين البريطانيين في تلعفر.

[المقصود هنا بجميل بك كما ارجح هو جميل المدفعي وليس جميل خليل الذي أصبح رئيس وزراء عدة مرات. وهذا ما يؤكد توفيق السويدي (وجوه عراقية عبر التاريخ (ص ٩٦) لندن. ١٩٨٧ وهو ايضاً.

يقول ان عبدالمحسن السعدون توسط له في ١٩٢٥ وساعده في الرجوع في العراق.

يؤثر عن عبدالحميد الدبوني مذكرات مطبوعات أو محظوظة. على اني ارتبطت برباط ودّ
وصداقة باحد ابناء عمومته وزوج ابنة له. في احدى المصائف العراقية ربما كان ذلك في العام
١٩٥٥ وهذا القريب هو الشاب المأسوف عليه سميّه (حميد الدبوني) الضابط الطيار في القوة
الجوية العراقية وزوجته ابنة عبدالحميد (ام فتن). وتشاء الاقدار انه تتحطم به طائرته فيذهب
مأسوفاً عليه.

أبتلي عبدالحميد الدبوني بسرطان القولون. وتوفي بعد معاناة في أوائل الستينيات.

وقفات سريعة على

سيرة ياسين الهاشمي

١٩٣٦-١٨٨٤

كان معظم الدلائل يشير الى انه بات يشعر بان صلاح الوطن وتقدمه مرتبط بزعامته ارتباطاً عضوياً. ولذلك نجده - عندما كان يزمع على ترك الحكم فيها فيضطر حين لا يجد سبيلاً لوسيلة أخرى - إلى اتباع عين السبيل التي ازاحه بها خصومه ويبدء يكيد ويتآمر.

وكان يحاول ستر تلك الازدواجية التي طبع عليها كل افراد الطبقة الحاكمة العراقية متوسطاً بملكاته الخاصة ودهائه. فيتظاهر بالبساطة والتواضع ويتعمد الظهور بمظهر المتكشف في لباسه ومأكله تكملة للصورة التي يريد ان يرسمها. لتنتطع في عقول الناس.

مع هذا فقد شهد له من زامله ولصق به بمقدرة فذة على اجتذاب المعجبين من الذين يقولون عنه كثيراً في السلم الاجتماعي بتبسطه معهم وتواضعه الذي كان يبدو فيه طبيعياً غير متعمل وشهدوا بأن نجاحه مع الصحفيين وأرباب القلم في هذا المجال كان مضموناً دائماً. كانت الصحافة العراقية في اغلب الأحيان تقف الى صفه.

كان اذكى من غيره وأشجع عند مواجهة الحقيقة التي قد يبدو المرء أخرق أو أحقق أمامها عند انكارها. وهناك امثلة كثيرة لهذا، فمثلاً كان (ياسين) وزيراً في حكومة رشيد عالي عندما هوى سيف داموكليس على رؤوس الآشوريين. ومن المعلوم أنه كان صاحب فكرة تقليد رشيد عالي ريببه رئاسة تلك الوزارة وهو الذي اقترح اسمه بدلاً عنه، وبسببه ولوجوده عضواً فيها سميت بالوزارة القومية. ان موقفه من تلك المسألة قبل وقوعها وبعده هو واحد من امثلة كثيرة ستكون دليلاً على أصالة وصحة تحليلنا هذا لشخصيته.

انتدب رئيساً للوفد الذي شكلته الحكومة للدفاع عن موقفها من القضية الآشورية امام مجلس عصبة الأمم. فهده عقله الى أن إنكار ما حصل بوجه كل الدلائل والبيانات المجتمعة لدى العصبة هو من السذاجة والبلاهة بكان. وان الحل الوحيد لادراء الهجوم الشرس، وتجريد الخصوم والاسهاب في التنديد هو الإقرار بوقوع الجريمة والوعد بالاقتصاص من مرتكبيها وامتصاص النقمة العارمة بدفع مسألة العقاب الى احضان المستقبل، خلافاً لزملائه الذين آثروا محاولة تغطية قرص الشمس بغربال. وسنعود الى هذا فيما بعد ببعض تفصيل.

وكان اشجع من غيره عندما تحدى عبث غازي وتصرفاته الشاذة، في حين قصر من سبقه ومن لحقه عن ذلك^(١).

كما كان أيضاً شجاعاً عندما أقر فيما بعد بأنه أخطأ كثيراً في موقفه العدائي ومعارضته

(١) مع ذلك كان يأمل أن تكون ابنته (نعمت) زوجة للملك غازي (الذي ابدى اهتماماً خاصاً بها في وقت من الاوقات رغم علمه بضعفه العقلي).

من النوايا الذين يقذف بهم في اوقات نادرة رحم الطبقة الفقيرة أو المعدمة. يرحلون ليخلفوا آثار اقدامهم على وجه مجتمعهم أو ربما اوسع منه لاتزول معالمها بهبوب الرياح والعواصف. ولا يحوها مد ولا جزر.

لكنه لا يعد من فريق النابغين المتجردين الذين نذروا انفسهم لغيرهم وجندوا قابلياتهم الخلاقة لخدمة المجموع وما أندر هؤلاء. فهو من ذلك الصنف الذي خص نفسه وطموحه الشخصي باكبر جزء من اهتمامه ونشاطه. ووقف معظم جهوده سعيماً وراء الجاه والاسم والرفعة بشقيه: الغنى والمنصب. الثاني لم يكن يقتضيه الكثير لنيله. وجدناه أصغر ضابط في جيش الامبراطورية العثمانية يبلغ رتبة الجنرال (ميرآلي = عميد) وآخر منصب بلغه قبل تمزيق الامبراطورية هو قيادة فيلق. وكثير من الولاة العثمانيين كانوا بهذه الرتبة عندما انيط بهم حكم ولايات الموصل وبغداد البصرة بعد ضم الثلاث معاً. وهناك من العرب كثيرون بلغوا رتبة الوزارة. ومنهم اثنان على الأقل كانوا من رؤساء الوزارات (صدر اعظم). لذلك بقي الى الأخير يرى وهو يتابع تسارع الاحداث السياسية الروائي المذهل في الشرق الاوسط بأنه احق من غيره بالقيادة والزعامة، واحق من غيره في تدبير مساعيه الملتوية الى مساواة الآخرين في ما ورثوه من ثروات عن ابائهم، او حازوه بطرق قد لا تستقيم مع القيم الخلقية. في حين ان استعلاءه على زملائه ووضع نفسه على رأسهم كان بالنظر اليه امرأً طبيعياً لا جدال فيه. فليس بينهم من يفوقه مبادأة وذكاء وعلماً. بعضهم كانوا في عرفه اقزاماً ودمى رأى من حقه ان يحركها ويوجهها بالشكل الذي يتفق والخط الذي انتهجه.

وكان سبب سقوطه المفاجيء نسيانه ان لهؤلاء الاقزام طموحهم الشخصي ايضاً. وان الاقزام احياناً قد ينقلبون الى عمالقة، والدمى الى بشر، الى (روبوت) مدمر. وان هناك حداً يجب ان يقف عنده كل طموح والا اولد نقمة وعداء وحسداً. لكن (ياسين) تجاوز فيما يبدو هذا الحد وظل شعور التفوق فيه يدفعه الى استخدام الآخرين حتى وجد نفسه يواجه أنداداً ينازعونه مركزه نفسه وبعضهم كان من صنع يده. وفي استقرار حياته السياسية في مراحلها الأخيرة

للمعاهدة البريطانية التي أجمع المؤرخون العراقيون وكل الساسة العراقيين بأنها كانت مجحفة بحق العراق دون ان يدركوا بان العراق كله بأرضه ويساكنيه كان ملكاً ليمين البريطانيين وان بوسعهم ان يحكموه بمعاهدة او بدون معاهدة. كانوا فحسب وراء المعاهدة ليتخلصوا من تبعات الانتداب ونفقاته.

كان يمتاز عن غيره من الساسة العراقيين بأنه يعرف متى يقف واين يقف وكيف يستطيع التنصل من عواقب سياسية في الوقت المعين وعندما نسي هذه القاعدة مرةً واحدةً وانساق بتسرع وحدة طبع في وزير داخلية (رشيد عالي) واصراره؛ سقط حتى في سقوطه لم تفارقه حاسته السياسية المرهفة فاستسلم فوراً امام الانقلاب العسكري وقدم استقالة حكومته حين طلب منه ذلك دون تردد في حين كان رشيد عالي مصراً على التشبث بالحكم يتصل بزعماء العشائر المواليين للوقوف بوجه الانقلاب ومقاومته.

وكان هو بمعاونة من نوري السعيد ورستم حيدر وراء تشجيع الملك فيصل في لندن على ارسال تلك البرقيات الحارة الملحة التي يناشد الكيلاني فيها بالتعقل وبضرورة اطلاق سراح مار شمعون وتحاشي المواجهة بأي شكل كان. وعلينا ان لا ننسى كذلك بأنه ارسل باسمه برقية شخصية لرشيد يحذره فيها من الاندفاع والتهور منذراً اياه انه وفي حالة إصراره، فسيفكفه فيصل بتقديم استقالته واستقالة حكومته حال عودته، وكان الوقت قد فات ليدرك الهاشمي ان تلميذه لم يعد ذلك التلميذ الطائع، وانه قرر منذ زمن الخروج عن رقابته ووصايته والاشتغال لحسابه.

من امثلة لبعث نظر هذا السياسي وأصالة تفكيره (بمعزب عن طموحه الشخصي) إدراكه منذ العام ١٩٣١ اي عام التوقيع على المعاهدة، نية بريطانيا المبيتة في الخروج من تبعات الانتداب عن طريق التمهيد لإدخال العراق في عصبة الأمم كدولة مستقلة والاكتفاء بحكم العراق بطريق غير مباشر. فكان واحداً من ثلاثة من اشهر الساسة العراقيين، بعثوا ببرقية مذيلة بتوقيعهم الى مجلس العصبة يقولون فيها ان الوقت لم يحن لدخول العراق عصبة الأمم عضواً.

ان موقف ياسين الهاشمي السابق في خطابه أمام عصبه الامم حول القضية الآشورية - هو موقف لا يتسم بأي عطف، باقل وصف له، وهو موقف عداء صريح بالوصف الذي ورد في مذكرات البطريرك الآشوري، انه يدعنا الى التأمل في الرأي الذي أدلى به ستافورد عنه في الخطاب الذي ألقاه في الجمعية الملكية الآسيوية الجغرافية بعد الاحداث، فقد قدر احتمال قيام

هذا السياسي بدور إيجابي قد يحول دون المذابح والفظائع لو كان موجوداً في العراق. عندما تحرج الموقف العراقي أمام الرأي العالمي، راح الساسة العراقيون يتلفتون يمنة ويسرة لانتداب أصلح رجل يقوم عنهم «بالمهمة القذرة» فلم يجدوا غيره رئيساً للوفد الذي ارسله الى عصبة الأمم لتبرير موقف العراق.

كثير ممن أسف على تلك النهاية الأليمة التي ختمت بها حياته وكثير من اولئك الذين ناصبوه العداء وخاصموه بحنق وحسد، يقرون انه من خلال الغيوم الخلقية التي شابت تعامله وتصرفاته، كانت تلوح بين آن وآخر ومضة من ومضات العبقرية السياسية إن خفيت عن بعض أقرانه، فإنها لم تخف عن البريطانيين فحسبوا له حساباً لم يخصوا احداً من الساسة العراقيين بمثله.

ولد (ياسين) في بغداد اواخر العام ١٨٨٤، وسماه ابوه بـ(ياسين حلمي) وابوه (سلمان) هو مختار محلة البارودية في بغداد. وقد بقي اسمها هذا بحسب ظني حتى يومنا.

لم تكن وظيفة المختار ذات شأن في العهد العثماني والوطني. ولا بالتالي تضفي على صاحبها مقاماً ملحوظاً او تدر مالاً كثيراً. المختار الذي لا يتكسب من مهنة أخرى يعيش عيشة الكفاف. الا انه كان فوق ذلك مجازاً بالترافع امام المحاكم الشرعية في المسائل والنزاعات الشخصية (الزواج والطلاق والإرث الخ...).

أما انتساب (ياسين) الى طبقة السادة في اواخر سني حياته بوضع صفة «سيد» قبل اسمه فربما كان انتحالاً وانسجاماً مع لقب «الهاشمي» وقد انفرد بهذا ولم يجاره فيه شقيقاه (مكي) و(طه).

بل كان الشك يحوم ايضاً حول اصوله العربية، فقد اشيع بأن اسرته هي بالاصل من عشيرة (الكروية) التركية التي جاء بها السلطان العثماني (مراد الرابع) في العام ١٦٣٨ عند احتلاله العراق ودخوله بغداد. وفي كتاب صدر مؤخراً نسب الى عشيرة كردية^(٢).

وشأن ياسين شأن كل أبناء الأسر المعسرة العراقية التي لا تجد فضلة من دخل لتنفق على تعليم الابناء في المدارس المدنية، وهي المدارس التي تؤهلهم الى وظائف الدولة الادارية فانخرط في المدرسة الاعدادية العسكرية ببغداد واكمل تحصيله في كلية استنبول الحربية

(٢) نسبه الى عشيرة كاكه. (راجع: الفيليون: تأليف نجم سلمان مهدي. ط ستوكهولم ٢٠٠١).

وتخرج في ١٩٠٢ برتبة ملازم وباسم (ياسين حلمي سليمان) وعمره في حدود الثامنة عشرة. وصعوده كان مذهلاً. ففي خلال خمسة عشر عاماً رفع خمس مرات وهو امر نادر في الجيش التركي. سيما على عهد سيطرة القوميين الترك (جون ترك). وامتضى ثلاث سنوات أخرى في كلية الأركان ونال شهادتها بتفوق. وعين ضابط ركن في الفيلق (الأوردي) السادس المرابط في بغداد. ورفع في العام ١٩٠٨ الى رتبة (صاغ قول اغاسي) اي رائد، وعين رئيساً لأركان الفيلق السابع المرابط في ميدان (اگياستغاس) بمنطقة (ساروز) ببلاغاريا في العام ١٩١٠ ونقل في ١٩١٣ رئيساً لأركان الفيلق الثاني عشر في الموصل برتبة مقدم (بينباشي) وكان قد انضوى الى جمعية العهد السرية. فكان له الفضل (كما ادعى) بتأسيس فرع لها في الموصل.

أرسل مع فيلقه الى حلب في خريف ١٩١٤ إثر دخول تركيا الحرب. ثم نقل منها الى رئاسة أركان الفيلق السابع عشر في استنبول. ومن ثم سلم قيادة الفرقة العشرين في جبهة (غاليسيا) وهو برتبة عقيد (فائقام) وفي العام ١٩١٧ لفت نجاحه الكبير في صمود الجبهة امام هجمات الروس المتكررة - نظر القيصر (قلهلم الثاني) اثناء تفقده اياها فأوصى بترقيته الى رتبة عميد (مير آلي) ولم يكن مستحقاً لترقيته اذ لم يمر أكثر من بضعة اشهر على آخر ترفيع له. ولم ترد القيادة طلب القيصر ومنح الرتبة «استثناء» ثم ثبت فيها رسمياً.

في تلك السنة ارسل على رأس فرقته الى فلسطين وهناك تسلم قيادة الفيلق الرابع والعشرين. ثم انيطت به قيادة الفيلق الثامن في الاردن بمواجهة جيوش الحلفاء بقيادة الجنرال (لورد اللنبي) والتحم معها في معركتي «الصلت» و«عمان» وافلح في الانسحاب المنظم ببراعة. ولم يكتف البريطانيون الستراتيجيون اعجابهم به فوصفوه في تقاريرهم بـ«ستراتيجي حاذق يفوق مقدرتنا على احتوائه». وكلف بالدفاع عن نهر الاردن حيناً لكنه تحاشى الالتحام في معركة مع عدو يفوقه عدداً وعدة بمراحل. على ان الوثائق البريطانية تشير الى انه كان في العام ١٩١٥ ولفترة قصيرة على اتصال سري بهم اثناء احتدام معرك الدردنيل وليس هناك ما يشير الى طبيعة هذه الصلة.

بختام الحرب وانحلال الجيش التركي في سورية انسحب (ياسين) دون ضجة وانزوى في منزله بدمشق وبقي حتى دخول الجيش العربي بقيادة فيصل دمشق واعلانه نفسه ملكاً. في خلال السنتين اللتين عقبتهما (مودروس) كانت قيادة الجيش البريطاني في سورية تتولى تصريف الأمور وكل السلطات. وقد تركت ضباط الفيلق العثماني المنحل ومراتبه وجنوده أحراراً ولم تضعهم قيد الأسر. وفسحت للجميع السبيل للعودة كل الى مسقط رأسه. إلا ان

القيادة كانت تطلب ضباطاً معينين وتبحث عنهم لاستجوابهم او اعتقالهم. وكان (ياسين) أحدهم. إلا أن (فيصلاً) سبقهم اليه فأصبح عليه حصانةً باستدعائه وإسناد منصب رئاسة اركان الجيش العربي المشكل حديثاً اليه. وكان على معرفة سابقة به وقد سبقته اليه شهرته العسكرية. كما كان يريد ان يجتذب بواسطته ضباط الفيلق المنحل التركي من العرب الذين عملوا معه. كان ذلك في اوائل العام ١٩١٩ وقيل انه لم يقبل بسهولة وأبدى بعض تمنع. لكن وقبل ان ينقضي عام واحد حتى اشاع عنه مبعضوه (على ما قيل) بأنه يدبر انقلاباً ضد الملك. وكان مصدر الشائعة الضباط الشريفيون الذين جاؤوا مع (فيصل) وهم يعرفون عن الأمير شدة الحساسية في كل ما يتعلق بشخصه. وزعموا ان الذي يدفع (ياسين) الى التآمر هو عدم رضاه على سياسة المسايرة والمداهنة التي يتبعها العاهل مع السلطات الفرنسية التي اخذت تبسط يدها على سورية. فقام (فيصل) بنقله الى منصب مجرد من كل صلاحية هو رأسه مجلس الشورى الحربي. وقيل ايضاً ان السبب الحقيقي لإقصائه هو اكتشاف الملك فيه طموحاً لا يحدّ وحباً في السيطرة لم يعتده من الآخرين. وانه ما نقله الى هذه الوظيفة الفخرية الا تمهيداً للخلاص منه وتسهيلاً لنية السلطة البريطانية العسكرية في اعتقاله.

وإما كان السبب، فقد تم إلقاء القبض عليه واعتقاله اثناء حضوره حفلة شاي أقامها البريطانيون في (المزة) وهي ضاحية من ضواحي دمشق.

كان اسم (ياسين) شهيراً. بدليل ان الشاعر (معروف الرصافي) مدحه بقصيدة بمناسبة اعتقاله، فأصعده فيها الى قمة الوطنية والاخلاص والشعبية (لم يلبث ان هجاه ولعنه بعد خمسة عشر عاماً بأبيات وصفه فيها بالانانية وحب الذات وبذلك الرجل الطموح الذي لا يعمل لوطنه بل لمصلحته الخاصة).

كان موقفه من الاشتباك مع الجيش الفرنسي في (ميسلون) موقف عسكري ستراتيجي بعيد النظر فقد نصح واشتد في نصحه بعدم الاشتباك مع الفرنسيين بقوله «ان الجيش العربي لا يقوى على الصمود ساعة واحدة» فرمي بالتخاذل وقلة الفطنة وضعف في الوطنية. وكان وزير الدفاع (يوسف العظمة) وهو اول من عارضه واثار الشك في رأيه هذا، اول من سقط قتيلاً في تلك المعركة.

بعد وقعة (ميسلون) في ٢٤ من تموز ١٩٢٠ ودخول الجيش الفرنسي دمشق اعتكف في منزله. وزاول التجارة حيناً فأخفق وعدل عنها.

كان (ياسين) اثناء توليه رئاسة اركان الجيش العربي قد تخلى عن اسمه القديم (ياسين

حلمي سليمان) واتخذ اسم (ياسين الهاشمي) بديلاً وهو الذي عرف به حتى آخر سنين من حياته عندما وضع امامه لقب «السيد».

الاسم الأول هو تسمية عثمانية مركبة درج عليها آباء ذلك الزمان في تسمية اولادهم لتمويه اصولهم القومية. والتبديل الثاني كان بزيادة كلمة (الهاشمي) مع التخلص من الاسمين الثاني والثالث - ربما كان سببه محاولة الانتساب الى بيت فيصل الهاشمي تقريباً منه او ربما كان الغرض منه مساواة الأسرة المالكة في العراق في اصالة المحتد ويعيد هذا الى ذهني قول الشاعر الشهيد (الشريف الرضي) يخاطب الخليفة العباسي (المقتدر):

مهلاً أمير المؤمنين فإننا في دوحه العلياء لانتفرق
إلا الخلافه ميزتك فإنني انا عاقل منها وانت مطوق

وربما لقي تفسيره في تلك الاشاعات التي دارت حيناً من الزمن قبيل سقوطه - حول نيته في ازاحة الاسرة المالكة واقامة جمهورية يكون هو على رأسها.

وإذا كان انتسابه لآل البيت حقيقياً، فما من شك في أن لآخفائه طوال خدمته في الجيش العثماني ما يبهره، لأن القوميين الاتراك الذين سيطروا على الحكم آنذاك، كانوا ينظرون بشك عظيم الى نوايا آل البيت والأشراف السادة، فيكون انتسابه عقبه اكيدة وواقعية في ترقياته العسكرية.

ارسل (ياسين) مخفوراً الى (اللد) بفلسطين وبقي معتقلاً ستة أشهر وفي السادس من ايار ١٩٢٠ اطلق سراحه فغادر المعسكر عائداً الى دمشق واستأنف دوامه في مجلس شوري الحرب ردحاً من الزمن حتى انتهت وقعة (ميسلون) حكم فيصل وطرده ووضع سورية تحت الحكم الفرنسي. الا انه بقي في دمشق رغم ذلك حتى نودي بفيصل ملكاً على العراق. فقرر رأيه على العودة الى ارض الوطن إلا ان مساعيه ومساعيه اخويه فشلت في الحصول على موافقة الحكومة والملك والبريطانيين. وهو أمر يدعو الى التساؤل والعجب بسبب استثنائهم من سائر العسكريين العراقيين الذين خدموا في الجيش العثماني. والتعليل الذي قبل حيناً من الزمن هو ان الضباط العائدين والذين رافقوا فيصلاً من الحجاز حتى بغداد، اصبحوا يتقلدون المناصب العالية في الدولة الجديدة السياسية منها والعسكرية وكلهم يعرفون (ياسين) وكلهم مدرك بأنه يفوقهم علماً وثقافة وقدماً عسكرياً وان مجيئه سيكون عنصر خطر على مراكزهم.

وبذلت محاولات مستميتة لعودته وقدمت أسرته في بغداد التماسات ومذكرات متعاقبة، تارةً (لفيصل) وتارةً لرئيس الحكومة (عبدالرحمن النقيب) منها تلك التي رفعتها شقيقته

وختمتها بهذه العبارة:

«انا مريضة جداً. وارى ضرورة لقاء شقيقي قبل مغادرتي العالم الفاني.»

أخيراً أحيل طلب العودة الى المندوب السامي سر پرسی كوكس فكتب هذا تعليقاً بأن عودته ليس في صالحه ولا في صالح العراق فهو إنسان خطر وقوي في آن واحد. وليس لدى الحكومة استعداد كاف لاستخدامه. فيجب ان لايسمح له بالعودة.

واصل (ياسين) العمل الحر في دمشق الا ان تجارته بارت وركبته الديون. فعاد يكرر الطلب ولجأ الى القنصلية البريطانية في دمشق. فكتب هذا بدوره الى المندوب السامي يحبذ بشدة عودته بعد أخذ تعهد منه بولائه. وبعد بضعة أشهر تمت الموافقة وغادر (ياسين) دمشق الى حلب في ٢٢ نيسان ١٩٢٢ وكان ينتظره فيها شقيقه طه (الذي اسرع ينحو منحى شقيقه في الانتساب الى الهاشمية) وتوجها معاً الى الموصل وبلغاها في ١٥ من ايار ١٩٢٢. واقام لهما اصداقاً وهما حفلة تكريم. وفي ١٩ من الشهر عينه وصلاً بغداد (٣).

ياسين العراقي الولادة ومن اسرة بغدادية لم يكن من المغمورين فقد سبقته شهرة وتناولت الصحف قبلها قصة منعه من عودته الى بلاده وكان له انصار واشياع في العراق قبل وصوله: كما ان عدداً كبيراً من الضباط كانوا تحت إمرته الا ان جعفر العسكري ونوري السعيد فضلاً عن آل (السويدي والنقيب) كانوا يتوجسون منه خيفة، ويعتقدون ان عودته ستؤدي حتماً الى خلل في المعادلة السياسية.

لم يعرف شيء عن الغرض الذي توخاه البريطانيون من اعتقاله. فقد جرى ذلك بعد سنين من نهاية الحرب. أكانوا يريدون معلومات مخصوصة عن الجيش التركي وقادته الجدد؟ أم أنهم حاولوا تجنيده لأنفسهم. او ربما لإلقاء درس.

ليس ببعيد ان يكون هناك نوع من تفاهم قبل مغادرة ياسين بغداد، لم يسع الأنسة (گروتروود بل) السكرتيرة الشرقية للمندوب السامي الا التنويه به في احدى رسائلها. كما نوهت في رسالة بمقابله لها معه عند عودته ذكرته فيها بلهجة لا تخلو من تهديد بأيام اعتقاله والوضع البائس الذي كان يعيشه في دمشق (٤).

(٣) الهاشمي: سامي عبد الحافظ القيسي. ط البصرة ١٩٧٥ ص٢٦.

(٤) تعرفت كيرتروود بل على ياسين الهاشمي لأول مرة في ٢٩ ايلول ١٩١٩ كما ذكرت. وكانت في القاهرة برفقة الجنرال كلايتن فنوه لها هذا بثلاثة شخصيات عراقية هم ياسين الهاشمي وجعفر العسكري ونوري السعيد. وقال مما قال: سيكون لهؤلاء شأن واي شأن في العراق ثم عقب قائلاً ان (ياسين) رجل خطر. المقابلة الثانية لها كانت في ٨ من تشرين الأول - مع اثنين من اعضاء جمعية العهد العراقيين: «هذه =

إلا ان (فيصلاً) ظل يتوجس منه خيفة طوال عمره. كان مثلاً يعلم انه ظل على اتصال دائم بمصطفى كمال (اتاتورك) وانه كان يرأسه سراً من دمشق. وقد عزت الوثائق البريطانية الى الزعيم التركي رسالة وجهها الى كل من نوري السعيد وجعفر العسكري يوصيهما بأن يكونا اكثر مرونة مع (ياسين) وان يعدلا موقفهما منه «لأنه اقدر منكما وأعلى رتبة».

مع هذا كله لم يتردد في استخدامه مع رشيد عالي ضد صديقه عبدالمحسن السعدون للحد من سلطته وإزاحته.

ورد في تقرير للاستخبارات البريطانية حول عودة ياسين:

«انه استقبال استقبلاً شعبياً من قبل جميع الفئات باستثناء حزب الملك... ان الرغبة العامة كانت تميل الى توليه وزارة الدفاع بدلاً من جعفر إلا ان الملك كان يرى خلاف ذلك، تخوفاً من نفوذه غير المستحب.»

وبدلاً من استيثاره عين متصرفاً (محافظاً) للواء المنتفق، والقصد هو ابعاده عن المعترك السياسي في العاصمة. إلا انه انتهز فرصة الاعلان عن بدء انتخابات المجلس التأسيسي في شهر تشرين الاول ١٩٢٢ فعاد الى بغداد.

وفي خلال فترة التهيئة لانتخاب اعضاء المجلس ووضع منهاج لاعماله بدا ياسين للناس صلباً في استقامته وصراحته. إلا ان وجهه المستتر كان فيه ما يطمئن البريطانيين وصعد به وجهه الشعبي غير المساوم إلى الجماهيرية التي عمل لكسبها. وقذف بنفسه في لجة المقاومة الضارية للمعاهدة، لكن سجل عليه في حينه انه قال للمندوب السامي (هنري دويس) في شهر آب من العام ١٩٢٢ وفي اثناء مقابلة خاصة «ان الشروط التي تضمنتها المعاهدة فيها من السخاء اكثر بكثير مما كان متوقفاً». وفي شهر ايلول من السنة عينها. ذكر كتاب سيرته والمؤرخون انه كان ضد إلغاء الانتداب اذ قال لفيصل: «ان جلالتك لتخطأ كثيراً في إصرارك على إنهاء الانتداب وإلحاحك على ان يكون من حق العراق الاشراف على شؤونه الداخلية

= العصبية تعمل من اجل الاستقلال التام لسورية والعراق دون مداخلة اجنبية. وروحها المحركة والمهمة ياسين باشا. وفي اعماقها يستقر كره الفرنسيين. ان جاء الفرنسيون فهم سيقومون كل العرب ضد الاوروبيين وياسين هو على اتصال بالاتحاد والترقي في استنبول. وبمصطفى كمال باشا ايضاً. وربما فضل السيادة التركية على السيادة الفرنسية.

عدت الى مكتبي لاقراً ملف (جمعية العهد). ثم عرجت على ياسين الذي كان رئيساً لمجلس الحرب الاعلى (في سورية). سألته عن تصوراته لمستقبل بلاد ما بين النهرين (ميسوپوتاميا) فأجاب: "ما من شك في ان هذه البلاد لن تكون خلال السنوات العشر المقبلة قادرة على الاستغناء عن المشورة الاجنبية". الظاهر أن ما قاله هنا يناقض رأي (كلايتن) عنه. وقد طلبت منه مراسلتي. [رسائل بل: المرجع السالف ١٩٨]

فحسب».

في عين الوقت تقريباً بعث برسالة الى (جعفر ابي التمن) من اشهر ساسة ذلك الزمان المعروفين بالنزاهة ونبل القصد يؤكد له فيها على اخلاصه له ولأفكاره قائلاً: «اني انتظر أوامرك. وآمل من صميم قلبي ان يتم طرد البغاء (يقصد البريطانيين) من ارض العراق»!!

وقد افتضح أمر الرسالة وكانت محتوياتها سبباً في عدول الملك وممانعة المندوب السامي في اسناد وزارة الداخلية اليه عندما أصر (عبدالمحسن السعدون) في العام نفسه على ضمه الى وزارته الأولى. واضطر (السعدون) الى اسناد وزارة الاشغال العامة له بدل ذلك.

في العام ١٩٢٥ اعتزم (ياسين) تأليف حزبه. فأجيز في الثالث من كانون الأول باسم (حزب الشعب) ولم يفت المهتمين بأمره ملاحظة اختياره عين الإسم الذي اختاره (اتاتورك) لحزبه. والظاهر ان اعجابه بالنهضة التي حققها هذا (العسكري) في تركيا، ونزوعه الى تقليده لم يزياله عند اعلان الانتداب البريطاني على العراق، ولعل معارضته الشرسة حيناً من الزمن للمعاهدات الثلاث ولاسيما الأخيرة في ١٩٣٠ التي ربطت العراق الحديث بمحور ما، تركي الطابع. وقد يصح لنا الاستدلال على ذلك من البرقية التي بعثها هو وزميله جعفر ابو التمن وناجي السويدي الى عصابة الأمم معارضين في دخول العراق العصبية بقولها: «ان ذلك يزيد في ربط العراق المتطلع الى الاستقلال التام بعجلة الانتداب البريطاني».

اذن، كان (ياسين) يرى وربما بكثير من الفطنة ان الاستقلال الذي انهى الانتداب، انما كان استقلالاً صورياً لم يغير شيئاً من الواقع وانما أزال فحسب التبعات والمسؤوليات عن كاهل بريطانيا في حين ابقى سلطتها التي جعلت الحكم الفعلي في يد الساسة البريطانيين.

وبمناسبة تأليف (ياسين) حزبه ذكر التقرير البريطاني المرفوع لعصبة الأمم في العام ١٩٢٨ «حول الادارة في العراق» سبباً لتأليفه بقوله: «ان المعارضة كانت تريد ان تقدم شيئاً جديداً، وتكره ان يقوم بالادوار التمثيلية شخصيات قديمة معروفة. فرأت ان لا تضع الشراب الجديد في القناني القديمة».

واثبت التقرير أيضاً رأياً آخر (بياسين) فقال: «انه يمارس عين الاساليب الملتوية، ويساوم على مراكز القوى وعلى مصالح البلاد دون ان تطرف له عين او يعتريه خجل وتبعاً لمقتضى الحال ولايهمه غير الوصول الى السلطة باي ثمن كان».

وأصل والحزب وقوامه هو كتلة المعارضة الجديدة التي انبثقت في مجلس النواب. وهو مجلس جاء به (حزب العهد) الذي رأسه (نوري السعيد) وكان قد سبقه الى الحياة السياسية

الحزب الوطني العراقي) الذي أسسه وترعّمه (جعفر أبو التمن) في ٢ من شهر آب ١٩٢٢ وقد عطله المندوب السامي بعد أشهر قليلة ولم يعاود نشاطه إلا في ٣٠ من حزيران ١٩٢٨.

كتب موظفو دار المندوب السامي الكثير حول انطباعاتهم الشخصية عن السياسة العراقية إلى جانب معلومات عنهم استقروها من شائعات ومن متطوعين وفي بعضها ما يصيب كبد الحقيقة وفي بعضها ما يبتعد كثيراً عنها. ومنها ما يمتاز بالعمق والتحليل المنطقي، وأكثرها سطحي وفيها عنصر الشائعة والتقول، وبينها المتناقض والعاطفي المتأثر بالانطباع الشخصي وتأثير الظروف الزمانية والمكانية. فيها كل هذا فال مؤرخ لا يخرج منها فارغ اليد خالي الوفاض، وفي الغالب يعود من رحلته مليء الوطاب. وهي من هذه الناحية تكاد تكون مصدرنا الرئيس. لأن المذكرات التي كتبها عدد من السياسيين العراقيين فقيرة جداً بمثل هذه المعلومات إلا ما شذ وندر. وليس الأمر بعجيب أو مستغرب منهم، فما بينهم إلا من يحاول في مذكراته استخلاص نفسه من المواقف السياسية المخجلة بالقاء الذنب فيها على الآخرين لذلك لا يمكن الاعتماد عليها إلا إذا تطابقت شهاداتها مع أكثر من شهادة. والدرس والإعراض أول ما يجب أن يتحراه المؤرخ فيها.

فهناك مجموعة كبيرة من الآراء البريطانية في شخص (ياسين) لم يحظ سياسي عراقي آخر بمثل مقدارها تصلح لتقديم صورة قريبة من الواقع لهذا الرجل. وليلعلم ان المندوبين السامين وموظفيهم المسؤولين الذي احتكوا به وتعاملوا معه وجالسوه، ليس بينهم من يمكن وصفه بالقصور العقلي وضعف الفراسة وقلة الذكاء.

يختم سر دويس (المندوب السامي بين ١٩٢٢ و١٩٢٨) واحداً من تقاريره بالقول عن ياسين:

«انه رجل أخطر بكثير اذا كان خارج الحكم مما كان داخله، وأعسر قياداً اذا كان داخل الحكومة وبوضع تابع.»

ووجد فيه السر فرنسيس همفريز (المندوب السامي بين ١٩٢٢ و١٩٣٢ ثم سفيراً):

«شخصية متزنة مفيدة جداً للعراق، يمكن التفاهم معها بسهولة.»

ورآه السرّ ارشيبالد كلارك كبير السفير الذي وقع انقلاب بكر صدقي على عهده:

«رجلاً ذكياً حصيفاً، يتعاون مع البريطانيين، إلا انه لا يخلو من ذلك الداء الذي

فصلته (گرترو بل) في رسالة لها إلى أبيها مؤرخة في ٣١ من شهر آب ١٩٢٢

وقد نوهنا بها.»

قالت:

«زارني (ياسين باشا) في مكنتي. سألته هل تعلمت دروساً من وظيفتك الجديدة (في المنتفق) فأجاب: في فترة لا تزيد عن اربعين يوماً تعلمت كل ما يسع المرء استيعابه وأبدى قلقاً على مصير البلاد وعقب يقول اني قرأت مسودة المعاهدة العراقية - البريطانية، ولا اتوقع ان يجد اي عراقي سخاء كالذي قدمته شروطها. واني لفي عجب شديد من رفض الملك لها.

واستطرد يقول: ان الخطأ هو خطأكم، لأنكم لم تحكموا قبضتكم عليه (يقصد الملك). ما الذي يجعلكم تطلقون له الحرية للأخذ بآراء رجالٍ قد يقودوننا إلى الهاوية (يقصد بهم ساسة معينين عراقيين) ايضاً؟»

ثم تعلق بالأخير بقولها عن ياسين:

«ان لهذا الرجل شأنًا عظيمًا في مستقبل العراق.»

هذه الآراء لا تخلو من قاسم مشترك حتى بمضاهاتها مع أقوال زملائه فيه وكلها يؤدي بنا إلى الإقرار بقوة شخصية الرجل وبراعته الواضحة في الظهور بالقميص المناسب في الوقت المناسب. واللسان المنطقي في الظرف الذي لا يودّ محدثه ان يسمع ما هو أفضل منه.

وكلّ السياسة العراقيين رغم الجوانب القائمة التي ابرزوها - كانوا يقرون له بالذكاء واللمعية وكثير منهم كان يظهر هذه الحقيقة بحنقٍ وبشكل لا يخلو من ضغن.

بقي (كامل الجادرجي) مثلاً وهو من أجرأ الساسة في أحكامه القاطعة والصائبة في احيان كثيرة - يكنّ له احتراماً كبيراً ويشيد بمزاياه رغم اكتشافه في وقت مبتسر عيوبه ونقائصه، ورغم خروجه عليه مسمئاً من مناوراته السياسية.

في اواخر العام ١٩٢٢ توفي ابنه الوحيد الصغير (يحيى). ويظهر أن تأثير الفاجعة كان كبيراً على نفسه وصفه شقيقه بأنه اشبه بصاعقة انقضت عليه. ولم يعقب ذكراً آخر، غير بنات.

رحلة (ياسين) السياسية بدأت بعضويته في المجلس التأسيسي.

مصادر قلقه اكان خارج الحكم أم داخله.»

لم يبق في وزارة (جعفر) طويلاً واستقلال منها مع (رشيد عالي) احتجاجاً على ابرام المعاهدة الثانية في ١٩٢٧!

في ايلول من العام ١٩٢٧ ضمه (عبدالمحسن السعدون) الى حكومته وزيراً للمالية ايضاً. وتولى المنصب عينه في وزارة (ناجي السويدي) الذي كان يضيق به ذرعاً رغم اقراره بقبالياته وذكائه، وربما كان مبعث هذا هو الكره الذي يحصل احياناً بين الاكفاء ذوي المواهب المتعددة. ظل هذا الشعور يلزم (ناجي السويدي) الذي فاقه ثقافة وعلماً وفاقه نزاهة ولكنه تأخر عنه بعد النظر وسعة الحيلة. وقد التقيا مرتين وفي مواقف مبدئية حاسمة كما مر بنا واختلفا بعد ذلك وسلك كل سبيله. كان كلاهما يرى أن استعجال بريطانيا في إدخال العراق عضواً في عصبة الأمم مع استقلال صوري، سيسد العراق أكثر مما يشدها آنذاك ببريطانيا التي كانت تهيمن على العصبة طوال عمرها في الوقت الذي كان هذا سيحلها من التزامات كثيرة مفيدة للعراق وهو ما ذكرناه.

والتقى هذان الباقعتان في تلك العملية الخطيرة التي عادت بأعظم فائدة مالية واقتصادية على الشعب العراقي. حين اقدم (ياسين) بجراءة منقطعة النظر على عملية اطفاء الدين العراقي الذي ورثه عن الدولة العثمانية والبالغ مع الفوائد المستحقة ١٠٠٠٧٢٦٥ پاوناً ذهبياً سترلينيياً. وهو دين ضخم جداً بقياس القوة الشرائية للپاون الانكليزي في ذلك الحين. وقد يكون مضاعفة هذا المبلغ عشرين مرة على الأقل كافيًا لتصور قيمته بقوة الپاون الشرائية الحالية. فبرغم الشكوك العظيمة التي ساورت زملاءه في الحكومة من جدوى الحيلة المالية، أقدم بالاتفاق سرًا مع (ناجي السويدي) وبصورة سرية وخلافاً للقانون - على شراء كمية مساوية للدين من سندات القرض التركي التي وصلت قيمتها الى الحضيض في اسواق البورصة العالمية وبقيمة تعادل واحداً من اربعين من قيمتها الاسمية. وعندما طوب العرق بالوفاء بادرت الحكومة بدفع حصتها من الدين بتلك السندات التي لم تكلف الخزينة اكثر من ٢٣٠٠٠٠ پاون. وتم تسديد الدين كله بدفعة واحدة بدلاً من الاقساط التي اتفق عليها.

تقلد ياسين وزارة المالية خمس مرات. وامتنعت عليه وزارتا الداخلية والدفاع مطلقاً والى الأخير. اذ بقيت الشكوك تساور فيحصل والآخرين منه، بسبب ما ذكرناه سابقاً، وكذلك لتصريحات غير مدروسة او مسؤولة احياناً وتصور في اغلب الأحيان في مجالسه، ما تلبث ان تنقل الى المهتمين به - حول التقدم الذي أحرزته تركيا في ظل النظام الجمهوري. وفي

بدأت جلسات هذا المجلس في شهر شباط من العام ١٩٢٤ لسن الدستور (القانون الاساسي) وابرام المعاهدة. فقاد هو وكل من (ناجي السويدي ورؤوف الجادرجي والدكتور داود الجليبي وسليمان غزالة) المناقشات حول الدستور وكانوا جناح المعارضة الذي صوت ضد المعاهدة. واستخدم مواهبه الفكرية للوصول الى الصيغ الصائبة عند مناقشة مواد الدستور وبدا واصحابه القوى الفاعلة في المناقشات وروح المجلس وآتته المنشطة. لاسيما في مسألة تثبيت مبدء الفصل بين السلطات. والدقة في نصوص القانون حول الحريات الفردية وحقوق الشعب. ظلت هذه المواد تدل وتسمو على كل الدساتير التي سنتها الانقلابات العسكرية ابتداءً من ١٩٥٨ فصاعداً.

الا ان (ياسين) لم يكن صادقاً في دفاعه عن الحريات ولا مع جهوده في تشيبتها فقد امتهنتها حكومته اكثر من مرة وكان وزيراً مسؤولاً مسؤولية تضامنية في عدد من الوزارت التي قضت على تلك الحريات بالمراسيم الشاذة. وانتهى به الأمر أيضاً الى قبوله بالمعاهدة والاشادة بها بعد ان رفضها، وبعد ان ندد بالثانية في ١٩٢٧ وبالثالثة في ١٩٣٠ وبعد وصفه لها بكل ما يخطر بالبال - ليعلن جهاراً رضاه عنها عندما اتفق الملك والمندوب السامي على إسكاته بإسناد تأليف اول حكومة له في الثاني من آب ١٩٢٤، بوصفه «زعيماً للمعارضة» فقد كانا يريدان أن تقوم وزارته بتوقيع امتياز النفط بدون ضجة من معارضة وكان هو يريد ان يكون رئيساً للوزراء باي ثمن.

كان درساً مرأاً اثر في نشاطه السياسي ولم ينسه قط وبالنظر الى بريطانيا كان درساً مفيداً له كما وصفوه في تقاريرهم الدبلوماسية. فبعد ان أتمت حكومته التوقيع على الاتفاق ببضعة اسابيع افتعلت له مؤامرة صغيرة داخل أروقة المجلس النيابي، وحرم بالثقة منه، فأرغم على الاستقالة ولم تعمر حكومته غير احد عشر شهراً.

قلت ان (جعفر) العسكري ونوري السعيد) لم يكونا قط في وئام معه بل كان الجفاء متبادلاً إلا ان اولهما أرغم بالحاج من الملك على قبوله عضواً في وزارته التي الفها في ١٩٢٦ وزيراً للمالية لأن الملك كان يخشى بقاءه خارج الحكم قدر ما كان يقلق من بقائه داخلها. هذا ما اكده لكاتب هذه النبذة قبل اكثر من اربعين عاماً شخصية كبيرة المقام كانت يوماً ما تحتل منصباً في البلاط الملكي. قال لي:

«إن الملك لم يكن يخشاه في الواقع كما يتصور الكثيرون بل كان يحار من اين يسك به. وقد سمعته يردد اكثر من مرة وهو نافذ الصبر. ان (ياسين) واحدٌ من

الملف الخاص به في دائرة التحقيقات الجنائية العراقية اشارة الى انه صرح في العام ١٩٣٥ (لنصرت الفارسي) احد الوزراء بان النظام الجمهوري هو اصلح نظام للعراق.

كذلك بقي يقود جبهة المعارضة لكل حكومة لا يكون هو فيها. ومن اناط تصريحاته ما نقلت عنه مثلاً صحيفة (العالم العربي) بتاريخ ١٨ من تشرين الاول ١٩٣٠ حول المعاهدة البريطانية العراقية الثالثة:

«هدف المعاهدة الجديدة، لم تضيف شيئاً الى ما كسبه العراق بل زادت في اغلاله وعزلته عن الاقطار العربية واعدت ما بين جارتيه الشرقيتين تركيا ويران وصاغت لنا الاستقلال من مواد الاحتلال. ارجو من ابناء الشعب ألا يقبلوا بها.»

كانت بياناته وتصريحاته عادة طوال زعامته المعارضة اشبه بتحريض على ثورة. فمن بيان اصدره حزبه وبتوقيعه في ٢٠ من تشرين الثاني من ذلك العام - ضد حكومة (نوري السعيد) احتجاجاً على الاساليب التي اتبعتها وزارته للاتيان بنواب مدجنين الى المجلس الذي سيصادق على المعاهدة، تجذ هذه الخاتمة:

«يا ابناء العاصمة وملحقاتها الغيارى، هبوا للدفاع عن حقوقكم.»

وتألفت جبهة المعارضة من حزبه الجديد حزب (الاخاء) والحزب الوطني الذي كان يرأسه (جعفر ابو التمن). ثم اندغم الحزبان فيما بعد تحت اسم «الاخاء الوطني» الذي حمل راية الجهاد ضد المعاهدة.

وفي لحظة من هياج عاطفي قدر بعضهم انه كان مفتعلاً اكثر منه حقيقياً أثروا عنه ان مناقشة حامية دارت بين الملك من جهة وبينه وبين (ناجي شوكت ورشيد عالي) من جهة، قال للملك: «انك لا تقدم خدمة للبلاد بوضع توقيعك على المعاهدة». وهدده ثلاثتهم بالعمل على «اسقاط حكومة نوري السعيد وبالغاء النظام الملكي عند اللزوم».

وبمناسبة المعاهدة، قادت هذه الجبهة المعارضة بتوجيهه، اضراباً عاماً دام اسبوعين هز الحكومة ولم يسقطها. وصادق مجلس النواب على المعاهدة. إلا ان (ياسين) وصحبه خرجوا من المعركة بشعبية كبيرة... الى حين.

في العام ١٩٣٢ وهو العام الذي اشرف الانتداب فيه على نهايته وجد (فيصل) ان (ياسين) خير من يعهد اليه بتأليف وزارة. واشترط عليه ان يعلن قبول الحكومة التي سيؤلفها - بالمعاهدة. تردد (ياسين) وطال ترده ثم امتنع. عندئذ عمد الملك الى حيلة من تلك الحيل

التي كان يعالج بها عناد افراد الطبقة الحاكمة بين حين وآخر. واستهدفت الحيلة اولاً تمزيق حزب الاخاء الوطني المعارض بايقاع الشقاق بين زعمائه فاستدعى (رشيد عالي) الذي يلي (ياسين) في قيادة الحزب ولوح له بمنصب رئاسة الديوان الملكي فلم يتردد (الكيلائي) لعلمه بان هذا المنصب وهو الخطوة الأخيرة الى رئاسة الوزارة - وسيعينه على نيل الخطوة عند الملك والتأثير عليه.

بعد هذا عرض الملك قيام وزارة إئتلافية بأن جمع الخصوم في جلسة وهدد الجميع بانه سيتنازل عن العرش ويعلن اسباب تنازله معيناً فيها المسبيين بالأسماء. واعتكف (جعفر ابو التمن) وحلف يميناً غموساً بان يعتزل السياسة عندما علم بان (ياسين) كان في ذلك الاجتماع كذلك استقال كامل الجادرجي، وقبل (ياسين) مبدئياً الدخول في الوزارة الإئتلافية المقترحة، بعد ان اجتمع لهذا الغرض بالمعتمد البريطاني (فرنسيس همفريز) اجتماعاً طويلاً وصفه هذا بالسرية في احد تقاريره وجاءت فيه هذه العبارة:

«ان (ياسين) اندفع تلقائياً ليتعهد لي باستشارتي بنوع خاص ان سارت الأمور سيراً سيئاً!»

إن المسألة التي مازلت احاول تحليلها برأي معقول هي اصرار البريطانيين الغريب على تطويع (ياسين) رغم معرفتهم بان للرجل استقلالية خاصة لا ترمي الى خدمة أحد، بل اتخاذ الآخرين وسيلة لتحقيق طموح او هدف معين له، ففي الوقت الذي كان ناشطاً ضد المعاهدة، كانت هناك تقارير العقيد (ج. ف. ولكنز) مفتش الشرطة العام (فيما بعد) ببغداد، ورئيس المخابرات البريطانية في عين الوقت تكشف بأن (ياسين) داعب خلال فترة معينة وهو خارج الحكم فكرة الاتصال بالاتحاد السوفيتي في نطاق معارضة المعاهدة ووسيطه كما جاء في التقرير شخص يدعى (سيد محمود ابن عبدالحسين) سكرتير وزارة الاشغال العامة في اثنان وجود (عبدالمحسن شلاش) وزيراً لها.

كان (سيد محمود) عضواً مؤسساً لحزب الشعب الذي رأسه (ياسين) منذ تشكيله حتى انحلاله. لكنه خرج عنه في العام ١٩٢٥، ثم عاد اليه في ١٩٢٨. وجاء في تقرير (ولكنز) ان (ياسين) خوّل هذا الشخص صلاحية الاستمرار في مهمته مع روسيا. لم يكن (ولكنز) يعرف شيئاً عن طبيعته هذا الإتصال بدليل تعليقه «لا بد وان الهاشمي يدبر أمراً». والاتصال المشار اليه تم في ايران عن طريق (محمد مهدي الخالصي).

كان الخالصي المبعد عن العراق يتراًس حينذاك ١٩٢٨-١٩٢٩ جمعية عرفها باسم (جمعية

ما بين النهرين) معللاً اغفال اسم الدولة الرسمي الجديد بوصفه اختراعاً بريطانياً لا سند تاريخي له. وقد ضمت هذه الجمعية طائفة من علماء الشيعة ومجتهديها وعن أهدافها لا يعرف الشيء الكثير خلا أنها معادية للانتداب البريطاني وانها تعمل على اخراج البريطانيين من العراق كان (سيد محمود) هذا رسولها الذي انيطت به مهمة الاتصال برئيس المخابرات السوفيتي (الاوگپو U.G.P.O) في كرمناشا (ياكوف خانبيكوف).

جاء في تقرير (ولكنز) ان (ياسين) زود (سيد محمود) قبل سفرة أخيرة من سفراته العديدة الى ايران برسائل شخصية منه موجهة الى كل من المجتهدين (ميرزا محمد رضا الشيرازي) و(السيد ابي الحسن الكاشاني) و(سليمان ميرزا)، وكذلك (للسيد مهدي الخالصي) وكل هؤلاء من منتسبي (جمعية ما بين النهرين).

والأمر يزداد غموضاً عندما يذكر التقرير استطراداً بان الرسول (سيد محمود) هو في الواقع ابن اخ (السيد باقر واحد العين) معاون رئيس التشريعات في البلاط ببغداد.

أكان (الملك) على بينة مما يجري؟

بل أو كان ذلك يتم برضاه.

اكان يريد أن يفهم البريطانيين بما بوسعه ان يعمل بدونهم عن طريق تسهيل تسرب اخبار هذه الاتصالات اليهم وبصورة متعمدة؟

مما يدعم الميل الى هذا الرأي الأخير، ان العلاقات بين البلاط ودار المندوب السامي كانت على اسوء حال. ففي خلال ١٩٢٨-١٩٢٩ كان بين القصرين خلاف حاد سببه اصرار الملك على ان ينفرد العراق بمهمة الدفاع عن نفسه وان يسن قانون الخدمة الالزامية في الجيش وكان البريطانيون يعارضون في ذلك معارضة شديدة. حتى لوح الملك مراراً بالتنازل عن العرش، وقال لأحد زواره يوماً أثناء الازمة إن في العراق ملكين لا ملكاً واحداً (يقصد المندوب السامي).

فاذا كان الأمر هو تقصد فضح ذلك النشاط وايصاله الى البريطانيين بوصفه واحدة من حيل (فيصل) ومناورات الصغيرة، فعلينا أن نعلم والحالة هذه بان (ياسين) كان خلال هذه الفترة النادرة يعمل مع (فيصل) يداً بيد!

ومما بينه (ولكنز) في تقريره: ان المطالب التي عرضها (سيد محمود) على رئيس (الاوگپو). هو النظر في قبول عراقيين لتلقي التدريب العسكري والعلوم الحربية في المعاهد العسكرية السوفيتية، والمساهمة في نشاط وسائل الاعلام السوفيتية بالكتابة حول مساويء

الاحتلال البريطاني وحول امتداد نفوذه في العراق، ومهاجمة تصرفات المندوب السامي البريطاني في بغداد الخ...

وذكر (ولكنز) إن هذه المطالب «لم تتضمن مساعدة مالية. ولذلك كان اهتمام الروس بها شديداً».

ومهما كان الأمر، فستبقى حقيقة وأسباب هذه الاتصالات ونتائجها سرّاً مغلقاً إلا اذا تمّ العثور على اصولها بين مئات الاطنان من وثائق الأمن والمخابرات السوفياتية التي رفع عنها الحظر الآن.

مما يقوي الشك في ان (الملك) كان يعمل مع (ياسين) خفية وربما لوقت اطول من هذا. ان (فيصلاً) بدأ منذ اواخر ١٩٣١ حتى وفاته بالعمل على تحقيق حلمه بالهلال الخصب (مشروع وحدة سورية والعراق). ولم يكن سرّاً انه انتدب (ياسين) في اوائل العام ١٩٣٣ مبعوثاً خاصاً له لزيارة الدول العربية (القدس، القاهرة، دمشق، بيروت) لشرح الحاجة الى عقد مؤتمر عربي في بغداد، وقد تحدث (ياسين) اثناء وجوده في القدس مع مندوب صحيفة (الجمعية الاسلامية) حول الهدف الأساسي والاولي من عقد مثل هذا المؤتمر بان قال:

«لو نجح المؤتمر العربي المنشود في ايقاظ الأمة العربية وجعلها تدرك نواقصها والاطار المحدقة بها فانه سيحقق اول جزء من المهمة.»

ولنعد لوصول ما انقطع:

عندما؛ كلف (فيصل) (رشيد عالي) بتأليف الوزارة فانه وضع صديقيه (حكمت وياسين) في موقف عسير وارغمهما على اختيار واحد من اثنين: إما ان يتخليا عن (رشيد) كليةً، وإما ان يقبلا بالتعاون والدخول في الوزارة. (كان الملك قد اشترط على رشيد المتلطف ان يجعلها ممثلة لجميع المتخاصمين)، وبدا (فيصل) المنتصر الذي لا يقهر عندما اختار (ياسين) الدخول في الوزارة ومصافحة الخصوم، في حين رفض هو نفسه تأليفها بالصفة التي فرضت عليه كما أسلفنا!

وفي هذه الوزارة التي سميت بالوزارة القومية، وجد ياسين نفسه ملزماً بتحمل جانب من مسؤولية ما ارتكبته. وكان عليه ان يدافع عن تصرفاتها في جنيف امام عصبة الأمم.

ما أن شيع (فيصل) الى قبره حتى بدا (ياسين) فهو اعظم الساسة العراقيين نفوذاً. انزاح ظل هذا الملك القوي عن خلف ضعيف العقل مأفون لا حظ له في العلم والسياسة ولا اهتمام

بهما مهما قل ولم يكن بين الساسة الآخرين من يطاول ياسين ولا من يتمتع بشعبية كشعبيته. انطلقوا بعد أن انزاح عنهم كابوس الملك - يتطاحنون ويتناحرون ويكشر احدهم في وجه الآخر، ويدبرون المكائد، عصبية ضد عصبية وكتلة ضد كتلة. ودخلت سلطة البلاط في احتضار. وكثيراً ما كانت اقالة الوزراء وتعيينها بمجرد رأي يبيديه رئيس ديوان ملكي قوي التأثير، او بضغوط من ضباط الجيش وقادته.

لم يكن من غير المتوقع ان يدعى (ياسين) في العام ١٩٣٥ لتأليف وزارة. كان اتفاقاً بين الكتل والخصوم في الواقع يرمي الى تحطيم سمعته من جهة، ونتيجة للاعياء والعجز الذي منيت به الكتل السياسية. فاتفقت على هدنة بينها باختيار خصم الجميع.

ليس هناك ما يمكن وصفه بالثقة ولا امل باحتمال نجاح يحققه حيث فشلوا هم. الاتفاق كان يرمي الى ادخاله في زمرة الفاشلين وتحطيم شعبيته. وقد تحقق ذلك فوق ما قدروه بدورة عجيبة من دورات التاريخ، بمفاجأة محلية سياسية غير متوقعة. لم تختتم على حياة (ياسين) السياسية وحدها بل كان فيها نهاية حياته. ولم يكن وحده ضحيتها بل جرّ معه عدداً من خصومه، ووضعت العراق والبلاد العربية على خط الانقلابات العسكرية المدمرة.

في هذه المرحلة تغير طموح (ياسين) فيما يبدو. فلم يعد متحمساً لإقامة نظام جمهوري بل راح يعمل ليكون الرجل القوي في دولة ملكها ضعيف خامل الشأن لا يعبأ بالسياسة.

وربما ادرك من خلال علاقاته الأخيرة الوثيقة مع البريطانيين بأنهم سيحولون دون اية محاولة اقامة نظام جمهوري بدلاً من نظام قرروه هم واختاروا له اسرته الحاكمة ومنحوه شرعية افتقدها عند الجمهور. وكل ما نجده في وثائقهم ومراسلاتهم الدبلوماسية تشير الى حرصهم عليه الى حدّ الدفاع عن بقاء (غازي) رئيساً للدولة، ومعارضة كلّ المقترحات التي تقدم بها ساسة العراق اليهم بضرورة استبداله بأخر من الأسرة المالكة.

وأمام هذا الاصرار من (الوايت هاول) رضي ياسين بواقع الحال. وما جاء العام به رئيساً للوزراء حتى بدا وقد تخلى عن فكرة إقامة جمهورية. لكنه اراد ان يبقى الرجل القوي في العراق «لمدة عشر سنين على الأقل» كما اعرب عنه في خطابه الأخير بمدينة البصرة. فأخذها عليه خصومه دليلاً بأنه ما زال مقيماً على هدفه العتيق.

هناك رسالتان بين الوثائق البريطانية تصلحان دليلاً على هذا الانقلاب. كان السفير البريطاني قد بعث بهما الى وزير خارجيته: قال في الأولى:

«ان ياسين انبأني بصراحة، أنه قرر العدول بصورة نهائية عن معارضته (المعاهدة)، لأنه صار مقتنعاً بان لا بقاء للعراق من دون حليفته بريطانيا. وان هذا الحلف قد وضعت أسسه بنود المعاهدة العادلة.»
وقال في رسالته الثانية معلقاً على مقابلة جرت له مع ياسين:

«قال لي إنه سيجد في ياسين شخصاً جديداً يختلف عن ياسين الذي عرف قبلاً.»

ثم اكد ذلك لخلفه (السر ارشيبالد كلاك كبير) وبقا أثار زوبعة بسبب تلك الفقرة التي وردت في خطاب البصرة بتاريخ ٧ من أيلول ١٩٣٦ قبل الانقلاب بشهر واحد وأسبوعين - فاستدللاً بهذه الفقرة:

«إني كفيل بتغيير وجه العراق لو أتيح لي عشر سنوات من الحكم.»

بالإجراءات التي اتخذها رسمياً للحد من صيبانيات الملك، منتهزاً الآثار التي خلفتها فضيحة هروب شقيقته عزة مع نذل فندق واعتناقها المسيحية فقد هزت هذه الحادثة الأسرة المالكة وادت الى هبوط مقامها عند الرأي العام واستغل (حكمت) هذا بنطاق واسع اثناء اعداده خطته الانقلابية مع (بكر صدقي). وليس بمستبعد ان يكون قد اوصلها الى الملك بالشكل الذي يؤدي الى زيادة نفوته. هذا على الأقل ما كان يعتقد (ياسين) وهو في منفاه، استنتاجاً من حديث له مع أحد موظفي الهيئة الدبلوماسية البريطانية في بيروت بعد وصوله اليها.

من أهم الأخطاء السياسية التي عدت عليه هو اصطفاؤه المتأمر الاكبر (رشيد عالي) ووضع ثقته التامة به من بين سائر من عمل معه فقد رفعه اولاً الى المنصب الذي يليه في حزبه. واشركه في الوزارات التي تقلدها وافرده بوزارة الداخلية وهي أهم وزارة غير ملق بالاً على تحذير اصداقائه من طباع (رشيد) الجائحة وانانيته وتهافته على السلطة وسرعة تحول ولائه، حتى أنه ضحى من اجله بصديقه القديم (حكمت) عندما تنازعا بينهما ففضل (رشيداً). ولم يدرك غلطته تلك حتى عندما أثر هذا الحل العسكري والاجراءات القمعية الوحشية لحل مشاكل العراق في الشمال وفي الجنوب.

كان ياسين منتبهاً جداً - على ما يبدو لرد الفعل العنيف الذي احدثته جرائم (سميل ويخير) ولتواتر الشهادات عليها بشكل يصيح انكارها الرسمي فكاهة سياسية غير مستساغة تسد كل باب ومنفذ يؤدي الى تجريدتها من عنصر المبالغة بعد ان ضخمت حجمها

الصحافة العالمية وابتعدت بها عن الواقع، فصارت مئات القتلى آلافاً وعشرات القرى المنهوبة والمحروقة مئات. وحوكت حالات اغتصاب النساء وهتك الاعراض من عشرات الى مئات. جو اوروبي مشحون بالعداء شبيهه بذلك الجو الذي خلقتة الحكومة العراقية ضد الآشوريين في الداخل ومساوٍ له في اثناء وقوع الاحداث - علينا ان نتذكر بان ياسين كان مع (فيصل) في لندن ويرفقة نوري السعيد ورستم حيدر وانهم هم الذين اعدوا برقيات التحذير. وعندما عادوا كان الأمر قد فرط، ولم يعد اللوم والعتاب مجدياً. ولم يبق امام الحكومة غير الإصرار على نفي المذايح نفياً قاطعاً سواء برود رسمية على الصحف الاجنبية او بالرسائل والبرقيات التي كانت تبعث بها الى مجلس العصبة.

لا ريب وان عقلية (ياسين) المنطقية كانت عاملاً هاماً هداها الى ان نفي ما حصل جملةً وتفصيلاً لم يعد مجدياً وأن بعض المندوبين في مجلس العصبة قد تهيأوا له. ان اصرار الحكومة العراقية على النفي قد يغلق باب الاعتذار للجريمة والبحث عن مبررات وظروف مخففة لها. كما كان يعلم مقدماً بالموقف البريطاني الذي سيتبناه (السر جون سيمون) وزير الخارجية البريطاني وهو الانتقاد الصريح لما حصل.

تلا ياسين خطابه الذي تم اعداده باللغة الانكليزية ولم يكن يجيدها، تلاه بهدوء وتؤدة حسبها عليه بعضهم ترددوا وضعفاً وكرر كثيراً من محتويات الكتاب الأزرق الذي اصدرته الحكومة العراقية تبريراً لاجراءاتها في معالجة المشكلة الآشورية وألقي اللوم في المبدء على سوء تصرف الآشوريين والموقف الاستفزازي الذي مارسوه. لكنه ختم خطابه بهذه العبارة:

«ان الحكومة العراقية، تأسف للتجاوزات Excesses التي ارتكبت في شمال العراق. وبدرجة لا تقل اخلاصاً وصدق نية عن أسف الحكومات الاعضاء في العصبة.

ان الحكومة العراقية ستقوم باجراء تحقيق حول تلك الاحداث وستوقع العقاب العادل بمرتكبيها سواء في الأمر اكانوا من رجال الجيش او غيرهم.

ان الحكومة العراقية اتخذت الخطوات اللازمة لتعويض المتضررين ورعاية العوائل المنكوبة من دون تمييز.

وقد صممت ايضاً على ان لا تدخر جهداً في الحيلولة دون تكرار مثل هذه الحوادث المؤسسة التي خلقت اوضاعاً لاينفع فيها اي علاج.»

فيما يبدو كان هذا الاعتراف سبباً للحيلولة دون ارسال لجنة من العصبة لتقصي الحقائق، اذ عدل المجلس عن ذلك امام اصرار المندوب العراقي ودعم البريطانيين واكتفى بالموافقة على تشكيل لجنة لدرس قضية هجرة الآشوريين وارسال مندوب فيها الى بغداد ليقوم بالتعاون مع الحكومة على درس القضية من جوانبها كافة.

كانت الحكومة العراقية بطبيعة الحال تعتمد على ضعف الذاكرة الذي ابتليت به عصبة الأمم وهو سبب موتها وفشلها في معالجة المشاكل الدولية والاحداث الكبرى في الدول العظمى. فلم تذكر العراق قط بتنفيذ العهد الذي قطعه مندوبها بعقاب مرتكبي تلك التجاوزات ولا شكلت هيئة تحقيق وتنوسي الأمر كله.

بقي علي ان اطرح سؤالاً خامرني منذ زمن ومازالت لا اجده له اليوم جواباً. كان مندوبو الدول الذين حضروا مناقشة القضية الآشورية على مستوى وزراء الخارجية، (وياسين) لم يكن غير وزير مالية في حين وجد نوري السعيد وزير الخارجية معه عضواً لا رئيساً! فلماذا اسندت اليه رئاسة الوفد ولم تسند لنوري؟

في فصول سالفه أوردنا بتفصيل كاف قضية خروجه مطروداً من العراق عليلاً كسير القلب. عاش في بيروت اشهرات قلائل وتوفي في بيروت اثر نوبة قلبية في ٢١ من تشرين الثاني ١٩٣٧.

وبذلت اسرته محاولات كثيرة لحمل (حكمت سليمان) على نقل جثمانه ودفنه في بغداد. فامتنع حكمت متعللاً بالخوف مما قد ينجم عند تشييعه من مضاعفات. كان حكمت في الواقع يخشى ان يستغل خصوم حكومته تلك المناسبة لتظاهرة سياسية فكثيراً ما كان ينقلب تشييع الجنازات في العراق الى تظاهرات صاخبة. الا انه اشترط لموافقته أن يجري دفنه بصورة سرية للغاية، فلم يوافق شقيقه (طه) الذي كان مبعداً مثله. وفضل ان يدفن في دمشق. وهذا ما تم فعلاً.

جرت عادة كتاب الشرق ألا يخوضوا في حياة المشاهير الخاصة وان يجتنبوها عمداً قدر ما استطاعوا. هكذا كان الأمر منذ أن بدأ المؤرخون العرب والاسلام يدونون التاريخ لاسيما كتاب السير منهم استكباراً او تادباً وقد شذت عن ذلك واحدة من السير. واقصد بها سيرة الرسول العربي محمد بن عبدالله. ربما اجترأ الكتاب عليها لأنه صاحب رسالة ونبوة ولأن المسلمين كانوا بحاجة الى معرفة كل شيء عنه توضيحاً وتفسيراً لعمق رسالته الالهية وبعد آثارها على الصعيد العالمي والبشري.

وقد حاول كثير من كتاب هذا القرن كباراً وصغاراً بناء قصص حياة مشاهير العرب والإسلام فأخفقوا بالمستوى الأوروبي أخفاً مؤسفاً إذ لم يجدوا بين أيديهم من المادة الهامة إلا التافه اليسير. حاولوا مع هذا ان يبنوا منها شيئاً مذكوراً فلم يصادفهم نجاح يذكر.

نحن مثلاً لانعلم عن صبا ياسين شيئاً كما لانعلم عن حياة المدرسة والسنوات التي قضاها في استنبول. ولا في ميادين القتال. وكل ما وردنا عنه يعود الى فترة شبابه الأخيرة اي عندما بلغ الخامسة والثلاثين. وهذا ايضاً لا يكفي، لأن كثيراً من تصرفات المرء وتكامل شخصيته يرجع بالجذور الأولى الى مراحل الصبا والحداثة والفتوة.

والقليل الذي علمناه من حياة ياسين الشخصية والبيئية كان مظلماً قائماً. فشقيقه (طه) يذكر انه لم يكن كما يبدو سعيداً او مرتاحاً في حياته الزوجية إذ اشار في مذكراته الخاصة الى غرابة اطوار زوجته واتهمها بانها هي التي سببت له مرض القلب. كما انه وفي الوقت نفسه لم يذكر الأثر الذي احده موت وحيدته في العام ١٩٢٢. بل افاض في صبر (ياسين) وتحمله. الا ان (توفيق السويدي) ولم يكن له صديقاً - رأى ان متاعبه البيئية كانت من عمل يده بسبب تقتيره وبخله الشديد على نفسه وعلى آل بيته وحرمان زوجه من ادنى متطلبات الحياة الكريمة. الا انه لم يقتصد والحق يقال في ابداء اعجاب به بذكائه وقابلياته الذهنية ويورد مثلاً على بخله فيقول:

« كان بخله حديث المجالس. وسدارته كانت مضرب المثل لشكلها الغريب وتفاهة موادها... انها مصنوعة من اللباد والمفهوم انه لم يدفع ثمنها الضئيل لأن احد الاكراد قدمها له هدية وكانت معيشته في بيته موضوع التندر والنقد فقد بقي يسكن بيتاً حقيراً في قلب بغداد، لا يستقبل فيه احداً ويأنف الآخرون من دخوله في زيارة له. »

على ان هذا لا يستقيم الى حد ما مع خبر نشرته جريدة (كفاح الشعب) وهي جريدة الحزب الشيوعي السرية في عددها (تموز - آب ١٩٣٥). (والخطاب موجه الى الفاري):

« اتعلم ان رئيس الوزراء (ياسين) الذي يدعو الى الفضيلة نهاراً، يقضي لياليه مع عاهرة صغيرة تدعي ماري كزيرخان. »

والشهادتان ظاهرتا التناقض، فالبخل لا يستقيم مع العبث الجنسي وصحبة الغواني التي لا يقدم عليها الا من كان مبسوط اليد. فمن الذي يكذب ومن الذي يصدق؟

أفكان (ياسين) من اولئك الذين يسعون وراء السلطة او النفوذ للتعويض عما افتقدوه في

بيوتهم من راحةٍ مثلما يفعل كثير من اصحاب السلطة في ايامنا هذه وفي مختلف الاقطار التي تتعرض بيوت اللهو والعهر فيها لغارات رجال القانون واجراءاته فترحب بعقد صفقات مجانية تؤمن لها الحماية والتستر على نشاطها وحرية مزاولتها.

في تلك الفترة من تاريخ العراق لم يكن للمسؤولين مجال للاعتراف والاعتناء عن طريق اختلاس من اموال الدولة. فالموارد كانت ضئيلة والحساب عنها دقيق صارم والخزينة محكومة بضوابط وقيود في نهاية الدقة وفوقها رقابة شديدة من مديرية الحسابات العامة التي وضع اسسها موظفون ماليون مختصون بريطانيون بحيث بات من المستحيل ان يعيثر موظف مالي مسؤول بما هو تحت تصرفه إذ ما يلبث ان يفتضح أمره ولم يؤثر عن احد من رجال الدولة او الموظفين الكبار في العهد الملكي ان اتهم رسمياً باختلاس او اشيع عنه شيء من هذا القبيل ولا اقول هذا تنزيهاً، فالمسألة كما ذكرت انهم لا يستطيعون ولذلك تخفوا بالمثل الاسباني « انها ذات صون وعفاف لأنها لم تجرد من يعشقها ». ثم ما قيمة بضعة آلاف من الدنانير تختلس في حين كان هناك وسيلة قانونية اخرى مضمونة واعظم بما لا يقاس للاثراء الفاحش، تحميها الانظمة التي تسن لهذا الغرض؟

السييل السهلة والمضمونة هي استملاك مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية المصاحبة للانهار والجداول او الأراضي المطرية الخصبة، او تلك التي سيمتد اليها العمران بحكم مجاورتها للمدن والبلدات المهمة لاسيما تلك المزمع ادخالها او سيجري عمداً ادخالها ضمن حدود البلديات - بدون مقابل او بثمان رمزي زهيد.

ورثت الدولة العراقية كل الاملاك التي كانت تعود للسلطان العثماني، الى جانب تلك التي تعود رقبتهما للدولة العثمانية وتدعى بالاراضي الاميرية. هذه الاراضي بكل اصنافها واوصافها مالبثت أن صارت نهباً مقسماً بين اعضاء الأسرة المالكة الجديدة ورجال الحكم واعوانهم وانصارهم من شيوخ واغوات ورؤساء عشائر. ومعظم هذه الاراضي تمتاز بالخصوبة او بقربها من العاصمة. وقد شرحنا في الفصل الخاص (بحكم سليمان) كيف كانت قيمة الأراضي ترتفع فجأة الى مائة ضعف او مائتين عندما يدرکہا العمران فتنتقلب الزراعية منها الى قطع معدة للبناء. وهذا هو الطريق للاثراء الفاحش الذي هبط فجأة على من لم يكن يملك متراً مربعاً واحداً وقد عاد الى ارض الوطن وليس عليه غير بزته العسكرية القديمة وحقبيبة مهماته الشخصية. ولم يكن (ياسين) بوارث او ابن غني او اقطاعياً كافراد اسرة الجادرجي

ملحق

انوهنا بانطباعات كرتروود بل عن ياسينا وقد عثرنا في رسائلها التي نشرتها
زوجة أبيها السيدة اليزابيت بركويت Elizabeth Burgoyne على هذه الرسالة
المؤرخة في ٢٤ أيلول ١٩٢٢ (الصل ٢٩٧-٢٩٨) م٢ ، وهذه هي :

« كان ياسين الهاشمي يأتيني ليمدح الانكليز ويعتبرهم وحدهم منقذي بلاده. إلا أنني عثرت
على رسالة له كان قد بعث بها الى أحد أصدقائه في عين ذلك الوقت يصف فيها الإنكليز
بالطغيان ويطلب من الله العون على طردهم من البلاد.

أبدتُ للملك فيصل عجبني من هذا التناقض فأجاني هذا السلوك ليس غريباً بل هو مألوفٌ
عند معظم الناس هنا، حتى أنا. لأنهم رزحوا تحت وطأة الفاتحين المستعبدين الطغاة أكثر من
سته قرون فاضطروا الى اتخاذ المخاتلة وأساليب المكر ليعيشوا. ولو أنهم كانوا قد عاشوا
كالأوروبيين في ظل الحرية زمناً كافياً لتعلموا منهم أخلاق الأحرار. وقد استصوبت رأي الملك
فعلاً. »

والسويدي والسعدون. ولا من اولئك الذين تعففوا كأرشد العمري وصالح جبر ومحمد الصدر
ونوري السعيد من رؤساء الوزارات. وقد رأينا (ياسين) في العام ١٩٣٤ مديراً لشركة
السمنت العراقية براتب لا يتجاوز السبعين ديناراً شهرياً على ما قيل. ولكن ما جاء العام
١٩٣٦ حتى كان له من الاراضي ما قدرت مساحته باكثر من ٦٠٠٠٠٠ دونم في الكوت وفي
ضواحي بغداد.

شخصية قد تكون موضوع اهتمام ودراسة اي عالم سايكولوجي لفرط ما اجتمع فيها من
تناقضات، في ذكاء مازجه دهاء، وفيها جانبها الرائع الأخاذ وزواياها المظلمة التي تدعو الى
الإحراج وربما الخجل.

وفي حفلات التأبين عادة يتجاوز المؤننون ذكر السيئات ويظهرون الحسنات والجوانب المشرقة
من حياة المؤنن. ولست ارى في هذا الجانب الذي كشفه (رستم حيدر) صديقه الحميم الذي كان
سيلحق به بعد اشهر قتيلاً برصاص رجل عثمانى سابق - ما يؤخذ عليه في مبالغة أو
تزييف. فما قاله عنه يتفق وآراء كل من عرف (ياسين) عن قرب، قال:

« كان كثير التفكير، قليل الكلام. لكن اذا ما وجد الفرصة سانحة والضرورة
قاضية، وخاصة عندما يكون لهذه أو تلك علاقة بمصلحة عامة، او قضية علمية
فنية، وانطلق لسانه كالسيل المنهمر، فلا يترك صغيرة الا ويوشحها، ولا خفية إلا
ويكشفها. فيبهر السامعين بسعة اطلاعه وسديد رأيه ولست مبالغاً اذا قلت انه
اكتم رجال السياسة في العراق سراً واعفهم لساناً. ومن اقرهم مجلساً. »

ولتلاحظ انه لم يشفعها بعبارات أخرى تنسجم مع هذه، كأن يقول مثلاً « من انظفهم يداً،
وانقاهم ذمة. »

آل رسام والقضية الآشورية

موصلياً^(١). وذكر عن أصل أسرته فزعم ان اياه هو من الرعايا الانكليز قدم الى الموصل من جزر الهند الشرقية^(٢) حين روى للعقيد چسنی شيئاً آخر: قال أن أبا جدّه هاجر الى الموصل من ساحل مالابار بالهند.

وفي العام ١٨٣٧ ذكر عيسى (كريستيان) أن أبا جدّه كان واحداً من أغنياء الاسپان. أرسله البابا الى الشرق لهداية النساطرة وتزوج من امرأة حلبية وأنه توفي في حلب. وقال ان جدّه مع أخوات له انتقلوا الى الموصل وهناك تزوج من موصلية وكان من ثمار مجهوداته أنه نجح في تحويل خمسة وعشرين من المطارنة النساطرة الى المذهب الكاثوليكي^(٣).

وفي العام ١٨٢٧ بعث به ابوه الى روما لدراسة اللاهوت صحبة اثنين من الكهنة. فهاجمهم البدو العرب بالقرب من حلب وقتلوا الكاهنين وسلبوا كريستيان كل ما لديه إلا ما ساعده على الوصول الى القاهرة. حيث آواه ابن عم له يعمل في التجارة وهناك أوجد له عملاً. وفي هذه المدينة تعرّف على البعثة التبشيرية الأمريكية التي كانت قد فتحت لها معهداً قبل فترة وجيزة في جزيرة مالطة لتعليم ابناء الجزيرة، وقد جاءت معها مطبعة عربية لطبع كتب الدراسة وكانت البعثة بحاجة الى مترجم وقع اختيارهم في ١٨٢٩ على (عيسى البيغادي) كما قدّم لهم نفسه! وسرعان ما حظي باعجابهم لما تحلّى به من النشاط والدقة في أداء ما يكلف به وانكب بدون تردد على دراسة العربية والانكليزية. ووصفوه بذلك الذي لا بكل ولا يملّ في متابعاته اللغوية. وعين له مرتب شهري قدره عشرة دولارات اسبانية زيدت بعدها الى خمسة عشر.

في العام ١٨٣٥ عندما ترك كريستيان مالطة، كان قد ترجم الى العربية كتاب اسحق واطس Isac Watts الموسوم Historical Catechism: العقيدة التاريخية. قدّمه رئيس البعثة للعقيد چسنی قبل رحلته في الفرات مادحاً خصاله وأغدق عليه الثناء والمديح ما لا مزيد عليه قائلاً انه لم يلحظ فيه صفة حبّ المال التي عرف بها العرب فهو قانع وليس حب المال من طبعه. وأعجب به سائر أعضاء البعثة وكان فارغ الطول اسمر البشر له ملامح الطفل. ولا بد أن تكون (ماتيلد) باجر ابنة مدير المعهد المتوفى واحدة من المعجبين فقد تزوجته وعقد قرانهما في عيد رأس السنة ١٨٣٥. وكان (بادجر) الذي عمل في الموصل قد ترك ابنا واحداً يدعى (پرسی) وزوجة التحقت بابنتها في الموصل.

(٢) جمعية التبشير الكنسية (الأركيف) Church Missionary Society.

(٣) ايرل سلپورن راوندل پالم [ذكريات] نشرته الليدي صوفيا پالم Roundel Palmer Earl of Selbourne. Memorial. ed. by Lady Sophia M. Palmer. المجلد الأول ص ٢٦٢.

هذه أسرة كلداشورية موصلية النجار. عرفت بلقب رسام لامتهان عميدها أو أحد اسلافها حرفة طبع النقوش على الأقمشة المصنوعة محلياً أو المستوردة. بأصباغ ثابتة. وبنحصر عمل الرسامين الموصليين حتى إنقراض الصنعة في العقد الثاني من القرن العشرين تقريباً هو إعداد قوالب خشبية وحفرها بزخارف ونقوش هندسية أو تهاويل ثم نقعها بالصبغة المعدة وامرارها على القماش بنسق وترتيب. أدركت في صباي آخر من امتهن الصناعة واطلعت على نماذج من تلك القوالب كما استخدمت في بيتنا بقية أقمشة عولجت بهذه الوسيلة.

والاعضاء من الأسرة الذين بقوا مستقرين في الموصل حتى العقد السادس من القرن العشرين عرفوا بلقب (آل نمود) وهو اللقب الذي نازع اللقب القديم عندما عرفت مساهمة الأسرة الكبيرة في اكتشافات موقع نمود وهو العاصمة الآشورية (كالح) في التوراة (وكلحو) بالآشورية. كان الفرع الموصلي من هذه الأسرة يقطن الحي الذي يقع فيه منزل كاتب هذه السطور.

وهرمز رسام (١٨٢٦-١٩١٠) هو عميد الفرع البريطاني للأسرة. والد الكاپتن (النقيب) أنطوان رسام الذي ورد ذكره في كتابنا. وهرمز أشهر من نبغ من هذه الأسرة فقد خلدت اسمه وأعماله الكتب والموسوعات العلمية. واشادت بما أنجزه في عالمي التنقيب والسياسة وهو ليس بالقليل. وبعض الباحثين يضعه في مصاف مشاهير الرواد البريطانيين من أمثال ريشارد برتن. وگرتروود بيل ولورنس العرب وغيرهم. وهو الابن الأصغر لأنطون الذي كان اباً لثمانية من الاشقاء والشقيقات ومنهم عيسى (كريستيان) الذي استخدمه العقيد چسنی رئيس بعثة الفرات في ١٢ آذار ١٨٣٥ مترجماً لأنه يتكلم العربية وقد زكاه اليه صديق اسمه روز H. J. Rose وكان عمره اذ ذاك سبعة وعشرون عاماً، وأمه (تيريزا) هي حفيدة إسحق الحلبي من أهل حلب. ولا يعرف هل كانت ولادته في حلب أم في الموصل إلا انه بقي يعتبر نفسه مواطناً

(١) ت پنجس: [سيرة هرمز رسام] في قاموس (ملحق) بالسیر الوطنية. ١٩٠١-١٩١١. الص ١٥٨-١٥٩
T.Pinhus: Biography of Hurmazd Rassam

بعد عشرة اسابيع من الزيجة التحق كريستيان ببعثة چسني لارتياح نهر الفرات، تلك البعثة التي حُتمت بنهاية مؤسفة عندما أغرقت عاصفة هوجاء معظم طاقم المسح ونجا كريستيان وچسني واينزورث منها بمعجزة. وفي بغداد تلقى اينزورث أمراً بالعودة الى انكلترا عن طريق الموصل وكردستان فكانت فرصة كبيرة لكريستيان الذي رافقه كدليل. وتركوا بغداد في أوائل شباط من العام ١٩٣٧ ووصلا الموصل في نهاية ذلك الشهر ولحق كريستيان بأسرته بعد عشر سنين من الفراق. وبعث بطلب زوجته وحماته من مالطة.

كان (كريستيان) يعدّ في مقدمة المثقفين بين اقرانه فعلاوة على إتقانه اللغات العربية والسريانية والانكليزية كان يلمّ إماماً جيداً بالفرنسية. وبالنظر الى علاقات الاسرة التجارية الخارجية لاسيما مع تجار حلب والبيوت التجارية الكبرى في مانشستر وليفرپول بانكلترا، فقد أضحت دار آل رسام مقصد الاوروبيين الذي يؤمنون المدينة وأكثريتهم من الانكليز. الأمر الذي حدا بالحكومة البريطانية بناءً على اقتراح من المقيم البريطاني في بغداد - الى تعيين كريستيان نائب قنصل فخري لها في الموصل.

وتولت السيدة بادجر أرملة الدكتور الراحل تعليم (هرمز) شقيق كريستيان اللغة الانكليزية. وكانت فرصة امتحانه الأول فيها أنه رافق في العام ١٨٤١ عالماً نمساوياً قام بجولة علمية في جبال كردستان لدراسة نباتها وحيوانها. وشارك شقيقه الأكبر كريستيان أعماله التجارية في الخان التجاري المعروف بخان (الباليوز).

إدّخر القدر لهرمز حياة جديدة ومستقبلاً عجبياً عندما قدم الموصل في العام ١٨٤٤ (هنري أوستن لايارد)^(٤) الذي قدر له أن يغدو واحداً من أعظم الأثاريين في العالم ليبدأ التنقيب في

(٤) Sir Austen Henry Layard [١٨١٧-١٨٩٤] ولد في باريس وتولى منصباً قضائياً في لندن. أرسل من قبل المتحف البريطاني للتنقيب في نينوى فعثر على قصر اشورپانيبال ومكتبته الشهيرة في العام ١٨٤٥ وألحق بالسفارة البريطانية في استنبول (١٨٤٩-١٨٥١) ليشرف بنفسه على اكمال التنقيب ومباشرة التنقيب في موقع نمرود. مكتشفاته هزت العالم ورفعته الى مرتبة المشاهير. وكان عضواً في مجلس العموم لدورتين (١٨٥٢-١٨٦٠) ثم وكيلاً دائماً لوزارة الخارجية ثم وزيراً مفوضاً في مدريد وسفيراً لبلاده لدى الباب العالي (١٨٧٧ - ١٨٨٠) من أهم آثاره الكتابية هو كتابه: مكتشفات في خرائب نينوى وبابل Discoveries in the Ruins of Nineva and Babylon نشره في العام ١٨٥٥ فأحدث ضجة عالمية.

(٥) (قوينجق) كلمة تركية معناها مذبح الغنم. شاع هذا اللقب للتل بعد أن أقدم (كور پاشا) امير رواندوز في العام ١٨٣٠ على ذبح اليزيدية فوق هذا التل عند التجائهم اليه. ومن مكتشفاته في هذا التل وفي نمرود (كالح) مكتبة آشورپانيبال الشهيرة وقصر الملك الاشوري آشورناصريال وشلمانصر الثاني وقصر تغلات بيلاصر الرابع في كالحو (نمرود) وقصر اسرحدون وسنحاريب في تل النبي يونس. ويعتبر ما حمله هو الى المتحف البريطاني من أهم معروضاته في يومنا هذا إن لم تكن أنفسها.

الاطلال المجاورة للمدينة في تل قوينجق (نينوى) وتل (النبي يونس)^(٥) بمشاركة كريستيان ومعاونته. حيث سهل له اتصاله مع الموظفين المحليين وأمن له العمال والحراس.

بعد عمل سنة واحدة وبضعة أشهر. ادرك لايارد أنه مقبل على واحدٍ من أعظم المكتشفات الاركيولوجية في العالم وأنه بحاجة الى مؤازرة ودعم مالي فقبل راجعاً الى انكلترا لتدارك النفقات. وضمن مواصلة العمل في ١٨٤٥.

وعهد الى هرمز بالاستمرار في التنقيب إلا أنه توسمّ في (هرمز) ما حمله على استقدامه الى انكلترا والعمل على ادخاله (كلية المجدلية) في جامعة اكسفورد. لكنه لم يكمل دراسته اذ عاد (لايارد) الى الموصل في ١٩٤٩ وبعث بطلبه فترك اكسفورد بصفة موظف منتدب من قبل المتحف البريطاني وفي خلال السنتين اللتين عمل الاثنان معاً وخلالها توصلوا الى تلك المكتشفات الرائعة التي قلبت مفاهيم التاريخ القديم رأساً على عقب.

في ١٨٥١ ترك (لايارد) التنقيب الى غير رجعة وعهد المتحف البريطاني ل(هرمز) بأمر التنقيب لوحده فوسّع نطاق عمله ليشمل مدينة آشور وهي (قلعة شرقاط).

ان اعظم كشف حققه هذا الاركيولوجي المواطن هو اكماله ازالة التراب عن قصر اشورپانيبال ومكتبته المشهورة التي حوت عشرين ألف لوح آجري بلوحاته المرمرية البارزة النقوش التي تطرز اليوم مئات إثر مئات من الامتار من جدران المتحف البريطاني وتعدّ من أثنى مقتنياته.

في العام ١٨٥٤ عاد (هرمز) الى بريطانيا. ولم يلبث أن اكتسب الجنسية البريطانية وانضمّ الى سلك الخدمة البريطانية فيما وراء البحار. وأولّ وظيفة تقلدها هي وظيفة «مترجم سياسي» في محمية عدن (اليمن الجنوبي) بقي فيها ثماني سنوات وتولى مهمة القضاء فيها ثم أعطي عنوان «المقيم السياسي» وهو أرفع منصب بريطاني فيها. وكان من ضمن واجباته توثيق الصلة بين بريطانيا وبين القبائل العربية. وفضّ النزاعات فيما بينها.

في العام ١٨٦١ أرسلته حكومة الهند التي كان تابعاً لها مسلكياً الى جزيرة (زنجبار) لتمثيل المصالح البريطانية على أثر النزاع الذي نشب بين سلطانها وسلطان مسقط حول السيادة على الجزيرة.

وكان العام ١٨٦٤ فاتحة لتوطيد شهرة (هرمز) السياسية عالمياً. فقبل هذا التاريخ بسنتين كان عاهل الحبشة (النجاشي) قد زجّ في قلعة (مجدالا) القنصل البريطاني المقيم وعدداً من الانكليز اليهود المنتمين الى «جمعية يهود لندن» فأوعزت الحكومة البريطانية لهرمز بتسليم

رسالة احتجاج "لطيفة اللهجة" الى الملك الحبشي. وأرقت به حكومة الهند ضابطين بريطانيين من مرتبات الجيش الهندي فرحلوا وبلغوا (مسواح) ولم يأذن الملك لهم بمقابلته إلا بعد سنة من الإنتظار. في المبدء قبل (النجاشي تيودور) الوفادة وأمر باطلاق سراح المعتقلين وتم ذلك في ١٢ من آذار ١٨٦٦. ولم يلبث شهراً حتى ندم على ذلك فأمر بإلقاء القبض على الجميع فيما هم يتهيأون للعودة وطالب بقدية عنهم. ثم زجهم مصفدين بالحديد في قلعة (مجدالا).

ويحيلة متقنة تمكن (هرمز) من الاتصال بالحدود وبعث برسالة للسرّ (روبرت ناير) قائد حامية السودان. فبادر هذا الى تجهيز حملة عسكرية بقيادته وزحف على الحبشة ووجه انذاراً للملك في الثاني من شهر كانون الثاني ١٨٦٧. ولما لم يكن هناك أحد يعرف اللغة الامهرية غير (هرمز) فقد طلب منه ترجمة الانذار واستقدم من محبسه مصفداً وقام بترجمته «ترجمة أمينة» بكل ما فيه من تهديد وشدة وهو يعلم أنه يضع بهذا حياته وحياته رفاقه في خطر عظيم. على أن الملك خشى سوء العاقبة على ما يبدو فأمر بفك الأغلال عنه وعن رفاقه وأطلق سراحهم وسراح القنصل واليهود.

كانت حملة (ناير) العسكرية إذ ذاك قد بلغت اسوار القلعة التي سجنوا فيها فحوصرت وتم الاستيلاء عليها في ١٤ نيسان ١٨٦٨. وفي اليوم التالي أقدم الملك الحبشي على الانتحار.

وعاد (هرمز) الى عدن وظلّ يعاني آلاماً في جسمه جراء العامين اللذين قضاهما في ذلك السجن^(٦).

في العام ١٨٦٩ بنى (هرمز) بابنة ضابط بريطاني برتبة نقيب واستقال من منصبه في عدن وأنجز رحلات عديدة. ثم استقر به المقام في [توكنهام] و[يلوورث] منصرفاً الى الكتابة وفي ١٨٧٧ انتزع من حياة الراحة وانتدب للقيام بمهمة سياسية أخرى.

كان صديقه ووليّه (السر أوستن هنري لايارد) وهو الآن السفير البريطاني لدى الحكومة العثمانية قد اقترح على (الباب العالي) في أستانبول ارسال «خبير محايد» الى مناطق الآشوريين للتحقق من هجمات الكرد عليهم والعمل على حمايتهم في [سرت وبلديس وموش] وغيرها من المدن والقصبات. وبحول الموافقة كتب في ٢٤ من تموز ١٨٧٧ لوزير

(٦) دون هذه الأحداث في كتاب طبع في العام ١٨٦٩ بمجلدين عنوانه «بعثة انكليزية الى تيودور ملك الحبشة. مع ملاحظات عن البلاد التي ارتدت من مسواح والسودان وأمهرة ثم إياباً الى خليج أنسلي من مجدالا: British Mission to Theodore King of Abyssinia with Notices of the Country Traversed from Massowah Through the Soundan and Amhara and Back to Annesly Bay from Magdala.

خارجيته مقترحاً انتداب (هرمز) للمهمة. ولا بد وأنه كان في ذلك الحين يعمل لمصلحة المخابرات البريطانية لأن الوزارة كلفته بعد إناطة المهمة به ان يكتب تقريراً «جانبياً» ثانياً يتعلق بالوضع السياسي والعسكري في شرق تركيا وكردستان وارمينيا فرحل الى استنبول ومنها الى كردستان وارمينيا. وفي ١٥ من تشرين الأول ١٨٧٧ أنجز تقريره الرسمي في (وان) واعتبر في حينه أنزه وأدق تقرير من نوعه فمما جاء فيه مثلاً:

«إن عمليات القتل والنهب والتدمير التي وقعت لم تقتصر على المسيحيين من آشوريين وأرمن وغيرهم بل كان الأكراد الفلاحون المسلمون ضحايا لها أيضاً. ومن يقوم بهذه الاعتداءات، عصابات معينة طبعت على القتل والسلب والنهب وقد قتلت على الأقل ثلاثة من اعيان الكرد ابنا جلدتهم^(٧)»

أما التقرير «الجانبي السري» الآخر الذي كتبه لحكومته فلم نطلع عليه ولانظن شخصاً بمثل هذه الجرأة والشجاعة في قول الحقيقة قد سجل فيه شيئاً يخالف ما في التقرير الرسمي.

بعد أن قدم (هرمز رسام) تقريره هذا الى الحكومة التركية والسفارة البريطانية في استنبول، شدّ الرحال الى الموصل مسقط رأسه فكان له لقاء بأسرته من اخوان وأخوات بعد غياب زاد عن ربع قرن. وجاءته اعانة وتخويل من المتحف البريطاني للقيام بالتنقيب بصورة مواسم سنوية امتدت خمس سنين (١٨٧٧-١٨٨٢)^(٨).

استطارت شهرة (هرمز رسام) العلمية بعد نشر كتابيه: عروش وقصور بابل ونيوى The Thrones and Palaces of Babylon and Ninevah (١٨٧٦)، وأشسور وأرض نمرو Ashur and the Land of Nimrud (نيويورك ١٨٩٧).

وانتخب عضواً في الجمعية الجغرافية الملكية، وجمعية الاركيولوجيا التوراتية، ومعهد الملكة فكتوريا. ونال جائزة الاكاديمية الملكية في [تورين] بإيطاليا^(٩).

عاد هرمز بعد اتمام مواسم التنقيب الى انكلترا وعاش مع أسرته الكبيرة في (برايتون) يدون خلاصة تنقيباته. ولم ينجب من الذكور غير واحد وهو الكاپتن رسام الذي سنتكلم عنه - (٧) يحتفظ مؤلف الكتاب بنص كامل لهذا التقرير.

(٨) كان ذلك على أثر نجاح مجهودات السفير (لايارد) في الحصول على (فرمان) سلطاني يسمح بالتنقيب في الاماكن الأثرية في ولايتي الموصل وبغداد على حساب المتحف البريطاني. ولم يقتصر عمل هرمز في (كالح) و(نيوى) بل تعداه الى مواقع [بلوات] و[بابل] (تل ابراهيم) و[ابو حبة] (سييار). وعثر على آثار في غاية من الأهمية منها تلك الابواب البرنزية الشهيرة لقصر شلمنصر الثاني الآشوري. ورقم طينية هي تكلمة للمحة لكلامش.

(٩) هي جائزة نقدية قدرها اثنا عشر الف فرنك سويسري.

الى جانب ست شقيقات له.

بالعودة الى بقية الأسرة في الموصل. يبدو أن شقيق هرمز وهو (كريستيان) ظلّ يقوم بمهام نائب القنصل البريطاني الفخري حتى العام ١٨٩٣. لاشك أن بقاءه كان لاستطارة شهرة شقيقه. وقد وجدناه وهو في أواخر سن الكهولة نشطاً مضيافاً ينوه بخدماته وبإياديه المنقب والرحالة السر واليس بودج^(١٠) في كتابه الموسوم [على ضفاف النيل ودجلة By the Nile and the Tigris وهو كتاب رحلات تمتع غني بالمعلومات. كان هذا الأثاري قد خصّ الموصل بزيارة في ١٨٨٨-١٨٨٩. وكتب عنها فصلاً قيماً وحل ضيفاً على (نمرود رسام) ابن كريستيان مدة قصيرة [يعتبره بودج ابن أخت له] وذكر انه كان «يتكلم العربية والتركية والسريانية ويتقنهما على مستوى واحد ويكتبهما من دون جهدٍ، ويلمّ بالفرنسيّة». وقال انه عينه أثناء تنقيبه ناظراً مشرفاً على العمال براتب يدفع له شهراً بشهرٍ.

كان (نمرود) هذا قد عين بوظيفة نائب قنصل فخري خلفاً (لكريستيان) في العام ١٨٩٣. إلا أن الحكومة العثمانية رفضت الاعتراف به لكونه من رعايا الدولة العثمانية. عندها قدم السفير البريطاني طلباً بتعيينه «معتداً قنصلياً» فتمّ قبوله بهذه الصفة وبقي يشغل هذا المنصب زهاء أربع عشرة سنة حتى ١٩٠٧ عندما أسست قنصلية ثابتة في الموصل. ولم يستغن عن خدمات (نمرود رسام) مع ذلك، اذ عين موظفاً فخرياً فيها وبقي يزاولها حتى الحرب العامة الأولى.

ولنمرود هذا ابن هو (يوسف) وقد عاصرته وأتابني عنه في دعاوى قضائية وان كنت من جيل ابنه الأكبر الذي زاملني في الدراسة الابتدائية. استخدم يوسف عند الاحتلال البريطاني بوظيفة ادارية وتقاعد ايام الحكم المحلي وهو بمنصب قائم مقام لقضاء الشيخان وكان نائباً في مجلس النواب مرتين^(١١). قتل غيلة في داره عندما عمت الفوضى الدموية الموصل على أثر فشل محاولة الشواف الانقلابية في ١٩٥٩ وسبب قتله لم يكن سياسياً، بل لخصومة قضائية بينه وبين بعض اليزيدية من القرى المجاورة فقد انتهزوا فرصة تلك الفوضى فاقترحوا منزله وقضوا عليه ولم يطالب أحدُ بدمه ولم يجر تحقيق في مقتله كذلك الذي جرى بحق الآخرين.

ولد الكابتن (انطوان رسام) لهرمز في ٣١ من كانون الثاني ١٨٨٣ فهو ابن كهولة (ولعله

(١٠) Sir Wallis E. A. Budge من كبار علماء الآثار المصرية. من كتبه المنشورة الهكسوس (١٩٠٢) على ضفاف النيل ودجلة (١٩٠٢) كتاب الاموات (١٩١٠) المعجم الهيروغليفي (١٩١١) بابل (١٩٢٩) أساطير بابلية عن الخليقة ١٩٣١ الخ...

(١١) من ١٩٥٤ حتى ١٩٥٧، ومن ١٩٥٧ حتى سقوط النظام الملكي.

آخر من انجب) وسماه باسم الجدّ على اصول التقليد المتبع. إختار الحياة العسكرية وكان برتبة كابتن عند تسريحه في العام ١٩١٩ بعد مشاركته في الحرب العالمية الاولى. وتزوج فتاة بريطانية تنحدر من اسرة ارستقراطية. كان أول زيارة له للعراق في كانون الثاني من العام ١٩٣٠. وقد زعم انه جاء الموصل للتعرف على اقربائه وتجديد الصلة بهم. لكنه كان في الواقع يمثل جمعية اضطلعت بالدفاع عن حقوق الاقليات في العراق. فاتصل برؤساء الطوائف المسيحية، ورفض بعضهم استقباله كالارمن ورجال الدين الكلدان [كان قد تمذهب بالمذهب الانگلككاني] وحاول الحصول على موافقتهم لتمثيل طوائفهم في المحافل الدولية «دفاعاً عن حقوقها» لاسيما أمام عصبة الأمم، واتهم بأنه يتوسل بهذا الى الكسب المادّي على حساب التبرعات في حين لم تدع الجمعية الى ذلك قطعاً. واتهمته السلطات العراقية بأنه مبعوث سرّي للمخابرات البريطانية ولم يكن ذلك صحيحاً.

في حزيران من العام نفسه انضم اليه شخص آخر هو القبطان (العقيد البحري) [ماتيو كوب] لم يكن يعرف عنه شيء في بادئ الأمر وفي غضون ايام قلائل ختما إقامتهما وعادا الى لندن ثم رحلا الى جنيف ورفعا بتوقيعهما مذكرةً حول الخوف على مستقبل الاقليات العراقية بعد ابرام معاهدة ١٩٣٠. كما قدما للمنظمة الدولية تقريراً مسهباً في ٢٣ من ايلول من العام نفسه في عين الموضوع.

وعادا الى العراق وبرفقتهما الاميرال المتقاعد (سيمور هول) ووسعا اتصالاتهما ثم قدم ثلاثتهم في ٩ من كانون الاول من السنة عينها مذكرة أخرى الى لجنة الانتدابات الدائمة في العصبة وألحقوها في أوائل ١٩٣٩ بثالثة. وقد تضمنت هذه المذكرات انتقاداً للسياسة البريطانية ازاء الاقليات. وشجبت اساليب الحكومة العراقية في معالجة القضية الكردية.

كانت السلطات البريطانية تتخوف كثيراً من نشاط هؤلاء ففيه ما يعرقل سياستها وخطتها في العراق وكانت تخشى في الوقت عينه إغضاب الرأي العام الانكليزي الذي كانت تقف وراءه الكنيسة الانكليكانية بخصوص الاقلية المسيحية والأشوريين بصورة خاصة فلا تستطيع اتخاذ اية اجراءات للتخلص من هذين اللذين استطاعا بشكل ما أن يقنعا لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الامم بأنهما مخولان حقاً.

وفي لندن أعيدت تسمية الجمعية فصارت تدعى بـ«لجنة انقاذ الاقليات غير المسلمة في العراق» وراحت تنشر بيانات واحصاءات لا أساس لمعظمها تشويهاً مبالغاً وتختلط فيها الحقيقة بالخيال.

إن كان (انطوان رسام) يعمل بنية سليمة، فالقبطان (ماتيو كوپ) لم يكن كذلك ويستفاد من قرائن ودلائل انكشفت عند التحقيق في ماضيهِ وتصرفاته انه كان على الأرجح من صيادي الحظوظ الافاقين الذين يجدون في أي ماء عكر فرصة في العثور على لؤلؤة. لم يكن له ماضٍ سياسي وقد سبق وأعلن افلاسه في احدى المستعمرات البريطانية في افريقيا ففر هارباً من دائنيهِ كما أنه استلّف اموالاً ونقوداً في العراق من بعض الجهات وظلّ مديناً بها بعد طرده من البلاد. تراكمت عليه اثر اتصالاته الجانبية ببعض التجار المحليين وعقد صفقات موهومة على بضائع لا وجود لها نيابة عن بيوتات مالية وتجارية بريطانية لا علم لها به وقبضه اموالاً بصفة (عربون) منهم وهو عين العمل الذي مارسه في (نيجيريا).

كان (ماتيو كوپ) شخصية مشبوهة أفضل ما يوصف به أنه من امثال أولئك الشطار المغامرين الذي لا يخلو منهم مكان أو زمان. وجد في الكايتن (رسام) ومهمته ما يضيء على معاملاته المالية نوعاً من الحصانة والمصدقية فانضم اليه على ما يبدو.

مع أن هذه "اللجنة" كانت مقصورة على الإهتمام بشؤون الأقليات المسيحية واليهودية واليزيدية كما زعموا إلا أن هذين الرجلين وسّعا اتصالاتهما وحققا لقاءات معينة مع بعض الوطنيين الأكراد واعتزما تبني القضية الكردية.

كان وجودهما مصدر احراج كبير للسلطات البريطانية في العراق قدر ما كانا مصدر خوف وانزعاج من السلطات المحلية. لم يكن البريطانيون يستطيعون اخراجهما من البلاد بشكل رسمي خشية ثورة الرأي العام في بريطانيا الذي كان كما قلنا تدعّمه الكنيسة الانگلكانية ومعظم الصحافة، فعمدت دار المندوب السامي الى حيلة لطيفة للتخلص منهما. اذ بثت اشاعة مؤداها انهما من جواسيس وزارة الخارجية البريطانية ارسالاً خصيصاً لعرقلة المساعي المبذولة لإنهاء الانتداب وتعويق استقلال العراق فتلقفت السلطات العراقية الاشاعة وقامت بإجراءات قانونية معينة تمهيداً لطردهما من البلاد، وإليك ما فعلته:

في ٥ أيار ١٩٣١ ألقى القبض على تسعة أشخاص في كلٍّ من بغداد والموصل بتهمة التآمر على سلامة الدولة مالبثوا ساعات أو أياماً قلائل حتى أطلقوا بعد تفسير (رسام وكوب) مباشرة. ومن المقبوض عليهم (توفيق وهبي) متصرف السليمانية، و[معروف چياووك] متصرف كركوك فيما بعد، والوزير والمؤرخ [محمد امين زكي] فقد قبض عليهم لما زعموا بأنهم اتصلوا (بالكايتن رسام والقبطان كوپ) اللذين طلبا منهم تزويدهم بتحويل للدفاع عن حقوق الكرد امام عصبة الأمم وغيرها من المحافل الدولية على الأسس الثلاثة:

(١) أن يعتمد (انطوان رسام) كممثل للدفاع عن حقوق الأكراد السياسية.

(٢) اعتراف الأكراد بما ستقرر عصبة الأمم منحه من الأراضي للأشوريين.

(٣) موافقة الكرد على التعايش مع الأشوريين في المناطق التي يسكنوها من كردستان.

وتستطرد القصة لتقول أن الاكراد الذين اجتمعوا بهما رفضوا التوقيع على تخويل يتضمن هذه الشروط. وقيل أن (توفيق الوهبي) وكان في حينه على صلة بالشيخ محمود البرزنجي وثورته الأخيرة، رأى وحده ودون غيره أن التعاون مع هذين قد يكون مجدداً في تأمين نوع من الادارة الذاتية للكرد وورد في تلك التحقيقات ايضاً أنه سافر الى (حلب) للاجتماع بهما.

كان الأمر كلاً بمثابة ستار لتغطية عملية طرد هذين «المشاغبين» فكلّ ما تمّ على افتراض صحة ما ذكرنا لم يكن يرقى الى جريمة في ذلك الوقت الذي كانت تبحث فيه قضية الاكراد ومستقبل الاقليات بصراحة لا في العراق وحده بل في اوربا. وأطلق سراح المعتقلين المسيحيين كما قلنا واسدل الستار عن القضية وكان هذا آخر العهد (برسام) وزميله.

لم تثمر مساعيه في تثبيت اي شيء يزيد عن الضمانة التي طلبتها عصبة الأمم من الحكومة العراقية ووقعتها في ١٩٣٢^(١٢). ولم يسمع شيء كثير عن مجهودات (رسام) ولا عن جمعياته بعد ذلك لاسيما في احداث آب ١٩٣٣ وأظنه اعتزل وقيل انه توفي في ١٩٥٠.

ما الذي جناه الأشوريون والأقليات الأخرى من تدخل كايتن رسام؟ بالأحرى ما الذي جناه لنفسه من تفحّمه ميداناً ليس هو فيه طرفٌ ولا صاحب قضية؟

يقيناً أن قضية الاقليات العراقية لم تكن في ذلك الحين في حاجة اليه أو الى امثاله.

فهو بجنسيته الانگليزية غير مؤهل لتولي أمر الدفاع رسمياً عن حقوق سياسية للاقليات العراقية ولا عن مصيرها امام المحافل الدولية. وليس له والحالة هذه أن يمثلها أو ينطق باسمها امام عصبة الأمم، ولا أن تقبله عصبة الأمم بهذه الصفة لأنها مقيدة بميثاقها، وميثاقها لا يمنح (رسام) وأمثاله أكثر من حق مخاطبتها كفرد من الأفراد لا صفة نيابية أو رسمية له وأن تقبل مذكراته على هذا الأساس وتستأنس بها لا غير.

وأستبعد أنه كان يجهل هذه الحقيقة.

وإذا كان هؤلاء الذين اجتمع بهم في العراق يجهلون، أفكان في نيته خداعهم؟ لانعتقد انه

(١٢) راجعها في الجزء الرابع من هذا الكتاب.

ملحق

عثرنا على هذا النص في ص ٨٥ من كتاب جون س . گست John S. Guest الموسوم Survival Among The Kurds وقد نقله من كتاب ساوثغيت Southgate الموسوم : حكاية عن زيارة للكنيسة السريانية (اليعقوبية) في ميسوپوتاميا Narrative of a visit to the Syrian (Jacobite) Church of Mesopotamia ط . نيوبيورك سنة ١٨٤٠ ، ص ١٣٦ :

« عندما ارتفع العلم البريطاني لأول مرة فوق بناية قنصلية الموصل ، سعد جميع الموصلين الى سطوح بيوتهم ليشهدوا المنظر ، ويقوا معظم ساعات يومهم فيها يبجلقون في هذا المنظر العجيب . وقد ملأت المسيحيين الغبطة والإعجاب لمظهر الصليب وهو يخفق ويرفر في الهواء ، في حين ذهب المسلمون المستنكرون الغاضبون الى الباشا وشكوا بأن العلم أعلى من الهلال الذي ينتصب فوق مسجد قريب منه . »

كان يضمّر سوءاً لأحد . كان يريد خدمة ابنا جلدته ليس الآ . لم يكن (رسام) ولا زميله عميلين لبريطانيا وهممنتها على مقدرات العراق آنذاك كانت كاملة لا تحتاج الى من يتسقط لها الأنبا حول ما يحصل فيها فهناك كثير من المتبرعين ، ورجال الحكم الذين نصبتهم كانوا يتسابقون في تزويدها بكل كبيرة وصغيرة تحصل في البلاد ، إلا أن سياستها كانت ستضارّ فعلاً باثارة هياج واضطراب في الاقليات . ولذلك أسرع للتخلص منهما باطلاق إشاعة كونهما جاسوسين وتركّت أمر اخراجهما للحكومة العراقية .

في الوقت الذي كان (رسام) ينشط من وراء جمعيته «لانتفاذ الاقليات» لم يكن هناك ما يستدعي عملية الانتفاذ . لم يكن هناك خطر حالاً يتهدد أي أقلية . باستثناء قلقها على مستقبلها بعد زوال الانتداب وهذا القلق يمكن أن ينظر اليه بوجهين .

فمن كان يسكن هذه البلاد سكنى قرار قروناً سحيقة تخوف من عودة للحكم العثماني بشباب اسلامية عربية بعد أن نعم بحرية وأمن وتحرر من الخوف خلال ثلاثة عشر عاماً من الانتداب البريطاني افتقد لها طوال ثلاثة عشر قرناً . كانوا يتخوفون من فقدان الحرية وبعض كرامة وقرها لهم المحتل الأوروبي بمجيء حكم شبيه بالحكم العثماني وما سبقه .

أما الآشوريون الذين جاؤا من حكاري وأورميه في الظروف القاسية التي قيل الكثير عنها فيما سبق فقد كان خوفهم على مصيرهم ومستقبلهم حقيقياً ، وفيه كثير من المشروعية ، استخدمتهم سلطة الانتداب كبضاعة عسكرية رخيصة قليلة التكاليف لقمع الثورات الكردية ، وبمثابة رمز لسلطتها وعنجهتها على سائر البلاد العراقية المستحدثة . فنالوا جراء ذلك كرها وحقداً من الكرد ونفوراً من سكان البلاد العرب لا يستأهلونهما . مع هذا وفي وضعهم هذا لم يكونوا في حاجة الى (كاپتن رسام) أو امثاله لترويج قضيتهم ، هؤلاء ماكانوا يستطيعون عمل شيء لتغيير الحال اذ كان كل شيء مرهون بالسياسية التي ستستقرّ عليها الحكومة البريطانية ازاء البلاد والأقليّات ولذلك ارى أن تدخل (رسام) كان من قبيل الاعمال العاطفية الصرفة وغالباً ما ينجم عن مثل هذا التدخل ضرراً . وقد حصل ذلك فعلاً اذ زاد تدخل (رسام) من الشك في نوايا الآشوريين . هذا بافتراضنا سلامة النية ونبيل القصد إن لم يكن يخفي تحته غرضاً آخر كاطلاب المجدد والشهرة اللتين داننا لأبيه وأخطأناه .

وما يقال عن الآشوريين يقال أيضاً عن الكرد الذين حاول (رسام) تبني قضيتهم بضمّ القضيتين معاً . فقد كانت المسألة الكردية واضحة ولها رجالها وابواب عصبة الأمم مفتوحة لزعمائها . وأرض كردستان ساحة معركة متواصلة لم تنته فصولها بعد .

مار شمعون (ايشاي) الثالث والعشرون
والأزمة الآشورية
١٩٧٥-١٩٠٩

أُتخذ البطريرك مدينة الموصل مقراً له. وفيها مقرّ البطريرك الكلداني صنوه الى جانب مقر اسقف للطائفة السريانية الكاثوليكية. ومقر رئيس اساقفة لطائفة السريان اليعاقبة.

سرعان ما وجد البطريرك الشاب نفسه في مركز الأحداث. ولم يكن سرّاً انه وهو القليل التجربة والمعرفة بالموطن الجديد - أن عمته [سُرمه] أو [سرمه خانم] كما كانت تدعى هي التي قامت بتربيته والعناية به وتوجيهه. وكانت راهبة متبتلة كثيرة الوقوف على التقاليد القوميّة وعلى قدر كبير من الذكاء وسعة الحيلة. تتكلم التركية بطلاقة وتتحدث باللغتين العربيّة والانكليزية وتلم بشيء من الفارسية والفرنسيّة. كانت تقف وراءه وتوجهه ويأتي ابوه (داود) بالدرجة الثانية الى جانب عدد صغير من المتعلمين. ويقول عنه عارفوه في تلك الفترة انه كان يظهر كثيراً من التردد وعدم الثبات على الرأي عندما يترك وحده ويضطر الى اتخاذ القرار بنفسه.

ولقد قيل الكثير عن هاتين الشخصيتين فيما سبق كما أورد المقدم ستافورد طرفاً عن مساهمة هذين في الاحداث التي وقعت. إلا أنه أغفل اثبات نصّ رسالة مار شمعون الجوابية لوزير الداخلية الذي طلب منه فيها توقيع التعهد وجعله شرطاً لرفع القرار باحتجازه وسفره الى الموصل. وقد نقلناها بترجمتها العربيّة المحفوظة في ملف وزارة الداخلية العراقية دون محاولة اصلاح أخطائها اللغوية:

سيدي الوزير:

اعلمكم باستلامي كتاب معاليكم المرقم س ١١٠٤ والمؤرخ في ٢٨ أيار ١٩٣٣ واني مع الاحترام اللائق أجيّب على نقاطه الضرورية بما يلي:

(١) بخصوص مواجهتي معاليكم في الموصل بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٣٣ فهل لي أن أذكّر معاليكم بالمحادثة التي جرت بعد ذلك، إذ قال معاليكم بأنكم تستهدفون خطة تعاون جديدة فيما يخص مشروع اسكان الآثوريين ويصدر كتاب بذلك الى المتصرفية يطلب فيه استشارتي في جميع المسائل التي تمس الآثوريين.

(٢) مهما كان قانون الطائفة المذكور في كتاب معاليكم عاملاً مفيداً، فيظهر أنه تدبير قبل اوانه في هذه المرحلة نظراً الى أن مثل هذا القانون ضروري تطبيقه على طائفة مستوطنة. فضلاً عن ذلك فانه يحتاج الى الوقت لمراجعة قوانين الكنيسة لوضع هذا القانون.

ولد البطريرك في الثامن والعشرين من شهر شباط في قرية (قدشانس) بحكاري. ونصب بطريركاً في معسكر بعقوبة خلفاً لشقيقه الذي توفي بداء السلّ في العام ١٩٢١ وهو ابن (داود) شقيق مار شمعون بنيامين الحادي والعشرين الذي اغتاله اسماعيل زعيم الشكاك كما سبق بيانه ولم يجر نصبه بهدوء وتزعم الفريق الذي عارض في نصبه (بطرس آغا).

في الواقع كانت المعارضة سياسية الطابع وليست دينية، وهي ظاهرة من ظواهر النزاع على الرئاسة والقيادة بدأت في أورميه منذ أن برز (آغا بطرس) قائداً عسكرياً ينافس بيت آل شمعون في ولاء الآشوريين. وآغا بطرس البازي وهو كاثوليكيّ المذهب لا يحق له من الناحية الدينية الصرفة التدخل في شأن هو من صميم شؤون كنيسة الشرق. فضلاً عن هذا فقد كان ايشاي الصبيّ الوحيد الذي تتوفر فيه شروط البطريركية المحصورة بأسرة آل شمعون وحدها وبحسب التقليد المتبع أرسل (ايشاي) في العام ١٩٢٥ الى انكلترا ليتلقى دراسة دينية في كلية اللاهوت التابعة لرئيس اساقفة كانتربري وعاد بعد ثلاث سنوات ونيف.

كل ما بلغنا عن فترة دراسته تلك أنه بات ملماً إماماً جيداً بالتحدث بالانكليزية وذكر انه التقى خطاباً بمناسبة حفل التخرج تكلم فيه عن مذابح العام ١٩١٨ في أورميه وسلماس.

في العام ١٩٢٨ كان والده [داود] قائداً اسمياً لقوات اللبقي يعنون (راب خيلا). والظاهر أن السلطات البريطانية لم تر مانعاً من تلبية طلب الأب باستقبال ابنه كما يستقبل رؤساء الدول والحكومات، وعندما نزل الشاب ذو التاسعة عشرة من الطائفة التي أقلته وجد في تحيته حرس شرف من اللبقي بقيادة الوالد.

في ذلك الحين كان العراق تحت الانتداب والسلطة الفعلية للبريطانيين الذين لم يجدوا في مظهر احتفاء والد بولده إلا نوعاً من المجاملة لشعب نزلت به الكوارث الجسام ولعلهم لم ينتبهوا الى التأثير الخطير الذي يحدثه مثل هذا الاستقبال العسكري الرسمي في نفوس الآشوريين البسطاء.

(٣) أمّا العبارة «السلطة الزمنية» التي لمح اليها معاليكم بقولكم: «لا يسع الحكومة الموافقة على تخويلكم اية سلطة زمنية» يسرّني أن أعلم كيفية تفسيركم لهذه العبارة وإن كنت لأرغب في الإسهاب في هذه النقطة فأخال أن يقتضي لي أن أحاول شرح عبارة «السلطة الروحانية والزمنية» المتحدّين في هذه القضية الخاصة بالبطريرك الجاثليق في الشرق إذ يستبان لي أن معاليكم والحكومة قد اتخذها بنظر خطير.

إنّ سلطة هذه البطريركية تاريخية عظيمة واستعمالها موروث عن تقاليد الشعب والكنيسة الآثورية، وانها كانت من أهم العادات الثابتة. انني لم ادّع بالسلطة الزمنية وانما ارثتها من قرون مضت كنتخويل قانوني من الشعب الى البطريرك وهي لم تكن مباحة فحسب بل كان معترفاً بها رسمياً فيما مضى من قبل الملوك الساسانيين والخلفاء المسلمين وخانات المغول وسلاطين آل عثمان ولايكن العثور على سوء استعمال لهذه السلطة في زمن أي ملك أو حكومة كان الشعب الآثوري من رعاياها فضلاً عن أنها لا تحول بحالٍ من الأحوال دون تطبيق قانون البلاد فقد ثبت انها أحسن طريقة للنظر في شؤون الشعب الذي يعيش تحت الظروف التي فيها الآثوريون.

فبموجب الظروف المتقدمة اني آسف جداً أن أقول بانه يستحيل عليّ العمل بأمركم في التوقيع على الوعد التحريري الذي املاه معاليكم اذ لايعني مثل هذا العمل سوى أنني راغب في سحب نفسي من خدمة شعبي، ذلك الواجب الذي كان كما عرضت عبارة عن تخويل قانوني لي من قبل الشعب وهو وحده له الحق في تجريدي منه.

وبهذه المناسبة اودّ أن أبين بأني استغربت كثيراً التدبير الذي كان ينوي معاليكم اتخاذه تحت الظروف الحالية بأن يطبق مثل هذا العمل بحق أحد العصاة. وإذا كان الأمر كذلك فهل لي أن أسال معاليكم ماذا كان شرفي وشرف شعبي لم يهن؟

لا أتمكّن من العثور على سابقة لعمل معاليكم هذا، ما لم ألق اللوم على نفسي لأنني عرضتُ باخلاص قضية الشعب الآثوري بصورة قانونية امام السلطة المنتدبة سابقاً وعصبة الأمم وحكومة صاحب الجلالة بغية تأمين حلّ لها. ذلك الحل الذي أعتقد بانه في صالح كلّ من يهمه الأمر.

(٤) أما بشأن الزعم اني اتخذتُ الى الآن موقفاً معاكساً بل سلبياً تجاه مشروع إسكان الآثوريين. فان هذه النقطة ايضاً كان معاليكم قد رفعها (يعني أثارها) شفوياً أثناء لمواجهتي معاليكم في الحادي والثلاثين من شهر أيار عندما طلبتُ أكثر من مرّة بيان حقائق هذا الزعم. إن هذا يزيد في احباط عزيمتي عندما افكر في مساعي المتواصلة لإقناع شعبي الآثوري بالإستقرار وأن يصبح عنصراً مفيداً في هذه البلاد كما كان حتى الآن.

أختم كتابي هذا بتقديم احتراماتي الى معاليكم وأعتذر عن كتابته بلغة أجنبية لأنه ليس لديّ في الوقت الحاضر كاتب لائق باللغة العربية واذا توجد هناك اية نقاط يودّ معاليكم أن يعلمها فاني أكون ممنناً جداً الى الاجابة عليها لأنني انوي مغادرة بغداد يوم الاثنين مساءً الموافق ٤ حزيران ١٩٣٣. [التوقيع]

وعلى أثر وصول هذه الرسالة أصدر الوزير امره باحتجاز مار شمعون في بغداد ومنعه من مغادرتها حتى يوقع التعهد.

لايكنني إغفال التعليق على هذه الرسالة التي تمثل آخر ما تبودل بين مار شمعون ووزير الداخلية من الرسائل.

ترددت عبارة «السلطة الزمنية» وهي حجر الزاوية في الخلاف - مرات عديدة من دون أن يجد وزير الداخلية حاجة لسؤال طالبها عما يقصد بها أو يطلب منه تحديدها بشكل ناف للجهالة. وربما كان ذلك غفلةً منه وجهلاً. أو ربما تعمد أن يغفل الطلب ليزيد في المشكلة تعقيداً وليتخذها عذراً لإجراءات عنيفة كانت قد تقررت من قبل الحكومة «لإلقاء درسٍ على الآشوريين». أو تأديبهم من الجانب المقابل لم ير مار شمعون (بالأحرى مستشاروه وكُتابه) أن يحدد قصده من العبارة تحديداً نافياً للجهالة، إمّا لانه لم تكن لديه اي فكرة واضحة عنها، أو لأنه تعمد أن تبقى غامضةً.

كان الشك العظيم في النوايا متبادلاً بين الطرفين من البداية وقد بقي يسود العلاقات والمناقشات الى الأخير دون أن يحاول أحدٌ من الأطراف ازالته، وعندما يكون الشك غالباً يغدو التعاون على الحلّ مستحيلاً ويتبارى الطرفان في خلق العراقيل والعقبات للوصول الى طريق مسدود .

ولو كان مار شمعون على معرفة بتاريخ المسيحية وعلاقات السلطات الدينية بالدول التي اثار اليها في مذكرته لتردد كثيراً في اثاره مثل هذه النقطة الشائكة وفي موقف ملتهب. لو

عرف نزرأ يسيراً مما عرفه كلُّ باحث ومؤرخ عن تاريخ علاقات المسيحيين «الحقيقيين» بالحكام والملوك والدول المستبدة التي تعاقبت على حكم شعوب الشرق الأوسط، ولو أدرك هو والآخرون أن هذه الأقلية الدينية بقيت أقلية لا تتمتع إلا في فترات قصيرة جداً «بالأمان» وبشيء من الضمان من الاعتداء الفردي أو الحكومي تبعاً لمزاج الحاكم ونزواته. بل سيجد الباحث أن مسيحيي العراق مثلاً وهم أتباع كنسية الشرق الآشورية. قد مروا بما مرَّ به اليهود في صدر عهد النازية (قبل معسكرات الاعتقال) من تمييز في القيافة واللباس ووضع شارات تدل على انتماهم الديني^(١). ومن المفيد أن نذكر أن المذهب الذي رسا عليه الآشوريون من المذاهب المسيحية والفرق الدينية التي تعددت قبل الاسلام وبعده كان موضع اضطهاد اباطرة البيزنطيين المسيحيين.

السلطة التي عرفتها مذكرات البطريرك «بالزمنية» لم تكن في الواقع إلا صدئاً لما كان الخبر الآشوري قد أنيط به أيام الحكم العثماني من واجبات. مثلما كان يناط برؤساء العشائر الكردية من مهام، وأهمها بنظر الدولة جباية الضرائب. فقد رأت أن ذلك يوفر لها الجهود العظيمة والمتاعب في جباية الضرائب من الأفراد مع ما يستلزمه ذلك من موظفين. والجباية بحد ذاتها تقضي أن يمنح الموكل بجمعها سلطات معينة يمارسها نيابة عن الحكومة وبواقع كونه وسيطاً بينها وبين افراد مجتمعه. وقد بقي الحال على هذا المنوال حتى مصرع الامبراطورية وتجزئتها ولم تكن الدولة في أي وقت من الاوقات قد نجحت في وضع دعائم حكومة عصرية وأخفقت المحاولات كلها خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لجعلها كذلك.

وارجَّح أن البطريرك كان في ١٩٣٣ يفكر في مثل هذه الوكالة التي تمهد له السبيل

(١) يعتز الآشوريون (اتباع كنسية الشرق) كثيراً بكتاب زعموا ان الخليفة العباسي الحادي الثلاثون المقتفي لأمر الله [١١٣٦-١١٦٠م] وجهه الى بطريركهم عبد يشوع والمؤرخون العرب يعدون هذا الخليفة من بين قائمة طويلة لأسماء الخلفاء الضعفاء الفاقدي السلطة الذين كانوا تحت رحمة السلاطين والحكام الأجانب - الوحيد منهم الذي تمتع بسلطة فعلية على جزء كبير من العراق رغم أن نصبه خليفة كان بارادة السلطان مسعود السلجوقي. وصلنا هذا الكتاب نصاً وهو في الواقع صك أمان من جهة، وتأكيد سلطة الخليفة وحقه في فرض الجزية على المسيحيين وجبايتها لنفسه ووعده بضمان الحرية الدينية ووقف اعمال التعدي التي اشتدت في نصر السلاجقة الاتراك المتشددين.

ويخيل لي أن مار شمعون هنا كان مبالغاً جداً في وصف ما دعاه به (السلطة الزمنية) شبه المصانة والمحترمة من قبل الحكام الغابرين في معظم الأوقات كان البطارقة النساطرة تحت رحمة السلطة العثمانية اينما وجدوا. كانوا عرضة للعزل والاستبدال والتفريم، والحجز والمصادرة واساءة المعاملة [راجع كتاب الأب البير ابونا الموسوم: تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية. ط: دار المشرق بيروت ١٩٩٣].

للمحافظة على سيطرته وآل بيته كالسابق. إلا أن الزمان قد تغير. وكان هناك جهود جدية من الحكام الجدد ومن الدولة المنتدبة لخلق إدارة عصرية وحكومة دستورية لتكون بحاجة الى وسطاء لفض النزاعات الاقليمية أو الاقرار بوجود المحاكم ودور القضاء ولاحتياج الى من يقوم بجباية الضرائب لها. ومن المستبعد أن يجهل مار شمعون ومن هم وراء مذكراته هذه الحقيقة. كان واضحاً منذ البداية أن الطبقة التي خلقها البريطانيون من موظفي وضباط العهد العثماني إنما جاءت لتحكم حكماً فعلياً لا مجال للتفكير في التنازل عن جزء منه لأية جهة كانت. حكومة عصرية بأجهزة دستورية ومظاهر دستورية، تشير الدلائل كلها أنها تحظى بدعم قوي من أقوى امبراطورية في العالم. إلا أن هناك عاملين جوهريين ادَّى الإفراط في التفكير بهما إلى ضياع معالم السبيل الصحيحة للخروج من المأزق.

كانت أسرة مار شمعون تريد أن تؤكد سلطانها وقيمومتها على سائر الآشوريين وقد هُددت تهديداً كبيراً بخروج فريق كبير عن الولاء لها ولرئيسها فرأت أن تمتع البطريرك بمكانة خاصة في الدولة الجديدة مما يكفل لها استعادة تلك القيمومة. العامل الثاني هو وهم تجسد ليبدو للآشوريين حقيقة بأن قوة لا يستغني عنها النفوذ البريطاني في البلاد. لم يكتفوا باقناع أنفسهم بهذا. بل اتخذوه عامل استفزاز للآخرين يُدلُّون به صراحةً وعلناً في كل مناسبة ومناسبة. واعتبار أنفسهم ضحية غدرٍ عظيم عندما قررت بريطانيا انها الانتداب. الأمر الذي فسروه بأنهم سيتروكون تحت رحمة من نظرهم بمنظار الغرباء المتقمحين الصلفين.

والحكومات من جهتها التي كانت تشارك العامة هذا الشعور لم تعمل على إزالته كما كان واجبها يحتم عليها بل عملت بكل أجهزتها على تغذيتها على بمصل العداء للمحتل البريطاني.

أحكومة تمثل أكثر من ثلاثة ملايين ونصف مليون انسان تقف عاجزة عن فرض سلطتها على فرد يدعي تمثيل نسبة من مجموع السكان تساوي واحداً من عشرة آلاف ويطلب لنفسه ما لم يجيء على طلبه أي رئيس ديني في النجف أو الموصل أو أي شيخ قبيلة من قبائل الفرات أو من كردستان والجميع مسلح كآشوريين؟

الخوف والحرص، مزيجان تقلبا حيناً من الزمن فوق نار الشك المتبادل. فأعمى البصائر وغم على العقل وبدا الطرفان يسدد كل مسدسه الى صدغ الآخر.

عجز البطريرك عن تحديد مقصوده بالسلطة الزمنية. وأبى وزير الداخلية ان يسأله التفصيل والتفسير. وان التمسنا عذراً لموقف الاول الذي كان الى حد ما يعكس خوف بني قومه من مستقبل غامض فأنى لنا ان نلتمس العذر لحكومة لا تجهل قط المدى الذي تنداح اليه سلطتها

ليبلغ بها الاسفاف والنعاد حدّ اللجوء الى عين الاساليب التركية في أخذ التعهدات والضمانات المكتوبة من الثائرين المتمردين على ادارة العثمانية وهو امر لم يعد له ضرورة في دولة حديثة لها قوانينها ومؤسساتها الادارية والقضائية والاجرائية واذا قصر مار شمعون المنساق بحماسة ذوي الرؤوس الحارة من الناصحين والمشاورين والكتبة القيصري النظر أفيكون هذا سبباً في ان تنسى الحكومة بان هذه الشخصية الدينية هي على كل حال فرد عادي كسائر ابناء البلاد، بحرس شرف يستقبله أو بدون حرس شرف بحلته الحبرية أو بشبابه المدنية تطبق عليه قوانين البلاد بتعهد أو بغير تعهد.

ثم اما كان رئيس الحكومة وهو قانوني كبير يدري بان اخذ التعهدات الجزائية أو ضمانات حسن السلوك له قواعد مقننة ومحددة في قانوني اصول المرافعات الجزائية وقانون العقوبات.

ألجان الحكومي لم يحاول حتى أن يسأل عن المقصود بالسلطة الروحية بالأحرى. ولو حاول واستقصى واعتمد التفكير الموضوعي لظهر له أنّ العلاقة بين المؤمن ورجل الدين مهما علا في الدين المسيحي بكل مذاهبه وطوائفه هي علاقة مبتناة - كما في سائر الأديان - على الخيار الطوعي وما من رئيس مذهب أو طائفة استطاع في أي وقت أو مكان ارغام أحد من المنتمين الى طائفته على البقاء فيها إن اختار التحول بولائه عنها. وقد فعل هذا في الواقع قسم كبير من الآشوريين عندما تحولوا الى المذهب البروتستانتي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. مثلما تحول معظم الآشوريين في انشقاق القرن السادس عشر وما بعده الى المذهب الكاثوليكي في العراق وتركيا. وخلعوا عنهم ولاءهم لرأس كنيسة الشرق. ولم يكن للجائليق هذا حيلة لمنعهم أو فرض أي سلطان عليهم لابقائهم تحت مظلة الروحية.

فاذا كانت هذه الحال بالسلطة الروحية وهي السلطة التي سلمت بها الحكومة العراقية للبطيريك تسليمياً مطلقاً غير مقيد بشرط فكيف حاله «بالسلطة الزمنية» لو سلّمت له الحكومة بها؟

كان ممكناً مثلاً أن يدعو الوزير مار شمعون الى جلسة فيقول له «أن واجبي ومسؤوليتي يحرمان عليّ أن أصغي اليك فهلم نجلس معاً لاسمع منك ما تقصده بالسلطة الزمنية».

لأظن (حكمت سليمان) كان بمثل هذه الدرجة من الغفلة والغباء ليفوته هذا^(٢).

(٢) ربما كان (السر كيناهان كورنواليس) مستشار وزارة الداخلية حينذاك قد خطر بباله بأنه قد يحاسب يوماً ما أو يلام على موقف قصر فيه عن تقديم نصيحة وارشاد لوزيره في معالجة هذه القضية، لذلك وجدناه يخرق العادة فيلجأ الى تدوين رأيه للوزير بدلاً من النصح الشفوي. فقد وجه له بتاريخ ٦ حزيران ١٩٢٣ رسالة ضمنها نتائج محادثاته مع البطيريك قبلها بثلاثة ايام قال فيها: «انه لفت انظار مار =

كان المرشح قد أعد لالقاء درس دموي على الآشوريين المتغطسين بعلّة المطالبة «بسلطة زمينة» أو بغير سلطة، وما كان أحد من هؤلاء يدرك هذا.

ولعل البطيريك نفسه أدرك غلظته بعد اسقاط الجنسية عنه ولجؤته الى الولايات المتحدة واحتكاكه بمجتمعها وأصول الحكم فيها كما أدرك معظم الآشوريين بعد زمن وجيز^(٣).

وكما مرّ بنا وأثبتته الوثائق أن التدخل الوحيد الذي سُجل للجانب البريطاني، كان تدخلاً تعوزه الحرارة والجدية واللباقة والقوة. فعلى أثر قرار وزير الداخلية باحتجاز مار شمعون واضطراب الحالة في الشمال طلب القائم بالاعمال البريطاني وكان السفير السر همفريز في اجازة - مقابلة لغازي وهو نائب لوالده فعقد اجتماع في البلاط بحضرة (رشيد عالي) وحذر القائم بالاعمال نيابة عن حكومته من عواقب احتجاز البطيريك. فردّ رشيد عالي قائلاً: «انه سيتخذ الاجراءات القانونية لإحالة مار شمعون الى المحاكم وليس من حقّ القائم بالاعمال التدخل». ويعلق مؤلف تاريخ الوزارات العراقية على هذا قوله «أن القائم بالاعمال اعتذر

= شمعون الى «أن بعض العبارات التي وردت في رسالته للوزير قد تؤدي الى سوء تفاهم وقلت له اني اريد ازالة هذا. وقد بات واضحاً عندي من المقابلة أن غبطته يشعر بان دعاة السوء والساسين لم يحسنوا في تقديم فكرة صحيحة عنه... وأن التعهدات التي طلبت منه تنطوي على اهانة لشرفه وامانته لايمكن القبول بها ولاشك أن هذا الشعور قد غلب عليه عندما كتب الرسالة... وعبر لي عن شكره وامتنانه منكم للعطف الذين ابديتموه بخصوص تخصيص ارض له ومصدر دخل... انه يضع حاجات بني قومه فوق حاجته ويرى أن ذلك قد ينظر فيه عندما يجري تطبيق خطة الاسكان للعموم... واما بخصوص مركزه الخاص فهو يقر بأن على جميع افراد الطائفة الآشورية أن يخضعوا لقوانين البلاد وأنظمتها وللجراءات الادارية التي تطبق على غيرهم من العراقيين وأن يحترموا القرارات الرسمية. وأشار في الوقت عينه الى أن بعض الموظفين المحليين في الادارة لايطبقون القانون بشكل صحيح وأنه يخشى أن يفلت من يده زمام الآشوريين وسرد بعض الحوادث التي تعرض لها الآشوريون الى اجراءات غير قانونية...».

(٣) تشير (السيدة سرما دبيت مار شمعون عمّة البطيريك في كتابها «تقاليد الكنيسة الآشورية Assyrian Church Customs» مع مقدمة لرئيس اساقفة كانتربري، ط. لندن ١٩٢٠ الى صلاحيات البطيريك واصولها المذهبية فتقول: «إن قانون كنيستنا أتمّ جمعه وتقنيته العلامة مار عبد يشوع أسقف نصيبين في حدود ١٣٠٠م من قرارات وقوانين المجامع الدينية القديمة ويحتوي الى جانب المراسم والطقوس الكنسية على بعض الاصول القانونية للفصل في المنازعات ويمارسها الرؤساء واحبار الكنيسة. فالنزاع الصغير يفصل فيه رئيس القرية أو المالك أو شيخ العشيرة إن كان كبيراً. اما المسائل الخطيرة فيفصل فيها البطيريك نفسه أو يحيلها الى مجلس ديني ينظر فيها بموجب احكام السينادوست». أه.

أقول: ليس ببدي وبمدى علمي كتاب أو سند آخر غيره يشرح سلطات رأس كنيسة الشرق ويحددها زمنية كانت أم روحية. وليلاحظ أن كل هذا يقل كثيراً عما منحه نظام دعاوى العشائر لشيوخ الجنوب من سلطات اجرائية وتنفيذية. فضلاً عن سلطات قضاء زاولوها وأغمضت الحكومات المتعاقبة أعينها عن الشرطة الخاصة لبعضهم وقد كشف الستار عنها في اعقاب ١٤ تموز ١٩٥٨، وتم العثور على سجون خاصة لهم وزنانات لاتخلو من آلات تضيق وتعذيب وواضح أن الرئيس الروحاني الآشوري لم يكن يطمح الى ما هو شبيه ذلك.

وسحب كلامه مرتباً».

بعد اسقاط الجنسية عن مار شمعون ووصوله قبرص (وكانت تحت الحماية البريطانية) طلب الاذن بالسفر الى اوربا لمقابلة «بعض المسؤولين» ولم يمنح الاذن إلا بعد أن أعطى تعهداً بان لا يقدم على أي دعاية لقضية بني قومه. الا انه مع ذلك واصل مجهوداته وأمطر عصابة الأمم بمذكراته منها المذكرة المؤرخة في ١٦ من آب وفيها يشرح معاناة الآشوريين وما تعرضوا له من المذابح، وقدم مذكرة أخرى في ٣٠ من الشهر نفسه، وأشفعها بثلاثة في ١٢ من أيلول. وحاول وهو في جنيف أن يعرض قضية قومه شخصياً.

وانتقل الى انكلترا لاجئاً سياسياً مع آل بيته وكثرت اتصالاته بالمسؤولين هناك وبالصحف وتنويسي أمره بعد زمن فاختر النزوج الى الولايات المتحدة واستقر فيها رغم أن الحكومة العراقية احتجت في حينه على نشاطه ثم انه اكتسب الجنسية الأمريكية إلا أنه لم يحاول أن يدعي بالسلطة الزمنية على اتباع كنسيته المنتشرين في الأمريكتين^(٤). وقد بقيت الحكومة البريطانية حتى آخر حياته تدفع له مخصصات اللجوء السياسي.

في العام [١٩٧٠] أقدم حكام البعث في العراق، وعلى أثر اتفاقية الحادي عشر من آذار مع قيادة الحركة الكردية الوطنية المسلحة، على خطوة تهدف في الظاهر الى محو آثار الماضي وإزالة ما علق في نفوس الآشوريين من ذكرى أحداث آب. وبتخطيط سياسي يرمي الى التقرب من الاقلية الآشورية وقطع صلتها بالحركة القومية الكردية. فأصدرت قراراً باعادة الجنسية العراقية اليه والى كل من اسقطتها عنه حكومة (رشيد عالي) من الانصار وذوي القربى بتاريخ ٢١ من أيار ١٩٧٠ في عين الوقت وجهت اليه الدعوة لزيارة العراق وحلوله ضيفاً على الحكومة وبعدها أصدرت قراراً سمته بقرار العفو العام عن الآشوريين^(٥). قبل مار

(٤) يقدر عددهم هناك بحدود (٥٠) الفاً (وفقاً لمصادر آشورية).

(٥) وهذا هو نص القرار:

«استناداً الى احكام الفقرة (أ) من المادة (٤٢) من الدستور المؤقت، قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٧٢/١٢/٢٥ ما يلي:

١- يعفى عفوياً عاماً عن كافة الجرائم المرتكبة من قبل الآشوريين المرتبطين بالحركة الأثورية سنة ١٩٣٣ وتعاد الجنسية العراقية لمن أسقطت عنه من الآشوريين المشتركين في تلك الحركة.

٢- تتخذ السلطات المختصة كافة الاجراءات المقتضية لتسهيل عودة من يرغب من الآشوريين المشار اليهم في الفقرة (أ) أعلاه بالعودة الى العراق.

٣- ينفذ هذا المرسوم اعتباراً من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

مازلت حتى هذه الساعة في ايهما أختار لأخصه باشد العجب والاشمئزاز. أهو سكوت المتقنين =

شمعون الدعوة. وفي ٢٤ من نيسان ١٩٧٠ استقبلته جماهير غفيرة من الآشوريين وأخرجت الطوائف المسيحية الأخرى من يمثلها للترحيب به^(٦). ولم يكن هناك حرس شرف بين المستقبليين. وزار كركوك والموصل والبصرة وتكريت. وصدر مرسوم اعادة الجنسية اليه قبيل مغادرته العراق ببضعة ايام.

في الثاني من ايلول ١٩٧١ لبي دعوة ثانية لزيارة بغداد. وفي خلال مدة اقامته صدر مرسوم جمهوري آخر يقضي «بتعيينه» رئيساً للطائفة الآشورية. وفاتحته حكومة (البكر) في أمر الاستقرار في العراق. ولكنه اعتذر عن البقاء وفسر سبب اعتذاره في مقابلة صحيفة بقوله أن الآشوريين منتشرون في جميع انحاء العالم وسيبقى في أمريكا ليكون على تماس متواصل بجميع من في المهجر من الجاليات. وقفل راجعاً الى الولايات المتحدة.

لم يشأ مار شمعون ايشاي الثالث والعشرون وقد بلغ الحادية والستين من العمر أن يودع الدنيا دون أن يخلف ذكرى أليمة في نفوس الآشوريين. فمما يبدو انه كان قد تعرف في شهر تموز من العام ١٩٧٣ بفتاة عراقية اسمها «ايمامه دبيت كلو». وهي معلمة آشورية من أهالي كركوك تركت العراق مهاجرة الى كندا في العام ١٩٦٩. فاتفقا على الزواج وكان في نيته اعتزال منصبه الديني قبل الإقدام على هذه الخطوة فقدم استقالته من رئاسة كنيسة الشرق دون ذكر السبب الحقيقي فرفض السينادوست (المجمع الكنسي) الاستقالة وطلب منه البقاء ستة أشهر أخرى، لكنه أقدم على الزواج في الشهر التالي. وعقد له الكاهن الآشوري المدعو

= الآشوريين عن هذه الإهانة التي تعمدتها حكومة البعث فيه، أم هو الوقاحة والصفاقة التي صيغ بها هذا المرسوم: فما بدا من المادة الاولى كان بمثابة تبرئة كاملة لحكومة رشيد عالي والجيش العراقي الذي قام بمذابح آب في سميل وبيخير ودهوك وادانة جديدة لضحايا الاجراءات الدموية تلك وأعمال النهب والسلب التي تخللتها، لم يجرء عليها حكام بغداد في ذلك الزمن فال معروف انه لم يتهم أحد من الآشوريين الذين شاركوا في اشتباك الديره بون. أو الذين خرجوا الى سورية. ولم يقدم أحد منهم لمحاكمة بالعكس فقد كان هناك العفو الذي القي عليهم بالطائرات (أنظر الباب الثاني). فما هي تلك الجرائم التي قصدها المرسوم؟

(٦) قصدت زيارة البطريك اثناء وجوده في بغداد باقتراح صديقي المأسوف عليه «صالح اليوسفي» وزير الدولة آنذاك. وجرى الحديث بيننا بالانكليزية، وبدأ البطريك عزوفاً عن الخوض في أي حديث سياسي أو شبه سياسي. ولم أجد فيه تلك الحماسة التي كانت تبدو في مذكراته ومقابلاته قبل اربعين عاماً. ومما يذكر أن المرة الأخيرة التي تحدث فيها عن القضية الآشورية كان امام منظمة حقوق الانسان التابعة لهيئة الأمم المتحدة في تشرين الثاني ١٩٦٨ عندما اقدمت الحكومة العراقية على مصادرة أوقاف الكنيسة الآشورية في العراق أسوة بسائر بيوت العبادة الاخرى وربط الإشراف عليها بوزارة الاوقاف.

(نينوس ميخائيل). زعم هذا القس فيما بعد أنه ما أقدم على هذا إلا بعد تهديد.

بطبيعة الحال صدم الآشوريون بالزيجة صدمة عنيفة، كما كان مفاجأة غير متوقعة قطٌ لغيرهم. وثارَت الخواطر وتوالت الاستنكارات وندت اصوات ضعيفة تدافع عنه وعن شرعية زواجه^(٧). وأضطر مجمع الاساقفة ورؤساء الاساقفة الآشوريين أن يعقدوا اجتماعاً طارئاً ويصدروا على أثره قراراً بخلع الرداء الكهنوتي عنه وتجريده من كل سمات منصبه فاعترض على قرارهم محتجاً بأنه لا يوجد في الشرائع المذهبية التي تتبعها كنيسة الشرق نصٌ صريح يمنع رحل الدين من الزواج خلا ما درج عليه التقليد وحكمت به العادة. فاقتنع أعضاء المجمع بهذا التعليل وألغوا قرارهم^(٨).

إلا أن الخرق اتسع بتذبذب اعضاء المجمع وانقسام الآشوريين الى معسكرين متضادين.

ولم يكن هذا الانقسام عفويّاً أو وليد هذا الحدث. إلا أن خطوة البطريك ساعدت في ظهوره الى العلن وبلورته ايدولوجياً. ففي الوطن الأم ومجتمعات المهجر ولد جيل جديد متشرب بروح العصر ومسلح بعلمه وثقافته، جيلٌ وقف على الافكار الاجتماعية والعقائد السياسية واساليب العمل الوطني الحديثة وعدّ نفسه وارثاً لقضية ومسؤولاً عن مصيره قدر ما هو

(٧) من ذلك ما نشرته مثلاً مجلة نجمة آشور The Assyrian Star وهي مجلة الاتحاد العالمي الآشوري. في عدد آب ١٩٧٥. دافع فيها كاتب المقال (س. ميخائيل). عن الخطوة التي أقدم عليها البطريك ذاكراً ايديه في خدمة الامة الآشورية. دافع اختلط فيه الخيال بالحقيقة. ويظهر أن هناك مؤامرة على حياته كانت في دور التكوين. وقد لفت نظري فيها تعليل بالغ الطرافة هذا هو: «نحن الآن نحرّض على كره مار شمعون لانه تزوج الم يكن موسى النبي الذي كان يكلم الله متزوجاً يصحب زوجته معه فتقوم بانتظاره عند سفح الجبل اثناء حديثه مع الله...؟ أليس هذا دليلاً على أن الزواج النظيف هو زواج مقدّس؟».

(٨) تذكر [سرما دببت شمعون] - المرجع السالف، الص ٤١-٤٢ انه في كنيسة الشرق يوجد تسع درجات دينية، الثلاث الأول العليا (الجاثاليق، رئيس الاساقفة أو المطران، الاسقف أو أبونا) اصحابها لايتزوجون قبل رسامتهم وبعدها ولايأكلون لهماً قبلها أو بعدها، كما يظهر ذلك من الوثائق القديمة التي يعود تاريخها الى ما قبل العام ٤٢٤م. كان يوجد في فترة ما قانون كنسي ينص بصراحة على السماح للاساقفة (اي الكهنة) بالزواج على انه لم يكن هناك حالة عملية لهذا بين بطرركتنا في القرن الخامس. إلا أن هذا الشذوذ التقليدي بطل العمل به منذ أكثر من الف عام تتبلاً واقتداءً بمن سما الى درجة القداسة في تاريخنا».

وسرما بلا جدال أعلم بتراث كنيستها وتاريخها من أي باحث آشوري أو غيره في عصرها وما بعده. كانت طول عمرها «الحاكم الفعلي وراء العرش» كما يقال. وهي المعلم والمربي للبطريك والمستشار الذي لايرد له رأي. فبالوصف الذي بسطته هنا لا سبيل لنا إلا للحكم بأن ابن أخيها هذا خرق تقليداً له قوة القانون. والتقاليد التي تفرض احكاماً عامة لاتحتاج الى نص مدون كما ادعى البطريك. فنظام الحكم في انكلترا مثلاً مازال معظم احكامه غير مدون وانما يتبع تقاليد دستورية أثبتتها الممارسة المستمرة والاحترام لها من الحاكم والمحكوم. لذلك لانجد لاعتراض البطريك وجهاً صحيحاً. وأرجح أن قبول اعضاء المجمع به انما كان علاجاً مؤقتاً للأزمة ليس إلا.

مسؤول عن المحافظة على هويته ووقايته من الانصهار التدريجي الطبيعي أو القسري وهي اخطار تهدد كل أمة وشعبٍ مشتت، وتحقيق حتماً بترائه القومي من لغة وتقاليد وهوية.

هذا الواجب كان يتولاه، رجال الكنيسة الشرقية الروحانيون أصلاً حتى أواخر النصف الأول من قرننا هذا. وبقي كشأنه في السابق ملتصقاً بالدين وبوجود البطريك رمزاً له وقائداً فعلياً يتولى الدفاع عنه بمنطق ديني وعن طريق ما دعاه في حينه «بالسلطة الروحية والزمنية المتحدة به».

على أن الجيل الجديد الذي وجد أن قضية الحقوق القومية ستبقى ملونة تلويحاً غالباً بالعقيدة المذهبية، ستبقى محصورة في هذه الدائرة الضيقة لاتستطيع الخروج الى الساحة الواسعة التي تنتظم الكلدان والسريان (وقد سماهم حكام بغداد الحاليون بالطوائف الناطقة بالسريانية) وعلموا بأنها فجوة هشة معرضة دائماً للهجوم الخارجي وعاملاً لتفريق الصفوف وتمزيق حركة الإحياء القومي ببقاء الشقاق المذهبي سيد الميدان^(٩).

وفي محاولة الجيل الجديد اطلاق حركة الإحياء القومي من اسارها كان مقدرراً لها الاصطدام ببقايا الجيل السابق وبالروحانيين وبدا من الطبيعي أن تنبثق تلك الأحزاب والمنظمات السياسية بأهداف واضحة وبرامج مقننة لايجد رجال الدين لهم فيها موضعاً.

ووقع على مار شمعون أن يخرج هذا الصراع الى العلن بإقدامه على عمل لم يسبقه اليه أحد من اسلافه. وجد قلبه فجأة يخفق بحبّ ذنيوي وهو في أولى عتبات الشيخوخة وتلك أخطر مرحلة عاطفية يمرّ بها الرجل الذي هو في مثل عمره، فلم يتردد كثيراً كما يبدو واختار نداء القلب وفضله على نداء الواجب والمنصب والماضي. ولما وقع تصميمه عليه بدا له أن خير ما يفعله أن يترك الميدان الأخير. إن قراره في تقديم استقالته قبل الزواج ثم ندامته وعدوله عنها بعد الزيجة انما يدل على تذبذبه وطبيعة التردد والاستعجال التي عرفت عنه، بل يدل

(٩) نوقشت هذه المسألة في أثناء محاكمة قاتل البطريك بلسان شاهد استدعته المحكمة بطلب من الدفاع اسمه (سام اندروز) عرف نفسه بوصفه عضواً في اللجنة التنفيذية للاتحاد العالمي الآشوري. وقد نفى هذا الشاهد أن يكون للاتحاد أي نية مبيتة للتخلص من نفوذ البطريك الآشوري بتصفيته جسدياً ومما قاله «إن كنيسة الشرق انما هي واحدة من كنائس كثيرة فلماذا هذا الاهتمام بأمرها؟ صحيح أن لها بعض نفوذ. لكن هناك الى جانبها الكنيسة الكاثوليكية (الكلدانية) التي ينتمي اليها الآشوريون. وهناك أيضاً الكنيسة البروسبتارية وهناك كنائس أخرى غيرها. ونحن لانولي الكنيسة الشرقية إهتماماً كبيراً فمهمتنا هي مساعدة شعبنا الآشوري». وقد شدد على هذه النقطة أيضاً شهود كثيرون آخرون. ومن هنا يتضح كيف أن هذا التنظيم السياسي لم يعبأ كثيراً بزواج البطريك. بل حتى انه فسح في مجلته الرسمية كما رأينا للأقلام تكتب دفاعاً عن عمله.

على كم كانت قيمة السلطة الزمنية التي طالب بها حكومة (رشيد عالي) عنده وكم كانت عزيزة عليه ليضحى بتراتها الكفاحي في سبيل امرأة^(١٠).

كان قد تقرر عقد مجمع السينادوست للنظر في امر اقالته بتاريخ ١٩ من تشرين الثاني ١٩٧٥ في مدينة سياتل بولاية كاليفورنيا وتعيين بديل لرأس الكنسية. وبدأ البطريك يعمل حثيثاً لتأخير انعقاد المجمع وتأجيله حتى شهر كانون الثاني ١٩٧٦، إلا أن رصاصات القاتل عاجلته قبل الموعد المقرر بثلاثة عشر يوماً.

تردد ذكر الاتحاد الآشوري العالمي (A.U.A) اثناء المحاكمة بمحاولة الادعاء العام إعطاء القضية طابعاً تأميراً وإضافة أسماء أخرى الى قائمة المتهمين بالبحث عن الباعث على الجريمة Motive لكن القضية بقيت منحصرة بالفاعل الى الاخير رغم محاولة عدد من الشهود القاء ظلال من الشك.

كان ثم ظلال من الشبهات على وجود تحريض ومساعدة للقاتل وتسهيل ارتكابه الفعل واتجهت اصابع الشك الى بعض الاعضاء المتقدمين في هذه المنظمة كما يستفاد من وقائع المحاكمة.

وموطن العجب مع كل هذا - هو أن القاتل (داود) كان يعد من أقرب المقربين الى القتل، وهو فضلاً عن هذا ابن (ياقو) الذي قاد «المسيرة» السيئة الحظ الى سورية في حزيران ١٩٣٣. وقد بقي يشارك البطريك نشاطه حتى اواسط الستينات وعد واحداً من أقرب الموالين له ثم نشأ بينهما برود متزامن مع المغازلة التي بدأها حكام البعث العراقيون وهو ما سنأتي اليه عند الخوض في سيرة (ياقو).

من يدري؟ فرما كان هذا سبباً من أسباب الجريمة.

لأرى هذا الفصل كاملاً دون عرضٍ مركزٍ لوقائع المحاكمة التي جرت في محكمة الجنايات في مدينة (سان خوزيه) بولاية كاليفورنيا ودامت سبعة عشر يوماً سمعت فيها هيئة المحلفين أكثر من عشرين شاهد دفاعٍ واتهام - محاولاً من جانبي إعادة بناء الوقائع بالترتيب الزمني .

(١٠) أخذ عليه ايضاً حرق تقليد آخر للكنيسة باعتماده التقويم السنوي الغريغوري وهو التقويم الذي جرت عليه كنائس الغرب، بدلاً من التقويم اليوناني القديم الذي تتبعه كنيسته. كما استنكر منه قطع صلة تاريخية لكنيسته برئيس اساقفة كانتيري الرئيسي الروحي للكنيسة الانكليكانية الرسمية في بريطانيا وهي علاقة تعود الى قرابة قرنين من الزمن.

في الثلاثين من شهر تشرين الأول ١٩٧٥ وصل القاتل داود ياقو مالك اسماعيل البالغ من العمر ٤٠ عاماً مطار (سان خوزيه) قادماً من كندا. وكان في استقباله أثناء نزوله من الطائرة السيدة [كتي بنيامين] التي صحبتته الى موتيل (سن ست Sun Set) حيث كانت بناء على اتصال سابق قد احتجزت له فيه الغرفة المرقمة (١) باسم مستعار هو [داود بنيامين]. وفي افادته التي ادلى بها أثناء التحقيقات الاولية ادعى أن سبب قدومه هو «التعرف على الطقس» والنظر في مباشرة عمل تجاري هناك. وكشف انه كان قد تلقى مكالمة تليفونية فور قدومه من شخص مجهول الهوية كان على علم برقم غرفته التي حجزت له إلا أنه كان يجهل الاسم الذي انتحله مخاطبه باسمه الاصيل. كما قام القاتل باجراء مكالمتين تليفونيتين مع «مستر كناً» رئيس الاتحاد الآشوري العالمي في مدينة (سدني) بأستراليا لا يعلم فحواها. وكان يتلقى خلال إقامته زيارات يومية متتالية من السيدة (كتي) ومن (سام لازار) رئيس الاتحاد في مدينة (سان فرانسيسكو) سابقاً. وكذلك من شقيق الأخير (يوتيل لازار) الرئيس الحالي وصاحب فندق في المدينة، قام القاتل بالانتقال اليه بعد وصوله بيومين ومكث فيه حتى قيامه بارتكاب الجريمة.

في الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين مساءً، كان مار شمعون مشغولاً في مطبخ منزله في حين كانت زوجته في الطابق الأعلى تعنى بطفلها (جون). واستجاب القتل لجرس الباب ففتحه للقاتل الذي عاجله باطلاقات ثلاث اصابت منه مقتلاً فخرّ صريعاً على عتبة الدار وفرّ القاتل محاولاً التسلل من خلال الدغل القريب. وشاءت الصدفة أن تسمع جارة صوت الاطلاقات النازية ولأول وهلة توهمت نتيجة عبث صبيان باوعية القمامة المعدنية فخرجت مسرعة لترى القاتل يعدو، وأسرع زوجها الى سيارته البيكاب فاستقلها ولحق بالقاتل الذي عثر أثناء هروبه بسلسلة في السياج اعترضته فسقط وأفلت منه مسدسه مع مخزنٍ اضافي تم العثور عليهما بعدئذ.

على أثر الطلقات سمعت زوجة القتل صوته يناديها «ايمامه ايمامه» فهبطت لتجد زوجها قد فارق الحياة.

لم يكن هناك شبهة في أن (داود) كان يقصد الهرب والتواري عن الانظار ولا نيّة له في تسليم نفسه للسلطات بعد إقدامه على الفعل وهو ما يحصل عادة في الجرائم العاطفية أو الآنية التي لم يسبقها تصميم واعداد. إلا أن الشرطة بدأ فوراً بتعقيبه. وتذكره سائق سيارة التاكسي الذي اقله الى مطعم للبيتزا، فدّل عليه الشرطة فألقت القبض عليه وهو يتناول

دافع (داود) عن نفسه محاولاً تصوير الجريمة بالشكل الذي نوهنا به فزعم انه قصد منزل البطريك في زيارة عادية، وأفسح له الى الداخل فقبل يد البطريك إلا أن حديثهما آل الى مناقشة حادة أدت الى أن يهجم عليه البطريك بعصا أو بكرسي فما كان منه إلا أن سحب مسدسه وارداه قتيلاً «دفاعاً عن نفسه».

لم يكن في قصته هذا ما يقنع ولا ما يدخل الدلائل الظرفية القوية ومواد الاثبات على توفر القصد وسبق الاصرار والترصد. مثل قيامه بعملية استطلاع سابقة للمنزل - دواخله ومخارجه وفحص الأرض المحيطة به. الى جانب محاولته الاختفاء حال ارتكابه الفعل واستمراره في اطلاق النار بدل الاكتفاء باطلاقة واحدة. يأتي بعد ذلك الوقائع المتعلقة بحصوله على المسدس ومخزنه، فقد زعم أنه ابتاعه بمبلغ عشرين دولاراً من مجهول التقاه في أحد البارات. إلا أن المحققين تتبع الايدي التي تقلبت على المسدس من الرقم المحفور عليه ابتداء من الشركة التي تصنعه فتبين بأنها باعتته من تاجر اسلحة في (سان خوزيه) وأن مشتريه من التاجر، هو [رون ماير] الذي كان عاملاً أجيراً عند [يوئيل لازار] المار ذكره ايام كان يوئيل يدير محطة ضخ بنزين. وقال (ماير) أن المسدس انتقل الى ملكية (يوئيل) الذي جعل (ماير) تحويل ملكيته المسدس مرهوناً بموافقة (يوئيل) على بيع محطة ضخ البنزين له. وأنكر (يوئيل) كل ذلك طبعاً وقال أن المسدس لم يقع في حوزته مطلقاً.

في الخامس من نيسان ١٩٧٦ أصدرت هيئة المحلفين قرارها بهذا النص:

«نحن هيئة المحلفين في القضية المرقمة (...). وجدنا المتهم داود مالک اسماعيل مجرمًا ومدانًا وفق المادة ١٨٧ من قانون عقوبات ولاية كاليفورنيا بجريمة القتل من الدرجة الأولى.»

وفي السابع عشر من ايار حكم القاضي (بارنيت) عليه بعقوبة الحبس المؤبد^(١١).

بختام حياة هذا البطريك قضي على تقليد آخر امتد أكثر من أربعة قرون. باختيار رأس الكنيسة الآشورية من بين افراد أسرة آل شمعون الذكور وعاد الأمر كما كان في السابق اي

(١١) في العام ١٩٩٠ أطلق سراح (داود) بتوصية من مكتب عفو الولاية. بعد قضاء ١٥ عاماً تقريباً. وينص القانون المطبق على أن يبقى المعفو عما تبقى من مدة حكومية تحت مراقبة الشرطة. الي جانب قيود أخرى كحرمانه من غشيان البارات وملازمة منزله في ساعة معينة ومراجعة ضابط العفو يومياً الخ...

بقيام مجمع الاساقفة بانتخابه فيما بينهم.

يعزى الى مار شمعون ايشاي كتيبان يبحثان عن مشاكل قومه وعن احوالهم في العراق. وقد صدرا غفلاً عن اسمه. أولهما بعنوان «المأساة الآشورية The Assyrian Tragedy» صدر بالانكليزية في العام ١٩٣٤ ويقع في ٧٥ صفحة، عزي اليه دون آخرين لانه كان يتضمن وثائق لا توجد إلا في حوزته وقد وقفنا له على طبعة ثانية له في العام ١٩٨٨، وليس فيه ما هو بالجديد أو المبتكر أو ما يمكن إضافته الى المعلومات الموفرة. كما يعتقد أن كتيب «الغدر البريطاني بالآشوريين The British Betrayal of the Assyrian» هو ايضاً من تأليفه وله طبعتان حديثتان.

ذيل

مرسوم إسقاط الجنسية رقم ٦٢ لسنة ١٩٣٣

المادة الأولى

لمجلس الوزراء أن يقرر إسقاط الجنسية العراقية عن كل عراقي لم ينتم الى أسرة ساكنة في العراق قبل الحرب العامة اذا أتى أو حاول أن يأتي عملاً يعد خطراً على أمن الدولة وسلامتها.

المادة الثانية

لوزير الداخلية أن يأمر بإبعاد من أسقطت عنه الجنسية العراقية بموجب المادة الأولى الى خارج العراق اذا تراءى له ان إبعاده مما يستدعيه الأمن والراحة العامة.

وفي جلسة مجلس الوزراء المنعقدة بتاريخ ١٦ آب ١٩٣٣ اتخذ القرار التالي:

«اطلع مجلس الوزراء على كتاب وزارة الداخلية المرقم ٦٧٨٨ والمؤرخ في ١٦ آب ١٩٣٣ وقرر إسقاط الجنسية العراقية عن كل من:

إيشاي مار شمعون وداود مار شمعون وتيادور مار شمعون وسرمه خاتون

نظراً الى إتيانهم أعمالاً تعد خطراً على أمن الدولة وسلامتها وذلك وفق المادة

الأولى من مرسوم إسقاط الجنسية رقم ٦٢ لسنة ١٩٣٣.»

ياقو (يعقوب) ابن مالك اسماعيل

١٩٧٥-١٩٠١ أو ١٩٠٠

وبين (ياقو) قبيل استقالة الأخير. فهو يصور بدقة الحالة النفسية التي كان يعيشها هو وابناء جلدته في تلك الفترة:

« (ياقو ابرع صياد واوسعهم حيلةً ودهاءً وقعت عليه. جنديّ ممتاز شجاع حاز اعجاب رؤسائه وتقديرهم... وكمثل سائر آشوريي ديانا شاع القلق في نفسه بعد تحرر العراق من الوصاية البريطانية فراح الجميع يفكر بالمستقبل بانشغال بال وهموم. وفي ذات يوم جاءني (الرائد) ياقو برفقة والده (مالك اسماعيل) زعيم تياري العليا وافتتح (ياقو) الحديث بقوله:

- سمعنا اشاعات حول حصول كثير من التغييرات. انتظنّ (فيصلاً) سيسمح للآشوريين بالبقاء في (ديانا) عند انتهاء الانتداب وانسحابكم؟ قلت: هذا ما ارجحه فانتم الذين بنيتم (ديانا).

قال: بلغتنا شائعات كثيرة في الاشهر القلائل المنصرمة، انفجرت بيننا وسط التفاؤل والاطمئنان اللذين بدءا يسودان قرانا. هل نأمل في حماية قواتكم الجوية في حالة انتهاء الانتداب وفي حالة ما وجب علينا البقاء في العراق؟

اجبته: ان القانون الأساسي العراقي لا يفرق بين المواطنين لا بسبب من قوميتهم ولا بسبب من دينهم. والعرب والكرد واليهود والمسيحيون يتمتعون الآن بحقوق متساوية حرّموا منها ايام الحكم العثماني والبريطانيون قدموا تعهداً بهذا لعصبة الأمم.

قال: هذا ما يوحيه القانون لكن الواقع يقول: اصحيح أننا نحن الآشوريين نعتبر جزءاً من العراق؟ ألدنيا اراض كتلك التي كنا نملكها في جبال حكاري، وتركنها قبل ستة عشر عاماً لنقاتل من اجل حريتنا؟ نحن لانستطيع العودة الى ديارنا الأولى رغم انتصار الحلفاء الحاسم... والآن وقد انتهى الانتداب فهل ستهتم الحكومة بمعالجة مشكلتنا؟ خسرنا نصف عددنا تقريباً في تلك الحرب وجردنا من اراضينا وطردنا من ديارنا ومنذ ذلك الحين خدمنا في الليثي جنوداً طوال عشر سنين وقاتلنا الكرد بسببكم ولأجلكم، وساستكم يعرفون ذلك فما هذا الذي كسبناه من جزاء؟ ليس لدينا إنج واحد من الأرض نذعيها. وقد جئتكم مع الوالد لتسأل (الكابتن بيكر) حول ما يخبئه لنا المستقبل. وقد قيل لنا اننا سنعطى ركناً = ارتادها واحتك بها اثناء عمله.

هو الابن الثاني من ابناء خمسة لزعيم (تياري العليا) إحدى أقوى واكبر القبائل الآشورية الرئيسية الخمس. واخوته الآخرون اولهما دانيال وكان مثله ضابطاً في الليثي وداود وزيا وشليمون. انضم (ياقو) الى الليثي الآشوري وهو شاب يافع وامتاز فيه بكفاءة وشجاعة وبلغ فيه ما يساوي رتبة نقيب عندما قدم استقالته^(١) في بداية آذار ١٩٣٣، وكان إذ ذاك مع أسرته في قرية ديانا المجاورة لبلدة رواندوز وهي قرية انشأها الآشوريون وسكنوها لقبورها من المعسكر البريطاني المستحدث هناك.

يقول ياقو «في بداية هذه السنة (اي ١٩٣٣) اصدرت القيادة البريطانية في العراق قراراً بتقليص حجم قوات الليثي تم بموجبه حل الفوج (B) حلاً كاملاً وقوامه ألف من سائر المرتبات ووضع في محله فوج من الجيش العراقي. واسند الى البقية من قوات الليثي مهمة الحراسة في المطارات البريطانية. في الهندي ببغداد». ويعلل اسباب استقالته باسباب ثلاثة: «اولها لأقوم بواجبي حيال امتنا الآشورية وثانيها لاحباط محاولة السلطات التعامل والحوار مع رؤساء العشائر الآشورية على انفراد، ولحصر الحوار بالبطيرك وحده حرصاً على وحدة الصف واجتناباً للانقسام في الرأي. ولتسهيل الأمر على الحكومة العراقية وثالثاً لأدخل في مسلك الشرطة العراقية، على ان يكون دخولي في هذا المسلك بطبيعة الحال مرهوناً باتفاق السلطات مع البطيرك»^(٢).

ويطيب لي ان اورد هنا نص حديث جرى بين المهندس النيوزيلاندي (أي ام. هاملتون)^(٣)

(١) عنوان الرتبة باللغة السريانية "راب تريمه" اي قائد المائتين وتساوي رتبة النقيب او الرائد وقد حازها هو واخوه الاكبر دانيال معاً. وياقو هو شكل من اشكال لفظ اسم يعقوب بتخفيف العين ومدّها وحذف الباء.
(٢) النصوص المعزوة الى ياقو في هذا الفصل مقتبسة من كتاب "الآشوريون في الحربين العالميتين: ١٩١٤-١٩٤٥". ألفه باللغة السريانية، وطبع في طهران ١٩٦٤ في مطبعة الشبان الآشوريين. وسنحصر المقتبسات في الص ٢١٣-٢٢٧.

(٣) هاملتون هو المهندس الذي شق الطريق الشهيرة التي تربط اربيل بشقلاوه ورواندوز وحاجي عمران حتى الحدود الايرانية بين الاعوام ١٩٢٨-١٩٣٢. وقد قمنا بترجمة كتابه "طريق في كردستان: من منشورات دار التأخي في ١٩٧٣- بغداد وهو كتاب يتضمن تجاربه وانطباعاته عن الأنحاء والمجتمعات التي =

غير مستغل في زاوية من زوايا الامبراطورية. وها قد مر علينا عدة قرون قوماً جبليين فقراء... ان الكرد لم يقربوا (حكاري) الجرداء الفاحلة منذ تركناها واقول لك أن أسوء مكان هو صالح لنا اذا ضمنت سلامتنا واذا ما تعذرت هجرة الخمسة والعشرين الفاً منا في الوقت الحاضر فنحن نحس بضرورة ضمانه بريطانية لنا في العراق على الأقل. انظر الى وضعنا الحالي: نحن منقسمون مشتتون مفقون. هنا وهناك بمجموعات منعزلة متباعدة مواطنون غير مرغوب في بلاد ينظر اليها اهلها نظرة تنكر وعداء. ونحن نعتقد ان تشتيت ابناء جلدتنا هذا في ارجاء العراق الشمالي ما هو الا خطة مدبرة وضعتها خصومنا الذين خولوا حق اقتراح المناطق التي تنسب لنا.

قلت (مازحاً): ما اشد طمعكم ايها الآشوريون. انتم مثل الكرد تريدون الكثير خلال وقت قليل. ألا تتمتعون اليوم بالجنسية العراقية؟ اليس لكم حق المشاركة في الحكم؟ ما عليكم الا ان تقنعوا الحكومة بتحقيق مشاريع ري لكم وغير ذلك... اجاب: اما بخصوص مشاركتنا في الحكم فهذا حديث خرافة... اجل هناك قلة من الموظفين الصغار لكن انى ان يحتل احدنا منصباً هاماً كقاضٍ او ضابط أو محقق وانا لا اقصد وزيراً او نائباً وإن كان عددنا كافياً لتمثيلنا في المجلس النيابي. ونحن على كل حال لا اهتمام لدينا بمسألة المشاركة في الحكم. وإنما نريد ضمان سلامتنا فحسب. ان علاقتنا مع الكرد طيبة جداً وليس بيننا اي خصومة. (واسماعيل بك الرواندوزي)^(٤) مثلاً كان دوماً يعاملنا معاملة كريمة لم نحلم بها. هل تعتقد ان العراق يوافق على ابقائنا هنا لحراسة حدوده الشمالية...»

وفي مقابلة أخيرة بمناسبة حل قوات الليثي والجللاء عن ديانا نجد (ياقو) يحدث صديقه (هاملتون) قبيل مغادرته العراق نهائياً حديثاً مفعماً بالأمل تختلف نغمته عن نعمة اليأس التي شابته حديثه الأول فيقول:

«قال لي (ياقو) من المؤكد ان بعض الاجراءات الهامة تم الاتفاق عليها بين الحكومتين العراقية والبريطانية لضمان انصهارنا وامتزاجنا في حياة العراق المستقل. وانا ساطلب تعييني في الجيش معتمداً على كفاءتي العسكرية وان

(٤) قائمقام رواندوز واحد من اعف وأنزاه الزعماء القبليين الكرد الوطنيين من المالكين الاقطاعيين الكبار جرى اغتياله في السنة التالية بسبب ثارات قبيلية (تجد قصته كاملة في كتاب هاملتون المشار اليه الذي نشرنا ترجمته في ١٩٧٠.

اخفقت فسأطلب وظيفة في سلك الشرطة.

على ان آمال (ياقو) خابت من الناحيتين ولم يظفر بعمل وقد قص علي نتائج مقابلاته ومسايعه وراء الوظيفة قائلاً: «ان كبار المسؤولين يقولون لا حاجة لنا بعدد اكثر مما لدينا من المستخدمين الآشوريين في الوظائف الحكومية وفي مسلكي الجيش والشرطة. ولذلك رفضوا طلبي. في الواقع ان كل ذي منصب على جانب من الاهمية يسرّح الآن. وقد رفض طلب اثنين من ابناء عمومتي لدخول الكلية الحربية في بغداد وهما من ابناء قبيلتنا الشديدة البأس، وعلى جانب جيد من العلم والثقافة وانا لا افهم هذا. قد يكون من قبيل التحامل ضدنا. وإن انا تأملت في الدور الذي اضطلعنا به خلال السنين العشر الماضية بان كنا اداة تنفيذ عمياء في يد سلطات الانتداب فانا لا أستغرب من كراهة العرب لنا. ان عدد الآشوريين في سلك الشرطة يتناقص باطراد وهو أمر غريب اذا ما فكر فيه المرء على ضوء التصريح الرسمي الذي أذاعته الحكومة البريطانية قبل فترة وجيزة.» أه.

لم يكن لي من سبيل الى إغفال هذا الحوار، لإيماني بصدق ناقله ولأنه يغنيني عن تصوير حالة المترجم له النفسية وما يعمل في فؤاده من مخاوف حقيقية شاركه فيها الآشوريون في تلك الفترة. اجاد التعبير عنها رجل قدر له ان يقوم بدور رئيس في النكبة التالية، ليبدو فيها إنساناً متزناً دقيق التعبير عما كان يحس به في تلك الفترة شاعراً اتم الشعور بتبعات الزعامة القبيلية واعبائها باصطحابه رئيس العشيرة وهو أبوه لمقابلة هاملتون. الصورة المتحصلة لي من هذا الحديث يبدو لي منها (ياقو) إنساناً يختلف تماماً عن ذلك الذي قاد الفأ وتسعمائة من الآشوريين إلى أمل كاذب ومستقبل غامض. وهذا ما سيكون مدار محاكمتي في المكان المناسب.

رحل (ياقو) هو واسرته عن ديانا وسكن قرية سميل بعد اشغال الجيش العراقي لها.

بين الميثاق القومي وبين تصلب البطريك واعوانه وبين تنقلات (ياقو) ورحلاته الى القرى الآشورية واجتماعاته بتظاهرة مسلحة، اذا وضعنا في الحسبان العقلية التركبية الاصيلة الضحلة التي طبع عليها رجال الحكم في معالجة المشاكل والغل المتجمع في الاحشاء قيحاً وصديداً ينتظر ساعة ان ينقذ في وجه الليثي الآشوري واهله. لا مجال لنا من الخروج الا بعين النتيجة التي توصلت اليها الزمرة الحاكمة في بغداد معززة بتلك التقارير المحرصة

المحمومة التي كان يبعث بها رجال الادارة المحليون، فان جولات (ياقو) وانتقالاته السريعة المسلحة سواءً بثلاثة من الأعوان كما زعم، او بثلاثين او بمائة كما بالغت بها تلك التقارير عن قصد، لا يمكن ان ينظر اليها بالشك او الخوف العظيم. وأتى (لياقو) ان يعرف بأنه ليس في وضع يمكنه املاء شروط على حكومة اسكرها نيل الاستقلال وتباهت لأول مرة بأنها مالكة زمام الأمور ولتكن مهما تكن تلك الحكومة فلا شك في ان طلبه وهو مواطن كسائر المواطنين سحب قطعات الجيش العراقي والشرطة من مواضع معينة - كما صرح اكثر من مرة في كتابه - امر لا تستسيغه معدة سلطة حاكمة لها ملء الحق في نشر قوات امنها في اي مكان من البلاد. تأمل حديثه المتعالي هذا: «لم يتحقق ما وعدني به كولونيل ستافورد وميجر تومسن بسحب الجيش!! وبعد ايام من وصولنا الموصل أبلغت بان الجيش والشرطة مازالوا في مواضعهم ولذلك قصدت ستافورد وسألته: ما سبب بقاء الجيش حتى هذه الدقيقة؟

ويمضي (ياقو) الى أبعد من هذا فيقول: «... بعد ساعة رأيت عشرين حاملة محملة بالجنود تدخل طريق (كوري كاشانا) فتركتها وهي تهم بولوج منعطفات (قتنارا) فاعلقت مدخل الرايبة عليهم وضربت عليهم حصاراً من الخلف ولما ايقنوا بأنهم سيقعون في الأسر لاذوا بالفرار باتجاه سواراتوكا!». «

ويقول في موضع آخر: «عندما كانت الافكار تتناهبني رأيت القوات العسكرية وقد دخلت قرية (كور جونا) وانها احتلت (كذا!) ايضاً قرية (دبادا) فجمعت القوات التي كانت بإمرتي وقمنا باحتلال الجبل الواقع بين قريتي (بروشكا) وبغيرا وتهيأنا لصد هجومهم.»

بل ويمضي (ياقو) الى أبعد من هذا عندما يسجل محضر لقائه بالمقدم ستافورد واستجوابه عن السبب في عدم «انسحاب الجيش حتى هذه الدقيقة؟» وان يقترح مكاناً انسب للتمارين العسكرية من المناطق التي يحتلها حالياً، معتبراً ذلك «استفزازاً».

بدا الآن (ياقو) ضابط الليثي السابق شخصاً آخر يختلف تماماً عن الصورة التي رسمها (هاملتون) له. انقلاب داخلي تحقق خلال فترة قصيرة لا تزيد عن ثلاثة اشهر. كان حديثه مع هاملتون حديث رجل ركبته المخاوف والهموم من مستقبل غامض فيه رصانة ومنطق نابعين عن عقل سليم. إلا انه الآن يبدو رجلاً معانداً يواجه السلطة بكاملها ويتحدث من فم البندقية (على الأقل كما صورته الحكومة).

كيف تم الانقلاب؟

ومن هو المسؤول عنه؟

وعلى من تقع تبعات هذه المسؤولية ونتائجها؟

سأترك الحكم للقاريء بعد ايضاح وجهة نظري.

فعلت السلطة الكثير لبناء شخصية هامة لها خطرنا ومحمور تدور حوله الاحداث من هذا الانسان البسيط السليم النية.

(ياقو) ابن رئيس قبيلة آشورية بين عدة ابناء وهو بوجود أبيه وبحسب التقاليد العشائرية لا يتمتع بمركز يزيد كثيراً عن اي فردٍ من افراد قبيلته ومن التنطع القول ان اهميته في الاحداث جاءت عن هذا السبيل وابوه في قيد الحياة وهناك شقيق آخر يكبره سنناً وقد يكون هو المرشح لرئاسة القبيلة عند وفاة الوالد. من ناحية أخرى كان هناك اكثر من عشرين ضابطاً آشورياً في الليثي يساوونه رتبة وبعضهم يرتفع عنه فمن المستبعد جداً أن يأتي خطره من هاتين الجهتين او ان يكون لهما اي أثر ظاهر أو خفي في دفعه الى مركز الاحداث.

(ياقو) الآن يقوم بجولات صحية مرافقين وكلهم مسلح، يتنقل بين القرى الآشورية لأغراض ومقاصد لا يحاول اخفائها ولم يكن بالعسير على السلطة معرفتها. كانت باختصار لرص الصفوف وراء البطريك ولبناء رأي عام بين الآشوريين يرمي الى وحدة الكلمة، والوقوف في وجه مشاريع حكومية لإسكانهم لا يجدونها صالحة.

كان من السهولة وحسن الرأي أن يعتبر الموظفون الاداريون تلك الجولات والاجتماعات مثل سائر الجولات والزيارات التي يقوم بها اغوات الكرد وزعماءهم بأتباع وحاشية مدججة بالسلاح تاركين الحبل (لياقو) على الغارب متربصين به ويعمل غير قانوني قد يبدر منه فيؤخذ به ويكون للسلطة اذ ذاك ملء الحق في اجراءات تتخذ بحقه كأى مواطن عراقي تجاوز حرياته الدستورية ووقع تحت طائلة القانون إلا أن (ياقو) لم يرتكب عملاً يستوجب التعقيبات القانونية. وليس هناك جريمة في مجرد الانتقال من موضع آخر تستوجب اخذ تعهد منه بحسن السلوك.

حكومة يملك موظفوها اي قدر من حسن السياسة والذكاء تفضل في مسألة (ياقو) ان تتجاهله وتتجاهل حركته والقصد منها واضح - إلى ان يتيح لها قانونها فرصة ايقاع ضربتها به دون ان تتوقع لوماً او مؤاخذة ادبية.

اي شخص غير (ياقو) وفي الموقف الذي اتخذ لنفسه - سنتنايه الخيلاء ويتملكه شعور بالزهو والاهمية ويتوهم في نفسه القدرة على كل شيء عندما يجد نشاطه السلمي هذا قد أحدث القلق المقصود عند الموظفين. وسيركبه الغرور عندما يجد ثلاثة من الموظفين البريطانيين

المسؤولين ينشدون الاجتماع به والتفاوض معه لإقناعه بتقديم الترضية المعنوية التي تصر عليها الحكومة والشهادة على نواياه الحسنة بالتوقيع على تعهد بحسن السلوك.

يرى (ياقو) نفسه فجأة وهو يعامل كما يعامل أي شيخ من شيوخ العشائر العربية الكبار او واحداً من زعماء الكرد الثائرين. إلا أنه وعلينا ان نقر بالواقع لم يركب رأسه في هذا الموقف بالذات وكان الحق الى جانبه عندما احتج على طلب اخذ تعهد منه باعتباره اجراء غير قانوني ببساطة من عبارته «انا لست متعطشاً للقتل ولم اقم ضد السلطة ولم ارتكب عملاً مخالفاً للقانون لأوقع على مثل هذا التعهد، عندما كنت في الجبال ويرفقتي رجال مسلحون، اخترت ان اتركهم وأجيء اليكم بمفردى افلا يكفي هذا للتدليل على صدق نيّتي وعلى عدم وجود ضرورة لتقديم التعهد؟»

وأخال ان هذا الرجل القبلي كان يجد في طلب التعهد منه إهانة شخصية تحط من قدره وشرفه. ولم يكن يدري (ربما في حينه) ان تعهدات مماثلة كثيرة اخذت من قبليين عرب وكرد في الماضي لتحترق بإطلاقة بندقية واحدة. فضلاً عن انه اجراء غير قانوني لم يرسمه القانون إلا في احوال معينة لا تدخل فيها حالته هو ولا يرتب أي تبعة قانونية وان الحكومات تلجأ اليه عادة كاجراء معنوي تأكيداً لمظهر السلطة لا غير.

مع هذا قبل (ياقو) التوقيع مقترحاً صيغته في ٢٤ من حزيران رفضها متصرف الموصل. وآل به الأمر أخيراً الى توقيع التعهد الذي اقترحه عليه ستافورد^(٥) ولم يحدث أثراً في سلوك (٥) رفض المتصرف هذا التعهد الذي بعث به اليه:

(١) اني اعطي هذا التعهد بان يكون عملي وسلوكي جيداً كما كان حتى الآن. الا اذا اتهمت كذباً في المستقبل كما اتهمت في الوقت الحاضر.

(٢) ساطيع اوامر الحكومة واحترام القرارات القانونية التي ابلغ بها من قبل موظفي الحكومة بشرط ان لا تكون جائرة او ضد مصلحة شعبي.

(٣) في عين الوقت الذي يتم فيه الاتفاق بين غبطة البطريك والحكومة بخصوص الطلبات التي قدمها الشعب وحث مار شمعون على المطالبة بها فانا مستعد لأجيء الى الموصل بل ايضاً الى بغداد.

(٤) سامر جماعتي بالتفرق حالما تسحب القوات الحكومية.

(٥) الكاهن (پانفيل) سيكون ضامناً لكل ما قلته في هذا السند.

صورة: الى وزير الداخلية. الى غبطة البطريك. الى قائم مقام دهوك.

إلا انه وقع التعهد الذي صاغته الحكومة في الموصل بضمانة المبشر پانفيل Rev. Panfil : وهذا هو: اني الموقع ادناه (ياقو مالك اسماعيل) اعطيت هذا التعهد الذي طلب مني وفق المادة ٤٣ من نظام دعاوى العشائر وبضمان قدره مائتا دينار عراقي واعلن ضماني لصحة ذلك لمدة سنة واحدة بحسب الشروط الآتية:

١- التعهد بحسن السلوك والمحافظة على النظام واحترام القانون وبأن لا اذيع اخباراً ضارة بمصلحة الحكومة بين قبيلة تباري العليا او اي عشيرة أخرى. =

ياقو ولا تأثيراً على الأحداث التالية وما لاشك فيه ان السلطة كانت مدركةً هذا تماماً. لكن ما الذي جعل (ياقو) ورفيقه (لوقو) ينكلان عن الوعد الذي قطعاه بالذهاب الى بغداد واقناع البطريك كما زعما؟

خب (ستافورد) المسألة خبناً فانهى الموضوع بعبارة: «وبدلاً من ان يقصدا بغداد ذهاباً الى سورية» غير مكلف نفسه وربما عن قصد بشرح الاسباب لنكول ياقو عن وعده. إلا انه خرج عن صمته بشكل ما في خطبة له القاها على اعضاء الجمعية الملكية الآسيوية ونشرت في مجلتها. قال فيها:

«وزير الداخلية وافق على شروط قدوم (ياقو). الا ان الواقع هو أن الحكومة كانت قد اعترفت فرض غرامة مالية على الآشوريين وكمية من البنديقيات وهذا يعني تعرض الآشوريين الى خطر عظيم. فما كانوا يخشونه ويزعمون له هو تجريدهم من سلاحهم. وسيقاومون ولن ينزلوا عنه بغير سفك الدماء. وقد وجب عليّ ان اقول رأيي هذا فقد اعطيت (ياقو) عهداً لا يمكن التنصل عنه. وقد اصررت وبقيت على رأيي...»

و(ياقو) كغيره من الآشوريين كان على علم بهذا على انه لم يكن وكغيره ايضاً يجهل ان السلطة كانت تعمل منذ زمن بعيد على شقّ وحدتهم بنارين: الاحقاد القديمة واستغلال ضيق الأفق ومحدودية استيعاب الحيل التي يعزوها الجبلي لسكان السهل. وفي الاجتماع الذي جرى عقده في دار المتصرفية اتضح للجميع مدى النجاح الذي اصابته الحكومة في سعيها هذا خلال السنوات المنصرمة. ولست أدري هل أدرك عقلاء الموظفين العراقيين قبل ان تقع الواقعة مغبة هذه السياسة التركية الحمقاء، ومردودها الخطير على دولة حديثة اقيمت على اسس ديمقراطية عصرية؟

= ٢- ان اطيع اوامر الحكومة وتعليماتها واحترم كل الاوامر الموافقة للقانون التي يصدرها الي موظفو الحكومة.

٣- ان احضر بشخصي بناء على طلب متصرف اللواء او اي سلطة حكومية أخرى.

٤- ان لا اجمع بعد الآن الرجال المسلحين او غير المسلحين من افراد عشيرتي لغرض غير قانوني او بدون سبب من الاسباب وجيه من الناحية القانونية.

أضمن ياقو افندي ابن مالك اسماعيل بقبول وتطبيق هذا التعهد وأتعهد ان ادفع الضمان المذكور اعلاه وقدره مائتا دينار عراقي اذا اخل (ياقو) المذكور باي شرط من شروط التعهد.

توقيع ياقو والقس جون بانفيل
محلة جوية العكيدات- الموصل

٥ تموز ١٩٢٣

هناك دليل او اثنان على الأقل يشبتان نية الحكومة في تعميق اسباب الانقسام. فالاجتماع الذي تم عقده وأدى (بياقو) الى النكول عن عهده كما أتصور، كان قد تقرر عقده في شهر كانون الثاني فتأخر عقده حتى تموز وهو وقت متأخر جداً تبلور فيه الانقسام وتسعرت الأحقاد فتم بعدما تصاعد الشعور العدائي ازاء الحكومة باحتجاز البطريك.

يعلل (ياقو) عدوله عن الذهاب الى بغداد في كتابه:

«دعانا ستافورد وتومسن انا ومار يوسف ومالك اندريوس ومالك لوقو الى المتصرفية وطلبنا منا الذهاب الى بغداد لاقتناع مار شمعون للتوقيع على ما طلبه منه وزير الداخلية. فابتدر مار يوسف بالقول: انا رجل دين لم اتدخل من المبدء في امور قومية ولا أريد التدخل الآن. وقال مالك اندريوس: في كل من (لوقو وياقو) الكفاية...»

قلت لنفسي انها حيلة أخرى... وهي ايضاً مثل غيرها من الوعود الماضية ونيتهم ارسالنا الى سجن الناصرية. لأنهم يعلمون جيداً ان البطريك هو صاحب الأمر والكلمة الأخيرة ونحن مأمورون ولا تأثير لنا عليه..»

وهو تعليل لا يخلو من المنطق بحالة الشك المتبادل وبوجود السوابق عليه. فقد كان جزءاً رئيساً من اسلوب التعامل التركي مع الثائرين القائمين بوجه السلطة العثمانية، موغلاً في القدم برهن في كثير من الاحيان على جدواه. يتم استدعاء «المشاغبين» الى العاصمة ليقتلوا هناك او تضييع آثارهم أو ينفوا الى مكان قصي من الامبراطورية^(٦).

لكن ما الذي حمل ياقو ولوقو على توريط ابناء جلدتهما بعبور دجلة الى سورية؟

في الاربعينات واولائل الخمسينات وجدت عدداً من الآشوريين الذين عبروا معهما وبآثرهما

(٦) أقرب الأمثلة في تركيا العثمانية آل بدرخان في اواسط القرن التاسع عشر الذين جرى ابعادهم الى جزيرة في البحر المتوسط، ومحمد باشا امير رواندوز (كور) الذي قتل بعد وصوله. والشريف حسين ملك الحجاز الذي قضى عشرين عاماً محتجزاً في استنبول هو وأبناؤه. والفريق محمد باشا الداغستاني الذي نفى الى بغداد، ومدحت باشا الذي قتل حنقاً بعد نفيه الى مكة. وفي الدولة العراقية كان نفي الشيخ محمود الى بغداد، وشيوخ بارزان الى الجنوب (الناصرية والديوانية) وعدد من شيوخ الفرات الاوسط الى كردستان. وقد قامت الحكومة العراقية بأمانة تستحق الاعجاب بتطبيق هذا الإجراء ايضاً على عدد من مقدمي ورؤساء الآشوريين الذين لم تنشأ اسقاط الجنسية عنهم فاصدرت في السادس من آب أمراً بإلقاء القبض على كل من مالك اندريوس الجيلي، وصخريا ابن القس ايشاي واسكندروس كشتو، وملكيصاداق شليمون ابن مالك اسماعيل التياري ومالك ساوا ورده، وكيورجيس حجي، والقس اسحق ابن القس رمانا وارسلوا مخفورين الى الناصرية بقرار ابعاد صادر من وزير الداخلية.

وخاضوا معركة (الديره بون) ونجوا بشكل ما من عمليات التعقيب المميته في شعاب جبل بيخير، فلم اجد لاي منهم كلمة طيبة يقولها بحق (ياقو) وصاحبه (لوقو) واكتفى بعضهم بالقول انه اوقع ابناء جلدته في ورطة عظيمة. ووقف آخرون عند حد اللعنة، وخرج بعضهم عن طوره فلعنهما.

على اني وجدت بين ناشئة من الآشوريين الكتاب بدءاً باوائل النصف الثاني من قرننا هذا من يضع (ياقو) في مصاف الأبطال والوطنيين الخالدين وينزهه عما عزاه اليه اولئك المحاربون المسنون من كبرياء وقصر نظر وتهور. وهذا جيل أغرق تطلعاته القومية وأماله في آلام الماضي ونكباته ممتزجة بهجوم الحاضر وغموض المستقبل فكان بحاجة إلى رمزٍ بطولي يستوحى منه القوة والعزم على خوض معركة حريته وحقوقه القومية فأساء الإختيار في نظري، ولم يكن لي مندوحة والحالة هذه من الاطلاع على ما اورده هو نفسه من تعاليل لمغامرته السورية. ولقصور باعي عن اللغة السريانية فقد استعنت (بداود) ذي الفضل الكبير مع مؤلفي هذا ليترجم لي حرفياً الجزء الخامس من كتابه حول الظروف التي دعت الى الخروج وكيفية لحاق البقية الكبرى به. وهذه هي القصة كما رواها:

«... في الساعة الثالثة من فجر اليوم التالي غادرنا الموصل سراً معقبين الطريق المؤدية الى سمبل وبلغنا قرية (بوصريا) حيث تسكن عشيرة (تخوما) ولحق بنا في اليوم التالي شقيقي شليمون والرئيس هرمز يونان من التخوما. وروينا لمالك يونان رئيس التخوما والقس گورگيس وبريخا دبيت سامانو ما جرى بيننا وبين السلطة ومعارضينا... وبأننا لم نفهم شيئاً رغم الاجتماعات والمداولات سوى انهم لايعترفون بسلطة البطريك وانهم ينوون سوقنا الى سجن الناصرية. وقد تأكد لدينا ان السلطة بزعرها الشقاق والفرقة بين الآشوريين قد توفرت لديها الفرصة لانزال العقاب بنا نحن الاثنين بل للقضاء على شعبنا برمته. والسبب هو ان الآشوريين كانوا في العام الماضي قد ترددوا في دخول الخدمة العسكرية لبريطانيا (!) ولذلك عدلنا عن الذهاب الى بغداد وجئنا اليكم ونحن الآن بنظر السلطة العراقية خائنات يستحقان العقاب ولهذا بات من المستحيل ان نبقي هنا ونقدم تبريراً للسلطة للتضييق عليكم فقد رأينا ان نتوجه الى سورية لنلتقي بالمسؤولين هناك ونحاول قبولكم لاجئين في تلك البلاد. فإن حالقنا التوفيق فسنكتب لكم بالحق بنا. وان اخفقنا في مسعانا فما عليكم الا الخضوع والاستسلام والعيش مثل اخوانكم الآخرين.

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي انطلقنا الى الحدود السورية عن طريق

فيشخابور وكنا خمسة: أنا وبنيامين مروگل من تيارى العليا ومالك لوقو ومگو وموشي من التخوما. واصلنا السير ليلاً وشققنا طريقنا بصعوبة من خلال ارض تنتشر فوقها الأشواك، وعند تباشير الفجر بلغنا مقبرة تقوم في وسطها شجرة ضخمة تدعى (مرگه سور) وتقع عند قاعدة الجبل على بعد اربعة كيلومترات شرق قرية (ديره بون) ومكثنا هناك بعبيدين عن الانظار طوال ذلك اليوم. وعبرنا دجلة ليلاً من موضع في اسفل فيشخابور وعلى مسافة كيلومتريين منها بكلك مصنوع من جلد المعز يسير بالتجديف.

وبلغنا صباح اليوم التالي مقرّ القوة الفرنسية التي كانت بامرة الملازم (كوترش) المعسكرة شمال قرية (خانكي). وهي نقطة حراسة حدود تقع فوق تل يلي النهر مباشرة.

شرحنا للضابط أسباب مغادرتنا العراق. وحملتنا سيارة الى قرية (ديرك) في اليوم عينه، وقابلنا الكاپتن لاريسست آمر القوات الفرنسية في تلك المنطقة وبعد ان افهمناه باسباب مغادرتنا العراق قال اني سابلغ المندوب السامي (في النص "السفير") في بيروت ببرقية عاجلة وسأبلغكم بالنتيجة عند تسلمي الجواب.

في عين الوقت وفي اثناء وجودنا هناك كان ميجر تومسن ينتظر منا اخباراً معتقداً بأننا في بغداد. إلا ان الشرطة على الحدود في فيشخابور ابلغته فيما بعد ياقو ولوقو بصحبة ثلاثة آخرين قد وصلوا سورية.

وفي ١٧ تموز كتب مالك (لوقو) رسالة للقس جيورگيس من (بوصريا) جاء فيها: انتظروا حتى ورود جواب السفير (المندوب السامي) الفرنسي من بيروت. ونحن لاندرى ماذا سيكون القرار أسبقيل لجوءنا أم سيرفض. ولذلك نطلب منكم المحافظة على الهدوء ولا تتحركوا. وانتظروا رسالة ثانية منا.

وبدلاً من ان ينتظر القس المذكور كما نصحناه - فإنه ابلغ العشائر بوجوب ترك العراق. وفي ١٩ من تموز دخل الحدود السورية ٩٠٠ مسلح فاوقفتهم السلطات الفرنسية في (خانكي).

طلبنا من القس جيورگيس ومن رؤساء العشائر الآخرين. ما الذي حملكم على تجاهل تحذيرنا ولماذا لم تنتظروا رسالتنا الثانية؟ فأجابوا بمجرد ان ذاع نبأ عبورك الى سورية بدء رجال الدين العراقيين في الجوامع بتحريض الاهالي وإثارتهم ضدنا. وان القوات العراقية والأهلين تحركوا لقطع الطريق علينا. وبدأت السلطات في عين الوقت باختلاق الحجج للتهجم والتحريض ضد الفريق المؤيد لمار شمعون كما انكشف بطلان الادعاء القذر حول اتهام شليمون

ابن مالك اسماعيل والقس اسحق رمانا وخدام البطيركية برمي منزل أحد قادة الجيش العراقي بالموصل بالحجارة... انه حجة لاعلان الحرب علينا. وتاكدوا اننا خلال مسيرتنا الى هنا لم نتعرض حتى لبستان واحد.

وفي ٢٥ من تموز ١٩٣٣ بعثت بتوقيعي (الى جانب احد عشر توقيعاً) برقية الى وزير الداخلية ببغداد كالآتي^(٧):

نرجو من معاليكم أن لاتتصدوا لإخواننا الراغبين في اللحاق بنا تطبيقاً لما قيل لنا في الموصل اثناء الاجتماع الرسمي السياسي في العاشر من هذا الشهر بان كل من يريد الخروج من البلاد فهو حر حسبما قال وكيل المتصرف. هذا ولتكونوا على ثقة بأننا لا نية لنا في القتال إلا اذا ارغمنا عليه...

[بضعة اسطر يصف فيها محاولة الكاپتن سارگن مفتش شرطة الموصل الفاشلة في لقائه] في ذلك اليوم تسلمنا جواباً من كابتن لاريسست الفرنسي يبيئنا بقرار قبولنا لاجئين ويقول: عليكم قبل دخول الحدود السورية ان تقوم كل عشيرة بتسليم بندقياتها. وكان التخوما اول من سلم السلاح.

وعبر الكابتن المشار اليه نهر دجلة باتجاه قرية فيشخابور للقاء (مكي بگ) قائمقام دهوك. وبعد عودته اصدر امراً قاطعاً بوجوب عودتنا من حيث اتينا لأن «(مكي بگ) أخبرني بان السلطات العراقية ترغب ان تعودوا الى العراق وانها لاتنوي سوءً بكم وعليكم ان تعودوا من حيث اتيتم لأننا غير مستعدين لاساءة علاقاتنا مع بريطانيا بسبب الف رجل منكم لا بل من اجل خمسة آلاف فرنسي. فاجبته: اقول مع الأسف ان مكي بگ لا يصدق فيما يزعم ولا ثقة لنا باقوال السلطات العراقية».

[هنا يعود للكلام عن الكابتن (سارگن) الذي يعزو اليه منصب مدير الشرطة العام لسبب ما لا ادريه]:

«وحيث وجدنا انه يتعذر قبولنا في سورية لوجود بعض الاتفاقيات والقوانين بين بريطانيا وفرنسا، طلبنا نحن الأربعة: لوقو شليمون وايشوع دقليتتا وشليمون

(٧) الموقعون بحسب الترتيب: ياقو مالك اسماعيل (تياري العليا)، شماشما اسماعيل (لثون)، مالك لوقو (تخوما)، ايشوع القس عوديشو (ماربيشو)، مالك بيتو (تخوما)، ريس ورده شكرو (هلمون)، ريس اسحق (شامزون)، مالك ورده (ديزن)، مالك مروكل (تياري دوان)، رئيس ايشوع (قرية بلاني)، مالك سليمان برورعليا، يوشيا ايشوع (أربيل). [راجع آخر السيرة]

شقيقي وانا اللجوء بحماية السلطات الفرنسية المنتدبة على سورية...»

لم يكن (ياقو) والآخرين الذين حثوا ابنا جلدتهم وهياوا اذهانهم على ترك العراق وطنهم الام - يدركون ساعتها سبب العطف الذي تحظى به محنة الآشوريين عند الحكومة الفرنسية ولا الغرض الذي تستبطنه ضجة الإعلام الفرنسي وصراخ المندوب الفرنسي في أهباء مقر عصبة الأمم منبهاً الى ما يخبئه القدر للاقلية العراقية بعد انتهاء حكم الانتداب.

ويعين المستوى ما كان باستطاعة (ياقو) ان يدرك الفرق الجسيم بين هذه المساندة والتعاطف الزائفين وبين مدى الاستعداد لفتح الحدود السورية بوجه الآلاف من الآشوريين. فكان الأمران بنظره متلازمين وما عليه الا ان يذهب بنفسه على رأس وفد يفاجيء به السلطات الفرنسية «ربما» ليضعها امام الأمر الواقع وعندها سيتم استقبالهم ولن تقوم عقبة في هذا السبيل نكاية بالبريطانيين ان لم يكن لاي شيء آخر. وكل هذا مستخلص من برقيته المؤرخة في ٢٥ تموز التي بعث بها الى وزير الداخلية العراقي وقد ادرجنا نصها نقلاً عن كتابه.

هذا ما وقع او هو اقرب الواقع لما وقع. وليس هناك من سبيل للقبول بزعم (ياقو) الذي جاء متأخراً اكثر من ثلاثين عاماً - بأنه هو ورفاقه حذروا اخوانهم من الحركة نحو الحدود قبل ان يصلهم تأكيد بقبول لجوئهم من السلطات الفرنسية. إنها محاولة ساذجة لاستنقاذ نفسه من مسؤولية توريط الف وتسعمائة آشوري مسلح انتهت بحمام دم.

وياقو كغيره من الجبلين القبليين البسطاء الذين لم يتعودوا الكذب عادة، وان لجأوا اليه لم يحسنوه ويعجزون عن إحكامه. لكنهم مولعون بالمبالغة لذلك ظل رغم تقدم العمر وبعد بقائه بين مجتمع حضري راقٍ طوال ثلاثين سنة. عاجزاً عن تقديم تعليل ما لدوره ينجيه من حكم التاريخ، ومن مسؤوليته الخطيرة في تسهيل سبيل المخطط الدموي الذي رسمته حكومة بغداد للآشوريين، وقد وضع (ياقو) الدليل بأيدينا على جرمته فيما كتبه هو نفسه في مذكراته كما سأبينه وشيكاً^(٨).

مبدئياً نقول ان اولئك الذين زينوا للآشوريين مغادرة تربة الوطن الجماعية للاستقرار في ارض غريبة قاموا بعمل مضاد للمصلحة القومية، أدت مضاعفاته فيما بعد الى نزوح مستمر

(٨) اسعده الحظ في ان يخرج هو واسرته والاقربون سليمين من عواقب عمله. وابي ان يخلد للسكينة واستغل النكبة ليبنى من شخصه اسطورة بسبب اشتباك الديره بون الذي صوره لمن لايعرف الحقيقة معركة تاريخية وليسمو بها ويرفعها الى مصاف معارك آشوربانيبال وسنحاريب وسرجون دون ان يدري كم كان هذا ضارا بمصالح شعبه وسمعة الآشوريين عامة. وسمح لنفسه باضافة رتبة جنرال الى اسمه دون ان يتصدى لتكذيبها على مروجيها. فالرتبة الأخيرة الى وصلها في الليفي كانت رتبة نقيب (رابي تريما).

دائم الى مختلف البلدان. ان النزوح الجماعي عن تربة الوطن لايجد له مبرراً إلا بوجود تهديد حقيقي بعملية ابادة سكانية جماعية ونحن لا نستطيع قط الادعاء بان هذا ما كان يضمه حكام بغداد وضباط الجيش العراقي. كانوا فحسب وكما تبين فيما بعد قد رسموا لعملية تأديب شبيهة بتلك التي مارسوها من قبل ومن بعد، ضد الانتفاضات الكردية والعربية. وفي الموضوع الآشوري قد يكون ما أضمره الحكام والضباط العسكريون متمسماً بطابع اكثر دموية وقسوة مبعثهما الحقد والضغينة. والآشوريون أنفسهم ماكانوا يتوقعون ابادة جماعية، فجانب كبير منهم كان يقف الى صف الحكومة ويحظى برعايتها بعد ان جاهر بعدائه «لحزب البطريرك» والآخرين النازحون تركوا اهلهم وذويهم خلفهم بشعور اكيد منهم أنهم لايتعرضون لمضايقة او اذى. وكذلك بدليل انهم قطعوا مسافة تزيد عن ثمانين كيلومترا بجماعات صغيرة وكبيرة دون ان تعترضهم قوات الحكومة المترصدة ودون ان تلجئهم الضرورة الى اشتباك واحد.

ويعكس (ياقو) وصحبه، فقد قاوم مار شمعون واسرته قرار اسقاط الجنسية عنه واخراجه من العراق - مقاومة ضارية رن صداها ارجاء اورپا، في حين طلب ياقو والاربعة الآخرون قبولهم لاجئين سياسيين فأجيب طلبهم. ثم سهل لهم أمر التحاق عائلاتهم بهم.

قد يقال ويكثير من المنطق أن (ياقو) كان يخشى فعلاً على حريته كما قال. وربما كان يخشى من مصير شبيه بما لقي ضحايا بيخير وسميل. إلا أن قراره بالمسير الى سورية جاء قبل ذلك بوقت طويل وحين كانت مساعٍ ظاهرها توفيقى وسلمي تبذل لأجل احتواء الأمر. ولو كانت السلطة فعلاً تضمّر مذبحه للآشوريين - فمما لاشك فيه انها وبعد قيامها كانت عاجزة أمام صيحة الاستنكار العالمية ان تنال ظفراً واحداً من اي آشوري او تخضعه الى اجراءات عقابية. حتى ان حكومة بغداد خرجت عن عاداتها في إعلان حالة الطوارئ عند كل انفجار او قيام مسلح بل اسرعت امام الضغط العالمي بالغاء قرارات الابعاد عن اولئك الذين ابعدهم الى الناصرية.

ويعين المنطق لا أرى ان يحمل (مار شمعون) وآل بيته مسؤولية المسيرة الى سورية رغم ما ادعته الاوساط الحكومية بان ذلك تم بالتنسيق مع البطريرك، كما دل عليه سلوكه في الاحتجاج على نزع الجنسية عنه وعن أسرته وسوقهم مرغمين الى ديار المنفى. (وياقو) نفسه رغم ادعاءاته الضخمة وتعاليله الخاصة للاحداث لم ينوّه قط في مذكراته بأن النزوح الى سورية جرى بالتنسيق مع البطريرك او بأمر منه.

وفي رأيي أن هذا الأمر بالذات وما تلاه من عواقب كان السبب في الجفاء الذي آل بالأخير

الى القطيعة بين (ياقو) وبين مار شمعون.

بقيت حتى أواخر الاربعينات متردداً في اشراك (ياقو) وتحميله مسؤولية مهما صغرت لما حصل حتى اني كنت أنفر من تعليق (مالك خوشابا) زعيم التياري السفلى وخصم ياقو والبطريك العنيد، عند استذكاره تلك الاحداث. واذكر مرة في مجلس ضمني واياه بين مجالس عدة انه خرج عن صمت جليدي أثر عنه وعلا صوته الغليظ الحشن الراعش ملوحاً بكفيه البالغ الضخامة غير باخلٍ على (ياقو) بما اعتلج في نفسه من حق وقد اعتبره العقل المدير لعملية النزوح الجماعية الى سورية وما ادت اليه من الاشتباك الدموي في الديره بون الخ...

إلا ان (ياقو) يجد في ذلك الاشتباك ما يدعوه الى الفخر بنفسه باعتباره نصراً لقيادته ونتيجة لتاكتيكة العسكري فيقول:

«في عين الليلة اي بعد المعركة، عدت الى قرية (خانكي) لإعداد خطة جديدة لسحب المقاتلين من مواقع معينة ومطاردة الجيش العراقي المنهزم، وعندما بلغت القرية سمعت ان (لوقو) قد اصيب بجراح، وان السلطات الفرنسية جردت الآخرين من اسلحتهم ونقلتهم الى قرية (ديرك) ثم القت القبض علينا واخذونا سيراً على القدم زهاء اربعة ايام ووضعونا في معسكر اقيم للاجئين يبعد عن (الحسكة) كيلومتراً واحدة بحراسة رعييل من الخيالة الفرنسيين...

وفي شهر آذار ١٩٣٤ نقلونا للسكن في قرية (مار) الواقعة جنوب شرق دمشق بمسافة اربعين كيلومتراً. ثم عادوا ونقلونا الى محافظة الجزيرة ووضعونا في مخيم كبير يقع شرق نهر الخابور قريباً من قرية (تل تمر) وفي اثناء ذلك جاء (ميجر تومسن) من العراق وحاول اللقاء بي فرفضت مقابلته، فاستدعاني القومندان (دوترية) القائد العسكري المنطقة لحسكة وحاول اقناعي برؤيته فشرحت له اسباب امتناعي. وفي اوائل شهر تشرين الأول من السنة نفسها وصلت قافلة من العراق تحمل نساءنا واطفالنا واقاربنا. ولم يتم وصول بقيتهم اليها الا في شهر حزيران ١٩٣٦».

بتماذي الأيام وبالمزيد من تتبعاتي الوثائقية بدأت اشراك خوشابا والآخرين من المحاربين القدماء وجهة نظرهم في هذا الرجل وفي عمليته الهوجاء ولم اخف رأبي الأخير الذي كونته

في أي مناسبة بحث حول النكبة الآشورية.

وبعد ستة وثلاثين عاماً مرت على المأساة، شاءت الصدفة العجيبة ان يتم لقائي بياقو في ظروف استثنائية لايمكنني اغفالها هنا.

في شهر من اشهر صيف العام ١٩٦٩ ابلغني السيد إدريس البارزاني نجل (ملا مصطفى) ونحن في كردستان المحررة، بان (ياقو) ابن مالك اسماعيل قد حل عندهم ضيفاً مع شاب آشوري وقد قدما من الولايات المتحدة - فيما بعد علمت ان مرافقه هو سنخيرو اندريوس أو سام اندروز كما اطلق هو على نفسه وهو عضو في اللجنة التنفيذية للاتحاد الآشوري العالمي.

كان حزب البعث الحاكم آنذاك قد ورث الحركة الكردية التحررية المسلحة من جملة ما ورثه من الحكم الذي اسقطه في العام ١٩٦٨، وكانت الحرب الدائرة قد سلخت اكثر من سبع سنوات بين اشتباكات وهدن ومعارك شاركت فيها المجتمعات الآشورية المتواجدة في كردستان، واصاب قراها السهم الوافر من الخراب والدمار بنتيجة القصف الجوي وقتال الانصار. والى هذه الحركة توجهت انظار الحركة القومية الآشورية بمنظوماتها الجديدة السياسية في الولايات المتحدة، فبدأت علاقات جانبية واتصالات وارتأت المنظمات بالأخير ان يكون لها تعاون وتواجد في الحركة الوطنية الكردية. ووقع الاختيار كما يبدو على (مالك ياقو) لتمثيلها في زيارة لملا مصطفى البارزاني نظراً لاواصر من صداقة تاريخية نشأت في اواخر العهد العثماني بنتيجة مآثرة لاسماعيل والد ياقو وزعيم التياري العليا في حفظ حياة الشيخ عبد السلام البارزاني اخ ملا مصطفى باخفائه عن اعين السلطات العثمانية التي كانت تتعقبه في العام ١٩١٠^(٩).

(٩) هناك ثلاث روايات لحكاية استجارة الشيخ عبدالسلام بالآشوريين. اولها ما جاء في كتاب (بارزان وحركة الوعي القومي الكردي: لمؤلفة پيرش) الص ١٠٧-١٠٨: «... واستضافه بطريك الآشوريين مار شمعون بنيامين ربحاً من الزمن وكان والي (وان) مكلفاً بالبحث عنه وتقصيه فارسل قوة من الجندرية الى دار البطريك في عاصمته قرية (قدشانس) واخذ أمر القوة يتحدث الى البطريك بشأن مهمته قائلاً ان والي (وان) ارسلنا بعد ان بلغتنا أنباء عن وجود الشيخ عبدالسلام في ضيافتكم وانا اطلب تسليمه بأمر والي. انكر مار شمعون وجوده بقسم فريد في بابه ينم عن نكاه وألمعية في تفادي الكذب بقوله اقسام لكم بهذا الانجيل اني اراه بقدر ما تراه انت لا أكثر ولا اقل. وكان قسمه صحيحاً فقد كان الشيخ جالساً بين الحضور بزي آشوري وكلاهما يشاهدانه. وقع ذلك في العام ١٩٠٩.

وهناك رواية ثانية لسرما اخت البطريك (المرجع السالف ص ٥٨) قالت انه في العام ١٩١٠ التجأ شيخ بارزان واسرته الى قبيلة التخوما هرباً من الاتراك فأمنهم التخوما ورفضوا تسليمهم للترك الذي جاؤا للقبض عليه.

أما الرواية الثالثة فقد قصها علي ادريس البارزاني نقلاً عن والده قال ان الشيخ عبدالسلام لجأ الى زعيم التياري العليا (اسماعيل أغا) والد ياقو فأخفاه بين نساء الدار مدة طويلة حتى ينس الاتراك من الظفر =

وقد سبق أنه جرت بيني وبين (ادريس) أحاديث حول تاريخ الآشوريين الحديث الدامي. فوجدته لعجبي ينتحي بي جانباً قبل دخول مجلس البارزاني راجياً تحاشي اغضاب (ياقو) باي حديث عن الماضي. فطمأنته بان المقام لا يتسع لهذا ولا موجب للقلق من جانبي فلا مناسبة هناك ابداً ومن الحمق أن تستذكر في اول لقاء احداث جر عليها النسيان ذيوله^(١٠) وفي مثل هذا الموقف خصوصاً.

وبدء البارزاني كلامه بي مما اخجلي وأربكني، وقصده كما ادركت في الحال أن يشبث للقادمين انه ينظر الى مسيحيي كردستان وآشورييها عين نظرتة الى مسلميها. وقد أسلمتني افتتاحيته المقصودة الى نوع من الخدر فأبقتني ساكناً طوال الجلسة التي دامت ساعتين. وفي خلالها طرح القادمان تصوراتهما وامكان الجالية الآشورية في دار الغربية وبمجهود الاتحاد العالمي الآشوري تشكيل كتبية آشورية صرفة تقاوت العدو الى جانب الپيشمرگه ويقوم الاتحاد تزويدها بالمعدات والمساعدات المالية والعينية على ان يستقل بتعيين قائدها وضباطها وان تتضمن المطالب الكردية السياسية في حالة النصر والموفيقية ما يؤمن طموحات الآشوريين القومية في العراق. واذكر ان البارزاني اجاب بقوله: لقد عشنا معاً قروناً طويلة، وهذه كردستان امامكم تخيروا اي بقعة فيها واحكموا انفسكم بانفسكم.

وتم الاتفاق على اختيار لجنة تنسيق. وكان آخر حديث مجاملة صدر من (ياقو) قوله للبارزاني:

- إن شاء الله عندما يتحرر شعبانا سنبنني لنا أنت وانا قصرين في نينوى.

فردّ البارزاني بعد لحظة من الصمت باسماً:

- لم يعد يا ياقو من العمر ما يكفي لبناء القصور.

ذلكم هو (ياقو) بعينه لم يحدث فيه كرور السنين وتراكم التجارب اي تبديل فيه.

ثم تعاقبت الاحداث إثر تلك الزيارة بسرعة فائقة لتؤدي مما ادت الى اتفاق الحادي عشر من

= به. وان القسم الذي عراه (بيرش) الى مار شمعون اغا كان (اسماعيل) صاحبه وقد جرى في مجلسه. والروايات كلها تتفق في اجزاء ولا تنفي قيام الاطراف الثلاثة بالتستر على الشيخ عبدالسلام فقد بقي زهاء سنتين ينتقل متخفياً في ارجاء حكاري الجنوبية مواطن العشائر الآشورية.

(١٠) الحضور خلافاً للبارزاني وولديه ادريس ومسعود، هم الدكتور محمود عثمان ومحمد محمود عبد الرحمن عضوا المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني وكاهن كلداني نسيت اسمه لم يعد في عداد الاحياء، وفرنسو حريري.

أذار ١٩٧٠ بين حكام بغداد والحركة الوطنية الكردية ولم يعد هناك من سبب لوضع اقتراح الوفد الآشوري موضع تطبيق على الأقل بالنسبة اليهم.

بدء الحكام الجدد باتباع سياسة انفتاح وتهدئة لكل قطاع من قطاعات المجتمع العراقي توسلاً الى تحكيم قبضتهم وارساء قواعد حكمهم بازالة الآثار السيئة والجراح العميقة التي خلفها حكمهم قبل خمس سنين. وتوجهوا الى الكرد والحركة المسلحة بعروضٍ يتعذر رفضها. ثم انثنوا الى الآشوريين فاغرقوهم «بانعاماتهم» ومظاهر الكرم السياسي^(١١).

أحيا البعثيون التكرارة اسماء تاريخية محببة الى قلوب الآشوريين. فغيروا اسم محافظة الموصل وسموها (نينوى). واستبدلوا اسم محافظة الحلة باسم (بابل). واصدروا قانوناً سموه بقانون العفو عن القائمين بحركة آب ١٩٣٣ واعادوا بموجبه الجنسية العراقية الى من اسقطت عنه. وامتدت دعوة البطريك لزيارة العراق والبقاء الى (ياقو) نفسه في السنة عينها (١٩٧٠) فلم يتردد.

وعلى اثر ذلك صدر من مجلس قيادة الثورة المرسوم الذي أباح التمتع بالحقوق الثقافية للمسيحيين العراقيين^(١٢).

(١١) كان معظم القائمين بانقلابي ١٧ و ٣٠ من تومز من اهالي بلدة تكريت. ومن الجديد بالذكر ان اهل هذه البلدة والقرى المحيطة بها كانت بقية منهم الى ما قبل ستة قرون من المسيحيين الآشوريين الذي اعتنقوا الإسلام تدريجياً وامتزجوا بالعرب الوافدين وبالكرد والترك في القرن الحادي عشر، وإلى حدود القرن الثالث عشر كانت البلدة (وهي بالاصل قلعة فارسية) كرسياً لرئيس أساقفة (متروبوليتان) كنيسة الشرق وهي الكنيسة الآشورية ثم اليعقوبية. وقد شاهدت كما شاهد غيري في الخمسينات خرائب اكثر من كنيستين فيها وما ادري هل ابقى عليهما التكرارة الحكام ام ازالوها. ويقطع معظم المؤرخين وكثير من العراقيين بان تلك القبائل التي ينتسب اليها حكام بغداد الحاليين والمتوفون هي ذات اصل آشوري او اصل مختلط. ويبدو هذا الاصل العرقي في محافظة اهالي تكريت على بعض التقاليد والعبادات المسيحية وعلى اللهجة العربية التي تميز نطقهم بها وهي قريبة جداً من لهجة المسيحيين الموصلين.

(١٢) هذا هو نص القرار: قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة في ١٦ من ايار ١٩٧٢:

(أ) منح الحقوق الثقافية للمواطنين الناطقين باللغة السريانية من الآشوريين والسريان والكلدان وفقاً لما يلي:

١: تكون اللغة السريانية لغة التعليم في كافة المدارس الابتدائية التي غالبية تلاميذها من الناطقين بهذه اللغة ويعتبر تعليم اللغة العربية الزامياً في هذه المدارس.

٢: تدرس اللغة السريانية في المدارس المتوسطة والثانوية التي غالبية تلاميذها من الناطقين بهذه اللغة وتعتبر اللغة العربية لغة التعليم في هذه المدارس.

٣: تدرس السريانية في كلية الآداب بجامعة بغداد كإحدى اللغات القديمة.

٤: استحداث برامج خاصة باللغة السريانية في اذاعة الجمهورية العراقية ومحطتي تلفزيون كركوك ونيوى.

٥: اصدار مجلة شهرية باللغة السريانية من قبل وزارة الإعلام. =

بعد ان فشلت بغداد في اقتناع مار شمعون بالبقاء في العراق وجهت اهتمامها (بياقو) وكانت قد علمت بصلاته وزياراته لكردستان المحررة وبمقترحاته نيابة عن المنظمات الآشورية في المهجر - وعلى الأغلب عن طريق مرافقه (سام اندروز) الذي اتهمه الاتحاد العالمي الآشوري بالعمالة لبغداد وقرر طرده اثر محاكمة حزبية.

وفي شهر شباط ١٩٧٢ لبي ياقو دعوة الحكومة واعقب زيارته بزياراتٍ ورتب له لقاء مع أحمد حسن التكريتي رئيس الجمهورية واخذت له صور بالمناسبة. كان المسيحيون والآشوريون بنوع خاص يعيشون ايام اعراس في الواقع لا فكرة لهم عما يخبيء لهم حكام بغداد وراء هذه الاقنعة الزاهية.

واجتمع (ياقو) مرات بالنائب (صدام حسين) وبكثير من المسؤولين. وبقيت وقائع هذه الاجتماعات غير معروفة الا بقدر ما سمح (ياقو) لنفسه بالكلام عنها.

ومما قاله لزيارته انه كان يفاض في سبيل إقامة وحدة ادارية ذات حكم ذاتي في احد = ٦: انشاء جمعية الادبية والثقافية في القطر. والجمعيات الادبية والثقافية في القطر.

٧- مساعدة المؤلفين والكتاب والمترجمين الناطقين باللغة السريانية مادياً ومعنوياً بطبع ونشر انتاجهم الثقافي والأدبي.

٨- تمكين المواطنين الناطقين باللغة السريانية من فتح النوادي الثقافية والفنية وتشكيل الفرق الفنية والمسرحية لحياء وتطوير التراث والفنون الشعبية.
(ب) ينفذ هذا القرار من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية ويتولى الوزراء تنفيذه.

والواقع هو أن هذا القرار ماهو إلا تفصيل لواحد من حقوق كثيرة أخرى سياسية وادارية تضمنها التعهد الدولي الذي وقعته الدولة العراقية لحماية الاقليات في العراق وكان توقيعه شرطاً أساسياً لانتهاء الانتداب عليه وقبوله عضواً في عصبة الأمم. تجد نص هذا التعهد في باب النصوص.

رغم الصدى العميق الذي أحدثته هذه الالتفاتة عند المسيحيين والآشوريين منهم بصورة خاصة فإنه لم يكن ذا فائدة عملية تذكر ففي المدن الكبرى حيث يتركز المسيحيون والآشوريون الآن بعد ان قضت الحرب الطويلة في كردستان الى جانب التداير العسكرية والقمعية الوقائية - لن تجد اية مدرسة ذات اكثرية مسيحية لا في بغداد ولا الموصل ولا كركوك. وتم بالتدرج وأد النشاط الثقافي باخضاع القليل الذي سمح به الى الرقابة الحكومية ولاسيما النشرات الدورية التي سلمت ادارتها وتحريرها لاعضاء في الحزب الحاكم ولم يعمل على تدريس اللغة السريانية في الجامعات كلغة شعب عراقي يتكلمها بل كلغة قديمة اختارها المعهد او الفرد ممثلاً تدرس اللاتينية واليونانية في المعاهد العليا ذات الاختصاص في الغرب.

مما لاشك فيه إن النظام تمعد اختيار كلمة (منح الحقوق) في قراره بدلاً من وضع التعبير السليم الواقعي كقوله (إقرار الحقوق) او اي تعبير آخر يدل على ان هذه الحقوق الطبيعية الازلية ليست منحة او هدية يتفضل عليها حكم على شعب. وما هذا الا دليل على ان الحكم الذي «منح» قد احتفظ لنفسه بحق استرداد تلك المنحة كلاً او جزءاً عندما يشاء. وانا لا ادري كيف غفل المتفقون المسيحيون في العراق وما اكثرهم وقبلوا بهذه الصياغة المعيبة في حينه!

اقضية دهوك. واشيع ان بغداد بذلت للآشوريين بمساعيه وعوداً غامضة ضخمة. الا ان ما حصل في الواقع هو أن السلطات اغرقته بالأموال والأمانى الشخصية وابدت استعدادها للاعتراف به ولو بشكل غير رسمي زعيماً للآشوريين في العراق وفي المهجر تتعامل معهم عن طريقه بعد بأسها من تجنيد مار شمعون باقناعه بالاقامة في العراق.

فسافر الى الولايات المتحدة ثم عاد الى العراق في ٢٦ من شهر شباط ١٩٧٣ على رأس وقد مؤلف من الجمعيات الآشورية وحلوا ضيوفاً على نفقة الحكومة. وتم خلال اجتماعات طرح مشاريع لم يكشف عنها بخصوص القضية الآشورية. الا ان احد المطالعين ذكر لي انها كانت بجملتها ترمي الى بذل مساعٍ معينة لبسط نوعٍ من الهيمنة على تلك الجمعيات والحزاب وتوجيهها سياسياً وفق اهداف النظام ومصالحه.

كما ذكر لي ان السلطة حاولت استغلال (ياقو) في العمل على تجنيد ابناء جلدته لخدمة النظام ومن بين العروض التي قدمت له تسليح القرى والقصبات الآشورية المتاخمة لكردستان والمتداخلة منها. إلا ان هذا العرض بالذات لم يكتب له الخروج الى حيز العمل وربما لم يكن هذا يستقيم ورأيه الخاص وينسجم مع علاقات تقليدية طيبة اشرفنا اليها سابقاً، وربما لأن آشوريي اليوم كانوا يختلفون تماماً عن آشوريي ١٩٣٣، فهم الآن مستقرون حضريون نالوا من الثقافة والعلم نصيباً كبيراً وبلغوا درجة عالية من الوعي القومي والسياسي فبات من الصعب ان يقادوا من أنوفهم أو ان يتلقوا الأوامر، وقد وجدوا وجود هو ايضاً بالنتيجة إن ذلك سيؤدي الى وضعه على خط مواجهة مع الكرد بل هو مظهر عداء مكشوف للحركة القومية الكردية من شأنه ان يقضي على الحلف التقليدي ووحدة المصير.

توفرت لدى القيادة الكردية معلومات اكيدة عن المجهودات التي كان يبذلها حكام بغداد بعد اتفاق ١١ آذار مباشرة لابعاد الاقليات المسيحية عن الحركة الكردية وقد تكتفت هذه المجهودات في ١٩٧٣ وما بعدها عندما اقترب اجل تنفيذ اهم شروط الاتفاق وهو تطبيق الحكم الذاتي ولما كان الطرف الحكومي يتوقع مقاومة كردية لاي مشروع يقدمه قد تؤدي الى صدام مسلح جديد فقد حاول اضعاف جبهته ولم تكن هذه الاجراءات التي اقدم عليها النظام للتقرب من الاقليات الكلدانوية خصوصاً إلا جزءاً من تلك الخطة، ومن جملتها مغالبة (ياقو) ومحاولة جره الى خندق الحكومة واستغلال اسمه وقد نجح النظام في حمله هو وولديه (زيا) و (داود) على البقاء في العراق ولم يبخل عليهم بالمال.

الا ان الزمان كما قلنا تغيير والجيل الجديد لايعترف بالزعامات القديمة، ولايحتفظ عن

أحداث ١٩٣٣ إلا بذكرى مؤلدة ممضة قليلة التأثير على المسار الفكري والوعي السياسي الحديث الذي لا يجد فيه ذوو الشهرة واصحاب الاسماء اللامعة موضعاً.

وإذا كان (ياقو) وولداه قد حاولوا فعلاً القيام بما طلبه النظام منهما فلا شك في ان الفشل كان حليفهما. وان لم تكن تملك دليلاً على قبول (ياقو) مبدئياً التعاون مع السلطة في تأليف قوة آشورية او اتخاذ خطوات عملية. الا ان هناك تأكيدات موثقة على نشاط ولديه زيا وداود (قاتل البطريك) وخيبتهما في هذا الباب وتوفي (ياقو) بالسكنة القلبية في بغداد بتاريخ ٢٥ من كانون الثاني ١٩٧٤^(١٣).

واشاع بعض اولئك الذين كانوا يحرصون على سمعة الرجل أنه مات مسموماً لرفضه التعاون مع السلطة، وهو امر استبعده كثيراً وقد وجدته في لقاء لي أخير به في العام ١٩٧٣ ببيروت عند الاسقف (نرساي) وهو يزعم السفر الى بغداد - تعباً عليلاً يشكو المرض.

لقد وجهت اليه الجاليات والمثقفون الكرد والأشوريون في حينه انتقادات كثيرة على بقاءه في حنى النظام. وان كان لابناء جلدته حق في هذا الانتقاد فأنا لا ارى وجه حق للكرد في انتقاد اي آشوري او مسيحي لعين الموقف الذي كانت الحركة الكردية بزعامه الحزب الديمقراطي الكردستاني تقفه من التعاون مع النظام وبوجود اعضاء له في الحكومة.

ومع هذا كله فقد تعرضت «بطولاته» الماضية، وهالة المجد التي نسجها البسطاء له - الى (١٣) محسن دزئي، من (أحداث عاصرتها): «قبل سفري بيوم واحد سمعت أن الزعيم الاشوري مالك ياقو الذي كان يسكن كندا موجود في بغداد وهو يرقد في مدينة الطب للعلاج، ورأيت وأنا مسافر الى أوتاوا كسفير (أن أزره بحكم سكناه السابق في كندا) فذهبت حاملاً له باقة كبيرة من الأزهار ووجدت حارسين خارج باب غرفته من منتسبي الأمن العراقي. وقد حاولا منعي من الدخول إلا أنني أوضحت لهما بأنني سفير العراق في كندا ففسحا لي المجال دون السؤال عن اسمي أو هويتي وظلنا أنا وأحد كبار البعثيين. فدخلت على مالك ياقو وسلمت عليه وعرفته بنفسه فظن هو ايضاً أنني من البعثيين. وكان رجلاً مسناً متعباً لذلك ظل متمدداً على فراشه وقال لي بلغة عربية ركيكة وبعض الجمل الانكليزية انه جال المنطقة الشمالية كلها على الأقدام من زاخو الى الحدود الإيرانية وأنه يعرف المنطقة شبراً شبراً وأنه قادر على محاربة الثورة الكردية والبارزاني ويطلب نقل هذا الرأي للمسؤولين!! ضحكت من ذلك القول. وبعد تبادل كلمات المجاملة تمنيت له الشفاء وتركته، وعدت الى الفندق الذي كنت أقيم فيه. وعصر ذلك اليوم حضر الفندق السيد (زياً) نجل مالك ياقو وكنت أعرفه معرفة بسيطة كوني قد التقيت به مرة أو مرتين في بعض المناسبات. بعد السلام والترحيب به اعتذر عما قاله والده، وقال بأنه لم يعرفني وأنه رجل مسن ومريض وأكد بأنه من غير الممكن الاساءة الى العلاقات الأخوية بين الكرد والأشوريين فابتسمت وأبديت في قوله، وقلت أنني نسيت الموضوع. وأنا أعلم بأن هذا الكلام قد صدر عن والده بسبب مرضه وكبر سنه ولأنه لم يعرفني. وقد حررت رسالة الى البارزاني حول ذلك اللقاء وموقف السيد زيا ورأبي الخاص. وعلمت فيما بعد بأن مالك ياقو ونجله زياً قد غادرا بغداد بعد رفضهما طلبات النظام بالتعاون معه.» (محسن دزئي: أحداث عاصرتها، ج٢، الص ٢٤٤-٢٤٥، أربيل ٢٠٠٢)

تقويم جديد واعادة نظر، كما سئل هو وولداه وبعض اعوانه عن مبالغ كبيرة سلمت لهم. مع هذا كله فالذي يبدو لي ان صاحب السيرة رجل مخلص في اهتمامه بمستقبل أمته قدر اخلاصه لنفسه. وانه كان لفترة معينة مستعداً للتضحية في سبيلها بنفسه والتطويع بمستقبله بأسلوبه الخاص ووفق تفكيره المحدود القبلي وباندفاع من طبعه الحار ودمه السريع الغليان مع شجاعة واقدام تبلغ حدود التهور والتسرع شهد له بهما كل من عرفه عن كذب وزامله. لقد بلغ به التسرع والتهور شأواً قصياً في تلك المغامرة السورية التي زوّدت مثلث (رشيد عالي - حكمت - بكر صدقي) الأسود وغوغاء بغداد والموصل بالحجة المنشودة لمباشرة مذابحهم وهو ما لا يمكن اغتفاره له مطلقاً.

استدراك: على الصحيفة (٢٢٩٢) من هذه السيرة عثرنا على رسالة في أوراق عصابة الأمم والوثائق الخاصة بالأشوريين مؤرخة في ٢٣ تموز ١٩٣٣ بعين مآل البرقية أو الرسالة المؤرخة في ٢٥ تموز. وهذه صورتها وترجمتها:

٢٣ تموز ١٩٣٣: بالقرب من خانكي الى وزير الداخلية. بغداد
يا صاحب المعالي

بنتيجة الاجتماع في الموصل سُرحت لنا سياسة الحكومة العراقية بخصوص الإسكان والبطريك. قال المتصرف بكل صراحة ووضوح: «أولئك الذين لا يوافقون على هذه السياسة هم أحرار في أن يهاجروا من العراق» وبناء على هذا جئنا الى الحدود ونرجو من الحكومة العراقية أن لاتقطع الطريق على أولئك الذين يريدون اللحاق بنا.

الموقعون: ياقو (مالك اسماعيل)،
مالك بيتو، لوقو شليمون، مالك
مروكي، توما مخمورا، يوشيا
ايشو، مالك سليم، رئيس
مخائيل

إيدي ك.

سكرتيرية الهجرة الاشورية

[Copy]
July 23rd, 1933.
Near Khanki.
Minister of Interior,
Bagdad.
Honourably,
As a result of Mees meeting the Iraqi Government policy was explained to us both regarding settlement and Patriarch.
Monsieur openly said " those unsatisfied with this policy are free to do emigrate from Iraq ". Accordingly we have come to the frontier and we request the Iraqi Government not to block the road to those who want to join us.
We got no intention to fight unless forced.
(Signed) Yacob Malik Issam; Malik Bitto; Loko
Mehran; Malik Wanda; Hala Issa; Hala
Issam; Malik Masoud; Toman-D. Mas-
soude; Yousif Issa; Malik Hala; Hala
Issam; Hala Mehran.
Hala K.
Secretary of the Assyrian Migration.

لورنس العرب في ثورة الحجاز

[توماس إدورد لورنس]

T. E. Lawrence of Arabia

(١٨٨٨-١٩٣٥)

حسين لم تحقق إلا نجاحاً متواضعاً، بل حتى هذا النجاح الصغير فإن الفضل فيه يعود للبريطانيين فالترك الذين كانوا على الساحل وقعوا بين قطع الأسطول البريطاني وبين البدو العرب فاحتتموا وراء الأسوار والجدران ثم اضطروا الى الاستسلام بعد نفاذ القوت والماء لأن الآبار التي يمتارون منها كانت خارج الأسوار، وقال الأسرى الذين استسلموا في جدة إن القذائف من الجو ومن البحر هي التي استولت على الميناء.

وتحدث لورنس في العدد الثاني والثلاثين الصادر في أواخر تشرين الثاني عن القيمة القتالية لرجال شريف مكة فقال:

«كجنود لا فائدة ترجى منهم، إنهم محض عشائريين غير مدربين لا يملكون مدفعية أو رشاشات يفضلون العرض الروائي في المعارك الحربية ولا يمكن جمعهم في وحدة دائمة فعالة لأي فترة من الزمن مهما قصرت إلا بدفع المال والجرايات العسكرية والأرزاق لهم، فهي التي تجتذبهم...»

ثم يستطرد ليقول:

«في اعتقادي ان سرية تركية واحدة مخدقة بشكل صحيح في أرض مستوية، قادرة على دحر كل جيوش الشريف. فقيمة القبائل هي الدفاع فحسب ومجال نشاطها هو حرب عصابات لا أكثر. إنهم فرديون الى أقصى حد لا يخضعون الى قيادة ولا يمكن ترويضهم للقتال صفاً واحداً والتعاون بعضهم مع بعض. من المستحيل أن تجعل من هؤلاء قوة نظامية.»

ولذلك قنع لورنس من مداخلته التالية منهم وعندما أصبح ضابط ارتباط لفیصل ابن حسين بعمليات صغيرة تخريبية لا أكثر... إلا ان ذلك سيأتي بحته فيما بعد. والآن...

كيف انفتح باب الشهرة للورنس؟

في شهر أيلول ١٩١٦ كانت تقارير الاستخبارات الواردة الى المكتب العربي في القاهرة تشير الى أن ثورة الحجاز تسرع بخطى حثيثة الى الانهيار بل بأسرع مما كان متوقعاً. اتخذت إجراءات عدة وسمعت آراء كثيرة حول معاونتها للوقوف على قدميها ومنعها من الانهيار، فارتؤي إناطة هذه المهمة بإرسال (ستورز) لدراسة الوضع في الحجاز مصطحباً معه كلاً من عزيز علي المصري ولورنس الشاب البالغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً. (قيل انه رفض عند تقدمه للتطوع في الجيش لضآلة جسمه وكان يبدو ابن التاسعة عشرة أو العشرين). وكما ذكرت آنفاً بدا ضائعاً في مجموعة موظفي المكتب العربي التي كانت تضم أعضاء في مجلس

ولد لورنس في تريمادك من أعمال ويلز، إلا أن أسرته استقرت في أكسفورد ودرس في «كلية يسوع» بتلك الجامعة ثم ويتوسط من هوغارث الاركيولوجي المعروف دخل كلية المجدلية في الجامعة نفسها، وزار الشرق الأوسط لأول مرة في العام ١٩٠٩ في سفرة الى سورية وفلسطين بهدف دراسة فن العمارة في العهد الصليبي. وبوساطة من الدكتور هوغارث فاز بمنحة سفرية مجانية من كلية المجدلية عاونته على الانضمام الى حملة استكشافية في موقع «كركميش» الأثري على نهر الفرات. وبقي يتردد بين بين خلال ١٩١١-١٩١٤ ثم انضم الى بعثة الآثاري الشهير مكتشف قبور مدينة أور فيما بعد السرّ (ليونارد وولي) لارتياذ الجزء الشمالي من صحراء سيناء في العام ١٩١٤ ثم خلفه في رئاسة البعثة النقيب نيوكب وزامله لورنس ايضاً. هذه في الواقع عملية تغطية للغرض الأصلي وهو الحصول على معلومات عسكرية لوزارة الحرب عن الجانب التركي للحدود مع مصر. وأوقفت الحرب العظمى العمل وعاد لورنس ليعمل في قسم الخرائط في وزارة الحرب. وعندما تأسس المكتب العربي في القاهرة برئاسة هوغارث أسرع لورنس لينضم اليه ويعمل معه. والمكتب العربي كان في الواقع مركز تجسس وجمع معلومات ثم أنيط به الإشراف على ثورة شريف مكة. لم يكن لورنس باديء ذي بدء عضواً بارزاً في منظمة المكتب العربي بل كان عضواً ثانوياً صغيراً كلف بمهمات صغيرة تتعلق بالمسح وتظيم الخرائط. إلا أن ما يدعى بـ(النشرة العربية) كانت من بنات أفكاره، كان يطبع من كل عدد ستاً وعشرين نسخة وهي سرية، نوّه في أول عدد منها وتاريخه السادس من حزيران ١٩١٦ بشيء حول الحجاز مشيراً الى مشاكل توحيد العرب حتى لغرض القيام بثورة. ومما قاله:

«كلما كان هناك إجتماع لقبائل عربية، مايلبث أن ينشب بينهم الخلاف. والمعرفة الترك بهذا الضعف فقد كانوا يسكتون ولا يقدمون على أمر ويتربصون ويراقبون بل وينتجون جانباً بتوقع أكيد ان العرب القبليين ما يلبثون أن يختصموا فيما بينهم أو أن يتفرقوا على الأقل.»

ويشير العدد السادس الصادر في ٢٣ حزيران ١٩١٦ الى أن الثورة التي أعلنها الشريف

العموم وأصحاب ملايين وحملة ألقاب وأرستقراطيين. كان في الدرجة السفلى في سلم أعضاء المكتب العربي. فانتشله ستورز من زاويته باختياره لمرافقته وفيها بدأ ذبوع اسمه^(١). وفي جدّه التقى بالأمير عبدالله ابن الحسين فأحدث عنده انطباعاً جيداً وراق له وصادفت آراؤه هوى في نفسه الى الحد الذي صحبه لملاقة أبيه وأخوته ولاسيما الأمير فيصل.

زار فيصل زيارة خاصة وقرر في ذات نفسه ان هذا الأمير الذي بهرته شخصيته يجب أن يكون القائد الميداني للثورة الحجازية.

وكان ثم مصدر لشهرته آخر تأتت من اتفائه في الرأي مع المكتب العربي والسلطة البريطانية السياسية في مصر والسودان على وجوب إبعاد الفرنسيين قدر المستطاع عن شؤون الشرق الأوسط والحيلولة دون تدخلهم في شؤون الجزيرة العربية وعلى الأقل إشراكهم في عملية إنقاذ ثورة الشريف حسين التي تحتضر.

كان هناك خيار للمشروع الفرنسي في عملية الانقاذ اقترحه لورنس على الجنرال ريجنالد وينگيت، وهو المشروع الذي عرف باسم مشروع بريمن^(٢) في استخدام القوات الفرنسية والحليفة لتقوم بمهام الشريف التي فشل دونها.

وكتب لورنس في نشرته ويتقرير له ان رجال القبائل الخاضعة لاوامر شريف مكة لا يمكن استخدامها الا بمثابة قوات غير نظامية في حرب عصابات يخطط لها ويقودها بريطانيون. ان هذه الفكرة اساساً لم تكن من بنات افكار (لورنس) فقد سبق (عزيز علي المصري) ان تبناها وهو الذي أوحى له بها اثناء وجودهما معاً في الحجاز بمعية (ستورز) والحق لورنس بان يكون فيصل قائداً لتلك الفضائل والعصابات القبائلية. وبهذه بات يمكن اخراج الفرنسيين من

(١) كان قد عمل ككلميد أركيولوجي عند هوكارث في المتحف الاشمولي فأخذه معه عندما نسب لرئاسة المكتب العربي ومنح رتبة ملازم ثان وقتية وبوظيفة مترجم وتم نقله من وزارة الحرب الى دائرة الشرق الأوسط ليقوم بعين العمل أي مسح وتنظيم الخرائط وما شاكل ذلك من أعمال داخل المكتب.

(٢) أيدت تقارير الاستخبارات البريطانية في القاهرة مال ثورة الحجاز المحزن الى الانهيار، ورأى (سايكس) إرسال نجدات عسكرية الى الحسين فوراً فلم يؤخذ برأيه ورفضت هيئة الأركان العامة نقل جنود الى ذلك الميدان أو بذل اي مجهود لنحويل بعض القطعات من الجبهة الغربية ثم اهدى البريطانيون الى فكرة ارسال مئات قليلة من أسرى الحرب من الهند او ميسوپوتاميا للحسين. لكن وتبعاً لنداء (مكماهون) لفرنسا، وافقت الحكومة الفرنسية في نهاية صيف ١٩١٦ على ارسال حملة عسكرية مع بعثة لدراسة الموقف في الحجاز وكان برئاسة الكولونيل (ادورد بريمن) الذي رافقته حملة تعدادها ٩٨٣ جندياً و٤٢ ضابطاً من العسكريين والخبراء المحترفين جمعوا من مسلحي المستعمرات. وهذا ما حمل البريطانيون على تعزيز اسطولهم الحربي في البحر الاحمر وارسال وجبة أخرى من الجنود لتعزيز موقع ممثلهم العسكري الكولونيل ولسن C.F. Wilson. وفكر بريمن من جهته زيادة عدد الحملة. فقد كان الامير عبدالله يخشى فعلاً ان يقوم الاتراك بالهجوم والاستيلاء على مواقعهم بين مكة والمدينة.

الموضوع ولم ينس (لورنس) نفسه في هذه الخطة فقد اقترح لنفسه منصب ضابط الارتباط الوحيد بين المكتب العربي وبين فيصل.

وقعت مقترحات لورنس وقعاً طيباً عند المكتب العربي عندما وجد انه استطاع بمدة قصيرة جداً أن يلفت اليه نظر ابناء الشريف حسين وتحبيذهم وجوده كحلقة صلة. بعد عشرين عاماً يكتب الجنرال وينگيت لزميل له مدعيماً انه «وليس ذاك القميء المسكين لورنس الذي دفع بالحركة العربية الى الامام ودعمها وانه هو صاحب فكرة استخدام العرب في حرب عصابات»^(٣) مع هذا فإن المكتب على اية حال لم يكن يرى في حرب العصابات اي جدوى، إلا أنه لم يكن هناك قوات بريطانية نظامية يمكن الاستغناء عنها لشن حرب نظامية في جزيرة العرب.

أجل سارع المكتب بالموافقة مسروراً على اقتراح لورنس واعتباراً من هنا بدأ نجمه في صعود، ومقامه بالارتفاع.

ترك لورنس القاهرة في ٢٥ من تشرين الثاني ١٩١٦. ليوجد مع فيصل في أواخر تلك السنة وقد جاء ومعه مقدار كبير من الذهب لشراء ولاء القبائل العربية^(٤) الا أن شتاء وبيع العام ١٩١٧ لم يحملا اي نياً عن نجاح.

لم يكن للادارة البريطانية المدنية في القاهرة اتصال كبير بلورنس ضابط ارتباطهم هذا وفي ربيع ١٩١٧ انقطعت اخباره عنهم وابتلعته الصحراء ولم تعر الادارة (المكتب) اي اهتمام باختفائه ولم تحاول السؤال عنه كذلك لم يكن المكتب مهتماً بما يفعل فيصل بعد فقدانها الثقة التامة بثورة الحسين.

وقد اتضح فيما بعد ان لورنس ذهب الى (الشيخ عودة ابو تايه) وهو زعيم قبائلي مقاتل لاتحاد قبائل في شمال الجزيرة، ونجح بشرائه بمبلغ عشرة آلاف پاون سترليني. بهدف حمله على الهجوم واحتلال (العقبة) وهي ميناء حامل صغير يقع على رأس شبه جزيرة سيناء الجنوبي في فم خليج بلغ من ضيقه ان الاسطول البريطاني كان يحجم عن دخوله خوفاً من بطاريات مدفعية الساحل العدو. وكانت حامية الميناء الصغيرة لاتتجاوز مئات قليلة. وقد خططت قبائل (ابو تايه) الانقضاض عليها من الخلف واحتلاله بعملية مباغثة.

(٣) المتحف العسكري الامبراطوري «اوراق ت. ي. لورنس» - Imperial War Museum - Lawrence Papers 69148

(٤) بريتون كوبر بوش: بريطانيا الهندية والعرب ١٩١٤-١٩٢١ Briton Cooper Busch: Britain India and the Arabs 1914-1921. كالفورنيا: ص ١٢١.

(ابو تايه) هو الذي قاد المعركة. إلا أن لورنس كان معه. في السادس من تموز ١٩١٧ وبهجمة مباغتة احتلت المدينة وأسر كل أفراد الحامية. ورغم مشاق السفر تمكن لورنس من الوصول الى السويس حيث مقر القيادة البريطانية قاطعاً صحراء سيناء طويلاً لابلغ القاهرة بسقوط العقبة الأمر الذي أحدث ضجة عظيمة وارتفع قدر (لورنس) في عين القيادة العامة وقتما تسلم الجنرال (النبلي) القيادة فمنح لورنس رتبة رائد.

كان في لورنس فضائل كثيرة. إلا أن الأمانة والصدق لم تكونا منها^(٥) في احيان كثيرة كان يتحدث من وحي الخيال او من اللاشعور بأمور كوقائع ثابتة لا يأتيتها ريب. فقبل سقوط العقبة بأشهر قلائل بعث برسالة للجنرال كلايتون تتضمن وقائع خيالية تماماً عن حملة ادعى بأنه قادها بنفسه^(٦). ها هو الآن يملك مآثرة حقيقية شخصية يعلنها ويبالغ في تفاصيلها. اذ كان يترك سامعيه يعتقدون بأنه كان صاحب الدور الرئيس فيها.

احتلال العقبة كان نهاية لدوره الاول البالغ تسعة أشهر من العمر بوصفه بطلاً حروباً. في حين لم يسمع باسم (الشيخ عودة ابو تايه) زعيم الحويطات يجري على السنة اي بريطاني.

وكائن من كان ذاك الذي خطط وأقدم على احتلال العقبة فانه قلب ثورة الحجاز المتفوقعة على نفسها حتى ذلك الحين الى ثورة حقيقية بوجود الحامية التركية في مكة، وهذا النجاح جعل الاسطول البريطاني قادراً على نقل البدو العرب الى فلسطين. ولأول مرة صار بإمكان بدو الحسين بلوغ ميدان القتال الفعلي حيث يواجه البريطانيون القوات التركية. اذ استطاع لورنس اقناع الجنرال اللبني بإمكان العرب غير النظاميين مساعدة القوات البريطانية في الحملة التي ستستهدف الاستيلاء على فلسطين وسورية كما استطاع من جهة أخرى الحصول على موافقة فيصل في هذا^(٧).

(٥) دزموند ستيورات. تي. اي. لورنس ط. نيويورك ١٩٧٧ الص ١٦٦-١٦٨ T. E. Desmond Stewart: Lawrence.

(٦) قبل بضع سنوات (ربما في ١٩٩٥) قام فريق تلفزيوني بالتحقق عملياً من إمكان وصول لورنس الى مقر القيادة في السويس، بالمدة التي حددها (اربعة ايام) ليزف نبأ احتلال العقبة. فتبين للطاقم التلفزيوني بعد فحص وثائق وقيامهم فعلاً بالرحلة موقعاً - بأنه كان يكذب وقد اقتضى له عشرة او احد عشر يوماً لقطع المسافة على الاقل. فأبعد عمداً موعد سقوطها ليبدو ضارباً رقماً قياسياً في قطع الصحراء. ولم يكن ثم وسائل لمعرفة تاريخ السقوط الحقيقي من غير فم لورنس بالذات!!

(٧) الوثائق العامة للمكتب الوثيقة تي. يو ١٧-١٨ 18-17 Document T. U. Kew, 882, Vol 18 نقول بلغ من مبلغ اعتماد الحكومة البريطانية على لورنس وثقته بها انها وفي ٢٦ نيسان سنة ١٩١٧ عندما نفذت اوراق الجنرال طاونزد في حصار الكوت. حولت وزارة الحرب في لندن كلاً من لورنس والنقيب (اوبري هيربرت) بمفاوضات الاستسلام. وكلاهما كان في موظفي المكتب العربي. وثانيهما عضو في مجلس العموم وصديق للاتراك معروف جداً قبل الحرب. فرحلا الى ميسوپوتاميا ليعرضاً مليوناً من الباونات =

وهكذا كان ففي الوقت الذي راحت قوات اللبني تنحدر من غزة ويثر سبع، أخذت قوات فيصل التي اشتد عردها بما انضوى تحت لوائه من المتطوعين السوريين. فبدأت تقضى مضاجع الاتراك على الجناح الايمن وارتفع قدر لورنس الذي رقي الى رتبة عقيد وصار يتمتع بشعبية كبيرة جداً ومعها يأتي الحسد والغيرة بطبيعة الحال. بهذا الدافع كما أعتقد علق الكولونيل بريمن الذي كان في الحجاز وقتذاك «إن لورنس يمثل مائتي ألف پاون سترليني». على ان المبلغ كان أكثر مما قدره بريمن بكثير. فعند نهاية الحرب كانت ثورة الحجاز العربية قد كلفت الخزينة البريطانية أكثر من خمسين ضعفاً لهذا المبلغ. لم تعرف جزيرة العرب ثراء وغنى كذلك الذي نشره لورنس فوق رمالها. هذه الثروة عاونت لاعلى ضمان الولاء العشائري فقط بل غيرت من مظهر شاب انكليزي تابع ضئيل الشأن فقد ضاق قمطر ثيابه ليغدو ما فيه أكثر فخامة ورواءً مما يرتديه امراء العرب كفيصل وعبدالله. وكان يهوى تصويره بهذا الزي. بعد نصف قرن من الزمن سئل شيخ بدوي معمر

- اتعرف لورنس؟

- أجب البدوي: أجل ابو الذهب^(٨).

كان مجرد العثور على طريقة امينة لا يصلح هذه المبالغ من الذهب بسلامة الى (لورنس) مشكلة تعب المكتب العربي في حلها. في ذلك الحين لم يكن بالإمكان الاعتماد على كثير من الناس بهذه المبالغ الطائلة. وفي القاهرة كان (وندهام ديد) رئيس الاستخبارات يقضي مساء كل سبت وحده، ليعبئ الذهب في صناديق ذخيرة وليراقبها وهي تحمل على الجمال الى لورنس عبر الصحراء.

ولم تضار سمعة لورنس عند القيادة العسكرية عندما كلفت فرقتة من قبل (النبلي) شخصياً بتفجير جسر قوسي عال لغرض قطع اتصال السكة الحديد بالقوات التركية المتحشدة = لفك الحصار. إلا ان لورنس وصاحبه عرضا ضعف هذا المبلغ وهما في غاية الخجل ورفض انور پاشا هذا العرض وبدا مستمتعاً للغاية بإذلال البريطانيين.

(٨) ديفيد هولدن وريچارد جونز: بيت آل سعود: قيام وسقوط أقوى أسرة حاكمة في العالم العربي: نيويورك ١٩٨١. ص ٥٢. David Holden, and Richard Jones: The House of Saud; The Rise and Fall of the Most Powerful Dyneshy in the Arab World .

نقول: بغض النظر عن بعض القبائل التي كانت ذات ادوار موسمية متقطعة. كان جيش فيصل يتألف من حوالي ١٠٠٠ بدوي، و٢٥٠٠ جندي من الجيش التركي اسير - وكان من توقعات القيادة البريطانية ان اسرى الحرب هؤلاء سيحولون قوات فيصل الى جيش نظامي. لكن كانوا مصدر خيبة عظيمة من الأول. وفي نهاية ١٩١٧ ابلغ ممثل لوزارة الخارجية الاميركية في القاهرة ان جيش فيصل عجز تماماً عن الخضوع الى النظام والضبط The High Walls of Jerusalem اسوار اورشليم العالمية. تأليف ساندرس. [سقط مني تاريخ النشر].

في اورشليم القدس. فشل لورنس وبقي الجسر قائماً، ومع انه انحى على نفسه باللائمة واتباعها تأنيباً (كتابه اعمدة الحكمة السبعة) لاختفائه في انجاز عمل كبير عهد به اليه الا ان اللبني لم يظهر استيائه بل دعاه للمشاركة في الاحتفال بدخول دمشق بوصفه ضابط ركن الجنرال كلايتون في ١١ من كانون الاول ١٩١٧.

وبالحديث عن «اعمدة الحكمة السبعة» وجدنا لورنس يزعم بان (كتشنر) وتلاميذه واتباعه كانوا يؤمنون من البداية بالقومية العربية، حين اثبت الواقع انهم كانوا بدل هذا يؤمنون بالخلافة وبان شريف مكة قادر على الظفر بها لهم!!

دمشق كانت واحدة من أكبر مدن الشرق الاوسط، وعندما دخلها البريطانيون كان عدد سكانها يناهز ثلاثمائه الف. عند احتلالها كان ثم تناقض في الاوامر، ومن ضمن ذلك الاوامر الموجهة من الجنرال اللبني الى الجنرال الاسترالي (هنري شوقال) فمما نصت عليه تلك الاوامر هو الابقاء على الادارة التركيبية في المدنية. و... «اذا سبب لك فيصل اي مشكلة فعليك معالجتها عن طريق لورنس»^(٩).

وكان فيصل اذ ذاك بعيداً عن دمشق بمسيرة ثلاثة ايام. في حين راحت الخيالة النيوزيلاندية تطارد فلول الجيش العثماني المنحل في الضواحي لأنها بلغت بعدم دخول المدينة وان تقتصر عمليات المطاردة حولها.

لكن تحرير دمشق لم يجر وفق المخطط الذي وضعه المقر العام خاصة وان الادارة العثمانية هربت مع بقايا موظفي الحكومة وعندها قررت قيادة الخيالة دخول المدينة. وتم استقبالها بصورة رسمية. في حين كان الجنرال شوقال يبحث عن لورنس (بوصفه ضابط ارتباط بقوة فيصل) كان لورنس اذ ذاك مشغولاً مع فيصل بجمع افراد من بعض العشائر البدوية والجنود المهزيمين من الجيش العثماني ليدخل بهم فيصل المدينة دخول الظافرين خلافاً لاوامر اللبني المشددة وعندما طلب (شوقال) من لورنس تقديم حاكم دمشق الجديد الذي قام هو ونوري السعيد بتعيينه، صاح به شوقال:

- هذا كذب وسخف والوالي هو تركي.

- اجاب لورنس: الوالي التركي هرب وهذا هو الذي اختاره الاهلون ولا علاقة لنا باختياره.

وكان طبعاً يكذب لكن شوقال صدقه على مضض رغم معرفته انه من المستحيل معرفة

(٩) اوراق المكتب العربي الوثيقة رقم ٣٦٧٥٧ Vol 24 F. O. 882.

رغبة الاهالي في تلك الظروف. ولم يسعه الا الموافقة على تثبيت المرشح. لكن هذا الشخص المعين كان مكروهاً من أهل دمشق وقد عين لانه من مشايعي فيصل ضد رغبة الاهالي. وسرعان ما عمت الفوضى المدينة وعندها اضطر شوقال الى دخول المدينة بقواته وكاد زمام السلطة يفلت عند وصول قوات فيصل مشارف المدينة ودخلت طلائعها المدينة وكانت لاتتجاوز المئات القليلة.

في الثالث من تشرين الاول اقترح لورنس على (شوقال) ان تدخل قوات فيصل بشكل استعراضي ويكل مظاهر القوات الظاهرة فوافق (شوقال) متأنفاً وكتب يقول: «لما لم يكن لفيصل اي فضل في عملية فتح دمشق، فان دخول قواته بهذا الشكل المقترح علي لم يرق لي كثيراً. لكنني وجدت الا ضرر فيه ولذلك سمحت به»^(١٠).

وشاع الغضب في نفس (اللبني) وشعر بضرورة عقد اجتماع، وأرسل بطلب الجنرال شوقال ولورنس وفيصل والفرنسيين. وكان لورنس المترجم. وبحسب المحضر الذي دوته (شوقال) توجه الى فيصل وقال له:

- ان فرنسا ستكون في سورية، ان سورية ستوضع تحت حماية فرنسا. وأن (فيصل) سيقوم نيابة عن ابيه بادارة سورية ناقصاً لبنان وفلسطين - لكن تحت الوصاية الفرنسية ودعمها المالي. وان مجال النفوذ العربي سيتمدد ويقتصر على داخلية سورية فحسب وانه (اي فيصل) لا علاقة له بلبنان مطلقاً وعليه ان يقبل بوجود ضابط ارتباط فرنسي فوراً يعمل مع لورنس الذي سيقدم له كل معونة.

اعترض فيصل بأشد ما يمكن وقال انه لايعرف شيئاً عن مسألة فرنسا وعلاقتها بهذا الشأن وانه مستعد لقبول المساعدة البريطانية وقد فهم من المشاور الذي ارسله (اللبني) بان سيكون للعرب كل سورية ويضمنها لبنان، باستثناء فلسطين. وان بلاداً من دون ميناء بحري لاتروق له، وهو يرفض قبول ضابط ارتباط فرنسي.

عندها التفت (اللبني) الى لورنس وقال بصرامة:

- لكن لا بد انك اخبرته بان الفرنسيين سييسطون حمايتهم على سورية؟

اجاب لورنس:

- كلا يا سيدي فأنا لا أعرف شيئاً حول هذا.

(١٠) اوراق اللبني. مركز الشرق الاوسط. أكسفورد DS 244-4.

قال أللنبي محتنداً:

- لكنك تعلم على وجه اليقين بان فيصل لن يكون له اية علاقة بلبنان؟

اجاب لورنس:

- كلا يا سيدي، انا لا أعرف شيئاً عن هذا [كان فيصل قدر رفع علمه على بيروت انذاك ثم أضطر الى انزاله بنزول القوات الفرنسية] بعد مناقشات قليلة قال (أللنبي) لفيصل انه وباعتباره القائد العام وان فيصلاً الذي هو برتبة فريق تحت امرته - عليه ان يطيع الأوامر الصادرة منه. وعليه ان يقبل بالوضع الراهن حتى تتم تسوية الأمور نهائياً بعد الحرب. فوافق فيصل وترك الاجتماع^(١١).

لم يكن لورنس و فيصل صادقين مع أللنبي فقد سبق لهما ان علما بالشروط المتفق عليها وكانت مطابقة لاتفاق سايكس بيكو سazanوف. وكلاهما يعرفها جيداً.

لأسباب شخصية بحثت الى جانب الدواعي السياسية ظلّ لورنس يصرّ على الادعاء بان قوات فيصل دخلت المدينة اولاً وبذل هو وغيره مجهوداً كبيراً في غاية من الرياء والكذب بحيث خدع كثيراً من المؤرخين كحقيقة ودخل سجلّ التاريخ كواحد من المسلمات التي لا يأتيها ريب وانّ خيالة شوغال هي التي دخلت المدينة قبل كلّ أحد. لورنس كان يدري بان كذبتة هذه ستتكشف ان لم يكن اليوم ففي الغد، لذلك في مطلع العشرينات عندما اقترح صديقه الشاعر والقصصي (روبرت غروفز) الذي كان يكتب سيرته. ان يعيد النظر في تقويم ما دوّنه لورنس حول تحرير دمشق في كتابه «اعمدة الحكمة السبعة» حذرّه لورنس بقوله:

«كنت اسير فوق طبقة رقيقة من الجمد «thin ice» عندما كتبت الفصل الخاص بدمشق. وكل من ينقل عني ما كتبتة فسيجد نفسه في عين الحالة أو ان لم يتوخ الحذر فكتابي هذا مليء بانصاف الحقائق»^(١٢).

من مفارقات الدهر العجيبة ان تلتقي قلة معلومات تشرشل عن الشرق الاوسط بخيال وأكاذيب لورنس الذي خدع هذا السياسي الملمم بالدعاية والشهرة الكاذبة التي انالته اياها الصدف العجيبة. فعمل تشرشل على ضمّه الى دائرته الخاصة بوظيفة مستشار مفسحاً له

(١١) المرجع السالف.

(١٢) رسالة Robert Groves: T. E. Lawrance to his Biographer نيويورك ١٩٣٨ ص ١٠٤ (رسالة من لورنس الى كاتب سيرته).

المجال ليؤثر تأثيراً ايجابياً رائعاً (وهذا من عجائب التاريخ) على كل الاجراءات السياسية التي اتخذتها بريطانيا في الشرق الاوسط. وهذه خلاصة ما حصل:

بدأ لورنس بسبب ما سنذكره عنه بعد قليل - من ابرز نقاد سياسة انكلترا في العراق الجديد، وهي السياسة التي كان يرسمها تشرشل ويشرف على تطبيقها بوصفه وزيراً للمستعمرات. كتب لورنس في صيف العام ١٩٢٠، على أثر الثورة العراقية ما حمل البريطانيون على تأليف حكومة وايداع جزء من سلطات الانتداب اليها.

كتب عن العراق مثلاً مقالاً في جريدة «السندي تايمس» في ٢١ تموز ١٩٢٠ جاء فيه:

«إن حكومتنا هي أسوء من نظام الحكم التركي القديم. لديها اربعة عشر الفأ من المجندين المحليين وهي تقتل من العرب ما معدله مائتين في السنة الواحدة، بمحاولة محافظتها على الامن، ونحن نحفظ بتسعين الفأ من الجنود هناك مع طائرات ومصفحات وزوارق حربية وقطارات مسلحة وقد قتلنا نحو عشرة آلاف من العرب خلال الثورة في هذا الصيف. وليس ثم امل في المحافظة على مثل هذا المعدل. انها بلاد فقيرة قليلة السكان.»^(١٣)

لورنس الضابط الصغير في المكتب العربي يغدو الآن من المشاهير العالميين، كما كتبت عنه دائرة المعارف البريطانية وخصّته بمائتين واثنين وعشرين سطرأ (في طبعة ١٩٦٦). والفضل في هذا التكريم العظيم يعود الى جهود امريكي يدعي (توماس لويل Thomas Lowell). كان هذا فستى في حدود الخماسسة والعشرين يزاوّل صناعة المرسح والعرض الروائي السينماتوغرافي هو من أبناء ولاية أوهايو. ومن صنف المبتدئين بالصنعة. كان في حينه يجوب انحاء امريكا الشمالية بحثاً عن الشهرة والفن والمغامرات. كان قد أشتغل جانبياً في مهنة تعليم الخطابة الجماهيرية في (برنستون) فاجتمع له مبلغ من المال تمكن بفضل في العام ١٩١٧ من السفر الى انكلترا، ومنها الى الشرق الاوسط بصحبة مصور فتوغرافي لتعقيب مجرى الحرب بحثاً عن قصة يمكن بيعها مشوية بالخيال والطابع المحلي الملون.

وتشاء المقادير أن يلتقي بلورنس وهو في ثيابه العربية المقصبة الفخمة: زيون، وعباءة وعقال، وحزام يتوسطه خنجر ذو مقبض عاجي الخ... فقرر ان يجعل منه بطل قصة روائية مشحونة بالرؤى والالوان كان على وشك الشروع في كتابتها حول العرب من اتباع الشريف حسين و فيصل والدور الذي يضطلعان به في الحرب ضدّ العثمانيين وكان في نيته ان تغدو هذه

(١٣) اوراق لورنس ص ٢١٦ Lawrance Papers.

الرواية أصلاً لعرضٍ تمثيلي على المسرح، فيه تتمّ توضيح الواقعة في سبيل الاستمتاع والتسلية. وكان على توماس لويل ان يصور (لورنس) بوصفه ملهماً وقائداً لثورة عربية قوضت صرح الامبراطورية العثمانية.

والعرض الذي أقدم عليه كان عبارة عن محاضرة وتعليق معززين بالصور الفوتوغرافية. متخذاً لها العنوان المثير للاهتمام «الحملة الصليبية الأخيرة The Last Crusade» اتخذ لعرضها قاعة سنترالي بنيويورك في آذار (مارس) ١٩١٩ بدعم من جريدة گلوب Globe النيويوركية.

بعد بضعة اسابيع أنتقل (لويل) بعرضه الى (ماديسون سكوير) القديم بقاعة الاجتماعات العامة واسعة الارجاء تكفي لاستيعاب المتفرجين الكثير من الذين كان يأمل بانهم سيتقاطرون لمشاهدة عرضه.

بعدها قام منتج مسرحي انكليزي باستقدام العرض الى لندن حيث تمّ عرضه في أكبر القاعات، عرض في دار الاوبرا الملكية في كوونت غاردن وفي قاعة (البرت هول) وكان تحفة نادرة من تحف الخداع والتهرج حقت ارباحاً طائلة في عالم تجارة المسرح. ودام العرض في لندن ستة أشهر وشاهدها حوالي مليون شخص.

وأنتقل (لويل) بها من لندن ليدور في ارجاء الدنيا ولتجعل منه غنياً وشهيراً. وخلقت من لورنس كما أسلفنا بطلاً عالمياً خدع حتى كاتب قصته في هذه الموسوعة العالمية.

بعد مرور بضع سنوات أقدم (لويل) على تأليف كتاب عنوانه «مع لورنس في جزيرة العرب» بنى هيكله على التمثيلية نفسها مكرراً القصة التي كان يرويها آلاف المرات للملايين من الناس في العالم. كانت رواية ممتعة للغاية رواية خيال صرف رائع حافلة بالاكاذيب الفاضحة عن وقائع لورنس ومنجزاته السياسية العظيمة.

مع ان (لورنس) نفسه كان خجلاً من فجاجة رواية لويل اثناء عرضها في لندن. الا انه بدأ يسبح في موجاتها الملونة الباهرة وكان كثيراً ما يأتي من أكسفورد الى لندن اثناء عرضها ليشاهدها وقد فضحته زوج (لويل) عندما كانت تشير اليه للمتفرجين خمس مرات على الاقل في مناسبات مختلفة وسببت له «احمراراً قرمزياً في وجهه وضحك وسط ارتبائه ثم ترك العرض مسرعاً مهطعاً»

مع هذا صدّق الجمهور رواية (توماس لويل) الى درجة انه عندما اختاره تشرشل مستشاراً له (١٩٢١-١٩٢٢). كسفت شمس شمس المستشارين الآخرين زملائه وتعاطت شهرته

ونقل الخيال فيها الى تاريخ. وفي السنوات التالية قدر له ان يعزو لنفسه كثيراً من المنجزات التي حققها تشرشل مما يستحقه وما لا يستحقه.

الا ان تأثيره غير المباشر على سياسة الشرق الاوسط لا يمكن نكرانه فكل رواياته وتفصيلاته حول وقائع الثورة العربية والنهضة العربية أخذ بها تشرشل كمسلمات لا يداخلها غش أو ريب وآمن بها دون ان يداخله شك فيها وكان فقيراً في مثل هذه الشؤون كما اسلفنا عندما ظهرت للوجود في العام ١٩١٦. كان تشرشل يجهل المقدار الذي بلغته مبالغات لورنس، ومعاوني (لويد جورج) عن دور عرب فيصل في ربح الحرب وكان مستعداً أبداً لقبول وجهة نظر لورنس وطروحه التي تقول ان البريطانيين مدينون لفيصل ورجاله بدين كبير.

ولنذكر ان (لويل) في الرواية التي ألفها بعنوان (مع لورنس في جزيرة العرب) زعم ان النشرة العربية التي كان يصدرها المكتب العربي باشراف لورنس، صدر منها اربعة اعداد فقط. في حين بلغ الصادر منها ستة وعشرين ثم ان قوات فيصل الثلاثة الاف والخمسمائة مضافاً اليها بضعة آلاف أخرى بامرة أخوية اثناء الحرب، أصبحت عند (لويل) جيشاً قوامه مائتا الف مقاتل.

ودفع الكاتب الى الظل كل من عميل لورنس معهم كالجنرال كتشيز، والجنرال وينغيت، والجنرال كلايتون وهو غارث وداوني وستورز وجويس ويونگ وسايكس وغيرهم من الشخصيات التي خلفت آثارها في تاريخ انكلترا والشرق الاوسط. فبدأ لورنس وكأنه هو وبمفرده قذح زناء الثورة العربية وقادها مقدمة للملا وهو في صحراء سيناء ينفخ في نارها وحده منذ شباط ١٩١٦، في حين كان لورنس يجلس وراء مكتبة في القاهرة كمية مهمل لا يعبأ به أحد ولا يجتذب اهتمام احد حتى اتاحت له عين امير عربي لتقع عليه وتكون سبباً في اظهار نبوغه وعبقريته.

شاعت إرادة لورنس أن ينسى نفسه وأن ينساه الناس. ففي شهر آب ١٩٢٢ سجل نفسه جندياً باسم [جون هيوم روس] في القوة الجوية الملكية RAF وفي ١٩٢٣ سُرح من الخدمة على اثر قيام صحيفة لندنية بفضح شخصه وطبيعة العمل الذي يزاوله. وبعدها تطوع باسم (ت. ي. شو) في فيق الدبابات الملكي في دورسيت، ثم نقل الى القوة الجوية في ١٩٢٥ وبقي في سلك الخدمة حتى آذار ١٩٣٥. وفي ١٣ من أيار من السنة عينها لقي مصرعه بحادث اصطدام دراجته البخارية بعد ستة أيام متأثراً بجراحه.

الكتاب الرابع

وثائق وبيانات ، مذكرات ، شهادات ،
مراسلات

الخطّ الهمايوني
الصادر في ١٨٥٦

وبناءً على ما تقدم فقد أصدرت ارادتي السلطانية العادلة بلزوم تطبيق الاجراءات التالية:

بما أن الضمانات التي صدر العهد لها والإنعام بها من طرفي السلطاني الإشراف تظميناً للنفوس والأموال وحفظاً للناموس بحق جميع تبعتي من أي دين أو مذهب وبدون استثناء، وكما تقرر ذلك بموجب خطي الهمايوني السابق في «كل خانة» وها أن تأكيدها وتأييدها قد جرى هنا بالتنظيمات الخيرية، فانه يجب اتخاذ التدابير الفعالة لأجل اخراجها بأسرها الى حيّز العمل. وإما بخصوص الإمتيازات والاعفاءات الروحانية جميعها التي منحها أجدادي العظام أو احسنوا بها في السنوات الأخيرة الى طائفة المسيحيين وبقية التبعية غير المسلمة الموجودة ضمن حدود مملكتي المحروسة الشاهانية. فقد صار تقريرها وابقاؤها كما كانت ايضاً. ولكن يلزم الآن أن تتم المبادرة الى رؤية امتيازات كل طائفة من المسيحيين والتبعية غير المسلمة ورعاية امتيازاتهم الحالية - خلال مهلة معينة، وأن تجري المذاكرة في اصلاحاتها التي حتمتها الظروف الحالية. ودعت اليها اسباب التمدن والمعرفة المكتسبة. ويتم ذلك بمجالس خاصة تشكل في البطرك خانات بإرادتي واستحسانني الملوكي، تحت نظارة بابنا العالي ويصير التوفيق بمنح الترخيص والسلطة اللتين تفضل باعطائهما حضرة ساكن الجنان السلطان الفاتح محمد خان الثاني من خلفائه العظام الى البطاركة واساقفة المسيحيين للحالة وللموقع الجديد الذي أمنتهم لهم فتوتّي السلطانية ومن بعد أن يجري الاصلاح في اسلوب انتخاب البطاركة المعمول به والحالة هي أن يصير أيضاً تثبيت الأصول في نصبهم وتعيينهم طول حياتهم تطبيقاً لاحكام براءة البطريركية العليا بالشكل الصحيح التام. ويقتضي حين نصب البطريرك أو المطران والمرخص والاسقفوس والحاخام أن يؤدوا القسم طبق الشكل الذي يتم الإتفاق عليه بين بابنا العالي وبين رؤساء الطوائف الروحانيين المختلفة. ثم يغير منح الامتيازات والعائدات التي تعطى الى الرهبان بأي صورة واسم كان - وبالكلية. وأن يخصص عرضها بالتعيين للبطاركة ورؤساء الطوائف. وكذلك تعيين رواتب الى باقي الرهبان وعلى وجه العدل والقسطاس نظراً الى درجة رتبهم واهمية مناصبهم وبحسب القرارات التي ستصدر بعد الآن لتحال إدارة المصالح المليّة المختصة بحماية المسيحيين وبقية التبعية غير المسلمة، الى حسن محافظة مجلس مؤلف من أعضاء ينتخبون من بين رهبان وكهنة وعوام كل طائفة، بدون أن يحصل توريث سكنته الى أرزاق وأموال الروحانيين المنقولة منها وغير المنقولة. وأن لا تحصل أية موانع في تعمير وترميم الأماكن المخصصة لإقامة الشعائر الدينية والعبادات في المدن والقصبات والقرى لجميع أهاليها الذين هم على مذهب واحد. ولا في سائر محلات أعمالهم كالمكاتب والمستشفيات والمقابر، فتكون بحالتها الأصلية ولايمسها تغيير، أما اذا اقتضى

أنا عبدالمجيد بن السلطان محمود - سلطان السلاطين ملك الملوك مانح التيجان للملوك ظلّ الله على الأرض، حامي حمى الدين، بحير أعظم امراء المسلمين ملجأ أكبر ملوك الترك حامي حمى الاسلام والمسلمين مبيد الكفرة والملحدين سلطان البرّين، خاقان البحرين، ملك المشرقين والمغربين، خادم الحرمين الشريفين، ملك الروملي والأناضول وبلاد الكرمان وبلاد الروم وديار بكر وكردستان ودمشق وحلب والقاهرة ومكة والمدينة والقدس وكل البلاد العربية واليمن. وانا السلطان عبدالمجيد ابن السلطان محمود خان ابن السلطان عبدالحاميد خان. شاءت ارادتي السنوية اصدار هذا الخط الهمايوني:

لما كان من أقدم افكاري الخيرية السلطانية، ضمان سعادة احوال صنوف تبعتي الشاهانية التي هي وديعة الباري في يدي المؤيدة الملكانية واستكمالها من كل جهة ينظر اليها ولله الحمد وبكثرة وافرة، ومن ثمار هممي الشاهانية المخصوصة التي ظهرت في هذا الباب منذ يوم جلوسي الهمايوني المقرون باليمن، فقد أخذ اعمار ملكنا وثروة ملتنا بالازدياد بصورة مطردة. إلا انه لما كانت عدالتي السلطانية تتطلب تحديد وتأكيد «التنظيمات الخيرية» التي توفقت في وضعها وتأسيسها لحدّ الآن لا بلاغ الحالة الموافقة لشأن دولتنا العليّة واللائقة للموضع العالي المهم الذي حازته بحق بين الشعوب المتمدنة الى درجة الكمال. لاسيما الآن حيث تضاعف ذلك بعناية الله تعالى تأكيد الحقوق السنوية لدولتي العلية في الخارج. ويتأثير المساعي الجمعية التي انبعثت من جمعية تبعتي الشاهانية وهمة ومعاونة نواب الدول المفخمة الخيرة التي هي معنا باتفاق محكم وبيالغ من الاخلاص على ما يجعل عهدنا هذا بداية زمان مقرون بالخير لدولتنا العليّة. ومن مقتضى ارادة مراحمي المعتادة الملكانية كان ضرورياً أن ترتقي مرحلة بعد مرحلة في الداخل الأسباب والوسائل اللازمة لتزايد قوة سلطنتي السنوية وتمكينها، لضمان سعادة الاحوال كاملة من كلّ وجه لجميع طبقات تبعتي الشاهانية المرتبطة بعضها ببعض بالروابط القلبية الوطنية، والمتساوين في نظر عدالة رحمتي الملكانية.

الأمر تجديده مثل هذه المحلات - فينبغي بعد أن يقرها البطريرك أو رؤساء الملة أن تعرض مرة واحدة على بابنا العالي صورة رسمها، ليتم قبولها ويؤمر بإجرائها بموجب صدور إرادتي السنية الملكية أو أن تبين اعتراضات قد ترد في هذا الباب خلال مدة معينة إذا وجد في محل ما، طائفة من أهل مذهب واحد منفردين أي غير مختلطين بأخرين. فلا يقيدوا بنوع ما عدا إجراء الخصوصيات المتعلقة بالعبادة في ذلك المحل ظاهراً وعلناً. أما في المدن والقصبات والقرى التي يسكنها خليط من طوائف مختلفة الأديان فيكون لكل طائفة الحق في تعمير وترميم كنائسها ومستشفياتها ومدارسها ومقابرها باتباع الأصول السابق ذكرها، في الحي أو المحلة التي تشغلها أشغال سكنى متى دعت الحاجة إلى إقامة أبنية جديدة أو يلزم تجديدها، وحينئذ يبغي أن يقدم بطاركتها أو مجموع أساقفتها طلباً بالإجازة اللازمة من جانب دولتنا العلية. فتصدر الإجازة عندما لا يكون هناك موانع ملوكية من جانب دولتنا العلية. إن المعاملات التي تجري بهذا الخصوص تكون مجانية ولا يستوفى عنها رسوم من قبل الحكومة. وينبغي أن تتخذ التدابير القوية اللازمة لتأمين حرية من هم على مذهب واحد لممارسة شعائر مذهبهم مهما بلغ عددهم. وينبغي أن تحمى وتزال زوالاً أبدياً من القيود والسجلات الرسمية والمحركات الديوانية كل التعابير والألفاظ والتمييزات التي تشير إلى تدني طائفة أو صنف من تبعة سلطنتي عن صنف آخر، بسبب المذهب أو اللسان أو القومية، ويمنع قانوناً استخدام أي تعريف أو وصف أو اصطلاح موجب للعار أو الشين أو مخل بالناموس سواء في هذا فيما بين الأهالي أو من جانب الموظفين والمأمورين.

ولما كانت ممارسة فرائض كل دين ومذهب في مملكتي المحروسة قائمة بكامل الحرية. فينبغي أن لا يمنع أحد أصلاً من تبعتي الشاهانية من إجراء شعائر ديانتهم وأن لا يلاقي نظير ذلك اضطهاداً أو أذى ولا يجبر أحد على ترك دينه أو مذهبه.

أما انتخاب ونصب مأمور سلطتي السنية وموظفها فهو مبسوط بنيتي وإرادتي الملوكانية، وإن جميع تبعة دولتي العلية من أمة كانوا سوف يقبلون في وظائف الدولة ومأمورياتها ويستخدمون في إدارتها طبق الأنظمة المرعية بحق العموم وبحسب اهليتهم وقابليتهم فهؤلاء الذين هم من تبعتي السنية السلطانية سوف يقبلون جميعاً عند استيفاء الشروط المعينة للقبول، سواء بخصوص السن أم الإختبارات المقررة في الأنظمة الموضوعة للمدارس بدون فرق ذلك فان لكل طائفة معترف بها - الحق في إنشاء مدارس ملية لتلقين المعارف أو الحرف أو الصنائع. لكن يجب أن يكون أصول التدريس في المدارس العامة واختيار معلميه، تحت نظارة وتفتيش مجلس معارف مختلط ينصب أعضاؤه من طرفي الشاهانية.

وبخصوص الدعاوى القضائية التي تحصل بين المسلمين والمسيحيين وباقي التبعة غير المسلمة، تجارية كانت أم جنائية، فإنها تحال إلى دواوين مختلطة. إن المجالس التي تعقدتها هذه الدواوين لسماع الدعوى، يجب أن تكون علنية بمواجهة المدعي والمدعى عليه والشهود الذين يوتي بهم الذين يبغي أن يصادقوا على الشهادات المدلى بها ويوثقوا باليمين الذي يحلفونه وفق عقيدتهم ومذهبهم وأن يوقعوا عليها. أما الدعاوى المتعلقة بالحقوق العادية فينظر فيها بحسب الشرع والنظام أمام الوالي أو قاضي البلدة في مجالس الولايات والألوية المختلطة. وأن تكون هذه المحاكمات الواقعة في هذه المحاكم والمجالس علنية أيضاً.

وإما الدعوى الشخصية كالتي تتعلق بالارث بين شخصين من المسيحيين أو بقية التبعة غير المسلمة، فإن شاء اصحاب الدعاوى فإنها تحال لتري من قبل البطريرك والرؤساء الروحانيين والمجالس. ومن الضروري تشريع قوانين لأصول المرافعات التي تجري في المحاكم والدواوين المختلطة بمقتضى القوانين الجزائية والقوانين المتعلقة بالتجارة - بأسرع ما يمكن وبعد تقنينها وضبطها وتدوينها يتم نشرها وتعلن تراجم لها باللغات الشائعة في مملكتي المحروسة الشاهانية. وأن يباشر خلال فترة قصيرة بعملية اصلاح بقدر الامان في جميع السجون الخاصة بحبس وتوقيف المجرمين والمتهمين والمحكوم عليهم بالعقوبات الجزائية. مع اصلاح اصول الحسبية في جميع الاماكن لضمان الحقوق الانسانية وتوفير اسباب العدالة. وعليه تبطل في جميع الأحوال كل العقوبات الجسمانية (التعذيب) وكل الاعتداءات البدنية مما يجري في السجون على المحبوسين باستثناء ما قرره الأنظمة الإنضباطية المقررة من جانب سلطنتي السنية، وما يحصل منها خلاف ذلك، فيتم زجرها ومنعها بكل حزم وشدة ويتم التوبيخ والمعاملة الصارمة للمأمورين الذين يأمرون بها وللأشخاص الذين ينفذونها فعلاً. ويسوقون إلى القضاء لينالوا عقابهم وفق قانون الجزاء.

وينبغي أن يجري النظام في أمور الضبطية (الشرطة) في ديار سلطنتي السنية. وسائر الولايات والبلدان والقرى - بما يتم به المحافظة على الأمن، وضمان فعاليتها وطاعتها للقوانين والنظامات بصورة صحيحة ومكينة وحماية ممتلكات وأرواح جميع تبعتي الملوكية الأمنين وأن يجيى الويرگو وباقي التكاليف على قدم المساواة، وكذلك تلزم المساواة في الحقوق في تقليد الوظائف فينبغي أن يكون المسيحيون وباقي التبعة غير المسلمة أن يطيعوا القرار الأخير الصادر بالمساهمة بالقرعة (الحصبة) العسكرية مثل المسلمين وتجري بحقهم أيضاً الاصول المتبعة في الاعفاء من الخدمة الفعلية بدفع البدل أو بمبالغ نقدية. ويتم سن التشريعات اللازمة بخصوص الخدمة العسكرية من التبعة غير المسلمين في مختلف صنوف العسكر.

وتنشر هذه النظم وتعلق، في أقرب وقت ممكن. وكذلك يجب توضيح مسألة انتخاب أعضاء مجالس الإدارة في الولايات والولاية (الولايات والمتصرفيات) من المسلمين والمسيحيين وغيرهم، بشكل واضح لا لبس فيه كما يتم معالجة الوسائل والصلاحيات في اصلاح الانظمة بخصوص تأليف وتركيب هذه المجالس لضمان ظهور الآراء الصحيحة النافعة. لتكون دولتي العلمية على دراية ومعرفة بنتائج الآراء وما تتوصل اليه من الأحكام والقرارات الصحيحة بعد المناقشة وتقليب وجوه الرأي.

وبما أن القوانين الحالية بخصوص معاملات بيع الاملاك والتصرف في العقارات هي متساوية بالنظر الى جميع تبعتي الملوكانية فيجب أن تعمل انظمة العلاقات بين سلطنتي السنوية وبين الدول الأجنبية بهذا الخصوص بأن يعطى الحق للأجانب في التصرف بأموالهم وفق قوانين دولتي العلمية وتطبيقاً للأنظمة البلدية وخضوعهم الى عين الأعباء والتكاليف المطلوبة والمفروضة فيها على الأهالي والمواطنين. وأما (الويرگو) والتكاليف المكلفة بها تبعة سلطنتي السنوية فيما أنها تجبى على قدم المساواة وبدون إعتبار للطبقات والمذاهب فيجب أن تحصل المذاكرة والمطالبة بغية إتخاذ التدابير السريعة لإصلاح الخلل وسوء الاستعمال المتوقع في استيفاء وتسلم هذه الضرائب والاعشار بالخصوص. وإن تتم جباية (الويرگو) على دفعات وبخط مستقيم وتؤخذ بهذه الوسيلة اذا كانت ممكنة بدلاً من الأصول المتبعة في التزام تحصل إيرادات دولتي العلمية. وما دام هذا الأصول متبعاً الآن، فينبغي أن يتمتع مأمورو دولتي العلمية وأعضاء المجالس الادارية من أخذ تعهدات بالالتزام تحصيل مثل هذه التكاليف. وإنما يوضع الالتزام بالمزايدة العلنية، ويمنع الذين جاء ذكرهم من أن يكون له حصة في تلك الالتزامات. والا تعرض الفاعل الى المؤاخذه القانونية والعقاب.

ويجب أن يتم تعيين تلك التكاليف والضرائب المحلية تعييناً دقيقاً بحيث لاينهض كاهل المحصل منهم ولا توقع الخلل في الانتاج والمحاصيل ولا تعرقل سبيل التجارة المحلية قدر الإمكان. وإن (الويرگو) المخصوص الذي سيصار الى وضعه وتأسيسه في الايلات والسناجق يضم الى المبالغ المناسبة التي ستخصص وتعين للإفاداة منها في شق الطرق والمسالك التي سيصار الى تأسيسها براً وبحراً. ولما كان قد شرع أخيراً نظام خاص بتنظيم وإدارة (دفتردارية) الدخل والخرج، (إيرادات ومصروفات) سلطنتي السنوية سنوياً، فينبغي التقيد باحكامه تقييداً تاماً وتتم المباشرة بتسوية لور الرواتب والمشاهير الخاصة بالوظائف ونجلب مخصوصاً من طرف جلاله مقام وكالتي المطلقة رؤساء كل طائفة والمأمور المعين لها من طرفي الاشراف الشاهاني. ليكونوا حاضرين في المجلس العالي عند المذاكرة في الأمور العائدة

والمتعلقة بعموم تبعة سلطنتي السنوية. وهؤلاء المأمورون (الموظفون) يعينون لفترة سنة واحدة فقط وقبل ممارستهم شؤون مأمورياتهم يجري تحليفهم اليمين وعلى أعضاء المجلس العالي أن يتبادلوا الرأي. ويناقشون في إجتماعاتهم المعتدة التي هي في غاية الأهمية والخطورة. بكل نزاهة ويبدون مطالباتهم من دون تحيزٍ وأن يتم ذلك في جوّ خال من الكدر والنزاع بسبب ذلك. كذلك تجري احكام القوانين الوضعية بخصوص ارتكاب الجرائم وأعمال الفساد والظلم تطبيقاً للأصول الشرعية وتسري على جميع تبعة سلطنتي السنوية من أي طائفة كانوا أو في أية مأمورية تقلدوها.

ويصير تصحيح اصول سكة (نقد) دولتي العلمية. ويعمل أمور هي أساسية في شؤون المالية كتأسيس المصارف (البانكات) وتخصيص رأس المال المقتضي لها، والتي هي مصدر ثروة مملوكي المحروسة الشاهانية. كما يتم إزالة العراقيل لها التي تحول دون توسيع الزراعة والتجارة وتوفير التسهيلات لها. ويجب ايلاء العناية بالمعارف والعلوم والإستفادة من أوروبا في هذا السبيل كما يعمل لأجل الاستفادة من انعام النظر والتدقيق.

وأنت أيها الصدر الأعظم الممدوح الخصال المشار اليه. أنت أعلن وأشعُ فرماني هذا الجليل القدر الملوكاني العنوان حسب منطوقه في دار السعادة، وفي كل طرف من أطراف مملوكي الشاهانية، وابذل جل المهمة بإجراء الخصاصات المشرحة فيه. والعمل على استكمال الأسباب اللازمة والوسائل الفعالة لتكون احكام الفرمان الجليلة موضوع تنفيذ ورعاية على الدوام. وبها عملوا وعلى الأعمال وعلى دغراي الشريعة اعتمدوا.

شباط ١٨٥٦

المسلمة في العراق. ولا يداخلني شك كبير أيضاً في انهما كانا يدركان تماماً ما يقصده مار شمعون ايشاي من تعبير «السلطة الزمنية» التي وردت في رسائله وانها لاتخرج عما كان لأسلافه من سلطة أثبتها «الخطّ الهمايوني» فحسب ولم يوجد لها لأنها كانت موجودة مثلما ذكر البطريك. إلا أن وزارة الكيلاني أبت الأ أن تفسر العبارة - وكأن البطريك يريد مشاركة الحكومة في ممارسة سلطة على ابناء قومه أو أنه يطلب نوعاً من الحكم الذاتي أو الاستقلال الاداري لنفسه.

في مصر بقي الجزء الخاص من الخطّ الهمايوني بالتعامل مع الاماكن الدينية المسيحية، القانون العثماني الوحيد المطبق في البلاد حتى كتابة هذه الأسطر. وفي العام ١٩٣٤ ولم يمرّ على حوادث آب ١٩٣٣ غير بضعة أشهر قام محمود القربي باشا وكيل وزارة الداخلية باستخلاص شروط عشرة من ذلك الفرمان ينبغي التقييد بها عند اصدار التصريح ببناء أو ترميم أو تجديد بناء ديني مسيحي في مصر. وهذه هي:

أولاً: هل أن الأرض المرغوب بناء كنيسة عليها هي من أرض الفضاء (خالية) أو الزراعة وهل هي مملوكة للمطالب ام لا؟ (يجب أن تكون الملكية ثابتة مؤلفة بمستندات صحيحة).

ثانياً: ما هي مقادير ابعاد البقعة المراد بناء كنيسة عليها - عن المسجد والأضحة الموجودة بالناحية؟

ثالثاً: إن كانت الأرض خالية فهل هي في وسط اماكن المسلمين أم المسيحيين؟

رابعاً: إذا كانت بين مساكن المسلمين فهل لا يوجد مانع من بنائها؟

خامساً: هل يوجد للطائفة المذكورة كنيسة بهذه البلدة خلاف المطلوب بناءها؟

سادساً: إن لم يكن بها كنائس في مقدار المسافة بين البلد وبين أقرب كنيسة لهذه الطائفة بالبلدة المجاورة.

سابعاً: ما هو عدد افراد الطائفة المذكورة الموجودين بهذه البلدة؟

ثامناً: إذا تبين أن المكان المراد بناء كنيسة عليها قريب من جسور النيل والترع والمنافع العامة لمصلحة الري، فيؤخذ رأي تفتيش الري، وإذا كانت بالقرب من خطوط السكة الحديد ومبانيها فيؤخذ رأي المصلحة المختصة.

تاسعاً: يعمل محضر رسمي عن التحريات ويبين فيه ما يجاور الموضوع المراد انشاء الكنيسة

تذييل

ظلّ مار شمعون ايشاي يشير في رسائله المتبادلة مع وزير الداخلية في حزيران وتموز ١٩٣٣ الى «سلطته الزمنية» التي اقرّ له بها الخلفاء العباسيون وخانات المغول ومن بعدهم سلاطين آل عثمان ينوه بها بشكل غامض دون محاولة منه شرحها وتوضيح ما يقصده من ادعائه الذي يبدو انه حصره بما جاء في الخطّ الهمايوني بدليل التنويه بالإمتيازات التي تمتع بها أسلافه في ايام العثمانيين. وهي امتيازات لم يستمدها السلطان عبدالمجيد وإنما اثبتها فحسب كما ذكر هو صراحةً. بقوله انها كانت قيد الممارسة والتطبيق منذ عهد جدّه الأعلى محمد الفاتح. استمر تأكيدها واحترامها من قبل السلاطين المتعاقبين يمارسها الى جانب البطريك الآشوري بطاركة المارونيين والاقباط وبطريك الارثدكس والقسطنطينية واليونان. وبطريك الأرمن وغيرهم من بطاركة الطوائف المسيحية الأخرى المستحدثة، فضلاً عن حاخامي الطائفة اليهودية. وكل ما حصل في العام ١٨٥٦ أن السلطان عبدالمجيد صاحب الاصلاحات الشهيرة عمد الى تدوينها ووضعها حصراً في فرمانه هذا.

لم يستشهد مار شمعون ايشاي بهذه الوثيقة التاريخية بل لانجد اشارة اليها. وأغلب الظنّ أنه لا هو ولا مستشاروه الذين كانوا يساعده في كتابة مذكراته ومراسلاته كانوا يدرون بها. فمع أن السلطان عبدالمجيد كما رأينا - يأمر صدره الأعظم (رئيس وزرائه) بلزوم ترجمة «خطّ الهمايوني» هذا الى جميع اللغات التي تتكلمها شعوب الإمبراطورية وإعلانها ونشرها على العموم في كل انحاء البلاد. إلا أن ذلك لم يتمّ كما يبدو على مستوى شعبي وبقي الخطّ الهمايوني متداولاً بين موظفي الدولة ودوائرها والجهات المسؤولة عن تطبيقه لاسيما القسم الثاني الخاص بالاصلاحات الادارية والمالية والقضائية والضرائبية.

وأستبعد كثيراً أن يكون رشيد عالي الكيلاني وزير داخلية حكمت سليمان على جهلٍ بالخطّ الهمايوني وقد اقتبس كثيراً منه واستوحياه عند سن القوانين المتعلقة بالطوائف غير

عليها من المحلات السارية عليها لائحة المحلات العمومية والمسافة بين تلك النقطة وكل محلّ من هذا القبيل ويبعث به الى الوزارة.

عاشراً: يجب على الطالب ان يقدم مع طلبه رسماً عملياً بمقاس واحد في الألف يوقع عليه من الرئيس الديني العام للطائفة ومن المهندس الذي له خبرة عن الموقع المراد بناء الكنيسة فيه. على الجهة المتوسطة بالتحريات أن تتحقق من صحتها وأن تؤشر عليها بذلك وتقدمها مع اوراق التحريات.

نص التصريح والتعهد الدولي الذي قدمه العراق الى مجلس عصبة الأمم

كما وضعته لجنة الإعداد له من قبل مجلس النواب في ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٢
بخصوص حماية حقوق الأقليات والطوائف الدينية والعنصرية في البلاد العراقية

٣- الاختلاف في العنصر أو اللغة أو الدين لا يخل بحق أي من الرعايا العراقيين في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية، كالقبول في الوظائف العامة والمناصب ورتب الشرف أو ممارسة المهن والصناعات المختلفة.

٤- لا يوضع قيد ما على حرية استعمال أي من الرعايا العراقيين لأية لغة في العلاقات الخصوصية أو في التجارة أو في أمور الدين أو في الصحافة أو النشريات من جميع الأنواع أو في الاجتماعات العامة.

٥- مع جعل الحكومة العراقية «اللغة العربية» لغة رسمية، ومع التدابير الخاصة التي ستتخذها الحكومة العراقية بشأن استعمال اللغتين الكردية والتركية، تلك التدابير المنصوص عليها في المادة التاسعة من هذا التصريح، يعطى الرعايا العراقيون الذين لغتهم غير اللغة الرسمية تسهيلات مناسبة لاستعمال لغتهم شفاهاً وكتابةً أمام المحاكم.

المادة الخامسة

الرعايا العراقيون الذين ينتمون الى أقليات عنصرية أو دينية أو لغوية يتمتعون قانوناً وفعالاً بعين المعاملة والأمان اللذين يتمتع بهما سائر الرعايا العراقيين. ويكون لهم بوجه خاص عين الحق في أن يحفظوا ويديروا ويراقبوا على نفقتهم، أو أن يؤسسوا في المستقبل، معاهد خيرية أو دينية أو اجتماعية ومدارس وغير ذلك من المؤسسات التهذيبية مع حق استعمال لغتهم الخاصة وممارسة دينهم فيها بحرية.

المادة السادسة

توافق الحكومة العراقية على أن تتخذ بحق الأقليات، غير المسلمة، فيما يتعلق بقانونها العائلي وأحوالها الشخصية، كل التدابير التي تسمح بتنظيم هذه الأمور وفقاً لعادات وعرف الطوائف التي تنتمي إليها هذه الأقليات.

توافي الحكومة العراقية مجلس عصبة الأمم بمعلومات عن الطريقة التي تم بها تنفيذ هذه التدابير.

المادة السابعة

١- تتعهد الحكومة العراقية بأن تمنح الحماية والتسهيلات والإجازة التامة الى الكنائس ومعابد اليهود (التوراة) والمقابر والمؤسسات الدينية الأخرى، والأعمال الخيرية والأوقاف

المادة الأولى

يعترف بالشروط الواردة في هذا الفصل كقوانين أساسية في العراق، فلا يجوز أن يناقض هذه الشروط أو يعارضها أي قانون، أو نظام، أو عمل رسمي، كما انه لا يجوز أن يتغلب عليها أي قانون أو نظام أو عمل رسمي لا الآن ولا في المستقبل.

المادة الثانية

١- يمنح جميع سكان العراق حماية الحياة، والحرية، حماية تامة وكاملة، من غير تمييز بسبب المولد أو الجنسية أو اللغة أو العنصر أو الدين.

٢- يكون لجميع سكان العراق الحق في أن يمارسوا بحرية في الأماكن العامة أو الخاصة شعائر كل إيمان أو دين أو عقيدة، مما لا يكون منافياً للنظام العام والأخلاق الحسنة.

المادة الثالثة

يعتبر جميع الرعايا العثمانيين المقيمين في العراق في تاريخ ٦ آب ١٩٢٤ أنهم اكتسبوا في ذلك التاريخ الجنسية العراقية، دون الجنسية العثمانية، وفقاً للمادة ٣٠ من معاهدة الصلح المعقودة في لوزان، وبموجب الشروط الموضوعية في قانون الجنسية العراقية المؤرخ ٩ تشرين الأول ١٩٢٤.

المادة الرابعة

١- يكون جميع الرعايا العراقيين متساوين أمام القانون، ويتمتعون بعين الحقوق المدنية والسياسية، من دون تمييز في العنصر أو اللغة أو الدين.

٢- يتضمن نظام الإنتخابات تمثيلاً عادلاً للأقليات العنصرية والدينية واللغوية في العراق.

العائدة الى طوائف الأقليات الدينية الموجودة في العراق.

٢- يكون لجميع هذه الطوائف الحق في أن تؤسس، في المناطق الادارية المهمة، مجالس لها صلاحية إدارة الأوقاف والهبات الخيرية، ويكون لهذه المجالس سلطة معالجة جباية الواردات الناتجة في تلك الأوقاف والهبات، وإنفاقها وفقاً لرغائب الواقف أو الواهب، أو للعادة المستقرة بين الطائفة. يجب أن تقوم هذه الطوائف بمراقبة أموال الأيتام وفقاً للقانون وتوضع هذه المجالس تحت إشراف الحكومة.

٣- لن ترفض الحكومة العراقية، من أجل تأسيس معاهد دينية أو خيرية جديدة، أية من التسهيلات الضرورية التي تضمن للمعاهد من ذلك النوع الموجودة الآن.

المادة الثامنة

١- تمنح الحكومة العراقية فيما يتعلق بالتعليم العام في المدن والمناطق التي يقيم فيها قسم كبير من الرعايا العراقيين الذين لغتهم غير اللغة الرسمية، تسهيلات مناسبة لأجل تأمين تلقين العلم في المدارس الابتدائية لأبناء هؤلاء الرعايا العراقيين بلغتهم الخاصة، ولايمنع هذا الشرط الحكومة العراقية من أن تجعل تعليم اللغة العربية في المدارس المذكورة إجبارياً.

٢- في المدن والجهات التي يكون فيها قسم كبير من الرعايا العراقيين ممن ينتمون الى الأقليات العنصرية أو الدينية أو اللغوية، يؤمن لهذه الأقليات نصيب عادل من حيث التمتع بما قد يرصد من الأموال العامة بموجب ميزانية الدولة أو البلديات، أو غيرها من الميزانيات، للمقاصد التهذيبية أو الدينية أو الخيرية، ومن حيث استعمال الأموال المذكورة.

المادة التاسعة

١- توافق الحكومة العراقية على أن تكون اللغة الرسمية في الأفضية التي يسود فيها العنصر الكردي، من ألوية الموصل وأربيل وكركوك والسليمانية اللغة الكردية بجانب اللغة العربية.

أما في قضائي كفري وكركوك من لواء كركوك، حيث قسم كبير من السكان هم من العنصر التركماني، فتكون اللغة الرسمية بجانب اللغة العربية إما الكردية وإما التركية.

٢- توافق الحكومة العراقية على ان الموظفين في الأفضية المذكورة يجب أن يكونوا، ما لم تكن هناك أسباب وجيهة، واقفين على اللغة الكردية أو اللغة التركية، حسبما تقتضي الحال.

٣- إن مقياس انتقاء الموظفين للأفضية المذكورة، وإن كان الكفاءة ومعرفة اللغة قبل العنصر، كما هي الحال في سائر أنحاء العراق، فإن الحكومة توافق على أن ينتقى الموظفون، كما هي الحالة الى الآن، وعلى قدر الإمكان من بين الرعايا العراقيين الذين أصلهم من تلك الأفضية.

المادة العاشرة

إن الشروط الواردة في المواد المتقدمة من هذا التصريح تشكل بقدر ما لها مساس بالأشخاص المنتمين الى الأقليات العنصرية أو الدينية أو اللغوية تعهدات ذات شأن دولي وتوضع تحت ضمانات جمعية الأمم ولايجري أي تعديل فيها إلا بموافقة أكثرية مجلس عصبة الأمم.

لكل عضو من أعضاء الجمعية ممثل في المجلس، حق إلفات نظر المجلس الى خرق أو خطر أي خرق لهذه الشروط، وعندئذ للمجلس أن يتخذ من الاجراءات ويصدر من الإعازات ما يراه لائقاً ومؤثراً بالنظر الى الظروف.

كل اختلاف في الرأي مما يعود الى مسائل قانونية أو واقعية ينشأ عن هذه المواد بين العراق وأي عضو من أعضاء العصبة، الممثل في المجلس، يعتبر اختلافاً ذا صبغة دولية وفقاً للمادة الرابعة عشرة من عهد عصبة الأمم. وكل اختلاف من هذا القبيل يُحال، اذا طلب الفريق الآخر، الى محكمة العدل الدولية الدائمة. يكون قرار المحكمة الدائمة غير قابل للاستئناف وتكون له قوة وفعل قرار صادر بموجب المادة ١٣ من العهد.

حادث كركوك

١٩٢٤

وليس هؤلاء الآشوريون بالنظر الى العنصرين والحالة هذه غير ادوات قمع بيد البريطانيين من اي وجه نظرت الى وجودهم.

لم يكن اهالي كركوك يضيعون اي فرصة في توجيه العبارات الجارحة لجنود الليفي او تشييعهم بالسباب والشتم حيثما مروا واين وجدوا. وبدأ الحقد المتبادل يعمل في نفوس الطرفين ولم يكن يحتاج الى كثير من إرهاب لانفجار.

ويبدو ان السلطة البريطانية التي كانت تقبض على زمام الأمور لم تشعر بحقيقة الوضع إلا بعد فوات الاوان.

في الثاني من أيار ١٩٢٤ وصل كركوك الفوج الثاني من الليفي الآثوري مع ذوبهم. وقد بدأ العمل بإقامة معسكر لهم في چمچمال تمهيداً للعمليات العسكرية المقررة ضد (الشيخ محمود البرزنجي). وفي غضون اليومين التاليين تم نقل نصف الفوج الى ذلك المعسكر ولم يبق في كركوك غير سريتين مع الأسر الآشورية.

وربما خيل للأهالي ان اولئك الذين كانوا يمتنونهم ويوجهون اليهم اهاناتهم هذه اسهل هدفاً. فقد زادت جرأتهم عليهم فجأة وتضاعف قارص الكلام الذي كان يوجه الى افرادهم.

«والسباب» الذي نوه به بيان مدير المطبوعات وسيأتي نصه - لم يكن سبباً بالمعنى المعروف بل استفزازاً مقصوداً. إذ تبين من التحقيق الذي تلا الحادث ان الاهلين كانوا يستخدمون تلك العبارات القبيحة المنتقاة التي يغلي لها دم أي شرقي أو عشائري فلا يسعه السكوت عنها وإلا عير وحقر ورمي بالجن. فلا يقوى على التحكم في اعرق غرائزه الهمجية. اخذ الاهالي يتهددون ويتوعدون الليفي بما سيفعلون بنسائهم عندما يتركون المدينة بالقول والإشارات وكان كبار الليفي يعرفون التركية والكردية.

ففي الساعة ٩،٣٠ من صباح ٤ أيار وقعت مشادة في السوق وعاد الى الثكنة جندي آشوري وقد اشيع ضرباً واصيب بجراح اثر جدال حول سعر حاجة من احد الدكاكين. فأرسل ضابط آشوري (قائد خمسين) مع الشرطي الانضباط. بأوامر تقضي باخلاء السوق من الجنود. كما صدر في الوقت نفسه أمر لبقية الفوج بالتجمع والخروج الى ساحة العرضات، وفي الوقت نفسه وصل النقيب (كراودون) مدير الشرطة وخرج هو والنقيب (كنگ) أمر احدي السريتين الى ساحة العرض. وما ان وصلا حتى أقبل أمر الفصيل والشرطي الانضباط برفقة جنديين جريحين أشبعهما وهما اعزلان ضرباً واهانةً. وأفادا بان السوق تم اجلاؤه من الجنود وذكر الجريحان (سجلت اقوالهما في محاضر التحقيق) بانهما أصيبا من الخلف بضربات من

لفهم وتقويم ما حصل، ارى من الضروري ايضاح الوضع الاداري او الاجتماعي والمشاعر التي كانت تسود اهالي المدينة في تلك الفترة علاقتها وتأثيرها فيما وقع فعلاً.

التنظيم الاداري للواء كركوك ومركزه، كان إذذاك يختلف عن كيفية ادارة بقية الألوية العراقية كما كان يختلف عن السلطانية أيضاً فمع انه لم يضم رسمياً الى مملكة فيصل، إلا انه كان يدار وكأنه ضم اليها فعلاً باستثناء استعمال اللغة التركية اذ انه لم يكن قاصراً على الشؤون الرسمية المحلية بل تعداه الى المراسلات مع حكومة بغداد. والمدينة يقطنها كرد وتركمان واقلية مسيحية فحسب ولم يكن فيها عربي واحد وكل موظفي المدينة هم من اهلهما وقد كانت في العهد العثماني اشبه بمعمل لإنتاج الموظفين العثمانيين لا ينضب معينه ولم يرفع العلم العراقي على صواري البنايات الرسمية بعد. لذلك كان (المتصرف) وهو المسؤول الأعلى عن الادارة والممثل لوزراء بغداد كلهم - ينقل أوامرهم الى القائمقامين ومدراء النواحي والموظفين الآخرين. وكانت السلطة الفعلية في الواقع حتى نهاية الانتداب تقريباً - بيد المندوب السامي البريطاني الذي يتدخل تدخلاً مباشراً في كل شيء، لاسيما فيما يتعلق بالوضع السياسي الكردي. وهو يتصل مباشرة بموظفين البريطانيين (المفتش الاداري، مدير الشرطة الخ...) وظل اهالي كركوك لايعدون أنفسهم مواطنين عراقيين عملاً.

ثم بدأت الحال تتجه بالتدريج الى احترام سلطة بغداد بعد توقيع تركيا معاهدة لوزان في ١٥ ايلول ١٩٢٣، التي وافقت فيها على إحالة النزاع على ولاية الموصل بما فيها كركوك الى عصبة الأمم كما بات في حكم الواقع ان بريطانيا ستتمسك بالولاية وتحتفظ بها للعراق رغم كل شيء.

وكان ثم حقد دفين يكته اكراد المدينة لهؤلاء الدخلاء الذين كانوا يستخدمون بين آن وآخر ومنذ العام ١٩١٩ لقمع الثورات الكردية التي قادها الشيخ محمود البرزنجي. فضلاً عن غضب التركمان الجائح وهم الذين تعودوا وجود الحاميات العثمانية منذ الفتح العثماني:

هراوات ثقيلة، وعصي مرصصة وانهما اسمعاً الكثير من قارص الكلام اثناء الاعتداء، مثل سندهبون الى القتال عما قليل وسنعمل كذا بنسائكم (مصحوبة بالاشارات المتفككة مع القول بالايدي والاعضاء الأخرى) ذهب نصفكم الى جمجمال والآن ماعدنا نخشاكم»

تُرى كم من هذا الزعم من الحقيقة؟

في ساحة العرض واثناء التجمع اوضح النقيبان القادمان للرجال بأن هناك شغباً قد وقع في السوق. وان اصحاب الدكاكين الذين سببوا ذلك سيلقى القبض عليهم ويحاكمون. وانهم ممنوعون من النزول الى السوق في ذلك اليوم. كما ذكرنا أنه ستوضع نقطة حراسة ودورية شرطة في الجسر. وبعدها أعطي أمر الانصراف.

كان على الجنود أن يروا في طريقهم عائدين - بأحد المقاهي وفجأة وعلى اثر تحرش رواد المقهى بالجنود المارين، اقتحم هؤلاء المقهى وراحوا يحطمون الكراسي على رؤوس الموجودين فيه، وخفت عصابة صغيرة مسلحة بالعصي تتوجه الى الجسر للالتحام مع الرجال فحاول الشرطة وضباطهم صدّهم لكن بعضهم استطاع الافلات وتمكّن من الجسر، وعندما تعرضوا للنار وقع منهم قتلى وتفرق الآخرون. وتعرضت نقطة حراسة الليثي على الجهة الغربية من الجسر للنار ايضاً فهرع بقية الليثي الى الثكنة وخرجوا منها بأسلحتهم ورشاشات ليعززوا جانب رفاقهم وراحوا يطلقون النار في الشوارع وبدء الرمي من جميع الجهات وتساقط القتلى.

تمكن النقيب (كنك) من القبض على من تمكن منهم وعاد بهم الى القلعة. وهناك نزع اسلحتهم ووضعهم تحت الحراسة في اسطبلات الخيالة. إلا ان فريقاً آخر اتجه الى الجسر وعبره واحتل بناية بارزة تعرف باسم (بيت توما) واخذ افرادها مواضع في سطوحها وأنشأوا يتبادلون إطلاق النار.

ارسلت برقية لأمر فوج الليثي الذي كان في بغداد فخفف مسرعاً بطائرة وقام بنشر سيارات مصفحة في المدينة. في حين اخطر النقيب (فراي) في المطار فتوجه الى افراد الليثي المعتصمين (ببيت توما) ووصلها تحت وابل من النار التي كانت تطلق من المنازل القريبة من مركز الشرطة وامكنه أن يجمع من الليثي ما قدر بثمانين بينهم ثلاثة ضباط ويعود بهم الى القلعة. واستمر إطلاق النار في ارجاء المدينة وسقط من الجنود الليثي خمسة قتلى وموظف مدني عربي معهم. وأحصي عدد القتلى من اهالي كركوك بخمسين وبحوالي ستين جريحاً.

بعد ان نزعت اسلحة الجند الليثي وأودعوا السجن قامت جمهرة من أهالي كركوك بعملية انتقامية دموية في الحي القديم الذي تقطنه الاقلية الكلدآشورية فنهبت عشرات من دورهم

وقُتل ما يتراوح بين عشرة وثلاثة عشر. وهرب حوالي مائة منهم واحتموا بالقلعة.

اوّل ردّ فعل رسمي كان البيان الذي صدر بتوقيع المندوب السامي السري هنري دويس وهذا نصه:

« تأثرت كثيراً للاحداث المفجعة التي وقعت بالأمس. لقد شرع في نقل الجنود الآشوريين من كركوك الى منطقة بعيدة وسيجري التحقيق فوراً من قبل ضباط بريطانيين سيختارون لهذه الغاية واني اعدكم بأننا لن نقصر في فرض العقاب الصارم مع كلّ من تثبت ادانته وسيتم صرف التعويضات للمتضررين.

في ٥ ايار ١٩٢٤ (هنري دويس)

أصدره بعد وصوله الى كركوك بوقتٍ وجيز.

تمّ اخلاء الجنود الليثي في اليوم التالي. ونقل جواً في مساء الرابع من ايار فصيل من حملة بنديقيات لواء انسكلينج البريطاني لمباشرة عمل الدوريات وحفظ الأمن.

في الوقت نفسه اسرع المندوب السامي فأقال (فتاح باشا)^(١) التركماني متصرف اللواء وعين في محله رئيس البلدية الكردي (عبدالمجيد اليعقوبي). واعتقل عدد من التركمان للاشتباه بأنهم كانوا وراء التحريض واهاجة الخواطر ضدّ الآشوريين، ثم اطلق سراحهم فيما بعد.

وفي بغداد حاولت الحكومة الإفادة من الحادث سياسياً لتقوية مركزها في اللواء. فعقد مجلس الوزراء جلسة خاصة ترأسها الملك فيصل في ٩ من ايار وقرر:

اولاً: مفاطحة المندوب السامي في أمر تشكيل قوات محلية تقوم مقام قوات الليثي في العراق، على ان يكون ذلك بصورة تدريجية خلال السنة المالية الحالية.

ثانياً: جعل ادارة كركوك مثل ادارة بقية الالوية (اي إلحاقها بحكومة بغداد).

ثالثاً: تخصيص ثلاثين الف روبية لصرّفاً تعويضاً للمتضررين.

وبعدها بيومين صدر بيان رسمي من الحكومة بتوقيع مدير المطبوعات هذا نصه:

« نعلن بما لا مزيد عليه من الأسف ان سريتين من الليثي الآثوري في كركوك قد هاج هاتجهم في اليوم الرابع من ايار فضاعت بسببه عدة نفوس من الاهلين

(١) ضابط عثمانى سابق برتبة امير آلاي (عميد). وهو صاحب معامل فتاح باشا المشهورة في بغداد لانتاج البطانيات والاقمشة.

١- ان الجرائم التي ارتكبوها كانت وليدة تهيج وقتي ساقهم رأساً الى تلك الجرائم.

٢- كونهم غرباء في هذا القطر الذي هاجروا اليه تخلصاً من المصائب التي انتابتهم ليعيشوا تحت حماية الحكومة العراقية اعتماداً على حسن معاملتها ومساعدتها لمن كان مثلهم، وقد تنقلوا من بلاد شتى وقاسوا الأمرين فهم مستحقون للعطف الملكي وعفوه.

٣- مرور هذه المدة غير اليسيرة مع وقوع الحادثة وزوال نتائجها وتأثيراتها من الأذهان لا يصح معها بقاء هؤلاء المسجونين في السجن حتى تنقضي الاحكام الصادرة عليهم لمدة طويلة.

٤- بقاء عائلاتهم في حالة يرثى لها واحتياجها اليهم في أمر المعيشة.

٥- لما كان العفو مقيداً بشروط مهمة فانهم سوف لا يتمتعون بالحرية بمعنى الكلمة وانهم سيكونون بمثابة المحجور عليهم في محل معين وهذا مما يسهل العفو عنهم!^(٢)

والليثي وكان سبب الهياج نزاع في سوق كركوك على سعر بعض الأشياء بين جنديين وبعض الباعة. ثم التجأ الجنديان الى الثكنة ولما وصلا اليها اخبرا رفاقهما بما لحقهما من الاهانة. ولما علم الضباط البريطانيون بهياج الليثي استعرضوا الجنود عزلاً من السلاح واخبروهم ان الباعة سيعاقبون على ذلك. ثم صرفوهم بعد ان هدا تأثرهم.

وكان من سوء الطالع ان الليثي بعد انصرفهم من الاستعراض مروا بمقهى ويظهر انهم تبادلوا السباب مع من كان فيها من الناس فهجم الليثي على اولئك الرجال ثم اندفعوا الى المدينة فمنعتهم الشرطة من اجتياز الجسر فعادوا الى الثكنة واختطفوا اسلحتهم ورجعوا الى الجسر وعبروه الى مدينة كركوك رغماً من معارضة الشرطة ولم يكن بالامكان ردعهم الا بعد وقت طويل واسفر اصطدامهم مع اهل البلدة عن قتل عدة نفوس. ولما تمكن ضباطهم من جمعهم وتنفيذ الأمر عليهم، اخرجوا من كركوك الى چمچمال. وارسلت جنود بريطانية بالطيارة لحفظ الأمن فيها. وفي اليوم التالي توجه فخامة المعتمد السامي الى كركوك بالطيارة. وبعد اجراء التحقيقات نشر بلاغاً على اهل كركوك يعرب فيه عن اسفه لما حدث ووعد باجراء التحقيقات الكاملة وبذل الجهد لمعرفة المجرمين وعقابهم والتعويض لمن لحقته خسارة. والتحقيقات جارية الآن في كركوك. والحكومة العراقية مهتمة كذلك باتخاذ افضل التدابير لمحاكمة المجرمين بموجب القانون العراقي.

مدير المطبوعات

١١ ايار ١٩٢٤

والملاحظ ان البيان لم يختلف بخطوطه العريضة عن التفاصيل التي استقينها من مصادر موثوقة عدة.

شكلت هيئة تحقيق عسكرية من ضباط بريطانيين ووقف بنتيجة التحقيق اثنا عشر جندياً وثلاثة ضباط احيوا الى محكمة عسكرية. فبريء الضباط واثنان من الجنود. وحكم على تسعة بالسجن لمدد مختلفة وارسلوا الى سجن بغداد.

وبعد مرور سنتين ونيف و بناء على وساطة المندوب السامي صدرت ارادة ملكية بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٢٦ بالعفو عنهم ونُشر بيان بالاسباب المبررة لصدور العفو هذا نصه:

إن الحكومة العراقية استندت الى الاسباب التالية لاصدار العفو:

(٢) قررت السلطات وضعهم تحت الإقامة الجبرية للمدة المتبقية من محكومياتهم وعينت لذلك قرية (المائي) الواقعة شمال غرب مدينة العمادية.

البرقيات المتبادلة بين الملك فيصل
وحكومته في بغداد أثناء زيارته الرسمية للندن

لم يقتنع الملك فيصل بالتفاصيل الواردة في برقية رئيس ديوانه فرد
عليها بما يلي :

لندن العدد ٤٤ التاريخ ١٩٣٣/٦/٢٣

من فيصل الى رئيس الديوان - بغداد

لدينا من الاعمال ما هو أهم من قضية مار شمعون، عليكم ان تحفظوا اعتدالكم
مهما كلفكم الامر التفصيل في بريد وزير المالية.

أجاب رئيس الديوان على هذا التحذير بهذا الجواب :

صاحب الجلالة الملك فيصل قصر بكنهام - لندن

عدل وزير الداخلية اليوم صباحاً عن الاستقالة، وأصر على توقيف المار شمعون
اذا غادر بغداد بدون ان يعطي التعهد، وعليه وعد وكيل سفير بريطانيا في
العراق بأن يحمله على عدم مغادرة بغداد اذا لم يوقع على التعهد.

الرقم ط/١٩٧ التاريخ ١٩٣٣/٦/٢٤ رئيس الديوان الملكي

وعلى اثر ذلك بعث الملك فيصل هذه البرقية :

رئيس الوزراء بغداد ١٩٣٣/٦/٢٣

ان توقيف المار شمعون سيحدث ضجة في الصحف هنا، مما يخرب علينا الجو
الصافي والموقع الممتاز الذي حصلنا عليه، وبالنتيجة سيهدم كل آمالنا بالموقفية
في المسائل الكبرى التي بدأنا نعالجها، عاجلوا الامر بحكمة وصبر. وابقوا جميع
الاجراءات التي يجب ان نقوم بها، لحين عودتي. متفق مع الوزراء على ما جاء.

فيصل

رد رئيس الوزراء :

صاحب الجلالة الملك فيصل لندن الرقم ٢٣٩٠

التاريخ ١٩٣٣/٦/٢٤

لما كان رجوع المار شمعون الى الموصل بدون التعهد سيؤدي الى اضطرابات تخل

(من فيصل الى) علي جودت بك (رئيس الديوان الملكي) - البلاط الملكي بغداد

علمت أن في نية الوزارة ترك مركزها «اي الاستقالة» بسبب قضية مار شمعون!
خبروني بالتفاصيل، ولا تقدم على أي عمل قبل تلقي الامر.

اوستاند ١٩ حزيران ١٩٣٣ فيصل

رد رئيس الديوان الملكي على برقية الملك بهذا الجواب :

بغداد في ٢٠ حزيران ١٩٣٣ العدد ط/١٩٦

جلالة الملك فيصل قصر بكنهام - لندن

ان عدم توقيع المار شمعون على الكتاب التعهدي، وطلبه السلطة الزمنية،
واصراره على العودة، وتوجيه بعض العبارات التي اعتبرها وزير الداخلية مهينة،
اضطرت وزير الداخلية على منعه من الذهاب الى الموصل، او توقيفه وسوقه الى
المحاكمة اذا ذهب. يدعي وكيل سفير بريطانيا في العراق بأن الاجراءات القانونية
ضد المار شمعون وان كانت محققة بانها تسبب ثورة وعليه اراد وزير الداخلية
الاستقالة.

الوزارة تؤيده، ولكنها لم تقرر اي شيء. المسألة رهن المعالجة. لم نخبر جلالتك
لعدم ازعاجكم قبل حصول نتيجة. كونوا مطمئنين بأننا سوف لانقدم على اي عمل
قبل اخبار جلالتك وتلقي الامر. التفصيل في البريد الآتي.

رئيس الديوان الملكي

جواب الحكومة :

الرقم ٢٤٤٧ التاريخ ٢٦ حزيران ١٩٣٣

اجتمع أصحاب الفخامة والمعالى الوزراء في ديوان رئاسة الوزراء، وبعد الاطلاع على برقية صاحب الجلالة الواردة الى وزارة الخارجية بتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٩٣٣ قرروا الاجابة عليها بالبرقية التالية:

جواباً لبرقية جلالتمكم ٢٥ حزيران. نرى مع الوزراء إن رجوع المار شمعون الى الموصل بدون التعهد، خاصة بعد قيام معاضده ياقو وأعوانه بالعصيان المسلح، واضطراب الأحوال في الشمال، مما يضعف مركز الحكومة ويشجع العصاة ويوسع الاضطراب، ويسبب ازدياد التأثير السيء في نفوس الأكراد والآثوريين المواليين للحكومة، بل عواقب وخيمة للبلاد. تبليغ المار شمعون بالرجوع الى الموصل وطلبنا منه دعوة العاصين للسكون، يعتبر اعترافاً منا بسلطته الزمنية ويعجز الحكومة الذي لا يلتئم مع المصلحة العامة. إعادة الأحوال الى السكينة لا يحصل إلا باتخاذ الإجراءات الحازمة ضد العصاة. تقوية الوضع في الداخل ضروري لسلامة البلاد. لا اختلاف بيننا وبين المستشار ووكيل السفير. الرأي العام المتهيج من وضعية المار شمعون، أعوانه بدأ يهدأ من اتخاذ الإجراءات. لم يقع لحد الآن أي اصطدام. لازلنا نعالج القضية بالحكمة، ولانلجأ الى استعمال السلاح قبل إقدام العصاة عليه. متخذون التدابير اللازمة لحمل العصاة على ترك العصيان. وضعنا قوي. لا يوجد ما يستوجب القلق. كونوا مطمئنين تماماً.

رشيد عالي

[عن تاريخ الوزارات العراقية، ج ٤]

بالامن، وتعرقل مشروع الاسكان، فقد اتفق وزير الداخلية مع مستشاره على ابقائه هنا فبلغه الوزير بالبقاء. منذ مدة نعالج الامر بكل ما يمكن من الصبر والحكمة، ومع هذا لا نقدم على اتخاذ الاجراءات ضده الا اذا أراد الذهاب بدون التعهد، لما هو محقق من وقوع الفتنة، ولاضطراب الوزارة على حفظ الامن، خاصة بعد ان ظهر من معاضدة ياقو مع مائتين من أعوانه العصيان المسلح مجتمعين بصورة مستمرة على طريق دهوك - عمادية، ورفضه اعطاء التعهد لحفظ السلام. بعد اتفاق وزير الداخلية ومستشاره بوشر في الاجراءات ضد ياقو وأعوانهم لحملهم على ترك العصيان.

رشيد عالي

جواب فيصل :

خارجية بغداد ١٩٣٣/٦/٢٥

اننا نلاحظ ان إبقاء المار شمعون مدة أكثر في بغداد يسبب ازدياد تهيج الاقلية الآثورية وإكثار الدعاية ضد العراق. اذا اختل الأمن بسبب ذهاب المار شمعون الى مصيفه، فالحكومة غير عاجزة عن تأديبه. أما اذا أجبر على البقاء في بغداد وتوسع العصيان الذي تشيرون اليه، فالحكومة تكون ضعيفة خارجياً، لذلك لا يجب أن تعطى قيمة كبيرة لذهابه الى مصيفه من ناحية الأمن، بل من المهم ملاحظة الجهة الخارجية مع اتخاذ جميع التدابير لقمع كل حركة يأتي بها بعد ذهابه. وعليه بلغوه شفهيّاً ان الحكومة لا تغير سياستها نحو الآثوريين، وتنتظر منه أن يبرهن على إخلاصه بالذهاب الى محله ودعوة العاصين للإخلاء الى السكينة، واذا صدر منه أي عمل خلاف ذلك فالحكومة تكون معذورة باتخاذ ما تراه من أسباب بشأنه. زملاؤكم الثلاثة (أي ياسين الهاشمي ورستم حيدر ونوري السعيد) متفقون معنا، وكذلك نحن على اتفاق مع بريطانيا على معالجة القضية بهذه الصورة في الظروف الحاضرة.

فيصل

كتاب حزب الاخاء الوطني المعارض الى
رئيس الحكومة رشيد عالي الكيلاني
حول الأسلوب الذي يجب اتباعه في معالجة "التمرد" الأشوري . أرسلت نسخة منه
الى مقر العصبة

الرقم ٤١٩ بدون تاريخ

الى رئيس الوزراء

يا صاحب الفخامة

تشغل قضية «التيارية»^(١) الحيز الاكبر من بال الرأي العام، بتطورها لتغدو في المستقبل اكبر كارثة تنزل بازدهار البلاد سواء اسكنوا معاً او اسكنوا متفرقين.

والمعلوم ان هؤلاء لم يدخلوا البلاد ليعيشوا بدعة ورفاء، وانما دخلوا ببنيات أخرى. وقد تسببوا في حوادث مؤسفة في الموصل وكركوك مما يدل على انهم مصدر خطر كبير في كل وقت وكل مكان.

ليس ثم بلاد في العالم كالعراق اقدم على مثل هذه الغلطة الفظيعة كالتى اقدمنا عليها. أمنا لهم اراضي للسكن والاستقرار. وصادقنا على صرف الالاف من الدنانير لأغراض زراعية لهم وسمحنا لهم باجتناء خيرات بلادنا ورغم كل ذلك فقد تركوا البلاد اي انهم عبروا الحدود بمجموعة بلغت الفاً وثلاثمائة مسلح وهم مستمرون في عبور الحدود. لم يكتفوا بهذا بل هددوا الآخرين، وهم يخططون للقيام بعصيان حقيقي. وقد قرّ عليه قرارهم وانكشف امره. في انهم فقراء لا يملكون مالاً في الوقت الحاضر وهم غير متمكنين مالياً. فماذا سيكون سلوكهم نحو الحكومة لو تحسنت اوضاعهم مادياً وتعليمياً؟

علينا ان نوصي بان اي علاج لهذا المرض هو قيام الحكومة بطردهم فوراً من البلاد بغض النظر عن عصبية الأمم وبدون اعطاء اي اعتذار لهذا العمل فهذا يؤدى الى زوال حالة القلق، والاخلال بالامن العام في البلاد.

التوقيع

الامين العام للحزب الوطني

(١) عُرِفَت القضية الأشورية باسم (التيارية) وهي أكبر قبائلهم والمقصود هنا الأشوريون كافةً.

كتاب وزير الخارجية العراقي
الى عصبة الأمم بشأن وقائع آب ١٩٣٣

[وصل الكتاب في ١ ايلول ١٩٣٣]

الى امين السر العام:

عصبة الأمم - جنيف

تعقيباً لبرقيتنا في ٦ من آب ١٩٣٣

بغداد في ٢٠/٨/١٩٣٣

رقم ٧٨٥٩

من المعتدين اثناء مطاردتهم واحيل المقبوض عليهم الى التحقيق.
الآن تم تأسيس مخافر الشرطة في القرى لإشاعة الثقة والطمأنينة بين سكانها وتشجيعهم للعودة اليها. كما شكلت لجان إغاثة بالتعاون مع خبير الاسكان الرائد (تومسن) بغية توفير الغذاء والمأوى للاجئين او لإعادتهم الى بيوتهم.

اتخذت اجراءات التحقيق بحق مشعلي نار الفتنة وبحق زعماء المسؤولين عن العصيان المسلح. والحكومة تقوم بتحقيق حول المزاغم القائلة بحصول اعتداءات وأعمال لا قانونية لا مبرر لها.

الحكومة العراقية تحتج بشدة على الدعايات المضللة التي تشجعها جهات تتقصد تشويه الحقائق واخفاء الوقائع بهدف الاساءة الى سمعة العراق.
اعيد الأمن الى نصابه وانسحبت القوات المسلحة الى مقراتها الدائمة. التقارير التفصيلية ستقدم اليكم خلال فترة مناسبة.

وزارة الخارجية

ان الثورة المسلحة التي اقدم عليها انصار مار شمعون بهدف إلحاق الدمار التام بقواتنا المسلحة ثم المباشرة بمذبحة عامة للجزء المسالم الوادع من العراق، قد تم إخمادها خلال اسبوع واحد من قيامها بفضل التدابير الفورية التي اتخذتها الحكومة.

خلال العمليات العسكرية لم تسجل حادثة واحدة حول قيام القوات النظامية أو المجندين من الميليشيات الحكومية باعتداء على القرى وعلى السكان رجالاً أو نساءً أو اطفالاً وانحصرت الخسائر من الجانبين بالمقاتلين من المتمردين ومن القوات الحكومية.

واقدم المتمردون على تشويه جثث القتلى والجرحى، واشعلوا النار في جثث الضباط. وفتكوا بعدد من النساء والاطفال.

الاغلبية الساحقة من الآشوريين ساندت الحكومة ضد المتمردين من اتباع مار شمعون كما قدمت مساعدات فعالة سواء بالتطورع في سلك الشرطة. أو اضطلاعهم بمهمة المحافظة على النظام في مناطقهم. وهناك سبعمائة منهم مازالوا في سلك القوات الحكومية يخدمون باخلاص.

وقعت سرقات في قرى تعود للمتمردين وغيرهم ممن التحق بالعصابات الخارجة على القانون بعد ان تركتها العائلات التي كانت فيها والتجأت الى أقرب مركز اداري. الا ان الحكومة اتخذت التدابير الفورية لوقف هذه الأعمال واستعادت معظم المنهوبات وارجعتها الى اصحابها. ودفعت تعويضات عن الاشياء القليلة التي لم تتمكن من استعادتها. وقتل اثنان

توفيق السويدي والقضية الأثورية في عصبة الأمم
(مقتبس من مذكراته المطبوعة الصادرة في ١٩٦٨)

البريطاني - لان مار شمعون رئيسهم كان ممن حصلوا على الحظوة لدى رئيس اساقفة كانتربري الدكتور (لانغ). إن هذا الخبر الشيخ كان يد المار شمعون ذلك الشاب الغرّبشتى المساعدات والحمايات والمحابة وغير ذلك مستعيناً بما له من مكانة عظيمة في بلاده انكلترا فأثر في الحكومة البريطانية تأثيراً كبيراً فطلبت ان تؤلف لجنة خاصة أسموها (لجنة الآثوريين) للنظر في شؤونهم وفي تأمين ملاحجهم او مساكن لهم في بلاد اخرى غير العراق ولكن مسؤولية الصرف والانفاق أريد ان يتحملها العراق الذي كان وضعه الاقتصادي قاسياً جداً كذلك وضعه السياسي.

وقد تحمل العراق ما استطاع تحمله ورفض ما استطاع رفضه منها. ففي هذه اللجنة كان وضعنا حرجاً وكنا نجابه باسئلة واستيضاحات نضحك منها في قرارة انفسنا لما فيها من سخافات وبلاغات ولكننا كنا نجيب عنها بكل لباقة لتتخلص من كثير من المآزق.

كان يسأل هؤلاء عما اذا كان يتاح لهؤلاء المهاجرين ان يستحموا كل يوم بماء ساخن وهل توجد احواض للحمامات لدى كل عائلة وما مقدار الكلورين الذي كان يؤمن لكل فرد منهم لتعقيم مياه الغسل وغير ذلك من الاسئلة الموجهة فكنا نجيب عليها باننا نعامل هؤلاء الآثوريين كما نعامل اهل البلاد الاصليين، فاذا كان لهؤلاء ما يؤمن لهم العيش الرغيد او وسائل الراحة والاستحمام اليومي او غير ذلك فنحن لا نقتصر في ذلك عنهم.

وكانت اشد الاعضاء قسوة في التدقيق والإحراج إمراة تمثل (النرويج) فكانت تهاجمنا بشراسة وتطلب منا ان نعمل المستحيل لهؤلاء المنكوبين وكنا نداريها ونسعى لاقتناعها بشتى الوسائل حتى قيض الله لنا ما انقذنا من شرور هؤلاء الآثوريين، اذ طلبوا ان يهاجروا فوراً الى أي محل يريدون او ينطلقوا من خيامهم ويتفرقوا في البلاد. فوافقنا على ذلك وكلفنا هذا الأمر مقداراً كبيراً من المال حتى ان الكثيرين منهم ارادوا الالتحاق باخوانهم واقاربهم الساكنين في سورية فسمحنا لهم وهكذا قمنا بتسوية هذه المعضلة تسوية موافقة للمصلحة العراقية وكانت جميع النفقات التي تكبدها العراق من جراء هذه المشكلة ما يقارب المليون دينار.

عند مجيئي الى بغداد (من طهران)، فهمت ان وجودي في عصابة الأمم ضروري خلال شهر كانون الثاني ١٩٣٤، لأن قضية الآثوريين ستعرض على لجنة الآثوريين الخاصة المؤلفة في عصابة الأمم، واصرت الوزارة عليّ بأن أسافر في اقرب فرصة ممكنة... و... بلغت جنيف في ٣٠ كانون الأول ١٩٣٣... وكانت مهمة العراق في لجنة الآثوريين الدولية من أصعب المهام وأشقها لأن الاعضاء الذين كانوا يمثلون الدول فيها وهم معينون من قبل مجلس العصبة للنظر في مشكلة الآثوريين - كانوا هؤلاء الاعضاء يفكرون في وادٍ بينما كنا نفكر والآثوريين معاً في وادٍ آخر.

فالآثوريون في العراق كانوا قد اتوا البلاد على أمل ان يؤسسوا لأنفسهم وطناً قومياً فيه فيعيدوا مجد اجدادهم الآشوريين في شمال العراق وتساعدهم في مهمتهم هذه الدولة البريطانية المنتدبة فيكونوا نقطة ارتكاز خطيرة في السياسة الاستعمارية لتجعل منهم نوافذ مفتوحة لمراقبة جميع الاعمال في إيران وتركيا والعراق وسورية وهكذا يصبحون أحسن لمجاً لسياسة التوجيه والإفساد في الشرق الأوسط وأخبث وكر للدسائس الاجنبية. ومن سوء حظهم انهم كانوا مستعجلين في تحقيق مطالبهم لأن خبرتهم في الحياة كانت على ما يظهر قليلة جداً. فان معظمهم كانوا بسطاء ونفيعين لا يفقهون شيئاً كثيراً من مقتضيات الزمن او من دقائق السياسة وعندما وجدوا انفسهم مستندين الى قوة بريطانيا اعتقدوا ان مطالبهم اصبحت قاب قوسين من التحقيق فطاشوا وغلبت عليهم النعرة والغطرسة وصاروا يستفزون الناس باعمالهم الارهابية وسلوكهم القاسي واهاناتهم العلنية التي كانوا يوجهونها الى اهل البلاد.

وبينما كانوا يأملون استعجال تحقيق مطالبهم اصبحوا معرضين الى خطر ضياع مراكزهم ومساكنهم وملاجئهم في البلاد فأصابتهم ضربة قاصمة قاضية وازيلوا عن البلاد وهربوا مشتتين الى سورية بعد ما قضي على الباقيين منهم قضاء مبرماً.

وكانت ابواقهم في الخارج قوية ويسمع صوتها هنا وهناك، وخصوصاً لدى الشعب

حقيقة الموقف في جنوب العراق
أثناء قيام المشكلة الأثورية

النص

في شباط ١٩٣٣ ظهر في اسواق بغداد كتيب عنوانه "العروبة في الميزان" لمؤلفه (عبدالرزاق الحصان) تعرض فيه الى الشيعة العراقيين بقوله انهم ليسوا عرباً وانما من بقايا الفرس الساسانيين. واتهم بعض المدرسين والعلماء الشيعة بالولاء للفرس. وقد وقع الكتاب في يد أحد الادباء الشيعة فانتقده بمقال عنيف. فاذا بالخواطر تهيج في جنوب العراق وعلى طول الفرات ورغبة من الحكومة في اطفاء نار الفتنة قدمت (عبدالرزاق الحصان) الى المحاكمة وحكم عليه بالسجن. إلا ان مستغلي الحادث لم يسقط في يدهم وبدأت برقيات الاستنكار تترى على الحكومة ووقعت في النجف وكربلاء والحلة والكاظمية حوادث عنف عديدة. اضربت النجف ايام واغلقت الأسواق وعطلت الأعمال فيها وسرى ذلك الى مدينتي الحلة والديوانية وتوجه (محمود أديب) متصرف كربلاء بصحبة القائمقام (جعفر حمندي) مع قوة من الشرطة وبأيديهم البندقيات. ولم ينقذ الموظفين المذكورين غير تدخل الشيخ (محمد الحسين آل كاشف الغطاء) الذي خرج الى الصحن فوراً وشرع يهديء في الناس حتى سري عنهم وفتحت الاسواق في جميع المدن المضربة. بعد أن كاد هذا الاعتصاب يسري الى قبائل الفرات وينقلب الى ثورة شعبية عارمة".

على أن (الحسني) حاول الكثير في عرضه من أجل تلطيف الصورة الحقيقية لكونه شيعياً يحاذر ان يبدو منحازاً فألقى بسببك الايضاح على عاتق الشيخ (آل كاشف الغطاء) نفسه فكتب رسالة له يسأله فيها عن مجهوده الشخصي في اطفاء "الفتنة". ذاك المجهود الذي استحق عليه العالم الديني الشهير شكر الملك فيصل "الشخصي في حينه" ولم يرض الحسني على قرائه بنص الرسالة فادرجها في حاشية كتابه وهذه هي:

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيري...

"وردني كتابك بخصوص كتابنا من المرحوم (فيصل) على اثر اطفائنا بتوفيقه تعالى ثائرة فتنة (الحصان) التي اضربت النجف فيها اربعة او خمسة ايام وعطلت الأعمال واغلقت الاسواق وسرى الى لواء الحلة والديوانية وجميع ضواحيها وكان (فيصل) متهيناً للسفر الى لندن فلم يستطع النزوح عن العراق وهو في اشد الاضطراب وكان متصرف كربلاء (محمود أديب) والقائمقام (سيد جعفر حمندي). فتوجه المتصرف مع رشاشتين وما عنده من الشرطة الى النجف لقمع

[سفه الاستاذ خلدون الحصري الرأي الذي أدلى به المؤرخ (ايلى خضوري) في السبب الذي حمل حكومة رشيد عالي الكيلاني على توجيه الرأي العام العراقي توجيهاً حاقداً ضد الآشوريين. اذ قال: "ان الشيعة في الجنوب كادوا يكونون في ثورة معلنة ضد الحكومة في صيف العام ١٩٣٣، ولذلك من اجل تحويل الاهتمام بها الى جهة أخرى وتوحيد كلمة المسلمين ضد غير المسلمين فقد بنت خطتها المتضمنة انزال ضربة صاعقة بهم". ونفى الاستاذ خلدون ساطع الحصري ان يكون الجنوب الشيعي كما صوره (خضوري) كذلك وحاول اثبات خطل التعليل.

في حين يذكر ستافورد في كتابه ما يتفق ووجهة نظر (خضوري) استناداً الى حديث له مع رئيس وزراء سابق هو (ناجي شوكت) الذي وصفه بانه ارجح الساسة العراقيين عقلاً، فقد التقاه (انظر الباب المعني).

في الموصل أثناء مروره بها قاصداً استنبول في أواخر حزيران وفي معرض حديث شرح له خطورة الموقف في الشمال أجاب (ناجي شوكت):

"هذا شيء، والخطر الحقيقي هو الاضطرابات الشيعية. فلعلك لا تدري ان لوائين من ألوية الفرات الاوسط هي الآن بلا حكومة اصلاً واللواء الثالث (الديوانية) مشلول الادارة رغم ان متصرفه من اكفأ الموظفين".

فأين هي الحقيقة وما هو واقع ما كان يحصل في ذلك الحين جنوب العراق؟

لادراك ذلك انقل ما جاء عن تلك الفترة في كتاب اعتمد الاستاذ الحصري على آراء مؤلفه كثيراً ومن دون تعليق تاركاً للقاريء الحكم. [

لجنة لهذا الغرض وتقرر ان يجري الاجتماع في بلدة (الرميثة) التي دوت فيها الطلقة الأولى ايداناً بالثورة. وبدأت اللجنة تتصل بكثير من الزعماء الشيعة وشيوخ العشائر لدفعهم الى المشاركة فشعرت حكومة (رشيد عالي) بالخطر الشديد المحقق فقد نما الى جهات الأمن بأن الاجتماع سيستخدم لابقاء ثورة مسلحة فبذلت جهوداً كبيرة لاحتباط هذا الاحتفال واستخدمت الموالين لها من الرؤساء وشيوخ العشائر في الجنوب وحرصتهم على الاجتماع واستنكار مثل هذا الاجتماع واتصل المتصرفون والقائمقامون وضباط الشرطة المحلية بانصار الحكومة وحملوهم على توقيع عرائض يستنكرون فيها عقد الاجتماع. فاصدرت الحكومة قراراً بمنعه. إلا ان اعضاء اللجنة وجمهوراً من الأهالي قصدوا بلدة الرميثة في ذلك اليوم وهم مصرون على عقد الاجتماع وحشدت الحكومة قوات من الشرطة ووقع شجار عنيف بين القادمين وبين انصار الحكومة اطلقت خلاله عدة عبارات نارية.

وبعد عشرة أشهر بدأت انتفاضات الجنوب الدامية المتتالية.....

الفتنة واطفاء الشائرة، فازداد هياج النجفيين وحاصروه هو والشرطة في السراي يريدون الفتك به فاستغاث (السيد محمد علي) و(الجزائري) وغيرهم، فلم تهدأ الجماهير بل زاد حماسهم وهوساتهم حول السراي باسلحتهم النارية. وكنت محتجباً في داري وأمرت أن لايفتح الباب لأحد. فتسلقوا الجدران من بيوت الجيران (حمندي) و(عبدالرزاق شمسه) وبقية الموظفين يبكون بكاء الثواكل ويصرخون: "احقن الدماء فليس لنا سواك وإلا فسنقتل جميعاً ويعود جيش الاحتلال في الحال".

فخرجت الى "الصحن" ظهرأً ووقفت في مرتفع وأمرت الناس بالهدوء فتراجعت الجماهير عن السراي ووعدهم ان أصعد المنبر فسكنوا وامتلاً الصحن عصراً واستمرت الخطبة الى غروب الشمس وما ان انحدرت من المنبر حتى فتحت الأسواق وعادت المياه الى مجاريها وجاءني (محمود أديب) شاكراً ورجع الى كربلاء وصحبها وكتب لي الملك فيصل كتاباً مفصلاً يشكرني فيه وسافر بعد يوم او يومين وقد مضى على الحادثة عشرون سنة تحقيقاً وكنت محتفظاً بالكتاب ولا ادري اين وضعته واني اترقب حصول فرصة للبحث عنه.

صفر ١٣٧٢

(التوقيع)

لكن الموضوع لم يسدل عليه الستار. اذ ما مضى على ذلك اسابيع قليلة حتى اصدر السيد (محمد صادق الصدر) كتابه "الشريعة". وعلى أثره هاجت خواطر أهل السنة وبدأت معركة صحفية كادت تنزل الى الشارع واضطر السيد (جعفر ابو التمن) - وكان قد ابعده نفسه عن الحزب الوطني الذي يتراسه إلى نشر بيان مطول في ٢٨ من تموز ١٩٣٣ يناشد فيه الاطراف المعنية التحلي بالتسامح ويحرص على رص الصفوف ومما قاله فيه:

"العراق الآن في اشد الحاجة الى جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ليزيح عنه ولو بعض الشيء ما اصابه من جور وإجحاف وفي طلائع الشتات يلوح في افق الطرق لتعكير الصفو على ابنائه ومن ورائها شبح مخوف يحاول تمزيق شمل الوحدة لا سمح الله..."

إلا ان الخواطر لم تهجع. ومن آثار تلك العاصفة ان بعض الادباء والمحامين والمعلمين والمدرسين في الجنوب ارادوا احياء ذكرى ثورة العشرين في الثلاثين من حزيران ١٩٣٣ فألفوا

**نصوص البيانات الرسمية التي صدرت
من الحكومة العراقية بمناسبة الازمة الآشورية**
(وهي بتوقيع ملاحظ المطبوعات وكان في حينه بمثابة ناطق رسمي باسم
الحكومة . وقد غير عنوان وظيفته بعد بضع سنوات عندما الغيت دائرته وصارت
مديرية عامة فبات يعرف بمدير الدعاية العام)

إلا ان الأمر لم يقف عند هذا الحد بل ان اعوان المار شمعون تصدوا فعلاً وهم مسلحون للإخلال بالأمن العام وذلك باجتماعهم قبل مدة قصيرة في محل معين وتمردهم على الحكومة وتوعدهم الأثوريين الموالين لها^(٢). وكان اجتماعهم هذا برئاسة المدعو (ياقوب بن اسماعيل) فاضطرت الحكومة الى سوق القوة اللازمة لتأديبهم وارجعت الأمور الى مجراها الاعتيادي بعد ان خضع المتمردون وقدموا دخالتهم للحكومة وتعهدوا بطاعتها وعدم الاخلال بالسلام وعلى أثر ذلك رأت الحكومة من الضروري ان يجمع رؤساء الأثوريين وتفهمهم بقرار عصبية الأمم المتحدة بشأن الأثوريين وسياستها نحوهم. فأحضر جميع هؤلاء الرؤساء في الموصل ووضحت لهم هذه الأمور كلها من قبل المتصرف وخبير الإسكان. وقد أعطوا التعهدات اللازمة بخضوعهم لاوامر الحكومة وانقيادهم لها^(٣)، إلا ان اعوان المار شمعون بالرغم من ذلك كله، اعادوا الكرة قبل ايام قلائل واجتمعوا مسلحين في جبل (بوسيريان) ولما رأوا ان الحكومة محتاطة للطوارئ وان قواتها كافية لقمع اي تمرد وكافلة للمحافظة على النظام، عبروا الحدود العراقية ودخلوا المنطقة السورية وكان عددهم ١٣٥٠ رجلاً مسلحاً. ولما كان عملهم هذا مخالفاً للقوانين من كل الوجه علاوة على انه وقع بدون علم الحكومة وإذنها قررت الحكومة ان لا تقبلهم مرة أخرى في العراق. أما اذا أظهروا ندمهم وارادوا الرجوع فلا تمكنهم من ذلك الا بعد تجريدهم من السلاح محافظة على الأمن العام وعبرة لغيرهم ممن قد تسول لهم أنفسهم القيام باعمال مماثلة.

وتنفيذاً لهذا ساقطت الحكومة حالاً القوة اللازمة من الجيش والشرطة الى جهات العبور من لواء الموصل. ولما رجع قسم منهم الى الضفة العراقية من نهر فيشخابور بسلاحهم أنذرهم الجيش بلزوم ترك السلاح غير انهم لم يلتفتوا الى ذلك وبدأوا يقاومونه بالسلاح فاضطروا الى الرجوع خائبين. وفي الوقت نفسه طلبت الحكومة من القائم باعمال الحكومة الفرنسية في بغداد ان يعلم حكومته بلزوم تنفيذ احكام اتفاقية حسن الجوار الموجودة بين الدولتين والتي تقضي بضرورة تباعد مثل هؤلاء الأثوريين عن منطقة الحدود العراقية وتجريدهم من السلاح لأنهم ليسوا من العشائر المعتادة على التنقل. وبعد ان جرت المفاوضات اللازمة في هذا الشأن قامت الحكومة الفرنسية بما طلب منها فجردتهم من السلاح وابعدهم عن الحدود الى الاماكن

(٢) الحكومات كسلطة عليا تترفع عادة عن استخدام امثال كلمة موالين وغير موالين بخصوص رعاياها ومواطنيها. وفي اصرار الحكومة العراقية على استخدام هذا التعبير ذكرى مؤلة للسياسة التي كان ولاة العثمانيين يستخدمونها عادة لاحداث التفرقة باستمالة فريق من الناس واستعدائه على الفريق الآخر.
(٣) من النصوص التي سبقت يتضح ان ما كتب هنا مخالف للحقيقة فقد اعلن جانب من المجتمعين مخالفتهم بعريضة رفعت للمتصرف بعد الاجتماع مباشرة.

-١- بيان مؤرخ في ١ من آب ١٩٣٣

ليس بخاف ان الحكومة كانت وما تزال تبدي مساعداتها وبكل الطرق الممكنة الى الأثوريين بغية اسكانهم وترفيهه أحوالهم آملّة ان يكونوا رعايا مخلصين لهذه البلاد يشعرون بالواجب نحوها كسائر العراقيين. ولتحقيق هذا الغرض فقد أعفقتهم من دفع الضرائب وأسكنتهم في قرى عديدة ومدت لهم يد المعاونة كلما رأت لزوماً لذلك. كما انه ليس هناك شك في انها قامت بكل تعهداتها تجاه عصبية الأمم واكبر دليل على ذلك استخدامها خبيراً لدرس مشروع الاسكان ورفع التوصيات اللازمة الى الحكومة حوله. ولهذه الغاية سبق ان خصصت مبالغ لا يستهان بها. إلا انه رغماً عن كل هذا أخذ المار شمعون يعرقل مشروع الإسكان ويطالب بأشياء غير معقولة ومخالفة لاحكام قوانين البلاد ولقرار عصبية الأمم نفسها كاعتباره ذا سلطة زمنية لا يمكنه التخلص عنها. ولما رأت الحكومة ان بقاءه في الموصل مما يعرقل مشروع الإسكان ويخل بالأمن العام جلبته (كذا) الى بغداد وأفهمته بأنها لا تساعد (كذا) على الرجوع الى الموصل إلا اذا أعطى تعهداً بأنه سيحافظ على السلام ولا يتصدى لأية حركة من شأنها عرقلة مشروع الاسكان وان يرجع عن طلباته غير القانونية ويطيع اوامر الحكومة. وحيث انه لا يقبل بذلك رأت الحكومة لزوماً لابقائه في بغداد استناداً لحكم القانون المختص^(١).

(١) لم يذكر البيان اسماً لقانون يصح أن يتعلل به لاحتجاز مار شمعون. هناك ثلاثة قوانين اجرائية تبرر تقييد الحرية في ذلك الحين وليس بينها ما يمكن الاستناد اليه في هذه الحالة فكل من قانون "اصول المحاكمات الجزائية" وقانون العقوبات البغدادي مرهون تطبيقهما بالاجهاز القضائي حصراً وبوجود تهمة او ظنة بجرم معين ونظام دعاوى العشائر" الذي كان سائداً لا يجيز الاحتجاز بل بموجب أمر توقيف صادر من وزير الداخلية او المتصرف أو أي موظف اداري مخول تبين فيه التهمة بصورة صريحة نافية للجهالة بصدد عمل معين. وبموجب هذه القوانين الثلاثة يقتضي إجراء مرافعة وكان مار شمعون كما تدل المراسلات الرسمية قد استدعي الى العاصمة للمداولة فحسب لذلك كان احتجاجه ومنعه من السفر - لا يتفق مع اي قانون نافذ المفعول آنذاك.

إن هذه الحادثة تمت بهذه النتيجة الحسنة بفضل الله تعالى وبمؤازرة الشعب العراقي النجيب. ومع كل هذا فان الحكومة لم تنزل محتاطة للأمر ومتخذة كل التدابير الضرورية للضرب على ايدي كل من يتصدى للاخلال بالأمن العام حسب ما يقتضيه الواجب تأميناً لمصالح البلاد العامة.

ملاحظ المطبوعات

- ٢ -

بيان مؤرخ في ٤ من آب ١٩٣٣ الهاقاً بالبيانات المؤرخ في ١ آب ١٩٣٣

ان ترك بعض الأثوريين الاراضي العراقية بدون اذن من الحكومة ودخولهم مسلحين في الاراضي السورية بدون اذن ايضاً من الحكومة السورية قد سبب شيئاً من الانزعاج. وقد بلغ الحكومة العراقية في نية بعض الأثوريين الاقتداء بالنازحين، لذلك فهي ترغب في ان تعلن بكل وضوح بأنها لا تسمح باي وجه من الوجوه بالعودة الى العراق للأثوريين الذين يغادرون على هذه الصورة وبدون اذن منها. ومع هذا فهي عازمة على الاستمرار في سياستها بشأن إسكان الأثوريين على شرط أن يحافظوا على السلوك المرضي كسائر العراقيين وان يتعاونوا مع موظفي الحكومة اينما وجدوا.

ملاحظ المطبوعات

- ٣ -

بيان مؤرخ في ٥ من آب ١٩٣٣

تصدى أمس ليلاً ثلثمائة او اكثر من (التياريين) الذين لم يجردوا من السلاح على عبور دجلة والدخول في الاراضي العراقية بحجة تسليم سلاحهم وهاجموا الربايا الأمامية من المعسكر، وبعد مصادمة دامت عدة ساعات صدوا اليوم على اعقابهم تاركين وراءهم عدداً غير قليل من القتلى. وتوالي طلّاع القوة مطاردة المتفرقين.

وكيل ملاحظ المطبوعات

- ٤ -

بيان مؤرخ في ٦ من آب ١٩٣٣

تحقق أمس ان العصاة الأثوريين الذين تصادموا مع وحدات الجيش العراقي يتجاوزون الألف وان جميع اسلحتهم اعيدت اليهم من السلطات المحلية قبل عبورهم الى الحدود العراقية وقد اشتركوا في وقائع ٤ و ٥ من الشهر الحالي. وان الجيش والشرطة مستمرة في تعقيب الأثوريين المشتتين.

وكيل ملاحظ المطبوعات

- ٥ -

بيان مؤرخ في ١٠ من آب ١٩٣٣

لقد تحقق في الأيام الأخيرة أن عدداً يربو على الخمسمائة من الأثوريين المتمردين التجأوا الى سورية بعد مصادمات (٥ آب) وان الباقيين قد تسربوا الى الشرق معتصمين بالجبال او ملجئين الى القنات التي طاردتهم. وقد تم تجريد ٢٥٠ من الملتسجين الى تاريخ امس. فالحكومة تعتبر ان الحركات قد دخلت الآن في دورها الاعتيادي وانحصرت في مطاردة شرطة لاشقيا لا يتجاوز عددهم الاربعمائة. وقد انذر هؤلاء الشقاة بالتسليم وعين لقبول النادمين مدة ٤٨ ساعة وتترقب قبول الحكومة دخالتهم.

ملاحظ المطبوعات

- ٦ -

بيان مؤرخ في ١٢ من آب ١٩٣٣

اضطر معظم الأثوريين المشتتين الذين نوه عنهم في البيان الرسمي المؤرخ في ١٠ الجاري، للاتجاه الى قوى الحكومة والى بعض القرى. اما النزر اليسير المتبقي فهو مختف عن الانظار ولا يخشى منه اخلال بالنظام تعتبر الحكومة ان الحركات التأديبية التي قامت بها قوات الجيش والشرطة قد تكملت بالقضاء نهائياً على حركة التمرد وستتخذ التدابير اللازمة لإنزال العقاب الصارم بالمسبيين لسفك الدماء بتحريضهم المتمردين على فعلتهم النكراء وللحيلولة دون وقوع مثل هذه الحركات في المستقبل. وسوف لا تنشر الحكومة بيانات يومية بعد هذا التاريخ عن العصبة.

ان الوزارة وجدت مؤازرة الشعب العراقي النبيل بجميع طبقاته وفي مختلف اطوار هذه القضية ما يجعلها تتقدم بكل سرور لتسجيل فخرها وشكرها على ذلك. وخاصة على ما ظهر

تعقيب

ذكر لي مصدر موثوق - كما تشير ملحوظاتي - بأن هذه البيانات كانت تعرض
اولاً على رئيس الوزراء قبل نشرها
وهذا هو نص البرقيتين أشار اليهما تقرير وزارة الخارجية المرفوع الى الأمين
العام لعصبة الأمم وجهتا الى القائم بالاعمال الفرنسي في بغداد من وزارة
الخارجية على شكل رسالتين فبعث بها بدوره برقية الى المندوب السامي
الفرنسي في بيروت

التاريخ ٢٣ تموز ١٩٣٣ سيدي القائم بالاعمال: الرقم ٦٨٣٣

تأييداً للمحادثة الشفوية التي جرت بيننا أمس: لي الشرف أن اخبركم بأني علمت مؤخراً ان
قسماً كبيراً من الآثوريين الذين يقارب عددهم الالف والثلاثمائة نسمة المنتسبين إلى عشائر
التخوما والتياري في قضائي دهوك والعمادية وغيرهم من الآثوريين قد نزحوا في ٢١ الجاري
من منطقة فيشخابور (شكلة) الى الارضي السورية وانهم يقيمون الآن في (كلي جلي) وربما
ان هؤلاء من العشائر غير المعتادة على التنقل وحيث انهم دخلوا سورية بدون اخبار الحكومة
العراقية والحصول على اذن منها بذلك كما تقضي به المادة الخامسة من الاتفاقية المنعقدة بين
العراق وسورية لتنظيم امور عشائر الحدود ارجو التفضل بالتوسط لدى السلطات السورية
لاتخاذ التدابير اللازمة عملاً بالمادة السادسة من الاتفاقية المذكورة لتجريدهم من السلاح
وتأمين بقائهم في منطقة بعيدة عن الحدود منعاً لإتيانهم ما يخل بالأمن وإنبائي بالنتيجة.

عن وزير الخارجية

[توقيع]

وزارة الخارجية

التاريخ ٢٧ تموز ١٩٣٣

الرقم ٦٩٧٣

سيدي القائم بالاعمال

كان لي الشرف في ان بينت لكم في كتابي المرقم ٦٨٣٣ والمؤرخ في ٢٣ تموز ١٩٣٣ حول
التفضل بالتوسط لدى السلطات السورية لاتخاذ التدابير اللازمة عملاً بالمادة السادسة من
الاتفاقية المؤقتة المنعقدة بين العراق وسورية لتنظيم امور عشائر الحدود، لتجريد النازحين الى
البلاد السورية من الآثوريين من السلاح وتأمين بقائهم في منطقة بعيدة عن الحدود منعاً

في افراد الشعب من الحرص الشديد للذود عن كرامة البلاد والاهتمام التام لحفظ الهدوء
والسكينة والسهر الدائم على حماية ارواح الابرياء من (شيوخ ونساء واطفال) في القرى
والدساتر الكائنة في منطقة الحركات. ان الحكومة تنوه بهذه المفخرة التي كانت ولم تنزل من
شيمة العراقيين الانجاب في كل العصور والادوار.

ملاحظ المطبوعات

(الانذار الذي وجه للآثوريين باللغة السريانية- القى عليهم بالطائرة- وقد جاء
ذكره في بيان ملاحظ المطبوعات الخامس)

الى العصاة الآثوريين

تعلم الحكومة بهذا انها:

اولاً: تمهلكم الحكومة ستين ساعة تبتديء من الساعة الثانية عشرة اي بعد السبت المصادف
١١ من شهر آب الحالي لتعرضوا على السلطات خلال هذه المدة دخالتكم بشرط تسليم
سلاحكم الى اقرب مركز حكومي او المعسكرات العسكرية او الشرطة.

ثانياً: ستتوقف اجراءات قوات الدولة التأديبية ضدكم خلال الستين ساعة المارة الذكر.

ثالثاً: اذا فاتت هذه المدة ولم تعرضوا خلالها الخضوع والطاعة وتسلموا اسلحتكم الى
السلطات المذكورة في الفقرة الأولى فسوف تستأنف قوات الدولة المسلحة مطارديكم
حتماً وتنكل بكم اشد التنكيل.

رابعاً: فانتهزوا هذه الفرصة الثمينة واقبلوا النصيحة كي لا يحل بكم الندم.

١٠ آب خليل عزمي / وكيل متصرف الموصل

في اليوم التالي نشر توضيح للبيان الانذاري السالف هذا نصه:

توضيحاً للبيان المنشور عليكم بالأمس بواسطة الطيارة والوسائط الأخرى
نطمئنكم بأن الذي يسلم نفسه وسلاحه يكون آمناً على نفسه ويرخص فوراً الى
قريته بكامل الحرية.

خليل عزمي

وكيل متصرف لواء الموصل

لاتيانهم بما يخل بالأمن. ولكنني اود ان احيطكم علماً بأن هؤلاء الآثوريين لم يزالوا مخيمين في الضفة اليمنى من دجلة امام الحدود العراقية وانهم هبأوا المتاريس وغايتهم مواجهة القوات العراقية بالقوة في حالة منعها عبور رفقاتهم فاذا لم يبعد هؤلاء النازحين من الحدود ويجردوا من اسلحتهم فقد يؤدي الأمر الى سفك الدماء الذي لاتود الحكومة العراقية وقوعه إلا اذا اضطرت الى ذلك حفظاً للأمن. وعليه فان عدم قيام السلطات السورية بما تحتتمه عليها احكام الاتفاقية المشار اليها من ابعاد هؤلاء من الحدود وتجريدهم من السلاح رغم سبق طلبنا ذلك منذ اربعة ايام مما جئت بهذا التأكيد مكرراً طلب حكومتي الآنف الذكر باتخاذ التدابير السريعة لابعاد هؤلاء عن الحدود وتجريدهم من السلاح استناداً الى نصوص الاتفاقية راجين اعلامنا بما يتم بهذا الشأن.

عن وزير الخارجية

[توقيع]

نموذج للاضطهاد الفكري الديني
للعراقيين المثقفين غير المسلمين. بحجة "الكفر" بالدين

الطلاب على تشجيع المصنوعات الوطنية. وكنا نحن معه في الدعوة الى تشجيع المصنوعات الوطنية، لكن درويش كان يدخن السيجار الاجنبي وهو من المصنوعات الاجنبية، في حين كان في الموصل معمل للسكاير حسبما اتذكر (او في بغداد) وقد لغتنا النظر الى ذلك».

ويتحدث الدكتور في رسالة أخرى مؤرخه في العشرين من آب ١٩٩٧ عن السيد حبيب العبيدي (ورد ذكره في اكثر من موضع من كتابنا) فيقول عن قصيدة هجاء بحقه ارسلتها اليه: «قرأت قصيدة الهجاء لمفتي الموصل حبيب أفندي العبيدي كرم الله وجهه (اعوذ بالله) قرأتها مراراً لا عييد الى ذاكرتي ما كان يفعله ضد شباب ارادوا ان يفيدوا الوطن بينما كان يدعو الى عودته الى الورا لئلا يماشي تطور الحضارة الى امام.

كان الحاج حبيب أفندي في الاستانة قبل الحرب العالمية الأولى يؤيد جمعية الاتحاد والترقي التركية، بينما كان الضباط العرب في الاستانة يدعون الى استقلال البلاد العربية. وكان فيصل (ملك العراق فيما بعد) عضواً في البرلمان العثماني ممثلاً للبلاد العربية ويسعى مع العرب لاستقلالهم. أما العبيدي فقد كان يؤيد الاتراك ضد الجمعيات العربية التي تؤيد الحركة العربية. لذلك، حين أعتلى فيصل عرش العراق وتألقت الحكومة العراقية، عاد حبيب أفندي الى الموصل وكان يؤمل ان يعينه الملك عضواً في مجلس الاعيان ورغم سعيه الى ذلك فان فيصل رفض، ولم يحصل مفتي الموصل على العضوية بل حصل عليها بطريك الكلدان. وقد زار جناب مفتي الموصل بغداد اكثر من مرة وحاول مقابلة الملك فيصل. والذي اعلمه بنفسه اني رأيتة مرة في الديوان الملكي حين كنتُ أنا في زيارة هناك. وسألت رئيس الديوان هل حصل المفتي مقابلة الملك؟ والذي علمته في ذلك الحين ان المقابلة التي ارادها لم تتم.

أما القصيدة التي اشرتُ اليها^(١) فهي مفهومة بعبارات تنطق بالحق عن محاسن

(١) القصيدة هي من نظم الدكتور الصديق المأسوف عليه: اكرم فاضل الصيدلي وعنوانها «مفتي المريخ» وهذا مطلعها:

مفتي المريخ ما هذا الهراء؟ خير شيء لك صمت واختفاء
عورة انت بلا ستر فيسا معشر الاسلام هاتوه غطاء
خرف الشيخ فلا حول ولا كم بهذا الهذر أذى واسساء

«الدكتور مجيد خدوري العراقي المغترب في الولايات المتحدة: من المؤرخين الثقافة واصحاب المؤلفات الثمينة في تاريخ العراق السياسي: «العراق المستقل»، «العراق الجمهوري» وكتب أخرى عديدة في السياسة والاجتماع باللغتين العربية والانكليزية وقد ترجم من الأخيره بعضها، نشأت بيني وبينه أو قل تجددت معرفة وعلاقة حميمة وصرنا نتبادل الرسائل مع الكتب التي نؤلفها وتخرجها المطابع لنا. في احدى هذه الرسائل لم ينس ان يبشني اعجابه بكتاب الفتة قبل اربع سنوات عنوانه «آراء محظورة في شؤون عراقية معاصرة» وهذه هي عبارته فيه:

«اعجبني كثيراً كتاب [آراء محظورة] لانك تناولت فيه بعض مشاكل العراق الداخلية المعقدة، وبعض مشاكل الاكرد والسعودية وانا بطبيعة الحال اتفق معك في الآراء والنقد لوضع العراق الداخلية. فلما كنت في العراق جرت احاديث كثيرة مع اخواننا حول مواضيع الديمقراطية والطائفية والوحدة العربية وغير ذلك. كنتُ أنا وبعض الاخوان ننتقد كثيراً نظام الحكم والطائفية ولكن رجالات العراق والقادة كان موقفهم على الاكثر سلبياً.

ربما تتذكر انت (كيف اتذكر!) حين كنتُ مدرساً في ثانوية الموصل في السنوات بين ١٩٣٢ و ١٩٣٥ واجهنا انا وبعض المدرسين الآخرين مقاومة عناصر رجعية اثارنا ضدنا مشاكل دينية (مسلم - مسيحي) بينما كنا نحن ندعو الى التمسك بالقومية والديمقراطية التي تجمع كافة المواطنين بصرف النظر عن الدين الذي هو شيء شخصي. لكن [حبيب العبيدي] (المفتي الموصل) كان يبعث عرائض الى الديوان الملكي في بغداد ضد المدرسين المسيحيين ويتهمهم بالكفر والظعن بالاسلام وغير ذلك. كان مدير ثانوية الموصل اولاً محي الدين يوسف، ثم درويش المقدادي كان محي الدين يدافع عنّا. ولما جاء درويش المقدادي لم يتمكن من الدفاع عن مدرسية لأنه كان فلسطينياً يدعو الى الوحدة العربية ويريد عضد المفتي الذي لم يكن من دعائها...

كان درويش المقدادي يلبس الكلاش برجليه (وهو حذاء من صنع محلي) ويبحث

احتجاج علماء الموصل^(١) على اهانة الدين

لا يجوز شرعاً لعرائضنا الناصعة البرهان على وجوب
حماية الدين الخفيف والقرآن الكريم بعقوبة المفترين عليهما
على رحلة التدريس الرسمي كالأبجوز شرعاً سكوتنا عن ذلك
الاهمال مهما كانت الحال لان السكوت والاهمال دليل الرضا
نعوذ بالله حافظوا القرآن كما تحفظون القانون حافظوا دين
الدولة الرسمي من كيد العابثين.. حبيب العبيدي مفتي الموصل
الجوادى محمد صالح . الخليفة السيد محمد على عبد الله النعمة
الجوادى احمد امين الفتوى السابق مصطفى ابراهيم حتى
على النعمى الصوفى عبد الله . الدوحى احمد غفرى . الدوحى
عثمان . توفيق الصميدى . صالح بزاز . ال دويدى محمد .
الجراح احمد ال الخليل طبعه عقوب ال عرب محمد ، بشير صقال

(١) الهداية كان علماء الموصل الاعلام قد قدموا عريضة لحضرة

صاحب الجلالة ملكتنا المفدى ايده الله واعزه بتاريخ ٢٨ حزيران
و ٤ ايلول من هذه السنة احتجاجاً فيها على مندرسى علم الاجتماع
والتاريخ الاسلامى فى ثانوية الموصل وهما مسيحيان طعنا
فى الدين الاسلامى والقرآن الكريم وقد وردتنا مساء امس
هذه البرقية مع صورة العريضة ومقال للاستاذ مفتي الموصل
السيد حبيب العبيدى نشرها فى الجزء القادم

(عفواً مفاسد) شاعر الحدباء . انكم واخوانكم تستحقون على نظمتها درجة دكتوراه
شرف في الادب واني اهنئكم على دقة وصفكم وشجاعتم في مبارزتم معه .
وختم الدكتور خدوري رسالته بالملاحظة التالية: تجدي طيبه نصّ عريضة العبيدي الى الملك
ومقالات أخرى موجهة الى وزارة المعارف عن (مجيد عبدالله) وعني في مجلتي الهداية
والكفاح).

سأقوم بنشر معظم ما أرسل الي الدكتور مع اصله مصوراً في الصحائف التالية:

احتجاج علماء الموصل على اهانة الدين

لا يجوز شرعاً اهمال عرائضنا الناصعة البرهان على وجوب حماية الدين الخفيف
والقرآن الكريم بعقوبة المفترين عليهما على رحلة التدريس الرسمي كمالاً يجوز
شرعاً سكوتنا عن ذلك الاهمال مهما كانت الحال لأن السكوت والاهمال دليل
الرضا نعوذ بالله حافظوا القرآن كما تحفظون القانون حافظوا دين الدولة الرسمي
من كيد العابثين... حبيب العبيدي مفتي الموصل الجوادى محمد صالح . الخليفة
السيد محمد على عبدالله النعمة الجوادى احمد امين الفتوى السابق مصطفى
ابراهيم حتى على النعمى الصوفى عبدالله . الدوحى احمد فخري . الدوحى
عثمان . توفيق الصميدى . صالح بزاز . ال السويدي محمد . الجراح احمد ال الخياط
يعقوب ال عرب محمد ، بشير صقال.

انقل هنا مبدئياً صورة البرقية الموجهة الى الملك والمنشورة في مجلة الهداية وهي المجلة التي
تصدرها جمعية الهداية الاسلامية في بغداد يقوم على رئاسة تحريرها [محمد كمال الدين
الطائي] في عدد يوم الاحد الثالث من محرم ١٣٥٤-١٩٣٥ .

وعلقت المجلة بهذا كما يلاحظ من الصورة:

«الهداية: كان علماء الموصل الاعلام قد قدموا عريضة لحضرة صاحب الجلالة
ملكنا المفدى ايده الله واعزه بتاريخ ٢٨ حزيران و ٤ ايلول من هذه السنة اجتاحوا
فيها على مدرسى علم الاجتماع والتاريخ الاسلامى فى ثانوية الموصل وهما
مسيحيان طعناً فى الدين الاسلامى والقرآن الكريم. وقد وردتنا مساء امس هذه
البرقية مع صورة العريضة. ومقال للاستاذ مفتي الموصل السيد حبيب العبيدي
نشرها الجزء القادم.

ونشرت الهداية في الجزء (١٨٠) المؤرخ في ٣ محرم ١٣٥٤هـ=١٩٣٥ مقالاً بعنوان (ابن انت يا وزارة المعارف):

«إن مدرس الاجتماع مجيد خدوري في المدرسة الثانوية المركزية الذي ذكرنا في اعداد الهداية والكفاح تصديه الى الطعن في الدين والنيل من عصبية الملة العربية، ونبهنا افكار المسؤولين الى اقصائه عن منصة التدريس التي اتخذها اداة للدرس عن طريق العلم وباسم الآراء الحرة.

نورد اليوم نص مايلقيه على الطلاب من المحاضرات التي حشاها بدسائس التفريق بين عناصر الأمة العراقية، وإثارة الحزازات بين ابناءها ليوثق بينهم العداوة والبغضاء، لتمهيد السبيل امام الاجنبي وليتغلغل بين الصفوف ويقضي على وحدة الافكار والجهود لمقاومته وصد عاديته. فلتقرأ وزارة المعارف هذا ولتنظر في انقاذ البلاد من هذا الشر المستطير وتطهر بيئة العلم من هذه النزعات الخبيثة الفتاكة بالدين الاسلامي والملة العربية القومية العراقية.

«واليك ما جاء في صفحة ٧٤ تحت عنوان العناصر الجنسية: لا غرو انه يوجد في العراق عناصر غير عربية كالاكراد والتركماني والاشوريين واليهود واليزيدية والفرس. وستنقص كلامنا عن الاكراد والآثوريين فقط. اذا ان الاكراد عدا اختلافهم في الجنس يتكلمون ايضاً لغة غير عربية ونبحث عن الآثوريين لصلتهم بدولة اجنبية او لانهم اثاروا مشكلة سياسية داخلية ستشغل العراق مدة حلها. اما العناصر الأخرى فهي تتكلم العربية وعددها قليل ، الأمر الذي لايجعل وجودها عاملاً يخلق مشاكل للحكومة العراقية. وأكثر هذه العناصر تتمثل تدريجياً لتصبح جزءاً من الامة العراقية.

«المسألة الكردية

يبلغ عدد الاكراد في العراق نحو نصف مليون. لقد فسحت معاهدة سيثرف (معاهدة الصلح مع تركيا الممضاة في سنة ١٩٢٠ المجال للاكراد لتأليف دولة كردية مستقلة في جنوب تركيا وفي شمال العراق اذا قدم الاكراد طلباً بذلك الى مجلس عصبة الامم خلال سنة اشهر من تاريخ التوقيع على المعاهدة) واذا وافقت العصبة على ذلك فان الدول لاتعارض في تنفيذ هذا المشروع وقد حدث كل ذلك قبل تأسيس الحكومة الوطنية في العراق. إلا ان فوز مصطفى كمال باشا ادبى الى

الغاء معاهدة سيثرف ومشروع تأسيس الدولة الكردية معاً. وفي سنة ١٩٢٣ عقدت معاهدة صلح جديدة مع تركيا في (لوزان) التي لاتعترف بتأسيس هذه الدولة الكردية وكان المندوب السامي البريطاني في العراق اثناء هذه المدة قد جعل المنطقة الكردية تحت ادارته مباشرة بالرغم من تأسيس الحكومة الوطنية في العراق. وكان المقيم الانكليزي في السليمانية يتبع في ادارته سياسية شبيهة بالحكم الذاتي ومشجعاً في الوقت نفسه الشعور الكردي، ولم تنقل ادارة المنطقة الكردية الى الحكومة العراقية حتى حزيران ١٩٢٤. وقد اقترحت لجنة عصبة الامم التي اخذت على عاتقها درس قضية النزاع بين العراق وتركيا على ولاية الموصل ان تبقى للعراق على ان يعين موظفون من الاكراد لادارة منطقتهم وللقضاء والتعليم وان تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية في كل هذه الأمور وبناء على ذلك فقد اعترف بكيان خاص للمنطقة الكردية وسارت الحكومة العراقية على هذه السياسة ولو انها لم تقيد نفسها.

هذه هي الفقرة التي كان يراها علماء الدين المسلمون الاعلام مهددة للاتصال الاسلامية وناشرة بذور التفرقة العنصرية وتعريضاً بالقومية العربية. (تراجع صورة المقال)

« كانت هذه الصحيفة أوّل من نادى باقصاء الزمرة الملحدة التي استولت على كراسي التدريس في المدارس الاسلامية وحذرت من تفشى الحادهم وانتشار مفاسدهم ولكن الحكومة وقفت في ذلك وقفة المتساهل تجاه هذا الامر الشائن الذي تنبعث منه الاوباء الناخرة في اخلاق الامة وعقائدها. كانها -الحكومة- لاتعلم ان الشرارة اذا تركت اكلت ما حولها واصبحت جذوة تبعث الخشبية وتعاكس سبل المكافحة فيستعصي القضاء عليها وكذلك كان شأن هؤلاء الملاحدة، فان الهداية ارادت ان تقضي على حركتهم في مهدها وعلى شجرتهم في بذرتها. ولكنها لم تجد أذنأ لإهابتها، ولا صدى لندائها فكانت نتيجة هذا الذي انتشر في المدارس في الاتحاد المقيت والتشنيع على صاحب الرسالة الاسلامية سيد الانبياء والعظماء محمد صلى الله عليه وسلم. فن هؤلاء الاغرار وجدوا في سكوت الحكومة ارخاء لأعنتهم ورضاءً بتضليلهم ومعونة لهم في هتكهم حرمت الدين وتوهين مكارمه وتلب قاداته والنيل منه »

« وقد وجدنا الدهم خصومة للاسلام ونبويه، واجهدهم في كفاح العقائد الاسلامية وانشطهم على النيل من مكارم الاخلاق التي انها (من لو كان المسيح حيا لآمن به) المدرس في الثانوية المركزية [مجيد خدوري] المسيحي فانه ما زال يعلن بين التلاميذ المسلمين والمدرسين المسلمين بصلافة ما فوته صلافة [ان محمد رجل... وان سقراط افاد العالم اكثر منه وان تعاليمه احسن من تعاليم محمداً] ثم يقول (ان الله ليس بوجود) وقد ناقشه بذلك جماعة من افاضل المدرسين وافهموه انه على خطأ في فكره وضلال في امره. لكنه لم يرعو عن غيه ولم يرتدع عن سخافته وكيف يرتدع وهو سائر على خطة مفروض عليه تطبيقها من قبل اسياده المضللين الذين ألوا على انفسهم ان لا يدعوا للاسلام قلباً خافقاً ولا جنباً قائماً ولا دماً جارياً وليست القضية واقفة عند هذا الحد وانما يتعاون عليها هذا الواهن وامثاله في بغداد والبصرة والموصل وفي أكثر المدن العراقية.

ولا نعلم ما السياسة التي سارت عليها وزارة المعارف في تعيين أكثرية المدرسين في المدارس العالمية في بغداد والبصرة والموصل من المسيحيين، اهي من متمات وضعنا الحاضر ام ماذا؟! الجواب عند وزارة المعارف فاين انت يا وزارة المعارف؟

في المجالس والأندية

ابن انت يا وزارة المعارف!؟

ان مدرس الاجنح مجيد خدوري في المدرسة الثانوية المركزية الذي ذكره في الهداية والكفاح تصديه الى الطعن في الدين والنيل من عصبة الامة العربية ونهنا افكار المؤولين الى اقصائه عن منصة التدريس التي لتخذها اداة للدين عن طريق العلم وباسم الآراء الحرة !!!

نورد اليوم نص ما يلقيه على الطلاب من المحاضرات التي حشاها بدسائس التفريق بين عناصر الامة العراقية واثارة الحزازات بين انسابها ليوقع بينهم العداوة والبغضاء لتمهيد السبيل امام الاجنبي ولتغلغل بين الصفوف، يقضي على وحدة الافكار والجهود لمقاومته وصد عاديته فلنقرأ وزارة المعارف هذا ولننظر في انقاذ البلاد من هذا الشر المستطير وتطهر بيئة العلم من هذه النزعات الخبيثة الفناكة بالدين الاسلامي والملة العربية القومية العراقية... واليك ما جاء في صفحة ٧٤ تحت عنوان العناصر الجنسية : لاغروا، انه يوجد في (العراق) عناصر غير عربية كالاكراد والتركان والأتوريين واليهود والبريدية والفرس وسنقصر كلامنا عن الاكراد والأتوريين فقط إذ ان الاكراد دعا الاختلاف في الجنس يتكلمون ايضا لغة همز عربية، ونبحث عن الأتوريين لصاتمهم بدولة الخبيثة لانهم اثاروا مشكلتنا السياسية الداخلية منسفة العراق مائة لحام، اما العناصر الأخرى فهي تتكلم العربية وعددها

قليل الامر الذي لا يجعل وجودها عاملاً بخلاف مشاكل الحكومة العراقية واكثر هذه العناصر تتمثل تدريجياً لتصبح جزء من الامة العراقية.

المسألة الكردية .

يلعب عدد الأكراد في العراق نحو نصف مليون . لقد فسحت معاهدة سيفر (معاهدة الصلح مع تركيا المفضة في سنة ١٩٢٠ المجال للأكراد لتأليف دولة كردية مستقلة في جنوب تركيا وفي شمال العراق اذا قدم الأكراد طلباً بذلك الى مجلس عصبة الامم. خلال سنة اشهر من تاريخ التوقيع على المعاهدة ، واذا وافقت العصبة على ذلك فان الدول لاتعارض في تنفيذ هذ المشروع وقد حدث كل ذلك قبل تأسيس الحكومة الوطنية في العراق الا ان فوز مصطفى كمال باشا ادى الى الغاء معاهدة سيفر ومشروع تأسيس الدولة الكردية معاً وفي سنة ١٩٢٣ عقدت معاهدة صلح جديدة مع تركيا في لوزان التي لا تعترف بتأسيس هذه الدولة الكردية وكان المنسوب السامي البريطاني في العراق اثناء هذه المدة قد جعل المنطقة الكردية تحت ادارته مباشرة بالرغم من تأسيس الحكومة الوطنية في العراق وكن المقيم الانكليزي في السلطانية يتبع في ادارته سياسة شبيهة بالحكم الذاتي وشجعها في الوقت نفسه الشعور الكردي . ولم تنقل ادارة المنطقة الكردية الى الحكومة العراقية حتى حزيران سنة ١٩٢٤ وقد اقترحت لجنة عصبة الامم التي اخذت على عاتقها درس قضية النزاع بين العراق وتركيا على ولاية الموصل ان تبقى للعراق على ان يعين موظفون من الأكراد لادارة منطقتهم ولل قضاء والتعليم وان تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية في كل هذه الامور وبناء على ذلك فقد اعترف بديان خاص المنطقة الكردية وسارت الحكومة العراقية على هذه السياسة ولو انهم لم يقيموا نفسها كما جاء في التقرير .

ملاحظة: ازاء هذا الضغط من رجال الدين. اضطرت وزارة المعارف الى نقل الاستاذين مجيد
خدوري ومجيد عبدالله من ثانوية الموصل. اولهما الى ثانوية بغداد المركزية وثانيهما
الى ثانوية البصرة.

قراءات وتعليقات متفرقة لجانب من

“الاجازات العروبية”

التي حققها حزب البعث العربي الاشتراكي في نظام الحكم اثر انقلاب الثامن
من شباط ، الذي يسميه ثورة

والعضو العادي، المتصدي بالسلاح والقابح في داره، للقوة نفسها في التعذيب والايذاء وكان الموت اقرب للجميع من حبل الوريد.

وفي الصحيفة ٢٧٦ من كتابه هذا يدين نفسه وحزبه فيقول

« بالرغم من عدم مشاركتي في تعذيب اي من المتهمين أو المعتقلين، لا اذكر اني استنكرت التعذيب او أدنته. وكنت كغيري من (ثوريي!) ذلك الزمان أرى ان حماية الثورة والحزب فوق اي اعتبار آخر. وان اذلال الخصم وابدائه هما من صميم العقيدة وأساليب الحزم الثوري»

ويأتي في (ص: ٢٧٩) الى التفصيل في حادث مشين ينم عن وحشية طبع عليها عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية واحمد حسن التكريتي رئيس وزرائه المعينين:

«اصرّ العسكريون في مجلس قيادة الثورة بعد محاولة معسكر الرشيد الشيوعية وفي مقدمتهم (عارف) و (البكر) على اعداد ٤٥٠ ضابطاً قاسمياً وشيوعياً، بذريعة تواطئهم مع (حسن سريع) ورفاقه ومشاركتهم في الحركة المسلحة ضد الثورة. فضلاً عن ان ابقاءهم على قيد الحياة سيغري الآخرين بالتأمر. وقف جميع اعضاء القيادة المدنيين ضد هذا التوجه الخطير... غير ان ذلك لم يكن كافياً لاطفاء لهيب الثأر المتأجج في نفوس شركائنا في السلطة. وفجأة اندفع الى الداخل قاعة الاجتماع العميد الركن عبدالغني الراوي وقدم الى (عارف) وريقات ما أن أطلع عليها حتى هتف... ها هم (الشيخ قاسم القيسي) والمفتي (نجم الدين الواعظ) و (السيد محسن الحكيم) قد افتوا بجواز قتل الشيوعيين، فماذا تنتظرون بعد؟

لم نر تلك الوريقات وما كتب فيها غير اننا رفضا الأمر... تأزم الموقف وهدد (عارف) بترك الاجتماع ثم غادر القاعة لاداء فريضة الصلاة وانتهز غياباه للضغط على (البكر) ونجحنا... واتفقنا مع حمدي عبدالمجيد على ملازمة (البكر) والمبيت في القصر الجمهوري اذ لزم الأمر وتحركنا بسرعة لتهديب هؤلاء الضباط المعتقلين خوف ان يتكرر ما حدث سابقاً في قصر النهاية. خصوصاً ان (عبدالسلام) طلب الى (عبدالغني الراوي) عند مغادرتنا القاعة التحضير لإعدام ١٥٠ ضابطاً شيوعياً، الأمر الذي رفضه (عبدالغني) بسبب قلة العدد وتواضعه!...

اقوال للسيد هاني الفكيكي احد اقطاب النظام مقتبسة من كتابه اوكار الهزيمة . تجربتي في حزب البعث

قال في الصحيفة (٢٥٨). كنا نتردد على مراكز اعتقال الشيوعيين وعلى قصر النهاية مركز التحقيق الرئيس. وكنا نعلم ان الاعترافات لم تكن فحسب بسبب تعاون (هادي هاشم) وغيره معنا بل ايضاً بسبب التعذيب الذي كان يمارس على المعتقلين وبزعم ان القيادة القطرية لم تعط امراً بالتعذيب، إلا انها لم تعترض عليه ولم تشجبه إلا في فترة متأخرة بعد ان كشفت جميع تنظيمات الحزب الشيوعي وبعد ان تصاعدت الحملة ضدنا محلياً وعربياً ودولياً. كان التعذيب يجري بأكثر اشكاله بدائية وثأرية. وفي بعض الاحيان لم يكن يقصد انتزاع مزيد من المعلومات بقدر ما كان تكراراً ثأرياً للتعذيب الذي تعرضت له القوى القومية في ١٩٧٩. وفي ذلك التعذيب كانوا يستخدمون العصي والانابيب المطاطية والتهديد بالقتل عن طريق عصب أعين (عيني) المتهم واخراجه الى الساحة لتنفيذ حكم الاعدام ثم يطلقون في الهواء بضعة عبارات نارية لحمل الآخرين على الاعتراف وقد سمعت قصصاً عن التعليق بالمراوح السقفية وغيرها من الاساليب التي ربما استخدمت ولك نكن على بينة فيها...

[يعود هنا لينزه قيادة البعث فيقول] ان اعضاء القيادة القطرية من دون استثناء لم يشاركوا او يمارسوا اي تعذيب! لكنه يستدرك ليقول... ان حياة الشخص المعتقل كانت ملكاً مشاعاً لكل من يطلبها. فمثلاً سمح المسؤول عن المعتقل لنفسه «بتسليم أكثر من عشرين معتقلاً دون علم القيادة ودون اي مبرر الى زمرة الضباط البعثيين وغير البعثيين حيث نفذوا بهم حكم الاعدام» (لا يقول الفكيكي انهم قتلوهم من دون تهمة ومحاكمة) ويستتلي (الفكيكي) قائلاً.

بسبب هذه البدائية في التعذيب والقتل الكيفي، خيم على المعتقلين شعور عميق بالهلع والقلق وضاعت عليهم مقاييس التحقيق ومعايره فقد خضع المعترف وغير المعترف، القائد

وبعد التداول مع حازم (جواد) وعلي (صالح السعدي) تقرر تهريب الضباط المعتقلين الى سجن السلمان في تلك الليلة ان امكن. وتمت تهيئة ما توافر من عربات السكك الحديد. وبسبب الحر الشديد وقلة الماء وصعوبة التنفس في عربات الشحن (شحن الحيوانات) توفي احد المعتقلين وعاني الآخرون عذاباً شديداً. ولو عرف هؤلاء المسافرون سرّ القطار الذي اسرى بهم ليلاً الى (نقرة السلمان) لبحثوا له عن اسم آخر غير (قطار الموت)».

ويختم الفكيكي (ص ٣٧٢) كتابه بهذه العبارة، لاندري كم ستفعله في تحديد مسؤوليته امام التاريخ او جزاءه امام ديانته:

[اللافت ان الفكر القومي الراهن ما يزال أسير الانفعال وردود الفعل، تفصله عن وعي المستقبل واستشراف متطلباته لا عقلانية وتقليدية ساطعتان مما يجعله معيناً نظرياً سخياً للاستبداد والدكتاتورية.

لقد عشت وسط هذين: الاستبداد والدكتاتورية. مرةً كنت فصيلاً في معسكر ضحاياها. ومرة كنت جزءاً من معسكر اصحابها. مرةً كنت ضحية ومرة كنت جلاداً. وحين انظر الآن الى ابنائي وقد صاروا شبانا وشابات، اعرف اني متأكد من امر واحد وهو انني لا اريد ان يكرروا هذه السيرة التي كتبتها».

اقوال لطالب شبيب

لا تجد في اعترافات هذا المسؤول البعثي الكبير الحادّ الذكاء كزميله الأول اي اعتذار او شعور بالندم على انتمايته السياسية خلافاً لزميله الفكيكي الذي حرم على نسله سلوك هذا المسلك فضلاً اعلان ندمه وتبكيته ضميره أكثر من مرة. في روايتهما الاحداث تراهما يتفقان مرة ويختلفان مرة. الاّ انهما حاولا انقاذ المئات من قتل جماعية انتواها للقاسميين والشيوعيين المربع العسكري [عارف والبكر، وعماش والراوي].

بدء شبيب بفضح انتهاكات الحرس القومي وجرائمه (الص ١٦٦-١٧٢) قال:

«تحوّلت مجموعات الحرس القومي تدريجاً من حماية الأمن السياسي والاجتماعي (كذا!) الى ازعاج الناس بالتدخل المباشر في شؤونهم وفي شؤون الادارة والتسيير الحكومي الذي سبب الارتباك والاحتكاك مع السلطات

المحكومية وتعرضوا للهيئات الدبلوماسية واخضعوا سيارات السفراء للتفتيش كما لو كانت تعود لمواطنين عاديين واجبروهم على النزول من سياراتهم وتفتيش جيوبهم واجسادهم... وكان جهاز المحرس عندما انشيء، محدود العدد محدد المهمات وسليم القيادة. ثم فتحت ابوابه لمن هبّ ودبّ فاصبح من الحرس كل لابس ومسلّح حتى لو لم تكن لديه مؤهلات او ادنى فكرة عن اهداف مؤسسه».

وعبارة «كل من هبّ ودبّ» تشمل طبعاً المجرمين العاديين خريجي السجون والمتسكين وتجار المخدرات ومتعاطيها والحرامية والنشالين والشواذ جنسياً وغيرهم من سقط متاع المجتمع، اناس جاؤا من احط طبقاته. ولم تقتصر ممارساتهم على بغداد وحدها بل تجاوزتها الى المدن الأخرى. وكانت تصلنا ممارسات افراده الفوضوية المضحكة المبكية بصورة متأخرة اي بعد خراب البصر كما يقول المثل...

ويضرب مثلاً لتلك الممارسات نقله هنا باختصار. قال:

«وزير البلديات محمود شيت خطاب المعروف لدينا بكفاءة ته وامانته وصراحته... جاء الى مقر حازم جواد وكأنه خرج تواءً من غرفة اسعاف وتضميد برؤوس معصوبة وايدٍ وارجل واقدام مجبرة. كان منظرهم اشبه بتظاهرة أثارت استغرابنا. فسألنا الوزير عنهم فقال انهم رؤساء البلديات الذين وافقتم على تعيينهم، قام الحرس القومي بضربهم تأديباً لهم وطلبوا منهم ان لا يعودوا الى مراكز عملهم لأن قيادات الحرس المحلية قد أختارت بنفسها رؤساء بلديات غيرهم... واصبح روتينياً ان يدخل الحارس القومي الى المحكمة ويمدّ يده الى قفص الاتهام ليخرج منه من يشاء من المتهمين ويترك خلفه القاضي ومندهشاً... هكذا بدأنا نشعر بأن الدولة التي نقودها أخذت تتفكك بفعل الاضرار التي يلحقها بها جهازٌ محسوب عليها وعلى الحزب الحاكم نفسه فكانت هناك دولتان ومرجعيتان يقع في الاحراج امامهما حتى الحكام الفعليون... وعند انعقاد المؤتمر القطري الاستثنائي لم يطرح أحد في المؤتمر اية ملاحظة حول مستقبل الحرس القومي. ولو كنا نرغب في حلّه لاذعنا ذلك مباشرة خصوصاً بعد ان أعلنت وحداته التمرد علينا... اننا لم نضمّر العداوة للحرس القومي ولم نرغب بغير الاصلاح».

ويتحدث الشبيب ايضاً في الصحيفة ١٧٥ عن لجان التحقيق في بغداد وخارجها فيقول:

« في الاسبوع الاول للثورة، قرر المجلس الوطني لقيادة الثورة تشكيل لجنة عليا من مسؤولين في الحزب لديهم معرفة تنظيمية وسياسية بتركيبة الحزب الشيوعي واساليب العمل السري المعتمدة وذلك بعد تكاثر عدد المعتقلين الشيوعيين ولعدم وجود لجان متخصصة تكفي للنظر في قضاياهم...»

« ... وكان بين المكلفين بهذه اللجنة اعضاء في قيادة فرع بغداد وشعبها كـ(نجم الصافي) و(ابو طالب الهاشمي) و(مدحت ابراهيم جمعة) و(احمد العزاوي) و(بهاء شبيب) [شقيق المؤلف]. و(عمار علوش). ثم التحق بهم (ناظم گزار) و(صدام حسين التكريتي) و(عبدالكريم الشихلي) واستطاعت هذه اللجنة في فترة قصيرة كشف الحجم الحقيقي للتنظيم العسكري للحزب. ولو كنا قد عرفنا مدى سعته وامتداده قبل الثورة لفكرنا الف مرة قبل الاقدام عليها. اذ بلغ عدد منتسبيه بين القادة والضباط ونواب الضباط وعضوات الصف ما يتجاوز الألفين...»

« ... واشهد ان الحرس القومي والجهاز الحزبي كانا ديناميكين وقاما بدورهما في التعقيب والحماية والتحقيق بكفاءة عالية وحداقة تعادل او تفوق حداقة الشيوعيين واجهزتهم الخاصة... وارى ان اجهزة صدام حسين قد استفادت كثيراً من تراكم الخبرة فتعلمت كيف يمكن حكم الشعب غصباً عنه بواسطة ايجاد جهاز خاص منظم يفهم آلية المعارضة ويعيش افراده داخل المجتمع ويخدم الدولة وهو منفصل عنها بنفس الوقت وبذلك يمكن الاطاحة بالخصم وتقليص مدى حركته وتدميره...»

وللشبيب رواية تختلف عن رواية الفكيكي حول قتل الضباط العشرين فقد أبى الفكيكي الإشارة بالاسماء والتفاصيل. وكلاهما كان يروي رواية أخرى لو بقي الآن في عداد الأحياء. قال (ص ١٧٦):

« استغل صالح مهدي عمّاش فرصة غيابنا انا والسعدي في القاهرة المحادثات الوحيدة فذهب الى قصر النهاية ومعتقل او غريب ومعتقلات التحقيق الأخرى وطلب تسليمه حوالي عشرين شيوعياً معتقلاً بينهم ١٨ من المتعاونين المزدوجي الولاء، وأمر باعدامهم. وبعد تنفيذ الاعدام ذهب الى مجلس قيادة الثورة وحصل على قرار بالمصادقة على قتلهم رغم معارضة حازم جواد محسن الشيخ راضي

وحמיד خلخال وهاني الفكيكي وآخرين... ان جميع الاحكام التي صادق عليها المجلس الوطني لقيادة الثورة جاءت بعد التنفيذ اي بعد ان صارت امراً واقعاً مفروضاً وذكر في الصفحة ١٧٨ ان اللجان المنوه بها وحدها مسؤولة عن التصفية الجسدية للخصوم السياسيين انما حصلت اعمال فردية كثيرة خصوصاً في الايام الأولى ولم نكن نعرف بها، وساهم بها طلاب ثار او اشخاص ينتمون لحركات قومية وناصرية وكان اسوأها مجزرة نفذها صالح مهدي عمّاش في الضباط المعتقلين في معسكر الرشيد واعمال قتل قيادة الحزب الشيوعي التي لم نكن بحاجة اليها».

وفي الصحيفة ١٩٠ نجد يستدرك لينفي علاقة للفترة الاولى من حكم البعث بالفترة الثانية له (حكم البكر - صدام) فيقول عنها

« لا يمكن ارجاع قسوتها ضد الاحزاب الوطنية والقومية والاسلامية المعارضة الى افعال سابقة ارتكبت ضد انصار الحكومة الحاضرة التي انتهجت منذ العام ١٩٦٨ وحتى الآن (١٩٩٩) نهجاً ثابتاً يؤكد وجود سياسة تصفية اهابية معدة سلفاً ليس فقط ضد الشيوعيين بل وضد وجود كل فكر وتنظيم في المجتمع العراقي. لا شيء يسمح به ان لم يكن تحت مظلة من او تدبير السلطة التي ربطت بين الانتماء للوطن والولاء لها ولحزبها. وكما نعلم فان احداً لم ينح من الارهاب الدموي حتى البعثيون انفسهم. اما صدام حسين فقد خطط شخصياً ونفذ نظرية حكم الحزب الواحد، الحزب الخاضع لهيمنة فردية مطلقة ووسيلة لتحقيق خطته هي الارهاب المطلق والظلم المطلق وخنق الراي العام تماماً».

الاعتذار عن صرامة التصفية الجسدية

تجده كالفكيكي يلتمس الأعذار لصرامة التصفية الجسدية في الايام الأولى بسبب المقاومة المسلحة التي ايدتها الشارع وبعض احياء مدينة بغداد وبانكشاف التنظيم الشيوعي الواسع داخل الجيش. فيصف تلك التصفيات بالمخالفات! وبكل بساطة ويقول (ص ١٩٢).

« ورغم عدم تخويل اي جهة او اي شخص حق الاعدام والقتل بعد انصرام اليوم الأول حيث انتهت فرق الانذار مهماتها في ساعات الأولى. كقتل جلال جعفر الاوقاتى (قائد القوة الجوية) ومحاولات فاشلة ضد سعيد مطر والمهداوي وماجد

أميين وعبدالكريم قاسم وغيرهم، إلا أن استمرار هذا النهج يُعد مخالفة! أما الاعدامات التي كانت تصدر بقرار من مجلس قيادة الثورة فقد اوقفت نهائياً ولم نوافق بعد مرور الاسابيع الأولى على اقتراحات الاعدام من اي جهة كانت غير ان أمراً موازياً حلّ محلّ تلك القرارات. وبدأ يجري في الاقضية والمعتقلات السرية بادارة رجال معوجين امثال عمار علوش وناظم كزار وعبدالكريم الشبخلي وصادم التكريتي وسعدون شاكر وخالد طبره، واسماء أخرى معروفة. وبدأ الارهاب يمارس بطرق أخرى دون علم وتوجيه القيادة القطرية والحقيقة هي اني لا ادري لحدّ الآن هل كان علي صالح السعدي ومحسن الشيخ راضي يعلمان بما يجري؟ لكننا نسمع عن جثث تطفو على سطح دجلة وتساءل عن يقوم بذلك».

ويستطرد قائلاً:

«لم تكن اجهزة التعذيب قادرة على الاستمرار لولا الخلافات التي بدأت تتفاقم وتحطم وحدة الموقف داخل قيادة الحزب وتجعلها غير قادرة على ردع تلك العناصر الدموية التي اعتادت ان تحصل على دعم واسناد بعض الضباط واهمهم من حيث المركز والفعالية: صالح عمّاش وطاهر يحيى التكريتي ورشيد مصلح التكريتي وبدرجة اقل احمد حسن البكر. وهؤلاء وغيرهم جهزوا مراكز التعذيب الرئيسية في بغداد بالمال والسلاح دون علمنا. وكنا نسمع بين آنٍ وآخر ولكن من دون ان يقدم احدٌ وثائق او ادلة رسمية. وكان صالح مهدي عمّاش وزير الدفاع يستغل الفرصة في كل مرة نسافر فيها الى خارج البلاد فيقوم باعدام مجموعة جديدة من الشيوعيين ولم يسلم منه حتى النادمون والمعترفون مع اجهزة التحقيق ويقوم بعد ذلك باحراج مجلس قيادة الثورة للمصادقة على اعماله... من جانبي ومنذ البداية لم اسهم بالقتل او التعذيب وصرحت بضرورة التمييز بين الفكر والممارسة (!!!) وقد صوّتُ باستمرار وبلا تردد ضدّ قرارات الاعدام وكان ذلك موقفاً مبدئياً... وانا اشهد ان على السعدي وجميع اعضاء القطرية وكلهم مدنيون وقفوا باخلاص ضد قرارات الاعدام».

لكنهم لم يمنعوها ولم يعاقبوا مرتكبيها. ولم ينشروا اعتراضهم ببيانات داخلية حزبية. فضمنوا الاستمرارية والشرعية.

«... وأما حوادث الاعدام الفوضوية (ص١٩٣) وبشكل خاص مجزرة معسكر

الرشيد ضدّ ضباط لم تكن سمعتهم سيئة، فقد تمت بأمر من صالح مهدي عمّاش وبحضور علي صالح السعدي. اذ جيء بهؤلاء في الليلة الثانية للثورة وجرى ضربهم واهانتهم وادانتهم باعمال مختلفة ثم قتلهم. ولم نكن حينذاك في حالة اجتماع لنقرر او نصادق على تلك الاحكام التي نفذت. ولكننا عندما سمعنا بما حصل لم نعلق ولم نعترض. واكتفيتُ شخصياً بعدم التصويت. واسدل الستار على هذه القضية بعد ان أصدرنا في اليوم التالي احكاماً رسمية باعدام هؤلاء القتلى وغيرهم... انني لا أكشف سرّاً بان عبدالسلام عارف اراد الحاق الاذى باكثر عدد ممكن من الشيوعيين ولكن باسم حزب البعث. وعلى سبيل المثال كانت محاكم عبدالكريم قاسم قد حكمت على ٣٧ شيوعياً بالاعدام بسبب تورطهم باعمال قتل في الموصل وكركوك - لكن (قاسم) يضع كعادته تلك الاحكام في الدرج ولاينفذها على قاعدة (عفا الله عمّا سلف) التي اشتهر بها ليس مع الشيوعيين بل مع كل الذين صدرت يتهم احكام الموت بمن فيهم من حاولوا اغتياله ورجال العهد الملكي. لكن عبدالسلام وبعد تسليمنا السلطة نبش الامر وجاء بملفهم الى مجلس الثورة وطلب الاذن بتنفيذ الحكم بهم قائلاً هذه الاحكام لم تصدر عنكم...»

ويقول في الصحيفة ١٩٩

«أبلغنا صباح احد الايام بان عدداً من قادة الحزب الشيوعي قد ماتوا! فغطينا نحن مع الاسف ذلك بقرارات رسمية اذ قال تقرير الطبيب الشرعي وهو بعثي اسمه صادق حميد (علوش) انهم ماتوا بالسكتة القلبية لأنهم ظلوا حتى الصباح معلقين وارجلهم مرتفعة قليلاً عن الارض وهذا يؤدي بعد فترة من الزمن الى السكتة القلبية.

قصة مؤثرة يرويها

تتعلق بعنصر قيادي يدعى (حسن عوينه) فيقول كنتُ قبل السفر للقاهرة اي بعد الثورة بايام قد زرت قصر النهاية وهو اسم أطلقه (قاسم) على هذا القصر الملكي الذي تحول الى معتقل. وقد تمسك الناس بعد ذلك بهذا الاسم. فرأيت حسن عوينه في حالة يرثى لها وامرت بالكف عن التحقيق (يقصد التعذيب) معه ومعالجته حتى عودتنا من السفر كي تتاح فرصة

محاورته حول ما قيل عن ترؤسه فرق الاغتيال التي زعموا انها كانت تستهدف قيادة حزب البعث.

جلست امامه وكان بعض اعضاء قيادة الحرس وفرع بغداد وما زالوا يحققون معه. قلت له لماذا لاتعترف. اجاب انا عقائدي ومقتنع بمبادئ ولا يمكن ان اخون رفاقي ومبادئ. قلت: ان هؤلاء سيلحقون بك الأذى وربما تقتل. فقام من مجلسه وكان يرتدي ملابسه الداخلية فقط وسحب لباسه الداخلي واراني ظهره وقفاه الممزقين وقال سيفعلون أكثر من هذا فانا اصبحت لا اشعر بقسوة التعذيب مهما كان نوعه.

لم يعلق شبيب بشيء ولم يحل دون الاستمرار وفاضت روح عويبة بعد ايام. كل ما كان يفعله المدنيون القياديون فهم هو رفض التصديق على قرارات الاعدام والتصويت ضدها.

وينقل الدكتور (علي كريم سعيد) المعلق على ذاكرة (طالب شبيب) في حاشية الصحيفة ١٩١ مقتبساً من كتاب [مذكرات سياسي عراقي] صدر عن دار الزهراء للاعلام العربي في بيروت دون ان يذكر تاريخ طباعته. واثبت للمؤلف اسم (احمد رائف) وهو الاسم المستعار الذي اتخذه حردان عبدالغفار التكريتي لنفسه وقد اغتاله البعثيون في الكويت العام ١٩٧٠.

لم يقع هذا الكتاب بيد كاتب هذه السطور. لكنه يذكر ان كراسة تمثل القسم الاول من مذكرات معزوة لحردان وقعت بيدي وانا في ديار المنفى بإيران - في اوائل الثمانينات. لا اذكر منها سوى قصة تنكر احمد حسن البكر وحردان بثياب بدوية وذهابهما معاً الى مرقد العباس في كربلاء والقسم معاً بقره على ان يخلص احدهما للآخر ولا يغدر به! وقد عرتني الدهشة عندما قرأت حكاية مماثلة اوردها الدكتور علي كريم سعيد هذه المرة بين احمد حسن البكر وصادق وفيما كان احمد هو الغادر في الحكاية الاولى يؤكد كاتب الحاشية (صحيفة ٣٥٦) انه كان المغدور به. وان القسّم لم يُحلف في النجف «ازاح صدام البكر بأن سقاه جرعات صغيرة لكنها قاتلة رغم قسم الاخلاص لبعثها عند مرقد الامام ابي حنيفة النعمان!»

٣: من بعض ما اثبتته في دفاتر ملحوظاتي الم يسبق نشرها

كنت افكر دائماً وانا افكر بصدد مناقشة ذاتية في منطقيه بعض الامثال السائرة على السن الخاص والعام ومدى انطباقها على المناسبة التي تذكر فيها عند الاستشهاد بها. وكنت لا املك نفسي من الوقوف حائراً في تفسير منطقية المثل الشائع في اللغة العربية «وشرّ البلية ما يضحك» وياي مناسبة قيل. وهل كان قائله يسيطر على قواه العقلية لكني ما عدت هائلاً ولا حائراً به بعد تسجيلي بعض الفظائع التي ارتكبها البعثيون بعد ان زين تسجيلها لي جانبها المضحك.

ضمتني غرفة الموت في صيف وشتاء العام ١٩٦٣ بالصدوق المرحوم العميد (حسن عبود) أمر اللواء الخامس المعين في الموصل بعد محاولة الشواف الانقلابية وهو شاعر واديب. وجرت بيننا احاديث وتبادلنا الحكايات ومما حدثني به وقائع معينة للايام التي قضاها في قصر النهاية قال انهم اي المعتقلين كانوا يعرضون يومياً على قوافل المتفرجين والزائرين وطلاب الثأر والمتشفين او لمجرد التسلية كما تعرض الحيوانات المفترسة في اقفاصها. او عبود القرون البائدة الماضية في سوق النخاسة. علم يجدون بين تلك الكتل المحطمة من يطفؤا به نار ثاراتهم. ذات يوم وقف امامي شخص موصلني لم يسبق لي معرفة به الا انه كان يلقي احتراماً والتفاتاً خاصاً من مرافقه الحارس القومي. قال موجه الكلام لي: أنت حسن عبود الذي كان اسمه يدوي في طول البلاد وعرضها؟ كيف شاءت الاقدار ان ألقاك وانت في هذه الحالة المزرية وما كنت احلم يوماً بمقابلتك في ايام عرك. انت اليوم جالس على البلاط والله لو قلت للناس ذلك لما صدقوني ولذلك وجب علي ان آخذ منك تذكراً لا تثبت لهم رؤيتك. قال حسن عبود قلت له انا الا املك شيئاً اعطيكه. قال بلى سنقلع ضرساً من أضرارك الآن. ونودي فجيء بكلاية مما يستعمل في دكاكين الحدادة وامسك بي اثنان من الحرس القومي وجاء خبير في صناعة التعذيب وقلع لي ضرساً، وسال الدم غزيراً وجيء بمضمدم. وخرج الزائر الكريم بغنيمته.

هزلية تل اعفر المساوية

هذه بلدة تركمانية خالصة تقريباً كان عدد نفوسها في ١٩٥٩ يبلغ خمسة وثلاثين ألفاً تقريباً وتقع على مسافة سبعين ميلاً شمال غربي الموصل. عرف سكانها بانهم راضون وسعداء بعهد قاسم ولذلك وجد بعض الموظفين الغرباء اليساريين فرصتهم في تشكيل خلية ناشطة شيوعية زادت من اقبال التلعفريين على اظهار ولائهم للحكم الجديد طلاباً وتجاراً وبدالين وانهازيين بغية التقرب من السلطة المحلية. كانت جريمتها الكبرى أيام محاولة الشواف الانقلابية الفاشلة ان اعترض فريق منهم سبيل هروب جماعة من الضباط وهم في طريقهم الى سورية وجيء بهم مقيدين الى تلعفر ومنها بناً على أمر اللجنة المحلية للحزب تمّ تسفيرهم الى الموصل حيث لقي بعضهم حتفه.

ووضع اسم هذه البلدة في أوّل قائمة الحواضر التي يجب ان يلقى عليها درس.

ما ان أعلن البعثيون انتهاء المقاومة واستتاب الأمر لهم في العاصمة حتى ارسلا الى معاون شرطتها وفدأً مسلحاً مع أمرٍ بالقاء القبض على ألفٍ واحدٍ من الذكور من دون ذكر اسماء او عناوين او جريمة معينة مسندة اليهم او تهمةً ما يرشده الى عملية انتقاء. وطلب منه ان يوضعوا في السجن الى حين صدور تعليمات بشأن مصيرهم.

وجد معاون الشرطة نفسه في مأزق، فطلب من حكام بغداد الجدد ايضاحات، الا ان اولئك الحكام شددوا على تطبيق الأمر الأول بعين العدد بلاد زيادة او نقصان.

فما كان منه الا ان جمع افراد شرطته وأمرهم بالقبض على كلّ ذكر بالغ تقع ايديهم عليه. كان كمثال حمي تعصف برأس ضابط الشرطة [الياس سباعي]. وتفرقت القوة التي ما كانت تزيد عن سبعين او مائة شرطي للقيام بهذه المهمة. لكن سرعان ما تبين استحالة تنفيذ هذا الأمر فقد كان الكل اصدقاء وجيران وأقرباء. والمأمورون الحكوميون المكلفون يعرفون بأن هؤلاء الذين كُلفوا بالقاء القبض عليهم ابرياء لا ذنب لهم. وكانت فصيلة البعث المسلحة المرسله تنتظر تنفيذ الأمر بصبر وعزم.

- اذهبوا الى المساجد (كان في البلدة اربعة) وقفوا عند كلّ باب واعتقلوا كل مصلي يدخل وجيئوا به ولا تسألوا عن الاسم والكنية فهذا غير مطلوب وربما كانت اسماء مغلوطة عند الفحص - لاتسجلوا اسماً واحداً.

الآن اصبح افراد الشرطة يملكون اوامر واضحة فأنطلقوا لتنفيذها وما هي ساعة إلا والساحة

المقابلة لمركز الشرطة قد غصت بما يزيد عن الفتي معتقل. وكان بينهم (الحاج ملا جميل) وهو كبير رجال الدين في البلدة - المعترف به رسمياً ومن جملة وظائفه اصدار الفتاوى.

والقى الياس سباعي ضابط الشرطة وهو في غرفته نظرة الى الخارج فحمي فيه غضب مفاجيء شبيه بحمى دماغية. او ربما كان يريد ان يظهره لوفد البعث ولاءً مفاجئاً. فخرج يصيح وهو يسرح بصره الزائغ في الجمع الحاشد.

- انتم شيوعيون. هل تعلمون؟ انتم تتحايلون وتخفون شيوعيتكم بالذهاب الى المساجد والصلاة فيها. حتى كلابكم شيوعية. وانا الآن بصرف النظر عن أوامر حكومتنا وباعتباري مسؤولاً عن الامن والنظام أصدرت الآن امرى باعتقالكم جميعاً انتم وكلابكم.

ثم استدار نحو الشرطة وقال

- اقبضوا على جميع وأوثقوا كئناهم

ثم توجه الى حجي ملا جميل وقال له:

- وانت اشد احمراراً من الجميع، اني لأعجب كيف خدعت هؤلاء طوال الوقت بالتظاهر بالتقوى والصلاح ومخافة الله. خذوه الى الإسطل القريب وضعوا رأسه مع عمامته في واحدة من المعالف ولا تتركوه الا بعد ان يأكل حفنة من الشعير.

سحب الملا جميل، الشيخ الطاعن في السن الى مربي الخيل. وبعد انقضاء نصف ساعة بدأ يظهر على ضابط الشرطة علام الخبال اذ صار يصدر اوامر لا معنى لها ويهرف ويهذي راحت تتزايد حتى بلغت أمره في الموصل فاضطر الى اقتياده للفحص الطبي في مستشفى الأمراض العصبية ببغداد.

وتمكن الملا جميل من النجاة من عقوبة مربي الخيل لمدة قصيرة سمحت له بلف نسخته من القرآن الكريم بسجادة صلاته ولجوئه الى أقرب كهف في جبل سنجار القريب ناجياً من حكم بالسجن المؤبد الغيابي الذي اصدره بحقه المجلس العسكري العرفي في الموصل.

كانت جريمته التي حكم بها هي اصداره فتوى اثناء محاولة الشواف الانقلابية عندما وجه بعض سكان البلدة سؤالاً اليه يتضمن فتواه في هل يباح لهم كسر صيامهم في رمضان الآتي اثناء قيامهم بالدفاع عن انفسهم ومقتناتهم ضد القبائل العربية من شمر مهياة للهجوم على البلدة وكان زعماءها قد شاركوا الشواف في قيامه على حكم قاسم.

كانت فتوى ملا جميل: نعم بحق لهم كسر صيامهم.

موقف آخر مسلّ في بلدة القوش

هي الأخرى بلدة قد يقرب تعداد نفوسها نفوس نظيرتها الأخرى التي ورد ذكرها الا انها تقع في حريم كردستان على بعد حوالي عشرين كيلومتراً جنوب دهوك وأهلها مسيحيون.

بعد استئناف القتال. القي القبض على الفلاح (متي ككاّ القوشي) مع — بتهمة مساندة الثوار الكرد بنقل الارزاق اليهم. ،تم اصدار مذكرة قبض واحدة على الاثنين. والبغل وان لم يكن من الحيوانات الناطقة فهي من الاكلة ويحتاج الى علف. ارغم صاحبه وهو موقوف على الانفاق. ولعله بعد زمن ضاق درعاً بالعبء او ربما نفذ ما لديه من مال فقدم عريضة للحكم العسكري بالموصل طالباً اطلاق سراح بغله لعدم توفر ادلة تثبت تعاونه مع الثوار او شموله برعاية حيوانات الحكومة حتى انتهاء محاكمته.

صاحب الحكاية وهو الرجل نفسه لم يخبرني باي قدر نجحت محاولته في انقاذ بغله من التلف جوعاً بعد ان نال هو نفسه حكماً ثقيلاً. بعد ان مرّ طبعاً بدورة تعذيب افقدته نصف طاقم اسنانه وشلّت احدى ذراعيه.

وروي لي احد السجناء الذين كانوا معتقلين في المستاربوم (الملعب الرياضي في بغداد) قال استطاعت أختي وعمرها ست سنوات الانسال اثناء الزيارة - بين صفوف المعتقلين وهم بالألوف ثم خرجت وعادت الى البيت وهي تشكو مزاحمة اشياء غريبة مزعجة في جسدها الأمر الذي حمل الأهل على البحث عن سبب ذلك ولدهشتهم وجدوا في طيات ثيابها عشرات بل عشرينات من قصاصات ورق معلقة بدبابيس وكلايب في كل قصاصة عنوان يطلب فيه المعتقل الاتصال بأهله لاختبارهم بان ولدهم ما زال في قيد الحياة وهو في المعتقل.

وروي لي احد المحكومين وقد نسيت ايهم انه في ٨ من تموز ١٩٦٣ حكم المجلس العرفي العسكري الثاني في القضية المرقمة ١١٧٠-١٩٦٢ بالاشغال الشاقة لمدة عشر سنوات على كل من صبحي عبدالله وحكمت صاموئيل الياس وابراهيم مفيد الدين وشهاب ذياب جواد بتهمة توزيع نشرات تدعو الى احلال السلام في كردستان.

صاح بهم رئيس المحكمة.

- قسماً بهذا القرآن أمامي اذا شتمتم ملا مصطفى البارزاني ووافقتم بانه عميل وخائن

ستذهبون الى اهلكم اليوم احراراً وساحكم ببرأتكم.

طبيعة البشر، كم تقبل التغيير؟

كلما تعترض قراءاتي ما دونّ عن فترة حكم البعثيين. سواء أبتلم قادتهم الكبار او المتعاونين معهم او ضحايا حكمهم. وكلما تمثل لي نتيجة ما عانية وما قصّ علي وما قرأته من المجازر والمناحات التي اقيمت على ضحاياهم لاحمت لي وجاهة مقولة (مانيبلا هوريا) بشكل ما لا استطيع المجادلة فيه:

امن عادتنا ان نقول: عاد من الحرب وقد تغير تماماً. او ان موت زوجته بدكّه تبديلاً كاملاً. او التقيت صدمة بكايوس بعد الازمة التي عاناها فلم اعرفه اذا اصبح انساناً آخر. كل هذا خطأ فالانسان لا يتغير ابداً وليس في العالم ما يستطيع تغييره والتجربة في العمق لا تنجح في ابدال جوهره هذا الجوهر النهائي. وكل ما في الأمر انّ الانسان يتقدم به العمر ويشيخ فيحكم على الاشياء بمشقة أكثر ويتصرف بعد ازمة يتعرض لها او معرفة يكتسبها - بحكمة او فرفر. والاوهام تتساقط كأنها الريش الذي لا جدوى فيه فيغدو المرء أكثر تعقلاً أو أكثر جنوناً».

وأظنني كنتُ أطبق هذا عندما حثني صديق العمر المرحوم سليم الفخري في العام ١٩٨٩ وانا في لندن على زيارة شريكه هاني الفكيكي في دار ترجمة وثنائق للزبائن. فقلت اليس هو من قادة الثامن من شباط . فاجاب الايجاب وعقب قائلاً انه يختلف عنهم.

قلت: انتم الشيوعيون و الذين ربوا على الخط الشيوعي لا ترون بأساً من التعامل سياسياً مع من يسير معكم جزءً من الطريق. وبالنسبة ي وانا لا ادين بعقيدتك ان هاني الفكيكي كان مسؤولاً مسؤولية تضامنية على زجي والآلاف امثالي في السجون. وكان مسؤولاً عن بقائي في غرفة الموت ثلاث سنين وستة أشهر فبائي وجه ترديني مقابلته ومصافحته والجلوس معه.

بعدها بسنة واحدة أصدر الفكيكي كتابه الموسوم «اوكار الهزيمة: تجربتي في حزب البعث العراقي». وعندما قرأته تذكرات قول (هوريا).

الخاتمة

شئتُ أم أُبئتُ. فللقاريء أو الباحث حريته بطبيعة الحال في أخذ ما يقتنع به من آرائتي وحكاياتي التي بسطتها في الكتاب (وهي في أحيان غير قليلة تختلف عما قرأه وتنقض ما سمعه) وله أن يرفض أيضاً ما لا يستقيم منه ومزاجه وذوقه وما ينبو عن السبيل الفكري التي سلكها مبدئياً. على أن المهم في استقبال كتابي هو التجرد عن العاطفة الجائشة والحزازات والانفعالات الطارئة التي تأخذ بالمرء أحياناً دون ارادة منه فلا أجو من لعنة او شتيمة. ولا انال منه رحمة أو ثناء حُرمت من الأخيرة وجُوت من الأولى وانا تحت أطباق الثرى.

يقيناً اني ما شعرتُ في أثناء التأليف بابتعادي عن جادة المنطق. كما اني لم أعمد الى اخفاء وتغطية ما اراه صحيحاً أو حقيقياً واهلاً للتدوين ولم اتردد في سلوك السبيل التي فضلتها رغم علمي بأنني لن أجو. وركنت الى الصراحة وبلغت فيها أحياناً حدّ القسوة والفظاظة. وجانبت التخفيف من وقع ما أرويه بل بحثت عنه واطلبته اطلباً وأنا مجدّد في التعرية وكشف الأكاذيب وهتك الستر عما تم اخفاؤه عمداً أو غفلةً أو جهلاً عن ابناء الشعوب الناطقة بالعربية. تعزيزاً لوجهة نظري. وبفضل ما اهدت اليه من المراجع والمضان وما تعقبته في الصحف العالمية طوال سنوات من المتابعة والقراءة. ومنها ما كان عسيراً وقوعه بايدي الباحثين والمؤرخين الشرق أوسطيين ولم أقتصد كثيراً في الرجوع الى مصادر شرق أوسطية لكتاب بالعربية وفتحت باب الاجتهاد والمضاهاة بين الأقوال. للتمييز بين من يصدق في مقاله وبين من يجانب الحقيقة

متمثلاً بالحديث النبوي الكريم: ”للمجتهد إن أصاب أجران. وإن أخطأ أجر”. إن مؤلف هذا الكتاب قاريء شرهٌ والى ابعده حدود الشراهة يكاد لايسلم منه كتاب وقع بيده. فضلاً عن ذلك فانه يتمتع بذاكرة جيدة. يصفها أصدقائه بأنها ذاكرة عجيبة وهم بطبيعة الحال يبالغون في وصف ما حباني الله به من قابلية ولاسيما أولئك الذين يتابعون منتوج قلمي. وأنا في الواقع في حيرة من هذه الظاهرة (الشاذة) تراني أعجب من نفسي بما اذكر من روايات ونصوص وتواريخ على هامش حياتي ايام الصبا والشباب لاستخدمه بشيء من البراعة في مشاريعي الكتابية وتذكرني الحيرة وينعقل لساني وأفتقد التعليل عندما لا أستطيع ان اذكر ماذا كانت وجبة غدائي يوم الاول من أمس مثلاً.

وأنا أكاد انفض يدي من هذا السّفْر الذي سلّبتني أعواماً طويلاً من حياتي - لا تراني أخاطب أولئك الذين يؤمنون بصدق نيتي واخلاصي في ما أكتب قدراً ما أخاطب أولئك الذين يشكون فيهما ويرتابون في الغرض من اثبات هذا النص او ايراد تلك الحكاية. سيما تلك التي لا تستقيم مع ما كانوا وما برحوا وما انفكوا يؤمنون به او ما أقنعوا انفسهم حيناً طويلاً من الزمن بأصالته وصوابه. انا على يقين وبعد أن تيسر لي زرع قليل من الشك في نفوسهم. انهم سينتصرون على الخطأ وسيهتدون الى الصواب طال الزمان بهم أو قصر وأتمنى أن لا يحفّ بهذا الانتصار معاناة. فكثيراً ما يكون درب الوصول الى الحقيقة عسيراً وصعباً كتلك المعاناة التي اجتازها واحدٌ من المسلمين الاوائل في الإهداء الى الإسلام - كما رواها صاحب السيرة النبوية...

قال ابن هشام إن ”عمرو ابن الجموح“ احد سراة بني سلمة واشرافهم نَحَتَ لنفسه صنماً من خشب أطلق عليه اسم ”مناة“ واتخذة آلهاً يعبده فكان ابنه ”معاذ“ وأصحاب له قد أسلموا. يأتون اليه ليلاً فيرفعونه ويحملونه ويقذفون به ورأسه منكوسٌ في حفرة أعدت لرمي الأقدار والنفايات. فيجيء (عمرو) ليجده بعد بحث طويل فيرفعه ويغسله ويطيبه ويقيمه في موضعه. فيأتي ابنه مع رفاقه ليلاً.

فيرفعونه ويفعلون به مثل ما فعلوا بالأول فيعود صاحبه لينتشله وينظفه ويعيده الى موضعه. وتكررت العملية عدة مرات حتى ضاق صدر (عمرو) فجاء بسيفه وعلقه في عنق الصنم وقال يخاطبه: "انا لا أعلم من يفعل بك هذا. فإن كان بك خيرٌ فدافع عن نفسك بهذا السيف" إلا أن الفتيان جاؤا كالعادة ليلاً فنزعوا السيف عنه وحملوه وألقوه منكوساً في بئر بعد ان ربطوا به كلباً ميتاً والنتيجة أن عمرو ابن الجموح كفر بما كان يعبد وأشهر إسلامه.

وأعود لاستنجد بذاكرتي لأذكر بمضار الانحياز والانحراف الذهني بل بمقدار الغباء والجهل الذي يمكن ان ينحدر اليه المرء. فقبل واحد واربعين عاماً وعلى أثر انقلاب الثامن من شباط البعثي. وجدت نفسي متهماً أجيب عن تهمة خيالية أمام المجلس العرفي العسكري في الموصل هذا المجلس المؤلف من خمسة أعضاء (بينهم قاضيان مدنيان) فضلاً عن هيئة الادعاء العسكري وقد أعيتهم الحيل في العثور على الوصف الذي يخلعون عليّ في قرار الادانة بعد ان تأكد لديهم اني لست عضواً في الحزب الشيوعي. ولا صلة بعيدة أو قريبة لي ببقية الشيوعيين الذين أحاكم معهم ووجدوا بعد طول بحث طويل ان يسندوا الي تهمة الشعبوية وورد ذلك في قرارهم من فرط جهل بأن تهمة الشعبوية (إن كانت من قبيل التهم المعاقب عليها) لا يمكن ان تلتصق بمسيحي أو بإنسان يدين بغير الاسلام!!

أخيراً إن كان لي ما أمناه. وقد حكمت الصدف بأن يصدر الكتاب والعراق يقف على مفترق طرق ومستقبله في الديمقراطية والحياة الحرة الكريمة مرهونتان بما يستطيع أبناؤه الطيبون العمل لها. أقول: جلّ ما اتناه ان يكون مرجعاً مفيداً، ومشعلاً ينير الطريق للقائمين على إعداد المناهج الدراسية الجديدة للناشئة الجديدة من طلاب المدارس في قسم التاريخ والاجتماع. مع تحذير شديد من وقوعهم في أخطاء أسلافهم في تجيد ما يجب التنديد به. وتعظيم ما يستوجب الاستهانة به. وإظهار

زيف دعاة القومية وسقطاتهم بله جرائمهم بحقها. وإبراز مناهات تلك الفكرة وكيفية وقوعها بأيدي طلاب المجد والانتهازيين والعملاء وايتام الاجنبي والجهلة وانصاف المتعلمين وما الى هؤلاء من مرتزقة وقد فضحناهم جميعاً وتعقّبنا أدوارهم الخزية وجرائمهم الشنعاء التي قضت على آلاف مؤلفة من البشر.

وحصيلة هذا الصراع الدموي الأناني صاحب الشعارات المزيفة من أجل تحقيق الوحدة العربية؟

ماذا كان من أمره وماذا نرى منه في يومنا هذا؟

ماذا سنذكر منه وماذا سنسقط؟

ما سنذكر أقل من القليل وماهو بالسرّ. يكاد لا يمر أسبوع إلا ونشاهد في جهاز التلفزة أو نقرأ في الصحيفة الأولى من جريدة عربية طرفاً من ذيول تلك النتائج التي تمخض بها النضال القومي في سبيل الوحدة. تمثيلية نموذجية تتكرر فصولها وتصيب بعضهم بالملل والسخط وبعضهم بالغثيان. يراها ملايين من الناس. إلا أنّ زعماء الدول الناطقة بالعربية يرون من الوقاحة وعدم اللياقة أن يتطرق إليها مؤرخ أو أن يسجلها كاتب في أثر له. من فصولها تلك اللقاءات "الرسمية" وغير الرسمية ومؤتمراتهم الخطيرة المنفردة والجماعية (تحت خيمة الجامعة). وأمين سرّ الجامعة تراه يقفز بين العواصم لاهتاً والعرق يتصبّب من جبينه ليفنع هذا الرئيس بالحضور وذلك الغاضب الثائر بالمصالحة مع غريمه. ويفاوض مجاهداً في إيجاد مَنْ يرضى بأن يجتمع قمة الدول العربية في بلاده. وتتوالى التصريحات لتقتلها تصريحات تالية. وفي أثناء ذلك تتواصل برقيات الجمالة والنداءات التلفونية بالتهاني بالمناسبات السعيدة والمواساة في ظروف الحزن وعند وقوع الكوارث والنكبات. وقد أتقنوا هذا الفن الى حد بعيد مثلما أتقنوا فن الاستقبال على أدق قواعد البروتوكول. وبكامل العدة من السجاجيد الحمر التي تُفرش ابتداءً من مدرج الطائرة الى منصة التحية وحرس الشرف والنشيد الوطني. ويهرع

أحدهما إلى الآخر ليأخذه بالأحضان وليطبعا على كلّ سنتمتر من وجنة صاحبه القبلات الحارة والباردة (بحسب الظروف). وفي الوقت الذي يلهج سائرهم بنجاح وفائدة التضامن العربي في معالجة مشاكل المنطقة والتأثير على توجيه السياسة العالمية، تراهم يحرصون كل الحرص على حدود بلادهم مع جيرانهم الأشقاء وتُساق الجيوش وتُطلق الإنذارات ويُبقي الفريقان قواتهما على شفا الاشتباك عندما يريد هذا أن يستحوذ على شبر واحد أو يثار بدل ذلك نزاعٌ دولي تتدخل فيه محكمة العدل الدولية أو مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وينسى الجميع بأن تلك الحدود كلّها تقريباً كان قد رسمها الاستعمار والامبريالية، وانها كما يقول عنها القوميون والحدويون حدودٌ مصطنعة^(١).

أجل لم يقم عندي أي شك في أن ما تضمنه كتاب هذا قد لا يكون

(١) الكويت وجيرانها Kuwait And Its Neighbours بقلم الكايتن دكسن H.R.P. Dickson لندن ١٩٦٨، الص ٢٧٢-٢٧٥ [يروي النقيب ديكسن قصة رسم الحدود بين الكويت وبين المملكة السعودية في مؤتمر العقير ودور السر بيرسي كوكس المندوب السامي للعراق آنذاك في رسمها، وكان ديكسن من مرافقيه وترجمانه وحضر مؤتمر العقير الذي تمت فيه صفقة مصادرة ١٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع من الكويت وضمه إلى السعودية ترضيةً للملكها]. قال في كتابه ما نصّه: «في اليوم السادس ضاق صدر السر بيرسي موقف ابن سعود المتعنت الذي كان يريد رس حدود قبائلية لا حدوداً دولية رسمية. ولم يكن السر بيرسي يحسن العربية فتوليت الترجمة ولاحظت بكل دهشة كيف يقوم موظف بريطاني بتأنيب صاحب الجلالة سلطان نجد كأنه معمم يؤنب تلميذاً معانداً. قال له بكل صرامة:

– أنا الذي أقرر تخطيط الحدود والى أين تمتد.

فأسرع ابن السعود وهو يكاد يذوب – قائلاً إن فخامته هو في مقام أمّه وأبيه اللذين جاء به الى الوجود فانتشله من مكانه المتوضع وأصعده الى مقامه الحالي وأنه مستعد للتنازل عن معظم مملكته أو كلّها اذا أمره السر بيرسي. عندئذ أمسك المندوب السامي بقلم أحمر ورسم على خارطة الجزيرة العربية الحدود الدولية ابتداءً من الخليج حتى شرقي الأردن.

وفي عصر ذلك اليوم طلب ابن سعود لقاءً بالسر بيرسي على انفراد فرافقته للترجمة الى مضيف ابن سعود الريحب وكان يقف وحده ولا أحد معه، وابتدر المندوب السامي قائلاً:

– يا أخي حرموني من نصف مملكتي والأفضل أن تأخذوها كلّها وتسمحو لي بالتنازل.

وانحدرت الدموع من عينيه فجأة، وكان منظرًا فريداً في بابه عندما أسرع السر بيرسي يباريه في التمثيل واصطناع التآثر العاطفي إذ تقدّم منه وأمسك بيديه وراح يجاريه في البكاء ورأيت الدموع تسيل على الخدود حيناً. لم يكن أحد في الخيمة سوانا وأنا أشهد الله على ما رأيت بدقة وأمانة.

انتهى المشهد التمثيلي البارع وقال السر بيرسي:

– يا طويل العمر إنني أعرف حقيقة مشاعرك معرفة جيدة وأمينة لذلك فأننا أطلق يدك في ثلثي أراضي الكويت، إنني أعطيكها ولا أدري كيف سيكون وقع هذه الضربة القاتلة على ابن الصباح.]

مقبولاً من جهات معينة وقد ختفي به جهات أخرى وتراه متنفساً لما كانت تشعر به من أمد طويل وتخشي التحدث به. هناك أوساط عربية تكره أن تذكر بماض أو موقف معين. وتمسحها مسحاً من كتب التاريخ والدراسات والمناهج المدرسية أو تكسوها حلاً وتعمل فيها تبرجاً. ماكنت أستطيع وأنا بصدد الكتابة في تاريخ الشرق الأوسط العربي الإغضاء عن كلّ شيء رغم أنني حاولت طي كثير من الغسيل القذر فلم يحالفني النجاح وأخطأني الحظ. أردت أن أمزق ستار المظاهر التي يعشقها زعماء العرب عشق الواله المستهام ففشلت لأنني لا أستطيع تجاهل مصادري ولا نتائج جهود المنقبين الباحثين عن الحقيقة وإلا عدتُ بين أولئك الذين انتقدتهم وإليك واقعةً أخرى لكيفية تعامل رؤساء هذه الدول إزاء المظاهر وكيفية حرصهم عليها. وهي من ذبول غزو الكويت^(٢).

أنا لا أعد نفسي من أولئك الذين يسعون الى تغطية الشمس بغربال بمحاولة حفر الوقائع عن مسارها الحقيقي. إنها نكبة الدول الناطقة بالعربية ولعنةً لازمتها من أول صياغة لكيانها. أنا لا أستطيع مثلاً إغفال النكبة العظيمة التي حلت بهذا القطر الصغير المسالم المواد^(٣) لقد تحدثت في فصول الكتاب عن الخلافات على الحدود وغير

(٢) في ١٩٩١ بعد هزيمة صدام في الكويت، عقد مؤتمر بيروت للمعارضة العراقية والدعوة رسمياً من سورية إلا أن عقده تم في عاصمة دولة أخرى (لبنان) وبأموال السعودية. فبعد الهزيمة ونيران انتفاضة جنوب العراق مازالت مستعرة رأى عدد من الدول العربية أن الوقت قد أُرِف للنظر في مستقبل العراق السياسي متوهمين بأن الدكتاتور العراقي يعيش ساعاته الأخيرة، إلا أن رئيس المخابرات السعودي الذي كان يسميه بعض المعارضين استخفافاً بـ(أبو تركي) شعر بعجز أو ربما أثر أن لايعقد هذا الاجتماع بكل تعقيداته في الرياض ورأى أن يوكل المهمة للسوريين باعتبارهم يحتفظون بأفضل الصلات مع المعارضة، إلا أنه شدد عليهم بلزوم دعوة أشخاص معينين ينتمون إليه ودفع لقاء ذلك نظيره مدير المخابرات السوري ٢٧٠٠٠٠٠٠ دولار لتغطية النفقات ووجد السوريون أن المبلغ أكبر بكثير من صرفه على ضيافة المعارضين فاحتفظوا لأنفسهم بالقسم الأكبر منه ودفعوا الباقي (بالعملة السورية) للمعارضين ليقوموا بتسديد أثمان بطائق السفر وأجور الفنادق وغيرها من المصاريف [راجع كتاب أندرو وياتريك كوكبرن Andrew And Patrick Cockburn الموسوم «خارج من الرماد Out of Ashes» ط هاربر وكولون ٢٠٠٠، الص ٤٦-٤٧.

(٣) بلغت ثقة السعودية بنظام بعث العراق حداً أن مديرية مخابراتها فقدت كل اهتمام بمتابعة ما يجري في العراق، وكانت عند قيام الغزو للكويت بدرجة من الجهل بحيث أن القائمة التي كانوا يحتفظون بها لقادة المعارضين العراقيين تضمنت أسماء شخصيات طواها الردى منذ أمد بعيد وأن الضابط المسؤول عن =

GEORGIS FAT-hulla

**AN OUTLOOK
ON
THE FLOW AND EBB
OF THE ARAB NATIONALISM
UP TO 1970
(HISTORY AND ANALIZATION)**

**WITH
LIGHTS ON THE ASSYRIAN QUESTION
(THE AUGUST 1933 MASSACRES)**

TOM. V.: PERSONS WITH ROLES IN THE DRAMA,
DOCUMENTS, CORRESPONDEDCE,
COMMENTEIES AND STATEMENTS
OF GENERAL CHARCTER.

الحدود بين الدول الناطقة بالعربية التي كاد يفضي بعضها الى نزاع مسلح ومعظمها تلك التي كان يصف زعماءها أنفسهم بالتقدميين أو الإشتراكيين الوجوديين.

الى هذا المصير الذي آلت اليه قضية القومية العربية و"رسالتها الخالدة" وبهذه الصورة كانت مجاهدة أنبيائها للوصول بها الى هذه المرحلة. أريد تناسي الجرائم الكبرى التي ارتكبوها خلال محاولة بيعها في سوق السياسة العالمي. وعلى شعوبها والمتحمسين لها من دون أيّ درجة من النجاح. راحت زعامات تلك الدول اليوم حتى تلك التي تمسكت بشعار العروبة زيفاً ومجاملة - تبحث عن مصائرها وتبني كياناتها بأنظمة حكم خاصة غير متطلعة الى الوراء أو الى الآن بهدف النسخ على منوال جارتها أو شقيقتها العربية فلا يبدو لنا قط احتمال تقارب "روحي" أو "سياسي" والكل يعدو وراء مصلحته وحدها ولا يتطّلع بأيّ درجة من الحنان أو الشفقة على مآل غيره.

كان هذا القصد الرئيس من تأليف كتابي.

جرجيس فتح الله

٢٥ - ٦ - ٢٠٠٢

= مكتب العراق في تلك المديرية وهو برتبة عميد بلغ به جهله بشؤون العراق أنه تساءل متشككاً مرةً وهو في معرض حديث له: «هل الأكراد مسلمون؟»، [كوكبرن، المرجع السالف، الص ٤٦-٤٧].

الى القاريء

بقيت أسماء الأعلام بالشكل الذي ورد في السياق، فأحياناً يرد الاسم الأخير (اللقب) مجرداً عن الاسم الأول وأحياناً يردان معاً ولا يكتفى باللقب، فمثلاً ورد اسم (علي الحيارى) بهذه الصيغة (ورد باللقب فقط، أي الحيارى) وورد اسم (محمد البدر) باللقب فقط أي (البدر) وعلى القاريء أن يراجع الاسمين تحت الحرفين معاً.

فهرست الأعلام

ابن خلدون 68، 100، 135، 153، 154، 158، ابو حكييم 1017
 911، 921، 922، 1325 ابو حنيفة النعمان 104، 1096، 2402
 ابن دانيال الموصللي 776 ابو حنيفة الدينوري 125
 ابن رسته 141 ابو دره الفلستيني 649، 945
 ابن رشيق 141 ابو ذر الغفاري 94
 ابن رشيد 224، 244، 339، 357 ابو سيف يوسف 960
 ابن الرومي 721 ابو طالب الهاشمي 1377، 2397
 ابن الازرق 529 ابو عاصم النبيل 529
 ابن سيّار 495 ابو العباس السفاح 128، 565
 ابن سينا 149 ابو علي استاذ هرمز 601
 ابن صاعد 1164 ابو علي الحسن القيرواني 141
 ابن الطفطي 242 ابو علي الفارسي 153
 ابن عبد ربه 125، 193 ابو القاسم الزجاج 153
 ابن العبري 67، 138، 1164 ابو القاسم سعد الله 1444، 1445
 ابن العلقمي 114 ابو قيس عبد مناف 67، 139
 ابن العميد الوزير 1120 ابو لؤلؤه الفارسي 122
 ابن الفرات الوزير 1119 أپولو 1750
 ابن الفوطي 1075 ابو مريم 125
 ابن قتيبة 141 ابو منصور (الملازم) 875
 ابن القفطي 1164 ابو اليسر عابدين 1323
 ابن مسكويه 115 ابو يوسف (القاضي) 104
 ابن منظور 60، 67 اتاتورك (مصطفى كمال) 11، 40، 151،
 ابن النديم 1164 154، 156، 186، 325، 356، 357، 396،
 ابن هشام 68 419، 444، 456، 507، 530، 750، 880،
 ابو اسحق الصابي 211، 212، 213 901، 1766، 1832، 1835، 2111، 2123،
 ابو الاسود الدؤلي 153 2132، 2149، 2153، 2163، 2169، 2178،
 ابو بكر الصديق 163، 775، 2064 2228، 2229، 2230، 2385
 ابو بكر عوض الله 1570، 1572، 1573 اثلستون برايلي 1699
 ابو الحسن الاصفهاني 410، 411 اثناسيوس (البيطريك) 85
 ابو الحسن البريدي 1120 آحاب (الملك) 60
 ابو الحسين الانباري 1120 احسان بك 450

ابا بيان 1015، 1503، 1508 ابراهيم العرابي 1399
 ابتمعمر 61 ابراهيم فرخ 932
 ابراهام لنكولن 929، 1186، 1200 ابراهيم فيصل الانصاري 545، 1545
 ابراهام يوفي 1494، 1495 ابراهيم كمال 42، 43، 431، 1778
 ابراهيم ابن الامام احمد سيف الحق 1259، ابراهيم ماخوس 1534، 1397، 1432، 1436
 1261، 1262 ابراهيم مفيد الدين 2404
 ابراهيم الاشتر 125 ابراهيم ابن محمد (الامام) 1118
 ابراهيم (ابرم) 120، 887 ابراهيم ناجي 1798
 ابراهيم پاشا 1024، 1608 ابراهيم الواعظ 366
 ابراهيم أحمد 1193، 1199، 1339، 2126 ابراهيم الوزير 1579
 ابراهيم اسماعيل ابن ياسر 130 ابراهيم هاشم 1042، 1073
 ابراهيم جاسم التكريتي 1082، 1174 ابراهيم هنانو 757، 767، 2131
 ابراهيم الحسيني 828، 829، 979 ابراهيم اليازجي 87، 759
 ابراهيم حلمي العمر 289 ابراهيم يوخنان 1732
 ابراهيم خلاس 1480 ابراهيم اليوسف 392
 ابراهيم الراوي 648، 681، 705، 1922 ابقراط 145
 1927، 1936، 1943، 2128 ابن ابي عون 1120
 ابراهيم ابن سيار النظام 532 اڤسن (هنريك) 353
 ابراهيم عبدالرحمن الداود 1537، 1539 ابن الاثير 126، 1075
 1540، 1541، 1542 ابن البزار 602
 ابراهيم عبود 1027، 1060، 1061، 1062 ابن بكران 602
 1063، 1065، 1067، 1068، 1559، 1560 ابن تيمية 1636
 1561، 1562، 1564، 1565، 1572 ابن حزم 1636
 ابراهيم عبدالهادي 915، 935 ابن خلكان 153، 1164

احسان الجابري 526	احمد حسنين پاشا 908	2191, 1056, 963, 945, 944, 900	احمد حسنين پاشا 908	احسان الجابري 526
احسان شيرزاد 1543, 1541	احمد الحلبي 156	احمد الغزاوي 2397	احمد الحلبي 156	احسان شيرزاد 1543, 1541
احسان عبدالقدوس 1356	احمد حميدالدين (الامام) 1261, 1258	احمد عزت 374	احمد حميدالدين (الامام) 1261, 1258	احسان عبدالقدوس 1356
احسان يوسف 663	احمد حسن الباقوري 1331, 1330	احمد عزت الاعظمي 424	احمد حسن الباقوري 1331, 1330	احسان يوسف 663
احسان نوري پاشا 483	احمد حسين شرف الدين 1264, 1256, 1268,	احمد عزيز 2125	احمد حسين شرف الدين 1264, 1256, 1268,	احسان نوري پاشا 483
احمد ابن بللا 985, 1425, 1458, 1469,	1271	احمد طهارة 89, 156	1271	احمد ابن بللا 985, 1425, 1458, 1469,
1470, 1471	احمد حسين 575, 581, 895, 902	احمد عبيد 1386	احمد حسين 575, 581, 895, 902	1470, 1471
احمد ابن نصر الخزاعي 1119	احمد حمدي (الدكتور) 258	احمد عونى 1383	احمد حمدي (الدكتور) 258	احمد ابن نصر الخزاعي 1119
احمد ابو الجين 1174	احمد حميدالدين 975	احمد فاخر 1485, 1494	احمد حميدالدين 975	احمد ابو الجين 1174
احمد ابو الفتح 1653, 1654	احمد الداغواق 359	احمد فارس الشدياق 155	احمد الداغواق 359	احمد ابو الفتح 1653, 1654
احمد ابن يحيى (الامام) 1661	احمد الداؤود (الشيخ) 425, 515	احمد فتحي زغلول 511	احمد الداؤود (الشيخ) 425, 515	احمد ابن يحيى (الامام) 1661
احمد امين 335	احمد رائف 3401	احمد فؤاد الثاني 924, 932	احمد رائف 3401	احمد امين 335
احمد البارزاني (الشيخ) 543, 815, 677,	احمد رحوي (المقدم) 1584	احمد فخري عبدالله 2125	احمد رحوي (المقدم) 1584	احمد البارزاني (الشيخ) 543, 815, 677,
1192, 1711, 1715, 1725, 1743, 1893,	احمد سعيد 951, 1097, 1330, 1366,	احمد فؤاد هلال 1045	احمد سعيد 951, 1097, 1330, 1366,	1192, 1711, 1715, 1725, 1743, 1893,
1911, 1913, 1971	2089	احمد قنبر 1232	2089	1911, 1913, 1971
احمد جابر الصباح 2181	احمد سليمان 1563	احمد لطفي السيد 196, 575, 941	احمد سليمان 1563	احمد جابر الصباح 2181
احمد جمال پاشا (السفاح) 8, 26, 27, 49,	احمد سوسه 680	احمد محمود الجنابي 2166	احمد سوسه 680	احمد جمال پاشا (السفاح) 8, 26, 27, 49,
50, 155, 195, 219, 220, 228, 231,	احمد سوکارونو 989	احمد ماهر پاشا 210, 902	احمد سوکارونو 989	50, 155, 195, 219, 220, 228, 231,
233, 234, 245, 247, 249, 258, 272,	احمد سويداني 1427, 1433, 1434,	احمد مختار بابان 1086	احمد سويداني 1427, 1433, 1434,	233, 234, 245, 247, 249, 258, 272,
279, 426, 892, 901	احمد الشراباني 1232	احمد محمد يحيى 1106	احمد الشراباني 1232	279, 426, 892, 901
احمد الجواوي 420	احمد الشقييري 1476, 1477, 1527, 1490,	احمد محمد الشامي 1258	احمد الشقييري 1476, 1477, 1527, 1490,	احمد الجواوي 420
احمد الجبوري 1394	1513, 1514, 1552	احمد محمد النعمان 1258	1513, 1514, 1552	احمد الجبوري 1394
احمد الحاج ايوب 2125, 2129, 2135, 2136,	احمد شكري 1578	احمد محمد زين السقاف 1264	احمد شكري 1578	احمد الحاج ايوب 2125, 2129, 2135, 2136,
احمد حسن البكر (التكريتي) 8, 129, 1300,	احمد شوقي 281, 500	احمد محمود نعمان 1262	احمد شوقي 281, 500	احمد حسن البكر (التكريتي) 8, 129, 1300,
1342, 1197, 1319, 1343, 1346, 1372,	احمد صالح العبيدي 145, 1085, 1145, 1308,	احمد مراد 1435	احمد صالح العبيدي 145, 1085, 1145, 1308,	1342, 1197, 1319, 1343, 1346, 1372,
1374, 1375, 1376, 1377, 1378, 1380,	2206	احمد مظهر 903	2206	1374, 1375, 1376, 1377, 1378, 1380,
1383, 1384, 1392, 1394, 1527, 1537,	احمد صالح العلي 1166	احمد موسى 927	احمد صالح العلي 1166	1383, 1384, 1392, 1394, 1527, 1537,
1538, 1540, 1541, 1542, 1543, 1546,	احمد عبدالكريم 979, 1000, 1001	احمد المير 1428	احمد عبدالكريم 979, 1000, 1001	1538, 1540, 1541, 1542, 1543, 1546,
1549, 1555, 2097, 2299, 2394, 2396,	احمد عبود پاشا 928	احمد النيل ضيف الله 1572	احمد عبود پاشا 928	1549, 1555, 2097, 2299, 2394, 2396,
2399, 2401	احمد العجيل الياور 1141	احمد نيازي 3147	احمد العجيل الياور 1141	2399, 2401
احمد حمدي زينل 2125	احمد عرابي 215, 341, 350, 351, 899,	احمد يحيى حميدالدين (الامام) 1052, 1259,	احمد عرابي 215, 341, 350, 351, 899,	احمد حمدي زينل 2125

الفريد ماهان 53	اسماعيل لبيب 1521	أسعد عبدالرحمن 1362، 1364، 1664	ارشد العمري 2245
الفريد ماكرونالد 475	اسماعيل مظهر 475، 508	أسعد عقل 795	آرمسترونك (هـ. س) 444
الفريد موند 495، 520، 862، 2055، 2151	اشرس ابن عبدالله 66	أسعد هرون 1232	ارشيبالد موري (الجنرال) 257
الفري (ميجر) 1805، 1806، 1924، 1928	اشعب ابن جبير 710	الأسكندر المقدوني 569	ارنست بيشن 2095
الفونس جوان (الجنرال) 1622	اشور پانيپال 141، 208، 2251، 2252	اسكندروس كشتو 2289	ارنست تولر 1901
الياس قندلفت 779	2293	اسكويت (لورد) 256، 261، 262، 341	ارنست داون 249، 252
الكساندر دوما 155، 1001	اشور ناصر پال 1909، 2251	اسلم ابن سدره 67، 68، 140	ارنست رينان 180
الكساندر مللان 323، 327	الأصمعي 60	اسماعيل الازهري 1054، 1056	ارنست فون فايسكر 696
الكساندر موروزوف 1395	الأصنج 1589	اسماعيل 1057، 1058، 1010، 1061، 1066، 1067	ارنست مين 1881، 1908، 1917، 1922
الكساي كوسيكن 1416	الاطرش (منصور) 1426، 1423	1567، 1655	1946
اللسبي (جنرال) 247، 257، 258، 259، 276	افرام برصوم (البطريك) 462	اسماعيل تيارى (مالك) 1756، 1777، 1779	ارنولد تويني 537، 2012
277، 278، 279، 292، 315، 316، 318	اف فيرسين 42، 414، 415، 435، 441	اسماعيل حقي الأغا 2125	ارنولد ولسن (السر) 295، 299، 300، 301
2312، 2311، 2309، 2225، 897، 348، 330	اكرم حوراني 675، 709، 732، 799	اسماعيل حقي شاويس 715	302، 304، 306، 371، 372، 376، 377
اللوييفا ستالنيا 1642	807، 809، 820، 827، 875، 877، 878	اسماعيل حقي فرج 43، 405، 406	379، 399، 428، 479، 490، 1701، 1702
اليزابيت مونرو 298	880، 882، 883، 976، 998، 1002، 1006	اسماعيل 120	1710، 1730، 1732
الياس انطون الياس 475	1044، 1151، 1174، 1219، 1422، 1240	اسماعيل خان 358	اروند كليمان 304، 324، 327، 334
الياس سباعي 2403، 2404	1245، 1285، 1350، 1355، 1415، 1421	اسماعيل (الخدوي) 341، 899، 900	أريك دروموند 417
الياهو (ايلي) كوهين 1429، 1430	1422، 1427، 1530	اسماعيل رواندوزي 537، 541، 1713، 2283	أريل شارون 1494، 1495
ام كلثوم 992، 1635	اكرم زعيتر 686، 688، 689	اسماعيل (سلكو) شكاك 483	أريوس 1684
اميه ابن ابي الصلت 67	أكرم صفري 1388	اسماعيل صدقي پاشا 914، 898	الازهري 60
امجد الزهاوي (الشيخ) 1096	أكرم فاضل 744، 855، 2382	اسماعيل صفوت 1260، 2216، 2125	اسامة ابن زيد 775
امري القيس اللخمي 138، 775	اكرم فهمي 603	اسماعيل عباوي توحله 594، 813، 1869	اسحق ابن الفرج 60
اميل اده 784، 791، 794	اكسل فون بلومبرغ 698	1926، 1927، 1928، 1953، 1954، 1955	اسحق رابين 1495، 1503، 1440، 1492
الامين (الخليفة) 82، 1118	اگناس گولتسيهر 131	1959، 1960، 2118، 2119، 2120، 2197	اسحق شامير 630
امين ابو عساف (المقدم) 830، 883	الجار الله 1932	2210	اسحق شامزون 2292
امين التميمي 658، 686، 2077	البيبر ابونا 1688، 2267	اسماعيل العارف 543، 644، 650، 698	اسحق واطس 2250
امين الحافظ 832، 1183، 1357، 1359	البرت حوراني 68، 251، 766	704، 1082، 1106، 1184، 1372	اسرائيل تال 1494، 1495
1378، 1381، 1383، 1384، 1385، 1387	البرت غازيه 987	اسماعيل علاف 1304	اسرحدون 61، 888، 2251
1414، 1411، 1391، 1390، 1389، 1388	آل تويني 627	اسماعيل الغانم 838	أسعد الشقيري (الشيخ) 627
1415، 1418، 1419، 1420، 1421، 1423	آل سرسق 627	اسماعيل (بن) ياسر 130	أسعد شيتنه 1193، 1170
1424، 1425، 1426، 1427، 1428، 1429	آل سلام 627	اسماعيل فريد 936	أسعد اطلس 875

2292، 2289 (القس) ايشوع رمانا	853 اياگو	977، 856، 831	1530، 1436، 1435، 1434، 1433، 1430
2292 ايشوع القس عوديشو	1750 اياكس	474 انطون صالحاني	1634، 1551
794 ايقيس شاتينيو	2042 ايلمان (ادولف)	685 انطونسكو (الجنرال)	714 امين رويحه (الدكتور)
651، 474 ايليا ابو ماضي	1503 اياغال آلون	1273 انگرامز	654 امين الريحاني
322، 300، 254، 235، 218 ايلي خضوري	235 ايان هاملتون (الجنرال)	1635، 177، 100، 55 انگلز (فردريك)	703 امين زكي
1915، 1914، 1901، 1024، 791، 492	1721، 1700 ايدي (ميجر)	233، 220، 219، 195، 50، 40 انور پاشا	1572 امين الشبلي
2365، 1916	1577، 1576، 1575 (محسن)	2310، 901، 397، 287، 248، 246، 244	1397 امين عثمان پاشا
2276، 2272 ايمامه دييت كلو	1584، 1583، 1578	876 انور نبود	763 امين طليح
2180، 525، 280 امري (اللورد)	1021، 1020، 1011، 985، 546 ايزنهاور	2090 انور الحديشي	89 امين لطفي الحافظ
496 ايلويه	1518، 1081، 1041، 1023	343 انور الجندي	1004، 1001، 1000، 979 امين النفوري
185 امري ناجي	1496، 1494 ايشعياهو غافيش	918، 914، 907، 906، 903، 902 انور السادات	1251، 1249، 1133، 1132، 1005
16 ايوب البارزاني	2292 ايشوع بلاني	1487، 1362، 1266، 1260، 972، 933، 924	1403، 1401، 1400، 1399 امين هويدي
1251 اينزورث	2292 ايشوع دقليتا	1582، 1513، 1512، 1490	1506 اناتولي ياكوفسكي
		1685 انوسنت الحادي عشر	2146 انتوني گروفر
		763 انور العطار	1693 انترانيك
		552 انور عبدالمملك	174 انتوني ترولوف
		613 انيس عادل	1558، 1509، 1508، 1497 انتوني نثنگ
		544 انيس وزير	1048، 918 اندرو توللي
2128، 1550، 1548، 1438، 1409، 1407	1808 بابا برهاد (الدكتور)	1487، 1495 اهورن بروكمان	269 اندرو بونارلو
2406، 2301، 2297، 2296	2027 بابا دمختان	2309، 243 اوبري هربرت	267 اندروفوستر
1506 باربور	1321، 1095، 446 بابا علي شيخ محمود	1501 اود بيل (الجنرال)	1450 اندريه فيليب
2010 بارتو	1374	1747، 1746 اورت	1506، 1505 اندريه گروميكو
2216، 1124، 1124	1779، 836، 826، 805، 804 باتريك سيل	1195، 1180 اوريل دان	1468، 1457، 1460، 1449 اندريه مارلو
2189، 889، 688، 686، 686 (السر)	356 باتن (الرائد)	1025 اوغسطين	2289، 1787، 1786 اندريوس (الجيلو)
2277 بارنيت (القاضي)	176، 174 باخونين	759 اوفلي (القنصل)	1043 انستاس حانانيا
1401 باسل الكبيسي	392، 389 بادلو (الرائد)	1929، 1924، 1918 اوكليفي فوريس	544 انستاس الكرملي
1470 باستين تييري	2251 بادجر (السيدة)	266 اولسن	2249 انطوان رسام
1486 پاقل اكوپوٲ	2250، 1686 بادجر (پرسي)	1171 اوليفر تويست	997، 987، 985، 913، 833 انطوني ايدن
2237 باقر واحد العين	1087، 843، 754 (ملا مصطفى)	435 اوليقييه	2186، 2159، 2067، 1938، 1661، 1447
598، 579 بالدر فون شيراخ	1190، 1189، 1188، 1126، 1123، 1111	1395 اوليغ كوفتونوفتش	852 انطون جيكونف
2288، 2287، 1808، 1808 بانثيل (جون)	1321، 1195، 1194، 1193، 1192، 1191	1417، 1183 اياذ سعيد ثابت	807، 799، 793، 581، 575 انطون سعادة
433، 415، 414، 414 (أ) پاوليس	1406، 1374، 1373، 1372، 1349، 1339		

- ب ، پ -

البغدادي 125
 بنيامين مروگل 2291، 2292
 بكر صدقي العسكري 10، 11، 12، 14، 537،
 بهاء الدين نوري 1215، 1285
 بهاء الدولة البويهني 601
 بهجت التلهوني 1036
 بهجت زينل 703
 بهجت طبره 1036
 بهجت العظيمة 1213
 بهزاد الملي 1018
 بهلوي (رضا) 607
 بهي الدين نوفل 1492، 1493، 1494
 بهاء شبيب 2397
 بياتريس ديب 514
 بوبو راينكن 276
 بوبوف 176
 بوتش 303، 341
 بوجو (الجنرال) 1444
 بورتاليه 414، 415، 433
 بورنيت (سي، إس) 1826
 بوريس باتزانوف 1486
 بوڤيل (العقيد) 1875
 بوفور (الجنرال) 1466
 بوفقير (محمد) 1625
 پول بونكور 2004، 2011
 پول بوليڤيه 256
 پول جونسون 989
 پولس بهنام (المطران) 1170
 پولس (القيصر) 214
 پولكن (ك) 629، 637
 بوليت (ر. و) 71
 بومان 2151
 بيتان (المريشال) 2103

برناردشو (جورج) 353، 647
 برنار لويس 53، 60
 برگوين 1908
 برهان شهيدى 1168
 برنهارت شتمگل 578
 بروس (ر. أ) 481
 بروس كرمبلي 1462
 بريام 1750
 بريتون كويريوش 293، 296، 2308
 بريخا ديب سامانو 2290
 بريمون (ادورد) 2307، 2810
 البري (اللواء) 1133
 يسمارك (اوتو) 181، 531، 576، 579
 بسام علي 1242
 بشار ابن برد 130، 131، 287، 2196
 بشاره نقلا 88
 بشاره الخوري (الشيخ) 791، 793، 794
 بشر ابن عبدالملك 67، 139
 البشر ابن سلامة التونسي 1339
 بشير الشهابي (الامير) 327، 789، 1024
 بشير صفر 1325
 بشير الطالب 1403، 1539
 بشير العظمة 1222، 1232، 1245، 1246
 بطرس البازي 484، 1693، 1694، 1701
 بطرس البازي 1248، 1249، 1250
 بطرس البازي 1702، 1703، 1721، 1751، 1752، 1768
 2263
 بطرس البستاني 87، 154
 بطرس الحويك (البطريوك) 461
 بغا الحاجب 1119

1918، 1970، 1973، 1976، 1980، 1998، 1999، 2285، 2289، 2291، 2358، تبادور 1834	توفيق السعدون 2072 توفيق السويدي 201، 208، 298، 362، 393، 658، 837، 847، 859، 863، 866، 1086، 2010، 2040، 2062، 2077، 2086، 2088، 2094، 2102، 2150، 2181، 2243، 2339	بيكر (كاپتن) 2282 بيكو (جورج) 211، 240، 241، 257، 258، 266، 279، 297، 695، 939، 1735 بيگماليون 599 بيلاكون 415 پيوس التاسع 175 پيبر الجميل 794، 1018، 1023 پيبر روسي 608 پيبر لاڦال 2103، 2104 پيبر لاگيار 452، 1460	بيتمان (چارلس) 2156، 2188 بيتهوفن (ولفگانگ) 173 پيتر (الدكتور) 233 پيتر كلنر 1066 بيتو (مالك) 2292، 2302 بيردوود (اللورد) 913 پيرهش 2296 البيروني 144 بيرون 530، 745 البيضانى 1575 بيك 335، 1146
---	--	---	--

-ت-

تاونزند (چارلس الجنرال) 241، 242، 243، 244، 2309 تحسين (شيخ سعيد) 1175 تحسين العسكري 387، 426 تحسين علي 2111 تحسين قدرى 1778 تحية كاريوكا 918 ترناو (ف. و) 899 تروتسكي (ليف) 179، 267، 746 تريفيليان (سر همفري) 957، 989، 990، 1132، 1194، 1214، 1287، 1289، 1589، 1590، 1592، 2209 تشميرلين (نغيل) 2011 تشيانو (الكونت) 690 تغلات بيلاصر الثالث 60، 887 تغلات بيلاصر الرابع 2251 التفتازاني 105	تقي الدين النبهاني 1096 التهامي (حسن) 1496 توما مخمورا 2302 توماس ارنولد (السر) 113 توماس برادلي 1585 توماس بريدي 1437 توماس بيكيت 1930، 1931 توماس (توم) بين 171، 208 توماس جفرسن 171 توماس كارليل 174 توماس لايبيل 1903 توماس لويل 2314، 2315، 2316 توجو (الجنرال) 1954 توفيق الحكيم 1365 توفيق الخالدي 1041 توفيق (الخدوي) 341 توفيق سالم 1014
--	---

-ث-

ثروت عكاشه 918، 938 الثعالبي (ابو منصور) 129 الثلايا (احمد) 1264، 1265 ثيودور فريزر (الجنرال) 399 ثيودور هرتزل 264	ثابت ابن مرة الصابئي 145 ثابت حبيب العاني 745 ثابت عبدالنور 381، 384، 386 ثابت يونس (النقيب) 1111، 1112 ثاكلتون (اللورد) 1590، 1593 ثاكري (وليم) 175
--	---

-ج، چ-

جابر علي كاظم 1308 جابر عمر 749، 994، 1094، 1099 چاپمان 408 الجاحظ 93، 142، 532 الجسارديجي (كامل) 560، 563، 641، 637، 839، 993، 1106، 1140 جاردين (النقيب) 408، 416، 431 چارلس ديكنز 1171 چارلس هارونگ 296 چارلس (و. سيل) 1600

جمال ايوب صبري 2092
جمال جميل 1261، 1262، 1271،
جمال حماد 976
جمال الحيدري 1285
جمال الدين الافغاني 315، 349، 350
جمال سالم 918، 936، 953، 1055
**جمال عبدالناصر [ورد اسمه في معظم صفحات
الكتاب فلا فائدة ثمة في تدوين ارقامها]**
جمال فيصل (الفريق) 1071
جمال منصور 918
جميل توما 2156
چمبرلين 238، 692
جميلة بوخيرد 1049، 1463
جميل الجابي 2092
جميل روجي 2120
جميل فتاح 2119
جميل فياض 1354
جميل عبدالله 2203
جميل محمد خليل المدفعي 389، 392، 431،
858، 2214، 2215، 2216
جميل مردم 768، 795
جميل المدفعي 386، 388، 389، 390، 391،
392، 393، 394، 395، 400، 750، 752،
1083، 1086، 1260، 2050، 2061، 2063،
2064، 2065، 2068، 2069، 2070، 2077،
2157، 2163، 2188، 2193، 2214، 2216
جندببو العرابي 60
جواد پاشا 42، 415، 431، 441
جواد (الضابط) 2092
جواد الجواهري 411
جواد حسين 2119، 2203، 2204
جواد علي (الدكتور) 67
جواهر لال نهرو 976، 989، 1661، 2191
جوان (المريشال) 1460
جورج ارمسترونغ كستر 991
جورج البيوت 163، 154
جورج انطونيوس 26، 88، 222، 251، 429
جورج برنادشو 514
جورج براون 1475، 1481
جورج بيدو 1458، 1459، 1464
جورج پومپيدو 1610
جورج تلو 1285
جورج تومسن 1482، 1590
جورج الثالث 912
جورج حيش 623، 821، 1397، 1554، 1555،
1556
جورج حداد 856، 878، 1166، 1284
جورج الخامس 1937
جورج راندل 195، 1930، 1939، 1988،
2111، 2184، 2202
جورج ريموند 219، 220
جورج صيدح 1476
جورج نقاش 1018
جورج واشنطن 171
جوخا نيثاكيثي 324
جوزيف ابو خاطر 1154
جوزيف گرانگ 1571
جوزيف هولم 525
جوكسة 1468
جول كارمايكل 190
جون آفتر (السر) 539

چارلس ستون (الجنرال) 899، 908
چارلس لتلديل 41
چاسم علوان 1241، 1242، 1243، 1246،
1346، 1360، 1381، 1388
چاسم كاظم العزاوي 567، 1082، 1197،
1198، 1308، 1309، 1322
چاك سوستيل 1447، 1449، 1450، 1454،
1456، 1460، 1462، 1457
چاك شابان ديلما 1449
چاك شيراك 2134
چامر ورثر 671
چان چاك روسو 163، 170، 171، 208
چان جوريس 514
چان دي هوتيلوك 1329
چان ريمون تورنو 1460
چانسن (ه. ل) 1351
چاوچسكو 1560
چاويد پاشا 195، 2050، 2148
چالابفي (حمود) 1272، 1262، 1576، 1577،
1578
چاي والز 1368
چبرائيل ابن بختيشوع 145
چبرائيل جورج عابدين 2067
چبر ابراهيم جبرا 2110
چبران شاميّه 1536
چبران مجدلاني 1378
چدعون رافائيل 1507
چرجي زيدان 88، 155، 156، 474
چرجيس فتح الله 838
چجزائري (السيد) 2367
چيسي مالك يونان 1732
جعفر ابن يحيى البرمكي 1118، 1075
جعفر ابو التمن 402، 664، 2065، 2067،
2126، 2152، 2155، 2156، 2161، 2186،
2223، 2231، 2236، 2267
جعفر الجواهري 840
جعفر حمدي 2366
جعفر الخليلي 384، 514
جعفر العسكري 233، 251، 252، 258،
274، 280، 537، 540، 543، 544، 572،
617، 758، 1955، 1960، 1992، 1993،
2010، 2055، 2068، 2070، 2114، 2117،
2118، 2119، 2120، 2131، 2160، 2163،
2193، 2200، 2201، 2202، 2203، 2228،
2229، 2233، 2234
جعفر فرج 2176
جعفر النميري 1558، 1570، 1571، 1572،
1573، 1609
چكو (مالك) 1779، 1781
چلال بابان 424، 854، 1807
چلال تجاري 89
چلادت بدرخان 483
چلال جعفر الاوقاتي 1197، 1236، 2399،
1372
چلال زريق 519
چلال السيد 779، 780، 809، 996، 1422،
1633، 1634، 1636
چلال الطالباي 1371، 1372
چلال وئّه 546
چلال هويدي 1520
چليله بنت علي 2185
چمال الاتاسي 780

حسني الزعيم 679، 799، 808، 816، 827،
828، 829، 830، 831، 832، 847، 872،
874، 875، 985، 1627، 1729، 1639
الحسني (عبدالرزاق) 511، 521، 522، 541،
586، 587، 591، 592، 595، 596، 603،
604، 646، 675، 680، 690، 692، 716،
717، 719، 729، 731، 747، 748، 749،
851، 857، 859، 994، 2057، 2062، 2115،
2122، 2124، 2135، 2159، 2164، 2176،
2200، 2366
حسني البرازي 830، 878، 1018
حسيب الربيعي 1290، 1292
الحسين ابن علي الإمام الثاني 518، 681
الحسين ابن علي (شريف مكة) 157، 198،
211، 212، 223، 224، 226، 230، 233،
241، 248، 252، 253، 272، 315، 316،
335، 337، 338، 339، 356، 357، 359،
393، 427، 459، 643، 645، 649، 892،
901، 943، 1073، 1090، 1722، 1858،
2051، 2150، 2179، 2185، 2289، 2306،
2307، 2315
حسين آيت احمد 1651
الحسين بن طلال 834، 855، 955، 1027،
1029، 1034، 1035، 1036، 1039، 1040،
1043، 1045، 1047، 1048، 1049، 1050،
1051، 1052، 1072، 1073، 1074، 1228،
1237، 1272، 1356، 1368، 1416، 1477،
1491، 1499، 1500، 1501، 1503، 1504،
1509، 1515، 1527، 1528، 1552، 1582،
1629، 1638، 1661، 1903، 1906، 1909،
1915، 1932، 1946، 1961، 1964، 2185

حزيمة (الشريفة) 2179
حسن ابراهيم 903، 907، 917، 1275
الحسن ابن الصباح 535
الحسن ابن علي (الامام) 225، 395
الحسن ابن يحيى 1259، 1261، 1273
حسن الباقوري (الشيخ) 906، 1365
حسن البشير 1062، 1063، 1064، 1065،
1562
حسن البنا (الشيخ) 79، 895، 902، 904،
905، 1539
حسن التهامي 936، 1012
الحسن الثاني (الملك) 147، 206، 1625
حسن الحكيم 878
حسن رفيق بك 200
حسن زكريا 744
حسن سريع 1305، 1306، 1319، 1344،
2394
حسن شرف (الدكتور) 258
حسن عبود (العميد) 1132، 1175، 2402،
2403
حسن عزت 902، 906
حسن العمري 1262، 1925، 1926
حسن عويبة 2401
حسن الطالباني 2156
حسن فهمي المدفعي 2130
حسن مراد 1232
حسن محمود (اللواء) 934
حسن مصطفى النقيب 1082
حسن المقدمي 1268
حسن هبنة 1437، 1480
حسن الهضيبي (الشيخ) 906

جون ملتون 163، 169
جون نيكسون (الجنرال) 242
جوهو (ادمون، الجنرال) 1451، 1462، 1466،
1467
جويس (العقيد) 258، 271، 278، 2316
جهاد الضاحي 1396
ج. هيورث دون 1266
جيرالد دگوري 539، 544، 1028، 1183،
2113، 2114
جيسني (العقيد) 1686، 2249، 2250، 2251
جيهان الطاهري 1487

جون جوزيف 462
جون دارون 307، 345
جونسون (ميجر) 1846
جون باجيت (كلوب باشا) 335، 1027،
1030، 1033
جون سيمون (السر) 1844، 1850، 1918،
1924، 1929، 1937، 1988، 2003، 2009،
2011، 2241
جون فوستر دللس 985، 1020
جون كندي 1574
جون لوك 170

-ح-

حامد الجبوري 1397
حامد الخوجة 1232
حبيب ابن مسلمة الفهري 126
حبيب ابو شهلا 794
الحبيب بورقيصة 975، 1321، 1322، 1326،
1327، 1328، 1329، 1330، 1331، 1333،
1334، 1525، 1580، 1537، 1336، 1335
حبيب الخيزران (الشيخ) 2066
الحبيب الشطي 1322، 1323، 1334
حبيب العبيدي 49، 426، 2382
حبيب كحالة 804
الحجاج ابن يوسف الثقفي 125، 1389
حرب ابن امية 68
حردان عبدالغفار 1174، 1300، 1379، 1380،
1892، 1540، 1541، 1542، 1543، 1344،
1546، 1549، 2401
حزائيل (الملك) 61

حابس المجالي 855، 1050
حاتم الطائي 174
الحاج رمضان علي 8، 44، 549، 1806،
1816، 1835، 2125
الحاج بكتاش ولي 722
الحاج ملا جميل 2404
حاجم ابن مهيد 2111
حاجي محمود نجفي 390
حازم جواد 1299، 1300، 1301، 1305،
1320، 1370، 1371، 1376، 1377، 2395،
2396، 2398
حافظ ابراهيم 287، 515، 516
حافظ الأسد 1411، 1413، 1432، 1433،
1434، 1438، 1527، 1530، 1531، 1532،
1533، 1534، 1554
حافظ جمالي 1637
حافظ عامر 2201

خالد بك 38
خالد ابن الوليد 75، 139، 774
خالد ابن عبدالعزيز آل سعود 1277
خالد بكداش 1001، 1005، 1437، 1421
خالد جرجيس سارة 1146
خالد الجندي 1437
خالد حسن فريد 1174
خالد سليمان 174، 2147
خالد طبره 2399
خالد العظم 784، 804، 805، 806، 827، 828، 878
خليل امين المفتي 859
خليل باشا 373، 378
خليل حسين عثمان 568
خليل الخوري 89، 155
خليل زكي (اللواء) 2113
خليل سعيد 1088، 1102
خليل عبدالعزيز (الدكتور) 1163، 1164
خليل عزمي 1969، 2375
خليل كنه 838، 1083، 1149
خليل مخلص 2125
خمو (مالك) 1769، 1844، 2034
خميس الضاري 303
الخميني (آية الله) 114، 508، 1174
الخنساء 515
خوشابا (مالك) 484، 1725، 1768، 1769
1862، 1843، 1809، 1808، 1781، 1779
2295، 1873
خوليان ريبرا 70
خزعل (الشيخ) 224

حسين ابن منصور الحلاج 1119
حسين جميل 519، 522، 560، 837، 2122، 2155
حسين الحاج صالح 1096
حسين حياوي 1377
حسين خضر الدوري 1311
حسين الشافعي 1322، 1520، 1584
حسين ذو الفقار صبري 903
حسين فوزي الخيال 2125
حسين فوزي (اللواء) 599، 2070، 2132
حسين القيسي 1261، 1262
حسين كامل (السلطان) 922، 315
حسين محمود لبيب 1335
حسين النعلبند 581
حسين النقيب 837
حسين هذه 884
الحسيني (امين، مفتي فلسطين) 521، 623
633، 635، 643، 645، 649، 656، 657
658، 659، 660، 669، 675، 685، 686
687، 688، 689، 693، 696، 699، 704
731، 733، 735، 855، 911، 945، 2067
2076، 2190
حكمت سليمان 244، 560، 565، 596، 642
738، 862، 1086، 1771، 1773، 1775
1807، 1810، 1811، 1816، 1830، 1831
1835، 1836، 1937، 1884، 1925، 2047
2055، 2061، 2062، 2063، 2068، 2069
2075، 2080، 2095، 2116، 2117، 2120
2132، (2171-2141)، 2186، 2193، 2202
2204، 2238، 2240، 2241
حكمت صاموئيل الياس 2404
حلمي عبدالكريم 2164، 2203
حماد شهاب 1541
حماد عبيد 1241
حمد الياسل 350
حمد السعدون 634
حمد عبيد 143، 1497، 1925
حمران 139
حمزة سلمان 1285
حمدون سعيد 545
حمدي ابن حفوف 366
حمدي الپاچچي 725
حمدي الخياط 2092
حمدي عبدالمجيد 1300، 1376، 1977
حمود الشوقي 1378
حمو شبرو 393
حموشي الرومي (الشيخ) 721، 722
حميد خلخال 1300، 1320، 2398
حميد الدبوني (الطيار) 2217
حميد الدين السنوسي 1605
حميد فرنجية 1013، 1015، 1017
حميد قادر 1402
حميد نصرت 730
حنا بطاطو 516، 521، 587، 604، 633
639، 661، 662، 746، 1166، 2111
حنا غصن 795
حنين ابن اسحق 145
حيدر الكزبري 1358، 1389، 1415، 1226
1228، 1239
حبيم وايزمان 1501

1463، 1465، 1466، 1467، 1468، 1469،	دوشيه 1464	خير الله عسكر 1145	
1625	دوكر (الجنرال) 496	خيرالدين بابروسه 1324	
ديشيد جون 340	دوگلاس (الفس) 1875	خيرالدين حسيب 1400	
ديكارت 777	دوگلاس سليدن 760، 761	خيرالدين العمري 594، 595، 1925، 1931	
دي كامبي 329	دون كيخوتي 1044، 1048	الخيري 1583	
ديكسون (ج. ك) 637	دي بنسن 228		
ديكنز (چارلس) 175	دي پوليبو 1370		
ديكنسون (الدكتور) 1826	ديدرو 171		
دي مارتيل 757، 767، 768	دي سان 1018		
ديمتريوس كاكلامانوس 450	ديستوريدس 145		
ديوجينيس 624	ديغول (شارل) 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000	داؤد ساسون صالح 892	دارون 353
ديلاديه 692	داؤد السعدي 838	داريوش الاخميني 61	
ديلوك كينيث 1440	داؤد زيا ابراهيم 17، 18، 20، 22، 2290	داسكو درودر 1412	
ديونيسيوس 1091	داؤد الصائغ 659، 644	دالگيش (العقيد) 1049	
	داؤد الكهية 2145	داموكليس 127، 2222	
	داؤد مار شمعون 1733، 1756، 1762،	دانا آدم شمعدت 1277، 1290، 1340، 1373،	
	2264، 2263، 1834	1586، 1546، 1533، 1406، 1399، 1394	
	داؤد ياقو 2275، 2276، 2277، 2300، 2301	1587	
	داوني 2316	دانتنز (الاميرال) 782، 783، 784، 786	
	دراور 2151	دانتون 1947	
	درويش المقدادي 519، 714، 747، 2123	دانيال اسماعيل 2281	
	درغوتيسه (كولمان، المرشال) 243، 576، 2074،	دانيال كريسييلوس 1365	
	2148	دانيال بليس 759	
	دريفوس 264	داؤد (الملك) 887	
	دزرائيلي 175	داؤد اسماعيل 2281	
	دزموند ستيورات 2309	داؤد اويس (العقيد) 1665	
	دلبيك (الجنرال) 1452، 1453، 1454، 1456	داؤد الانطاكي 149	
	دنسترفيل (اللواء) 1693	داؤد پاشا المملوك 892، 2145، 2150	
	دنيس القذافي 1602، 1604	داؤد السجسبي 36، 275، 381، 382، 666،	
	دويتشك (الكساندر) 185	1940، 2178، 2233	
	دوبرينين 1508	داؤد جنود 2029	
	دستويفسكي (فيدور) 175	داؤد الجنابي 1311	
	دوسو (ج. أ) 62	داؤد الحيدري 649	

-د-

	-ذ-	
ذو النون الحاج ايوب 744، 852	ذوقان قرقوط 779	

-ر-

راضي عناب (اللواء) 1030	رائف المصري 1388
راغب النشاشيبي 521	راپار 1744، 1748
رافائيل ساباتيبي 1001	رايح عمامرة 1472
رافع ابن هرثمة 1119	رايبي شموئيل ارمنتا 2027، 2028
الرافعي (مصطفى صادق) 475	رايبنوفتش 1026
راكوزي 185	راتب الحسيني 1137
رالف پانش 1257، 1579	راجحة (بنت) فيصل 2185
رامزي مكدونالد 1938، 1951	الرازي (محمد ابن زكريا) 96
راندولف تشرتشل 1495	راشد البراوي 931، 932
ران نون 1492	راضي عبدالله (العقيد) 1947

رونالد گراهام (السرّ) 267، 269، 270	1134	1019، 1022، 1023	راولنسن (هنري كرزويك) 140
روهم (كاپتن) 578	روبرت ميورد 1572	رشيد لولان 1126	الراوندي 96
رياض الصلح 794، 795، 796، 856	روبسبير (ماكسميليان) 1947	رشيد محسن 1197، 1380، 1403	راوندل پالم (ايرل سليورن) 2250
رياض رشيد ناجي 556	روبير دي كاي 325، 326	رشيد مصلى التكريتي 1372، 1376، 1379،	رايخ كلاوشفيتز 578
ريبتروب 695، 739	روتشيلد (اللورد) 270، 511	1380، 1392، 1399، 1545، 2399	رايدر بولارد 696
ريبو 256	روجر ادلسن 230	رشيد مطلك 2090	راينهارد هنريخ 631
ريجنالد ونكيت 216، 251، 254، 269، 279،	روزا لوكسمبورغ 178، 514	رشيد المعلوف 1390	رَبْدَه 67
2316، 2307، 1722، 347، 345، 341	روز (ه.ج) 2249	الرصافي (معروف) 288، 289، 775	رجب عبدالمجيد 1080، 1083، 1197
ريچارد جونز 1310	رودولف ران 785	رضا بهلوي 750، 2086، 2123	رجاء حسين خطاب 2109، 2111، 2176
ريچارد سانگر 1037، 1038	رودولو 414، 415، 431	رفاعة الظهطاوي 506	الرحال (حسين) 516، 520، 522
ريشارد برتن 2249	روفائيل بطي 366، 712، 2085، 2122	رفعت الحاج سريّ 731، 1082، 1083، 1106،	ردن ماير 2277
ريشارد فاگنر 163، 176	روكفلر 511	1167، 1174، 1175، 1347، 1545	رزوق غنّام 468، 492
ريشارد كولمر 586	رولو 780، 802	رفعت كامل الجادرچي 2105	رستم حيدر 527، 583، 622، 664، 1778،
ريشارد هولدن 340	رومل (المارشال) 733، 787، 908، 1146،	رفيعة بنت الملك فيصل 2185	1804، 1831، 2010، 2050، 2055، 2073،
الريماوي (عبدالله) 996، 1035، 1044،	2087، 2082، 1833	رفيق التميمي 521	2076، 2117، 2157، 2159، 2223، 2141،
1197، 1183	رون (فون) 531	رفيق حلمي 607	2249، 2349
ريون اده 1017، 1018، 1022، 1023	رونالد ريگان 383	رفيق رزق سلوم 89	رسّام (انطوان) 1745، 1748، 1756، 1809،
رينان (ارنست) 101	رونالد ساندرز 266	رفيق عارف (الفریق) 573، 1193، 2125،	1906، 1910، 2255، 2257، 2259
		رفيق العظم 250	رشاد جبيري 1232، 1250
		رفيق المعلوف 1233	رشاد الياور 2125
		الرفياعي (محسن) 1236	رشدي الكخيا 878
		رمزي بگ 409، 413	رشدي الشمعة 89
		روان روبنسن (الجنرال) 1907، 1908، 1938،	رشيد برمدا 1244
		2112، 1939	رشيد الجنابي 1344
		روبرت برنتون بتس 461	رشيد الخوري 154
		روبرت (و. تگزوتولنس) 1067	رشيد سليم الخوري 155، 776، 779
		روبرت ساندمان 481	رشيد الشرتوني 155
		روبرت سيسل (اللورد) 267، 269	رشيد عارف 845
		روبرت فانسيبارت 341	
		روبرت گروفز 2313	رشيد عالي الكيلاني يرد اسمه في صفحات عدة
		روبرت مسورفي 1022، 1045، 1072، 1133،	من الكتاب. [راجع سيرته في 1047-2105]
			رشيد كرامي 1013، 1015، 1016، 1017،

-ز-

زيد ابن الحسين 387، 389	زبيبي 60
زيد ابن علي ابن الحسين الامام 1256	الزبيدي (محمد حسين) 1071، 1073، 1080،
زعين (يوسف) 1639	1102، 1104، 1109، 1166، 1167، 1183،
زكريا محي الدين 775، 1364، 1510، 1511،	2098
1520، 1513	زيّا اسماعيل 2281
زكريا نيل 1322	زيا شمرون 1769، 1779
زكي الارسوزي 757، 777، 779، 780، 802،	زيا ياقو 2300، 2301
803، 992، 1435	زياد الحـريري 832، 1252، 1253، 1349،
زكي حسين حلمي 1545	1353، 1354، 1355، 1356، 1360،
زكي خيري 661، 662، 745، 1285	1366، 1382، 1384، 1385، 1387، 1388،
زكي صالح 487	1414، 1542

1910، 1885، 1875، 1843، 1763، 1756
 2296، 2273، 2270، 2264، 1916، 1911
 سعاد رؤوف شير محمد 596
 سعدالدين الشاذلي 1484، 1493، 1502
 سعدالدين متولي 1484
 سعدالدين (الدكتور) 714
 سعدالدين ابو شوريب 1603، 1607
 سعدالله الجابري 768، 795
 سعد الله توحله 2199
 سعد جمعة 1501
 سعد زغلول 186، 315، 341، 342، 345
 346، 347، 348، 349، 449، 750، 905
 945، 944، 911، 910، 1654، 898، 897
 2191
 سعد صالح 837
 سعد فاضل عقل 89
 سعديّة ابن يوسف 890
 سعدون شاكر 2399
 سعدون غيدان 1539، 1540، 1541، 1542
 سعدون المدفعي 1308
 سعود آل عبدالعزيز 986، 1010، 1040
 1043، 1272، 1266، 1237، 1228، 1332
 1356، 1579، 1582، 2096
 سعيد الامام 634
 سعيد بك (الامير) 721
 سعيد پيران (الشيخ) 293، 295، 296، 297
 395، 443، 470، 695، 1943
 سعيد الجزائري 278
 سعيد الجلبلي 1402
 سعيد سعادي 1651
 سعيد شابو 720

زيلييه (اندريه) 1454، 1466، 1467
 زين الملكة (الملكة) 1033، 1039
 زينو (الرواقي) 168
 الزمخشري (ابو القاسم) 129
 الزهاوي (جميل صدقي) 289، 299، 361
 515، 516، 775
 زهير الشلق 1642
 -س-
 سامي الجندي 779، 780، 799، 800، 801
 823، 829، 1355، 1382، 1383، 1435
 سامي الحناوي 808، 830، 932، 847، 873
 874، 875، 876
 سامي شوكت 531، 534، 535، 572، 575
 579، 580، 581، 584، 585، 591، 596
 598، 604، 605، 606، 609، 612، 648
 650، 712، 838، 880، 992، 1100، 1778
 2123
 سامي الصلح 1010، 1011، 1014، 1018
 1022
 سامي عبدالحافظ القيسي 2228
 سامي العظم 89، 280
 سامي مجيد 1110
 سان جوست 1947
 سايكس (سرمارك) 53، 211، 214، 218
 229، 230، 232، 239، 240، 241، 255
 256، 257، 265، 266، 270، 273، 274
 276، 279، 280، 283، 811، 818، 1722
 1735، 1832، 1873، 1883، 2307، 2316
 السبعواي (يونس) 2074، 2086، 2193
 سپيرس (ادوارد، الجنرال) 781، 788، 794
 ستافورد (رونالد سيميل) 5، 12، 15، 16، 17
 21، 492، 549، 557، 560، 561، 1680
 1683، 1696، 1713، 1830، 1833، 1834
 ساهه (القس) 1812
 ساهه ورده 2289
 ساد لايرجاسن 1723
 ساراي (الجنرال) 500
 ساره بنت الحسين (الشريف) 2185
 سارگن (ميجر) 1780، 1782، 1807، 1833
 1872، 2292
 سازانوف (سييرجي) 211، 240، 241، 246
 247، 259، 296، 695
 ساسون 892
 ساسون حسقبيل 307
 ساسون خضوري 721
 ساطع الحصري 25، 135، 159، 195، 470
 495، 526، 531، 533، 534، 535، 568
 572، 580، 583، 584، 585، 591، 596
 608، 612، 648، 650، 747، 774، 811
 943، 947، 948، 949، 992، 999، 1000
 1899، 2123، 2180
 سالازار 530
 سالان (الجنرال) 1451، 1452، 1453، 1454
 1456، 1462، 1464، 1465، 1467، 1468
 سالم سمحيري 725
 سام اندروز 2274، 2296، 2299
 سامح عطية 1435
 سام لازار 2276

سيدا صبري 931
سيد عبدالرحمن 1061
سيد قطب 1667، 906
سيرجي توكاريث 99
سيمور هول 2256
سيمون جرجي 1133
السيوطي 141، 60

سنحاريب 60، 888، 1680، 2251، 2293
سوكولوف (ناحوم) 266، 267، 271
سومرست برنتي 330، 331
سون (الميجر) 484
سون يات سون 186، 187
سهيل الخوري 1232
سيبويه 153

1433، 1434، 1435، 1436، 1438

سليم حسون 523، 712
سليم الخوري 154
سليم شظة 1600
سليم طه التكريتي 744
سليم الفخري 545، 1109، 1167، 1195،
2406، 1402
سليم نصار 168، 1359
سليم ياووز (السلطان) 327، 667، 2150
سلوين لويد 987، 1078
سليمان (الملك) 117، 887
سليمان البستاني 88، 154
سليمان حافظ 931، 932
سليمان باشا الكبير 2145
سليمان عسكري 244
سليمان غزاله 2233
سليمان طوقان 1042، 1073
سليمان فائق 2147
سليمان فرنجية 1013، 1015
سليمان فيضي 38، 39، 2118
سليمان القانوني (السلطان) 496
سليمان المغربي (محمد) 159، 1605، 1610،
1612، 1614
سليمان ميرزا 2237
سمث 2151
سمرقيل 2151
سمطس (الجنرال) 494، 2191
سمكو آغا شكاك 1692، 1693، 2263
السمؤال ابن عادياء 589، 775
سمير الرفاعي 855، 1043
سمير عزيز النجم 1184

سعيد الشرتوني 155

سعيد صليبي 1374، 1380، 1539، 1402،
1403
سعيد الغزي 974
سعيد قزاز 667، 2101
سعيد مطر 2399
سعيد النقشبندي (الشيخ) 424
سعيد يحيى 2069، 2071
سفيان ابن اميه 67، 68، 139
سقراط 1681، 2288
سكوت (ارنست) 356
سكوت فوكس 2201
سلدميز روير 257
سلطان الاطرش 500، 501، 882، 1138
سلطان عبدالعزيز 1620
سلام عادل 1285
سلامة موسى 199، 475، 508، 509
سلفستري (م. ف) 1621
سلمان التكريتي 2067
سلمان حزين 1099
سلمان الرفاعي 919
سلمان رشدي 95، 96
سلمان الشيخ داود 412
سلمان الصفواني 411، 1199
سلمان الضاري 303
سلمان الهاشمي 2224
سليم (مالك) 2302
سليم البستاني 164
سليم تقلا 88، 794
سليم جبرائيل الحرزي 89، 155
سليم حساطوم 1389، 1411، 1425، 1430،

-ش-

شابو (الطحان) 720
شاخت (الدكتور) 529
شاذل طاقة 1077
شاكر العاصي 779
شاكر محمود 424
شاكر محمود شكري 1310
شاكر الوادي 539، 2125
شاكسبير 853
شارل الاول 511
شارل حلو 1018
شارل مالك 791، 1011، 1012، 1013، 1015
شال (الجنرال، موريس) 987، 1459، 1460،
1461، 1462، 1466، 1467
شاميل 2149
الشاوي 289
شايлок 853
شيلي شميل (الدكتور) 156
شيلي العريان 1017
شيلي العيسمي 1369، 1370، 1434
الشبيبي (رضا) 289
شتوليناگل (الجنرال) 1146

شرف (الشريف) 681، 703، 726
الشريف الرضي 2227
شعراوي جمعه 1364، 1365
شفيق رشيدات 1035
شفيق عدس 847، 854
شفيق المؤيد 89
شكري الايوبي 279، 280
شكري الخوري 155
شكري صالح زكي 1400
شكري العسلي 89
شكسبير (وليم هنري) 224
شكيب ارسلان 211، 526
شلايخر (الجنرال) 578
الشلمغاني (ابو جعفر محمد) 1120
شلمناصر الثاني 2251، 2254
شلومونكديون 1504
شليمون 1888
شليمون اسماعيل 2281، 2290، 2291، 2292
شماشيا اسماعيل 2302
شمدة (ه.د) 586
شمس الدين عبدالله 1167

،1248 ،1245 ،1232 ،1221،1219،1217
،1360 ،1359 ،1357،1355،1250 ،1249
،1391 ،1386 ،1384،1383،1369 ،1366
،1427 ،1423،1420 ،1415 ،1414،1411
،1527 ،1437،1434 ،1431،1430 ،1428
1642 ،1551 ،1530
،623 ،599 ،598 ،572، الصباغ
،647 ،646 ،645 ،644 ،643 ،642 ،624
،673 ،669 ،665 ،658 ،652 ،650 ،649
،703 ،702 ،700 ،699 ،698 ،686 ،674
،945 ،944 ،911 ،880 ،745 ،712 ،704
،2072 ،2071 ،2070 ،2069،1342 ،992
،2132 ،2112،2096،2089،2086 ،2076
2193 ،2190 ،2135
صلاح الدين عبدالقادر 1516
،1413 ،1411 ،1378 ،832، صلاح جديد
،1430 ،1429 ،1425،1424،1423،1416
،1532،1531،1528،1479 ،1435 ،1433
1534 ،1533
صلاح دسوقي 1012
صلاح دلي 1359
،936 ،935 ،934 ،924 ،918، صلاح سالم
1655 ،1056 ،953 ،952 ،937
صلاح سعدالله 1516
صلاح الطبقچلي 1377
صلاح طرزي 996
صلاح المنجد 1480 ،1222 ،218
صلاح نصر 1520 ،1512 ،1484
صمود 898
صموئيل هور (السرّ) 1904
صهيب الرومي 98

1408 ،1401 ،1399 ،1380 ،1315
صبيح عبدالله 2405
صبري حماده 1019 ،1017 ،1015
صبري رشيد (الدكتور) 2123
صبري العسلي 974 ،973 ،972 ،943 ،885
981 ،996 ،1221 ،1232
صبيحة الشيخ داود 515
صبيح علي غالب 1082
صبيح نجيب 2070 ،1807 ،664
صبيح نشأت 2055 ،2054 ،433 ،416
صخرى القس ايشاي 2289
صدّام حسين التكريتي 1402 ،1184 ،823
،2299 ،1550،1549 ،1543،1542،1538
2399 ،2398 ،2397
صدقيا (الملك) 888
صدقي محمد 1494 ،1492 ،1488 ،1484
1521 ،1512
صديق شنشل 839 ،838 ،749 ،681 ،585
،1102 ،1101 ،1094 ،1088 ،1070،994
1183 ،1321 ،1516 ،1538 ،1545
صديق المهدي سيد عبدالرحمن 1066 ،1061
1067
صفوت العوّا 2159 ،2054 ،1961 ،583
صفية ام المصريين 910
صلاح بسيوني 1508
صلاح الدين (الدكتور) 932
صلاح الدين بن ايوب (السلطان) 775 ،80 ،79
صلاح الدين البيطار 776 ،777 ،779 ،780
799 ،801 ،802 ،803 ،809 ،820 ،821
829 ،847 ،880 ،974 ،976 ،983 ،996
998 ،1003 ،1005 ،1034 ،1044 ،1183

شوشنك 530
شوكت شقير 979 ،972 ،885 ،881
شوكت علي 358
شوكت محمود پاشا 287
شيام باهيا 1648
شيت خسرو 509
شيرلى ماكلين 383
شيخ سليم 390
الشيخ علي عامر 1519
شيللر 173
شيلوتسر 136
شمسي 60
شمس (الدين) بدران 1485 ،1484 ،1475
،1496 ،1493 ،1492،1488،1487،1486
1509 ،1512 ،1526
شمعون الحديشي (البطريك) 790
شهاب ذياب جواد 2404
شن كاي شيك 187
شهربانو 113
الشهرستاني 1256 ،125
شو ان لاي 1362 ،989
شوينهاور 353 ،176 ،163
صالح بويسر 1604
صالح جبر 2076 ،1299 ،840 ،622 ،607
2245 ،2161 ،2126
صالح عشاوي 906
صالح عقيل 763
صالح محسن 1496
صالح النجار 1336
صالح مهدي عمّاش 1184 ،1174 ،1099
،1371 ،1320،1309،1300،1294 ،1197
،1392 ،1378،1376،1375،1374 ،1372
،1549 ،1546 ،1543،1541،1540،1406
2400 ،2399 ،2398 ،2396
صالح اليوسفي 2272 ،1374 ،1299 ،852
صباح السالم الصباح 1557
صباح نوري السعيد 2183 ،2009 ،1073
صبيح بك بركات 807
صبيح عبدالحميد 1198 ،1197 ،1082

-ص-

صائب سلام 1015 ،1013 ،1010 ،983
1233 ،1232 ،1215،1019،1017،1016
صائب شوكت (الدكتور) 2123 ،714 ،585
صابر بك 463
الصاحب ابن عباد 130
صادق البصام 617 ،854
صادق حميد علوش (الدكتور) 2400
صادق الشرع (الفريق) 1049
صادق كمونه 838
الصادق المقدم 1333
الصادق المهدي 1572 ،1569 ،1568 ،1067
صالح ابن يوسف 1328 ،1326 ،1321
،1336 ،1333،1332،1331،1330 ،1329
1339 ،1337
صالح آغا 1355
صالح البربر 420
صالح بك التركي 2185

-ظ-

الظاهر المقبول (اللواء) 1562 ظفريان (الدكتور) 246

-ع-

عابدية 1112
عادل عسيان 794
عادل عوني 2090
عادل نجم الدين 2171
عارف بك 459
عارف توفيق 43
عاصم الكيلاني 2067
عارف حكمت 424
عارف الشهابي (الامير) 89
عارف العارف 521
عارف عبدالرزاق 1174، 1348، 1364، 1280، 1408، 1407، 1404، 1402، 1401، 1381
عائفة بنت علي 681
عامر ابن حدره 67، 146
عايدة عبدالمحسن السعدون 1055
العباس ابن يحيى 1265، 1261، 1265
عباس حلمي (الخدوي) 526
عباس رضوان 1484، 1520
عباس السيد سلمان 837
عباس العزاوي 1075، 288
عباس محمود العقاد 70، 475، 511، 922
العبد 2098
عبد الاحد (المونسيور) 1809
عبدالله ابن الحسين 211، 218، 220، 222، 224، 227، 228، 255، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 338، 339، 356
عبدالله ابن احمد الوزير 1256، 1259، 1260، 1261، 1262
عبدالله ابن الزبير 125
عبدالله ابن اسحق الخرمي 1119
عبدالله ابن سبا 113
عبدالله ابن الماحوز 125
عبدالله ابن المقفع 130
عبدالله ابن يحيى 1259، 1264، 1265
عبدالله آغا (السيد) 2213
عبدالله احمد الدبوني 1096
عبدالله الاحمر 1268
عبدالله البستاني 88، 154
عبدالله توفيق 715
عبدالله جزيلان 1272
عبدالله حسومي 1383
عبدالله حسن 748
عبدالله حسيب 1398
عبدالله خليل 1055، 1058، 1059، 1061

-ض-

ضاري المحمود (الشيخ) 303
ضاهي فجر 664
ضياء شيت خطاب 930، 931
ضياء بونس 2118، 2200

-ط-

طارق ابن زياد 207، 775
طالب آغا 2146
طالب شبيب 1219، 1293، 1294، 1299
طالب مشتاق 698، 732، 2130
طالب النقيب 224، 308، 309
طاهر ابن الحسين 129
طاهر ابن عمار 1327
طاهر يحيى 1082، 1124، 1197، 1300
طاهر عبد الباقي سرور 1666
طاهر الهاشمي 599، 622، 634، 641، 659
طاهر 695، 2050، 2064، 2070، 2071، 2072
طاهر 2075، 2081، 2104، 2111، 2113، 2115
طاهر 2124، 2125، 2157، 2159، 2180، 2224
طاهر 2227، 2242، 2243
طاهر ياسين (العميد) 1545
طاهر ياسين رمضان 1547
طارق ابن زياد 207، 775
طالب آغا 2146
طالب شبيب 1219، 1293، 1294، 1299
طالب مشتاق 698، 732، 2130
طالب النقيب 224، 308، 309
طاهر ابن الحسين 129
طاهر ابن عمار 1327
طاهر يحيى 1082، 1124، 1197، 1300
طاهر عبد الباقي سرور 1666
طاهر الهاشمي 599، 622، 634، 641، 659
طاهر 695، 2050، 2064، 2070، 2071، 2072
طاهر 2075، 2081، 2104، 2111، 2113، 2115
طاهر 2124، 2125، 2157، 2159، 2180، 2224
طاهر 2227، 2242، 2243
طاهر ياسين (العميد) 1545
طاهر ياسين رمضان 1547
طاهر 2185، 1044، 1044، 1044
طلال ابو عسلي 1438

2101، 2100	عبدالحق شهادة 884	عبدالجبار الحاج بكر 1096	1067، 1066
عبدالرحيم كليس 1963	عبدالحق فاضل 644، 744، 1703، 1704	عبدالجبار فهمي 1213	عبدالله الدمولوجي 1012
عبدالرحيم النمر 1036، 1037	عبدالحق محجوب 1572	عبدالجواد حميد 1073	عبدالله ساسون 892
عبدالرزاق الحصان 2366	عبدالرحمن ابن الاشعث 125	عبدالحسين الشيرازي 411	عبدالله (سان جون) فيلبي 315، 335
عبدالرزاق شبيب 1373	عبدالرحمن الارياني 1262، 1584، 1585	عبدالحسين الطباطبائي 411	عبدالله آل سعود 1507
عبدالرزاق شندالة 1096	1587	عبدالحسين الفيلي 1310	عبدالله الشامي 1275
عبدالرزاق الشيخلي 2007	عبدالرحمن ابو طالب 1275	عبدالحكيم عامر 918، 934، 941، 1004،	عبدالله الشاوي 1145، 1151
عبدالرزاق الظاهر 838	عبدالرحمن البزاز 400، 585، 994، 1172،	1030، 1071، 1083، 1215، 1221، 1222،	عبدالله العمري 1112، 1260
عبدالرزاق النايف 1537، 1538، 1539،	1402، 1404، 1407، 1408، 1410، 1410،	1224، 1226، 1227، 1228، 1363، 1383،	عبدالله فائق 575، 592، 593، 594، 595،
1540، 1541، 1542، 1543	1534، 1535، 1546، 2123، 2129	1396، 1397، 1399، 1406، 1478، 1483،	854
عبدالرزاق الهاللي 566	عبدالرحمن البيضاني 1266، 1270، 1271،	1484، 1488، 1492، 1493، 1494، 1496،	عبدالله القصاب 729
عبدالستار الجواري 1541	1274، 1277	1499، 1501، 1508، 1509، 1512، 1516،	عبدالله المشنوق 519
عبدالستار سبع 2890	عبدالرحمن التكريتي 2132، 2133	1519، 1520، 1532، 1574، 1578، 1582،	عبدالله مسعود القريني 744
عبدالستار سعيد 549	عبدالرحمن الثعالبي 1326	1665	عبدالله نشأت 175
عبدالستار عبداللطيف 1082، 1300	عبدالرحمن داؤد 664	عبدالحميد الثاني (السلطان) 40، 196، 201،	عبدالله النقشبندي 1541
عبدالستار العبوسي 1113	عبدالرحمن الحاج سلطان 1168	221، 225، 265، 283، 423، 901، 1686،	عبدالله هلال 1484
عبدالسلام البارزاني (الشيخ) 2296	عبدالرحمن الرافعي 899	2047	عبدالله وشنان 1568
عبدالسلام جلود 1615	عبدالرحمن شرف 2135	عبدالحميد الخطيب 587	عبدالله اليافي 1010، 1015
عبدالسلام محمد عارف [يتكرر الاسم في معظم	عبدالرحمن الشهيندر 248، 250، 280، 501،	عبدالحميد الدبوني 387، 388، 389، 391،	عبدالله ابن علي 658، 681، 686، 719،
فصول الجزئين الاول والثاني ولاذكر له في الجزء	769، 2131	392، 1778، 1811، 1817، (2210-2217)	737، 738، 854، 874، 875، 1033، 1055، 1112،
الأخير. فلا نرى حاجة للقراء والمتتبعين بايراد	عبدالرحمن عزام 149	عبدالحميد الزهراوي 89	1114، 1116، 1117، 1118، 1153، 1629،
أكثر من مائة وخمسين رقماً تنوّه به هنا	عبدالرحمن الكواكبي 88، 200	عبدالحميد السراج 832، 976، 977، 978،	2067، 2073، 2076، 2077، 2081، 2095،
عبدالعزیز آل سعود 86، 196، 201، 223،	عبدالرحمن محمد عارف 16، 1082، 1379،	979، 981، 986، 997، 998، 999، 1001،	2164، 2165، 2183، 2185، 2201، 2203،
224، 227، 244، 252، 272، 273، 308،	1380، 1381، 1394، 1401، 1403، 1406،	1002، 1003، 1004، 1006، 1013، 1015،	عبدالله حافظ 2056
315، 319، 333، 337، 338، 339، 341،	1408، 1409، 1537، 1538، 1560، 1560،	1016، 1017، 1019، 1044، 1070، 1071،	عبدالله النصراوي 1345
371، 395، 504، 634، 635، 637، 1012،	1535	1110، 1113، 1141، 1147، 1148، 1151،	عبدالامير ابو تراب 838
2093، 2094، 2096، 2104	عبدالرحمن محمود 1648	1152، 1161، 1175، 1182، 1220، 1221،	عبدالامير الربيعي 1403
عبدالعزیز البدری (الشيخ) 1096	عبدالرحمن المهدي 1655	1222، 1225، 1226، 1228، 1582	عبدالباسط عبدالنبي 807
عبدالعزیز الثعالبي 1326	عبدالرحمن النقيب 308، 310، 395، 411،	عبدالحميد كرامي 807	عبدالباقي رمو 1190، 1193
عبدالعزیز چاويش (الشيخ) 343	عبدالرحيم اشنان 662، 1063	عبدالحميد سويدان 1357	عبدالجبار الجومرد 1088، 1095، 1101،
عبدالعزیز الدوري 88	عبدالرحيم الراوي 1132، 1133، 2099،	عبدالحميد غالب 1334، 1335، 1016، 1233،	1102، 1334

عبدالعزیز السنوي 837	عبدالکریم زیدان 1540	عبدالمجید حسیب القیسی 2104	عبدالکریم زیدان 1540
عبدالعزیز القصاب 42، 43، 369، 431، 2064	عبدالکریم شہدہ 666، 667	عبدالمجید فرید 1098، 1141، 1147، 1148، 1175، 1156	عبدالکریم الشیخلی 1310، 2397، 2399
عبدالعزیز العقیلی 1407، 1545، 1546	عبدالکریم السعدون 2055، 2198	عبدالمجید القصاب 585	عبدالکریم العلاف 366
عبدالعزیز یاملکی 599، 572، 1270، 2132، 2133	عبدالکریم فرحان 1082، 1174، 1197، 1578، 1545، 1544، 1408، 1380، 1298	عبدالمجید الهاشمی 749	عبدالکریم العلاف 366
عبدالغفور البدری 403	عبدالکریم قادر کرم 799	عبدالمجید الیعقوبی 2342	عبدالکریم فرحان 1082، 1174، 1197، 1578، 1545، 1544، 1408، 1380، 1298
عبدالغنی الجمسی 1797	عبدالکریم قاسم [یرد اسمہ فی معظم الفصول لاسیما فی الجزء الثانی، وقد رانا ان نستغنی عنه فی آخر لحظة بعد ان تکبد المشرف علی الطباعة جهد التسجيل والمهم هو اراحة القاریء من الرجوع الی الارقام وتعد بالمتات]	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالغنی رحمان 1228، 1242	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالغنی الراوی 1297، 1306، 1319، 1320، 2396، 2395، 2344، 1342	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالغنی العریسی 89، 156	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالغنی الملاح 1076، 1077	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالفتاح ابراهیم 557، 561، 562، 574، 2155، 641	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالقادر اسماعیل 519، 522، 562، 574، 2155، 641	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالقادر باش اعیان 837	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالقادر الجزائری 206، 278، 945	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالقادر خلیل 248	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالقادر شهاب 1419	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالقادر الکیلانی 2045	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالکریم الارزی 837، 2156	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالکریم الجندي 1533، 1534	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالکریم الخلیل 89	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالکریم الریفی 1621، 1623، 1646	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالکریم الزهرالدين 632، 1217، 1224	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالکریم الزهرالدين 632، 1217، 1224، 1035، 1243، 1244	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالکریم الزهرالدين 632، 1217، 1224، 1035، 1243، 1244، 1252، 1253، 1354، 1355، 1359، 1389	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799
عبدالکریم زید 1540	عبدالکریم مصطفی نصرت 1291، 1298، 1300	عبدالمحسن السعدون 411، 413، 470، 474، 2055، 2054، 2053، 2051، 660، 544	عبدالکریم قادر کرم 799

عمر ابن كلثوم 716	علي غياث الدين النقشبندي 1321	علي امين اغوان 545	عزت جديد 1433، 1434، 1531، 1532
عمر ابو ريشه 168	علي فهمي الشريف 1399	علي باش حنيه 1325	عزت الطرابلسي 1222
عمر احمد 89	علي فهمي كامل 344	علي البازرگان 2214	عزت العابد 221
عمر الشريف 1263	علي كريم سعيد 1304، 1291، 1294، 1319،	علي الچرچفچي 733	عزت عزيز (الرائد) 754
عمر علي (اللواء) 291، 1076	2401، 1370، 1366	علي جودت الايوبي 386، 387، 392، 393،	عزّ الدولة بختيار 1120
عمر كركوكلي 389	علي ماهر پاشا 901	، 622، 658، 665، 666، 854، 1086، 1778،	عزت الفارسي 2047
العمرى (حسن) 1576، 1577، 1581، 1582،	علي محسن 730	، 2056، 2058، 2062، 2066، 2077، 2111،	عزيز آل شيال العلم 663
1586	علي محمود الشيخ علي 403، 669، 675،	2157، 2213، 2347	عزيز شريف 522، 557، 560، 828، 2156،
عمر نظمي 854، 622	774، 726، 704، 702، 701، 700، 681	علي الحباري (اللواء) 1039، 1044	2205
عنتره ابن شداد 775	علي ممتاز الدفترى 854	علي حيدر سليمان 2156	عزيز علي المصري 2306، 2307
عندليب (القاضي) 95	علي الميرغني 1054، 1055	علي خالد الحجازي 629	عشاوي 1534
عودة ابو تايه 2308، 2309	علي ناصر الدين 608	علي خشبه (العقيد) 1059، 1564	عصام مريود 830، 831
عوديشو آشوتي 1808	علي الوردي (الدكتور) 367، 393، 485، 486	علي رضا پاشا 2146	عصمت اينونو 450
عوني بكر صدقي 516	عماد الدين عبدالسلام 89	علي رضا الركابي 268، 280	عضد الدولة البويهى 1120
عوني النشاشيبي 627	عمار علوش 2397، 2399	علي رضا العسكري 2120، 2116	عفيف البزري 978، 979، 1000، 1006،
العويني 1010	عمر ابن الخطاب 50، 53، 78، 79، 98، 103،	علي الشرقي 1476	1138، 1224، 1218، 1083، 1071، 1031
عيسى طه 2156	1189، 775، 459، 426، 232، 122	علي شفيق بك (أوزدمير) 409	عقبه ابن نافع 80، 1611، 1323، 1234،
عيسى الشاوي 1082	عمر ابن عبدالعزيز 78	علي صالح السعدي 1292، 1300، 1304،	1337
العيني 1274، 1578	عمر ابن عدي 67	، 1347، 1346، 1341، 1315، 1308، 1305	علاء الدين النائب 424
	عمر ابن العاص 80	، 1376، 1375، 1374، 1372، 1370، 1348	علي ابن ابي طالب (الامام) 112، 123، 124،

-غ-

غاندي (مهاتما) 185، 187، 685، 2191	غاريبالدي 131، 175	علي ابن عبدالله الوزير 1258، 1261، 1262	علي ابن الحسين (الملك) 251، 504، 526،
غانم عبدالجليل 1545	غازي الاول 6، 10، 556، 560، 599، 617،	علي صبري 918، 919، 1012، 1364، 1484،	1217، 1938، 2062، 2100، 2185
غربي الحاج احمد 1077، 1094	644، 650، 763، 1117، 1835، 1837،	1520	علي ابن مؤنس 1120
غريغوري بلاكسلاند 1059، 1565	1838، 1935، 1936، 1938، 2040، 2057،	علي عبدالرحمن 1059، 1567	علي ابو نوار 1027، 1029، 1030، 1035،
غسان جديد 883، 977، 1022، 1425	2070، 2071، 2089، 2122، 2157، 2159،	علي عبدالرزاق 69، 354	1036، 1038، 1039، 1040، 1044
غسان حداد 1386	2160، 2164، (2173-2196)، 2203، 2222،	علي عبدالغني 1272	علي احسان پاشا 372، 374، 376، 377،
غوبلز 588، 608، 623، 633، 681،	2239	علي العامر 664	880، 1693، 2050
2128، 2124، 985	غازي الداغستاني 2101، 2149	علي علي عامر 1519	علي الارمنازي 89
غوردون (الجنرال) 920، 1062	الغازي محمد 2149	علي غالب الاعرجي 2120، 2125، 2135	علي امين 928

- ف ، ف -

فرانك سيناترا 383
فرانكو (الجنرال) 2104، 1624، 530، 684،
فرانك جيركه 2082
فراي (النقيب) 2341
فرج الله الحلو 1017، 1022
فرحان الاتاسي 1429
فرحات عباس 1443، 1445، 1446، 1463
فرهاد عبدالقادر 17
فرديناند دي ليسپس 984
فرويد 1174
فروت نيومان 612
فرياستارك 745
فريتز گرويا 588، 589، 629، 634، 635، 383،
697، 783، 784، 911، 2074، 2075،
2082، 2089، 2124، 2125، 2126،
2127، 2128، 2133، 2161، 2190
فريد الحازن 88، 165
فريد زين الدين 585
فريدريك الأكبر 576، 590
فريدريك بارباروسه 694، 576
فريق عقراوي 852
فضل الله ابو منصور 830
فضيل متي هندو 725
فكتور امانويل 529، 607
فكتور سحاب 533
فكتور سوخدروف 1505
فكتور هوگو 1295، 1296
فكتوريا (الملكة) 912
فكري اباطة 1356
فلاملان 1415، 1452، 1453
فلهم الثاني 576، 2225

فلمبي (الجنرال) 695، 732، 733، 2074
فنزيلوس (الفيتريوسي) 450
فهد جواد 1377
فهد الشاعر (اللواء) 807، 1392
فهيمي سعيد (العقيد) 598، 599، 634، 658،
702، 745، 753، 1072، 1114، 2069،
2076، 2123، 2132، 2135
فهد عبدالعزيز آل سعود 1620
فؤاد الاول 341، 347، 526، 834، 901، 917
فؤاد الاحدب 1022
فؤاد حسن الوكيل 2156
فؤاد الركابي 1094، 1141، 1183، 1188،
1197، 1293، 1321، 1550
فؤاد سراج الدين 932
فؤاد السعد 627
فؤاد شاکر مصطفى 1372
فؤاد شهاب 983، 1014، 1022، 1024،
1025، 1237
فؤاد عارف 1299، 1374، 1124، 2179
فؤاد قدری 232
فوریکر 1712، 1713، 1714، 1716
فواز (العقيد) 1608
فوزي بگ البكري 250
فوزي سلو 832، 879، 881
فوزي القساوقچي 698، 732، 733، 896،
2128
فولتير 171، 573، 2042
فوزية (بنت فؤاد الأول) 834
فوقية (بنت فؤاد الأول) 834
فون پاپن 2079
فون كلوغه (مارشال) 1146

فائزة (بنت فؤاد الاول) 834
فائق السامرائي 585، 938، 994، 1090،
1322
فائقة (بنت فؤاد الأول) 634
فابيوس كونتركتور (الامبراطور) 514
فاتح داود جباري 1175
فاتكيوتس (پ.ج) 65
الفارابي 1163
فارمر 890
فارس الخوري 280، 282، 526، 768، 795، 827،
973، 1217، 1225
فارس ناصر الحسن 1094
فاروق (الملك) 73، 826، 831، 834، 873،
895، 896، 897، 910، 914، 915، 916،
917، 934، 943، 952، 984، 1054، 1056،
1522، 1629، 1637
فاروق صبري 1401
فاروق صلاح العمر 2195
فاروق عبدالله 1571
فاسيلي ريشتنكوف 1505
فاسيليف 1620
فاضل البراك (الدكتور) 553، 675، 746
فاضل حسين (الدكتور) 449
فاضل عباس حلمي 1307
فاضل عباس المهداوي 854، 1086، 1123،
1149، 1156، 1158، 1168، 1169، 1184،
1546، 2090، 2101، 2399
فاضل معله 838
الفاضل الورتلاني 1260، 1261

فاطمة (بنت الحسين) 112، 2185
فاثرو (س.ه) 1445، 1466
فايسلاف سيزويت 917
فاكر نيكل 2087
فالح زكي 1110
فرانشيسكو گابريلي 60، 692
فانسيتارت (ر) 1938
فتاح پاشا 2342
فتاح بك 416، 433
فتاح حسن 1312
فتح الله الاصفهاني 367
فتح الله سرسم 492
فتححي بگ 488، 1739، 1740
فتححي رضوان 895، 931
فخري البارودي 36
فخرالدين المعني 150
فرار الاسباني 508
فرانسو الاول 496
فرانسوا پونسبه 481
فرانسوا الحريري 2297
فرانسوا ميتران 1459
فرانسوا مورياك 1449
فرانسو نور 1016
فرانسيس همشريز (السر) 488، 489، 528،
574، 1745، 1748، 1749، 1754، 1759،
1760، 1763، 1796، 1829، 1830، 1835،
1836، 1837، 1873، 1895، 1911، 1912،
1913، 1929، 1933، 1934، 1938، 1939،
1943، 1944، 1946، 2231، 2236، 2270

- ك ، گ -

كانيف 267	كابرييل بوو 938
كايتلي (الجنرال) 487	كاتب ياسين 1444
كب (ر.أ.هـ) 131	كاترو (الجنرال جورج) 782، 785، 786، 793،
كتي 2031	794، 795
كتي بنيامين 2216	كاتو الاكبر 642
كتسمان 2149	كاتيا فورستر 240، 266
كتشنر (اللورد) 215، 219، 229، 234،	كارليل توماس 163
239، 240، 247، 249، 262، 273، 901،	كارل ليبنخت 514
1062، 2316	كارل فان هورن 1579
كراسو 195	گاري ترويلز 340
گرافتي سمث 2095	الكاشاني (ابو القاسم) 367، 2237
كرامز 414، 415، 433	كاظم الدجيلي 80
كراهام براون 1780	كافور 531
كراودون (النقيب) 2340	كافور الاخشيدي 1248
كرزن (اللورد) 214، 256، 269، 270، 279،	گالاتيا 599
294، 295، 355، 438، 481، 1737، 1943،	گالتييري (الجنرال) 1954
كرس فون كرسيفتايين (الجنرال) 257	كالثروب (الاميرال) 296
كروميت روزفلت 1012	كالفن 163، 169
كرويسكايا 179	كامل الجادرچي 1642، 2056، 2126، 2155،
كرومر (اللورد) 900	2156، 2161، 2232، 2236
كرونين 746	گامبون (جول) 267، 268، 240، 1734
گري (ادورد: اللورد) 238، 256، 1734،	كامل الخضير 837
كريبان (الجنرال) 1462	كامل شبيب 599، 659، 974، 675، 689،
كريس بيدل 1186	702، 745، 2069، 2132، 2135
گريسي (كابتن) 1758، 1875	كامل قزانجي 744، 1144، 1151، 1160،
كرينبورغ (ج.هـ) 1645	2156
كريم شنتاف 1300	كامل الكيلاني 2046، 2079
كريم قرني 1199، 1339	كاميلو ماكاروني 450
	كاناريس (الاميرال) 2087

فيتزليبن (مارشال) 1184	فيصل صادق الخوجة 1146
فيخته 163، 776، 777	فيصل عبدالعزيز آل سعود 998، 1368،
ميرلي 2180	1557، 1558، 1570، 1579، 1581، 1582،
فيصل الاتاسي 847، 883	1589، 1587، 1620، 1661، 1662
فيصل الأول [لعين الاسباب التي اوردناها	فيثيان (الجنرال) 782
للشخصيات التي يتكرر ذكرها كثيراً في فصول	فيثاني 256
الكتاب وليقيننا بان القاريء سيكفيننا مؤونة	فيليب آيرلانديلارد 486
الشك فيما نكتب فنحن نعتذر ايضاً عن ادراج	فيليب تقلا 1237
الارقام الكثيرة التي تعب المرتب في جمعها]	فيليب الجوزي 324
فيصل الثاني 834، 1073، 1114، 2187	فيليب حتي (الدكتور) 86
فيصل الدويش 1029	فيليب الخازن 88، 155
فيصل رشيد عالي الكيلاني 2101	فيليكس فرانكفورتر 316، 318
فيصل سري الحسيني 1228	فيوريخاخ 163، 176

-ق-

قاسم امين 514	قحطان أحمد عبوش 389، 2213، 2215
قاسم الجنابي 1291	قحطان الشعبي 1559، 1591، 1593، 1594
قاسم حسن 739، 2086	القذافي (معمّر) 1556، 1557
القاسم الرسي 1256	قسطنطين (الامبراطور) 960، 1684
قاسم القيسي (الشيخ) 1305، 1319، 2396	قسطنطين زريق 623، 624، 625، 626، 653،
قاسم محمد سعيد 2093	799، 821، 958، 992، 1397
قاسم منتصر 1587	قسطنطين عبدالله (الملازم) 730
قاشا اثنائيل 2024	قسطنطين كونسزكو 450
قاشا دنجا 2035	قسطنطين نولوكوف 1344
قاشا ارسانس 2031	قطري ابن الفجاءة 125
قاشا ساهه 2024، 2029، 2033	قطّيني (راشد) 1353، 1355، 1357، 1382
قاشا شموتيل 2024، 2031، 2035	القوتلي (شكري) 280، 768، 784، 793،
قاشا كينا 2034، 2037	799، 800، 803، 805، 826، 827، 830،
قاشا يوسف دقليتا 2034، 2037	954، 976، 986، 996، 997، 1004، 1005،
القاضي الزبيري 1258	1006، 1007، 1008، 1216، 1225
القاهر (الخليفة) 715، 1119، 1120	قنبر ابن مالك بنيامين 806

گيرتروڊ بل (مس بل) 191، 283، 295، 299، 302، 303، 307، 309، 370، 371، 387، 395، 400، 495، 496، 497، 538، 1722، 1908، 1946، 2118، 2228، 2232، 2246، 2249	گورنيولوف 143 گورنواليس (کيناهان) 224، 272، 417، 498، 696، 719، 1211، 2269 گورييل (گبريل البازي) 1786، 1813، 1814، 2030، 2031، 2033، 2036	1417، 1213 کمال الدين جلال 659، 2076 کمال الدين حسين 917، 1512، 1665 کمال رفعت 1012، 1364 کمال صليبي 1024 کمال عثمان حداد 669، 689، 691، 693، 694، 699، 911، 2089 کمال مظهر احمد 485 کميلاند 1808، 1809 کميل ديبث شمشا 2027 کميل شمعون 794، 796، 830، 951، 983، 1007، 1009، 1010، 1011، 1012، 1013، 1014، 1015، 1016، 1017، 1020، 1021، 1022، 1033، 1232، 1237، 1529، 1714، 2276	کريمي فتاح 463 کريستوف بکلي 397 کريستوف يلدا ترخان (ريوار) 22، 23 کريستوفر آندرو 266، 318، 323، 240 کريستييان (عيسى) رسام وانظوان رسام [2249-2259] گريشکو (المارشال اندراي) 1475، 1485، 1486، 1487 الکزيبي (مأمون) 832، 847، 884، 1215، 1229، 1230، 1237، 1238، 1239، 1358 گزينوفان 1631 گزينفون 1681 کسيلف 1155 کلي 62 کساندرا 1750 الکلاوي 1622، 1623 کلايتن (گلبرت) 214، 216، 218، 220، 222، 229، 234، 235، 236، 237، 247، 251، 259، 273، 274، 275، 278، 279، 1722، 2228، 2229، 2309، 2316 کلارک کير (ارشيبالد) 2111، 2122، 2143، 2159، 2187، 2201، 2202، 2231 گلبرت 332، 334 کلثوم بن عمر العتابي 1660 گلوب پاشا (جون باجت) 783، 922، 955، 1762، 1783 کليمانسو (جورج) 256، 297، 298، 315، 317، 318، 319، 320، 323، 735، 1137 کليتمنسترا 1750 کليمنت موبورو 1565 کمال جنبلاط 1015، 1016، 1017، 1019،
--	---	--	---

-ل-

لاريسٽ (العقييد) 1793، 1794، 2291، 2292 لازار 1808 لازار بردروس 2119، 2120 لافاليت 496 لاکوست 1448، 1464 لانغ (الدكتور) 2362 لاين (الکولونيل والاس) 433 لسز مالوري 1014 لطفی واكد 1012 لطيف الشيخ محمود 715، 751 لعي مراد سليمان 2064 لقمان البارزاني 1310 لنين (فلاديمير ايليتش) 178، 179، 180،	لوازي (الفريد فيرمان) 92 لسوي الاتاسي 832، 1242، 1243، 1365، 1367، 1383، 1385، 1386، 1387، 1414، لوي پرييه 1328 لوي جوکس 1446 لورنس العرب (توماس ادورد) 229، 231، 243، 244، 247، 252، 253، 255، 273، 277، 278، 308، 315، 317، 334، 335، 444، 489، 1722، 1904، 1932، 2249، [3205-2319] لوسي دافيدوفيچ 637	کنتارو اوتشياتي 450 الکندي 96 کنگ 62، 2340، 2341 کوانتي 414 کوپ (الجنرال) 374 کوپ (ماتيو، القبطان) 904، 905، 1756، 1910، 2256 کوترش 2291 کوتولوف 233، 485، 486، 553 کوتينيه 173 گوردن (د.س) 1417 کور محمد پاشا 2251، 2289 کورش الثاني 122، 857، 888، 1681 کورنيوليوس تاکيتوس 1039 کونيلیوس فان انگرت 784 گورو (الجنرال) 326، 328، 334، 1399	کنا 2276 کنتارو اوتشياتي 450 الکندي 96 کنگ 62، 2340، 2341 کوانتي 414 کوپ (الجنرال) 374 کوپ (ماتيو، القبطان) 904، 905، 1756، 1910، 2256 کوترش 2291 کوتولوف 233، 485، 486، 553 کوتينيه 173 گوردن (د.س) 1417 کور محمد پاشا 2251، 2289 کورش الثاني 122، 857، 888، 1681 کورنيوليوس تاکيتوس 1039 کونيلیوس فان انگرت 784 گورو (الجنرال) 326، 328، 334، 1399
---	--	--	--

1691، 1692، 1693، 1700، 1751، مبارك الصباح (الشيخ) 224
 1752، 2263 مبارك بكائي 1623
 1730، 1729 (بولص البطريرك) 1730، مارشمعون
 1751 متكساس (الجنرال) 530
 377، 374، 372، 371 (الجنرال) 775، مارشال
 790 مارون (القديس)
 511 المازني (ابراهيم عبدالقادر)
 1757، 1695، 1693 (العقيد) 2123، المثني ابن حارثة الشيباني
 1853 مجيد حسون 549
 1120 ماکان ابن کالي
 1503 ماک جورج بندي
 1642 ماکداول
 61 ماکس موللر
 145 ماکس مايرهوف
 235 ماکسويل (الجنرال)
 1716 ماکلويد (الدكتور)
 211، 215، 217، 218، 228، ماکماهون
 230، 231، 236، 237، 238، 239، 240
 249، 255، 427، 459، 2307 ماکنمارا 1489، 1490، 1505، 1508
 1144 مال الله (العرف)
 399 مالک قنبر ورده
 185 مالتيبير (العقيد)
 667 مامه رضا
 2406 مانبيلا هوريا
 1362، 187، 187، 1362 ماوتزي دونگ
 1713 مار يوسف
 2289، 1685، 1685 مار يوسف البطريرك
 964 ماثيار دس (الدكتور)
 1511 مايلز كويلاند
 908، 384، 782، 908 مايلز لامبسون

1458 لوسيان نيرو ويرث
 1937 لوقا زودو
 1786، 1787، 1789، 1790، لوقو (مالك)
 1798، 1863، 1888، 1918، 2288، 2289، لويس معلوف 89
 2290، 2291، 2292، 2295 لويس ناپوليون 175
 1649، 1650، 1650، ليامين زروال
 302، 376، 377، 379، ليچمان (جيرالد)
 2050، 2213، 2214، ليثيروك 236
 1481، 1489، 1490، 1503، ليثي اشكول
 1504، 1507، لوي برانديس 316
 997 لوي هندرسون
 2079، 2083، لويجي كابريللي
 749، 2164، لويد (الميجر)
 1858، 1876، 897، لويد (اللورد)
 235، 247، 256، 261، 260، لويد جورج
 262، 265، 266، 270، 271، 279، 283، ليونارد بيكر 318
 292، 297، 306، 311، 316، 317، 318، ليونارد وولي 2305
 319، 332، 580، 1735، 2316، ليون بلوم 768، 814، 1445
 1250، ليون زمريا
 511، 511، ليون العاشر (الپاپا) 790

-م-

1489، 1490، متير آمين
 82، 1660، المأمون (الخليفة)
 2250، ماتيلد بادجر
 1110، 2399، ماجد محمد امين
 1875، 1997، 2002، 2004، مادريباگا
 305، مارتن گلبرت
 1685، مارايليا (البطريرك)
 612، مارتن لوثر
 174، 176، 177، 178، ماركس (كارل)
 1367، 1374، 1174، 915، 736، 514، 353، 1635، ماري كزبرخان 2243
 1451، 1452، 1453، 1454، ماسو (الجنرال)
 1459، 1462، مارشمعون (ايشاي: البطريرك)
 1357، 1685، 1713، 1714، 1723، 1751، 1909، 2223،
 [2278-2261]، 2289، 2294، 2295، 2296، 2300، 2327، 2328، 2347، 2348، 2349،
 2350، 2362، 2371، 2372، مارشمعون (بنيامين البطريرك)
 483، 484، 490، 554، 558، 639، 1687، 1689،

2146	محمد شكري الالوسي 244	1670, 1657, 1656, 1556, 1522	محمد احمد محجوب 1067, 1559, 1567,
محمد علي محمود 681, 702, 726, 2126	محمد الشواف (الدكتور) 1125	محمد الحسين آل كاشف الغطاء 1915, 2366	1563, 1582, 1572, 1570, 1569, 1568
محمد عمران 1355, 1385, 1413, 1414,	محمد شيناوي 1426	محمد حسين الطباطبائي 132	محمد آغا 2036
1432, 1430, 1425, 1424, 1423, 1415	محمد صادق الصدر 2367	محمد حسين النائيني 411, 514	محمد آغا گرمواه 1817
1433, 1434, 1436	محمد صبيح 344, 345	محمد حسين هيكل 475, 511	محمد الألفي 1268
محمد علي النعلبند 2214, 2215	محمد الصدر 425, 658, 852, 854, 2077,	محمد الخالصي 425	محمد امين زكي 2257
محمد فاضل الداغستاني 2149, 2289	2245	محمد الخامس 975, 1198, 1619, 1622,	محمد امين العمري 378, 387, 599, 2132,
محمد فتح الله بدران 1256	محمد صديق الخطاط 1088	1624, 1623	2134
محمد فخري جميل 837	محمد صديق شاه ويس 715	محمد خان الثاني 2322, 2327	محمد الايرياني (المقدم) 1584
محمد فريد 343, 345, 944	محمد صفا 880	محمد خليل 1034	محمد اينجه بيرقدار 605
محمد فؤاد السيد عبد الحميد 1335	محمد صلاح الدين 1654	محمد الخود 1565, 1572	محمد باقر الشيببي 541
محمد فوزي (الفريق) 1185, 1520, 1482,	محمد الصوفي 1354, 1357	محمد خورشيد 2132, 2134	محمد البدر (الامام) 1204, 1261, 1265,
1484, 1488, 1494, 1496	محمد طاهر العمري 39, 382, 393	محمد خيضر 1470, 1471	1266, 1267, 1268, 1270, 1272, 1273,
محمد كمال الدين الطائي 2383	محمد عارف يحيى الحافظ 545	محمد الداؤودي 627	1274, 1276, 1278, 1305, 1956
محمد مجيد 1082, 1380, 1399, 1401,	محمد العايش 1232	محمد رسول گيلاني 1650	محمد باشا الصابونجي 39
1174, 1403	محمد عبده (الامام) 254, 315, 350, 1636	محمد رسول هاوار 753, 754	محمد برقي شوقي العسكري 1210, 2135
محمد المحمصاني 89	محمد عبدالله عنان 508, 509	محمد رشاد الخامس 201, 224, 2147, 2149	محمد بركات 1493
محمد محمود پاشا 898	محمد عبدالله اليافي 2047, 2048, 2049,	محمد رشيد رضا 200	محمد بهاء الدين اليازجي 595
محمد محمود الزبيري 1259, 1261	2050	محمد رضا (الشيخ) 1598	محمد الجراح 1388
محمد محمود الزبيدي 1230, 1274	محمد عبدالعزيز 1045	محمد رضا الشيببي 427, 2051, 2169	محمد جواد غصيبة 1112
محمد محمود الصواف 1096	محمد عبدالوهاب 1062, 1063	محمد رضا ميرزا محمد تقي 367	محمد حديد 557, 574, 837, 1088, 1166,
محمد محمود عبدالرحمن 2297	محمد عزة دروزه 521, 531, 532, 589	محمد الزويني 1268	2155
محمد المخيري 1272	محمد علي جواد 1212, 1214, 2125,	محمد السبتي 546	محمد حسن سلمان 681, 702, 703, 326
محمد مصدق 1104	2134, 2163, 2146	محمد سبيع البياتي 1082, 1073, 1106	محمد حسين ابو العيس 1285
محمد مصطفى 2203	محمد علي السيد 1367	محمد سعيد (الخدوي) 899	محمد زكي 617, 2056
محمد مقيظه (العميد) 1036	محمد علي سعيد 1110	محمد سعيد 1049	محمد حسنين هيكل 945, 946, 947, 986,
محمد مكراني 352	محمد علي سعيد العبوسي 1109	محمد سعيد العطار 1217, 1272	987, 995, 1004, 1005, 1012, 1020,
محمد مكي الجميل 2156	محمد علي السنوسي 1596	محمد سعيد المفتي 1036	1065, 1078, 1098, 1132, 1133, 1155,
محمد المهداوي 1377	محمد علي الشهري 1257	محمد سعيد شهاب (المقدم) 1150	1159, 1163, 1165, 1226, 1228, 1246,
محمد مهدي الجواهري 470, 533, 566, 583,	محمد علي الكبير 83, 185, 249, 280,	محمد شريف الفاروقي 211, 232, 233, 234,	1263, 1264, 1362, 1368, 1384, 1395,
584, 808, 838, 839, 863	1363, 1024, 963, 898, 399, 358	388, 250, 241, 237, 236, 235	1404, 1416, 1495, 1508, 1516, 1519,

مصطفى طلاس 829، 998، 1427، 1530، 1534، 1532	المختار ابن الاشقر 125	محمود رياض 983، 1002، 1003، 1004	محمد مهدي الحكيم 1548
مصطفى علي 516، 1321	المختار الثقفي 125	محمود سامي البارودي 964	محمد مهدي الخالصي 2236، 2237
مصطفى العمري 1086	مدحت ابراهيم جمعة 1317، 2397	محمود سلمان (العقيد) 599، 634، 648، 2089، 2076، 2072، 745، 725، 658	محمد مهدي كنه 585، 608، 714، 838، 839، 840، 842، 854، 1094، 1223
مصطفى كامل 196، 342، 343، 344، 345، 347، 349، 944، 949	مدحت الحاج سري 1545	2135	محمد نبيل عكاري 1529
مصطفى كمال صدقي 918	مراد ابن مرة 67، 139	محمود سلمان 2069، 2132	محمد نجيب (اللواء) 920، 921، 927، 929، 930، 933، 934، 895، 918، 935، 936
مصعب ابن الزبير 125، 681	مراد الرابع (السلطان) 2224	محمود سيرت 722	937، 938، 939، 940، 941، 1056، 1057، 1425، 1584، 1607، 1655، 1661، 1665
مصلح الدين النقشبندي 1541	مراد سليمان فائق 2004، 2047، 2147	محمود شبيب 2135	محمد نجيب الكيلاني 2046، 2047
مصطفى النحاس باشا 350، 833، 834، 898، 905، 910، 911، 913، 916، 917، 926، 931، 932، 938، 1629، 1654، 1666	مردخاي هود 1492	محمود شوكت باشا 195، 1810، 2147، 2148	محمد نوري خليل 545
مصطفى الواعظ 366	مرتضى حسين 358	محمود شيت خطاب 1174، 2396	محمد نورالدين 1655
مطاع الصفدي 824، 1638	مرزا محمد تقي الشيرازي 367	محمود صبحي الدفترتي 622، 2165	محمد وجيه خليل 902
مطيع السمان 1252	مرغريت جورج 1290	محمود عبدالرحمن التقيب 665	محمود ابن عبدالحسين 2236، 2237
مظفر الادهمي 671، 734	مروان ابن محمد (الخليفة) 127	محمود عبداللطيف 948	محمود الثاني (السلطان) 47، 285، 2146، 2321
مظفرالدين شاه 1833	مروان گيلاني 1352	محمود العجم 89	
معاوية ابن ابي سفيان 112، 123، 519، 855، 1165، 1384، 1580	مريم 2029	محمود عثمان (الدكتور) 2297	محمود اديب 2366، 2367
المعتصم (الخليفة) 2047	مزاحم الامين الباجچي 847، 852، 853، 854، 872، 2006	محمود عزيز سيف (الرائد) 1139، 1140، 1041، 1144، 1146، 1151	محمود جلال 2125
المعري (ابو العلاء) 96	المستظهر (الخليفة) 1120	محمود فهمي النقراشي 214، 902، 910	محمود جميل 1156
معن ابن زائدة الشيباني 775	المستعصم (الخليفة) 114	محمود القربي باشا 2328	محمود الجيار 1149
معن ابو نوار 1038	المستكفي (الخليفة) 1120	محمود الكيلاني 2067	محمود الحاج ايوب 2125، 2135
معروف جياووك 2257	مسعود (السلطان) 2267	محمود ليبب 903	محمود الحفيد (الشيخ) 372، 373، 380، 386، 399، 408، 417، 429، 463، 469، 478، 479، 480، 483، 498، 799، 540، 639، 677، 750، 751، 752، 753، 754، 1724، 1725، 1743، 1912، 2130، 2132، 2158، 2258، 2289، 2339، 2340
معروف الدواليبي 879، 1071، 1230، 1236، 1237، 1239، 1244، 1250	مسعود البارزاني 1483، 1657، 2297	محمود المغربي 1603	
معروف الرصافي 208، 371، 1115، 2226	المسعودي 79، 126، 1075	محمود منتصر 1599، 1600	
معروف سعد 1019	مسيلمة (الكذاب) 1248	محمود هندي 2132، 2134، 2135	
معمر القذافي 1595، 1604، 1605، 1607، 1609، 1610، 1611، 1612، 1613، 1614، 1615، 1616، 1617	مصالي الحاج 1445	محمود وهبه 1157	
	مصطفى أمين 938، 1010، 1100	محمود يونس 984	
	مصطفى باشا (الفريق) 2132	محي الدين عبدالحميد 1082، 1106	
	مصطفى بگ (العقيد) 373	محي الدين عبدالله 1062	
	مصطفى حمدون 383، 979، 1151، 1175	محي محمود 1377	
	مصطفى خوشناو 754	محي الدين مكيني 1817	
	مصطفى الصابونجي 1096		

ميرزا محمد رضا الشيرازي 2237
ميرل (ر) 1271
ميشال زكور 795
ميشيل (ر) 906
ميشيل دوپريه 1467، 1457، 1465، 1450
ميشيل شيما 792
ميشيل عفلق 608، 679، 757، 775، 776،
777، 778، 779، 780، 801، 802، 803،
809، 810، 811، 814، 815، 816، 820،
822، 828، 829، 831، 835، 838، 847،
876، 877، 880، 885، 946، 947، 949،
974، 976، 979، 981، 992، 996، 998،
1000، 1005، 1044، 1099، 1132، 1183،
1217، 1219، 1225، 1245، 1250، 1294،
1364، 1366، 1368، 1370، 1376،
1378، 1381، 1411، 1413، 1415، 1423،
1424، 1432، 1433، 1437، 1527، 1530،
1551
ميشيل فرمان 779
ميلونتين يوفانوفتش 450

-ن-

النايلسي (سليمان) 1027، 1029، 1031،
1034، 1035، 1041، 1104
ناپوليون (الثالث) 174، 181
ناپوليون پوناپرت 83، 213، 576، 1153،
1174، 1295
ناپيير (الجنرال) 22، 53
ناثان ناحوم 116
ناجي طالبا 1082، 1106، 1197،
1408، 1409، 1535

مولاي عبدالحفيظ 1621
مولاي عرفه 1623
مولوتوف 295
مولود فراوان 1444
مولود مامري 1444
مولود مخلص 403، 2050، 2120، 2152،
2200
موليير 1476
مونتياتن (اللورد) 987
مونتگومري (المارشال) 546، 1081
مونتيجو (اللورد) 269، 270، 450
ميخائيل (ريس) 2302
ميخائيل ساعور 725
ميخائيل عواد 1075
ميخائيل مشاقفة 81
ميخائيل نعيمة 474
مير بصري 1798، 2067، 2132، 2147،
2149، 2168، 2169
ميرزا ابو الحسن 1247، 1248
ميرزا احمد الخراساني 367

المهدي ابن بركة 1624، 1625
المهدي ابن تومرت 114
مهدي حميد 1175
مهدي الخالصي (الشيخ) 411
مهناد لارابي 1649
مهبان الديلمي 77، 130
مهيناني 1389
مورتن 1808، 1809
مونك (ميسن) 2041، 2189
موريس بيترسن 2164
موريس پيلليه (الجنرال) 450
موسل (ج. ل) 637
موسوليني (بنيتسو) 475، 528، 529، 659،
684، 769، 2122، 2123
موسى ابن نصير 71
موسى احمد 1615
موسى حبيب 2156
موسى الشابندر 681، 702، 2009، 2011
موسى الصدر 1025
موسى عادل يگمزا 856
موسى العلمي 623، 627، 633، 634
موسى عبدالله الحسيني 855
موسى علي 2125، 2135
موسى كاظم نوري 2147
موسي الهادي (الخليفة) 130
موشي 2291
موشي دايان 987، 1054، 1057، 1475،
1492، 1494، 1495، 1501، 1502، 1503
موشي شاريت 873
موفق عصاصة 1228، 1354، 1389، 1415
مولتكه (فون) 531

المعوشي (البطريك) 1013، 1017
مكدونالد (أ. د) 412
مكي الشريتي 1778، 1793، 1794، 2292
مكي الهاشمي 2224
المغيرة ابن شعبة 122
مقبل الأمين 1063
المقتدر (الخليفة) 1119، 2227
المقتفي الخليفة 2267
مكاوي 1589
مكرم عبيد پاشا 350، 898
مگو 2291
ملا اسعد 715
ملدنشتاين (البارون) 623، 630، 631، 636
ملكيسادق شليمون 2289
مللنر (لورد) 276، 340، 348
ممدوح جابر 1413
ممدوح الميداني 2092
مومتومو 1824
مناحيم بيگن 630
منح الصلح 952، 1472
منديس فرانس 1329
منذر الوندواي 1303، 1174، 1378
منسى (الملك) 888
المنصور (الخليفة) 129
منصور سلطان الاطرش 882
منى ليليان السمان 772
منيف الرزاز 799، 817، 823، 824، 1352،
1367، 1382، 1387، 1413، 1420،
1424، 1425، 1428، 1432، 1433، 1434،
1436، 1437، 1451، 1636، 1653، 1659
المهدي (الخليفة) 130، 131

نوري صديق شاه ويس 715	نهاد الغادري 1017، 1019، 1174	نجم سلمان مهدي 2224	ناجي عبدالرزاق (الدكتور) 733
نوري فتاح 424	نهاد فخري 1174	نجيب الارمنازي 1232	نادية الصلبي 1048
نوڤوتني 185	نهاد القاسم 1360	نجيب الربيعي 1144، 1150، 1183، 1184	نارام سين 887
نولدر (العقيد) 389، 390، 391	نوئيل (الميجر) 444، 478	نجيب الصانع 659	نازوك 1119
نيازي 287	نورالدين الأتاسي 699، 1426، 1435، 1436	نجيب محبو 725	ناصر (الشريف) 1049
نيتشه 176، 777	1438، 1477، 1479، 1504، 1527، 1532	نجيب الهلالي 919	ناصر الحاني 1539، 1540، 1543
نيشم آغا 1817	1533، 1534	نزار ارسلان 996	الناصر (الخليفة) 575، 600، 601، 603
نيقولا (الغراندوق) 1692	نورالدين گنج 1355	نزار عرابي 1230	ناصر النشاشيبي 830
نيقولوس (ب. س) 2000	نورالدين القاضي 89	نذير رشيد 1038	ناصريف اليازجي 87، 154
نيقولا فدرينكو 1075	نورالدين محمود 848، 2125	نوساي (الاسقف) 2301	ناظم الطبقيجلي 1083، 1089، 1141، 1142
نيقولاي مولخانوڤ 1448	نوري الاورفلي 837	نسطورس 1684	1144، 1148، 1150، 1174، 1175
نينوس سوريشو 21، 22، 23	نوري ثابت (حزبوز) 413	نسيب المتني 1016، 1017	ناظم القسدي 766، 787، 1229، 1236
نينوس ميخائيل 2273	نوري الراوي 1118	نسيبه (الدكتور) 646	1239، 1243، 1244، 1246، 1251، 1252
نيمو أبو 2033	نوري السعيد [يرد اسمه في معظم فصول الكتاب. فرأينا نعامله بعين التعامل الذي تصرفنا به مع من سبقه]	نصرت الفارسي 2049، 2235	1351، 1355، 1389، 1390، 1415، 1629
نيورات (فون) 691	تصرفنا به مع من سبقه]	نصري 602	ناظم گزار 1304، 2397، 2399
نيوكمپ 2305	نوري الشعلان 357	النصولي (أنيس) 495، 517	ناظم النفطجي 41، 415، 433
		نصيرالدين معين 356، 357	نافع ابن الازرق 125
		نضال 898	نامق كمال 1355
		نظيف الشاوي 2069، 2071	نانسن (فريديوف) 846، 1849، 1854
		النعمان 1575، 1577، 1584	نايف تلولو 89
		نعمان الاعظمي 244	نبوخذنصر 208، 888، 890
		نعمت 2222	نبيه امين فارس 87، 88
		النعساني (عبدالله) 855	نشننگ (انطوني) 939، 940، 954، 965
		نعيشة 1534	1007، 1001، 988، 1011، 1015، 1028
		نعيم (السائق) 2087، 2092	نجد الصافي 2397
		نعيم شهرباني 838	نجدة فتحي صفوة 233، 280، 1134، 2082
		نفيسة 112	2111، 2126
		نقيل چمبرلين 2192	نجم الدين چلميران 714
		نقيل وليام 901	نجم الدين السهروردي 555، 674، 733
		نمرود بيت شمعون 399	1050، 2085، 2092، 2094، 2097
		نمرود رسام 2255	نجم الدين الواعظ 1305، 1319، 2395

-ه-

هاري هوارد 460	هاثا ارندت 637
هاشم الأتاسي 768، 770، 773، 785، 882، 885، 973، 1629	هاجر 120
هاشم جواد 1073، 1236، 1287، 1899	هادي خماس 1380، 1401، 1403
هاقر تابور 1507	هادي هاشم 1319
هاليفاكس (لورد) 686، 688، 689، 2189	هادي هندي 1357، 1397
هالدين (الجنرال) 1722	الهادي يحيى العلوي 1067، 1256
هاملتون (م. أ) 557، 2281، 2283، 2284	هارولد إنكرامز 257، 1254، 1268
2285	هارولد لاسكي 557
هانز تيلمان 2084	هارولد ويلسن 1481
هانسن بالدوين 1031	هاري سنדרسن (الدكتور) 2165، 2169
	2182، 2183، 2184

نجم سلمان مهدي 2224	ناجي عبدالرزاق (الدكتور) 733
نجيب الارمنازي 1232	نادية الصلبي 1048
نجيب الربيعي 1144، 1150، 1183، 1184	نارام سين 887
نجيب الصانع 659	نازوك 1119
نجيب محبو 725	ناصر (الشريف) 1049
نجيب الهلالي 919	ناصر الحاني 1539، 1540، 1543
نزار ارسلان 996	الناصر (الخليفة) 575، 600، 601، 603
نزار عرابي 1230	ناصر النشاشيبي 830
نذير رشيد 1038	ناصريف اليازجي 87، 154
نوساي (الاسقف) 2301	ناظم الطبقيجلي 1083، 1089، 1141، 1142
نسطورس 1684	1144، 1148، 1150، 1174، 1175
نسيب المتني 1016، 1017	ناظم القسدي 766، 787، 1229، 1236
نسيبه (الدكتور) 646	1239، 1243، 1244، 1246، 1251، 1252
نصرت الفارسي 2049، 2235	1351، 1355، 1389، 1390، 1415، 1629
نصري 602	ناظم گزار 1304، 2397، 2399
النصولي (أنيس) 495، 517	ناظم النفطجي 41، 415، 433
نصيرالدين معين 356، 357	نافع ابن الازرق 125
نضال 898	نامق كمال 1355
نظيف الشاوي 2069، 2071	نانسن (فريديوف) 846، 1849، 1854
النعمان 1575، 1577، 1584	نايف تلولو 89
نعمان الاعظمي 244	نبوخذنصر 208، 888، 890
نعمت 2222	نبيه امين فارس 87، 88
النعساني (عبدالله) 855	نشننگ (انطوني) 939، 940، 954، 965
نعيشة 1534	1007، 1001، 988، 1011، 1015، 1028
نعيم (السائق) 2087، 2092	نجد الصافي 2397
نعيم شهرباني 838	نجدة فتحي صفوة 233، 280، 1134، 2082
نفيسة 112	2111، 2126
نقيل چمبرلين 2192	نجم الدين چلميران 714
نقيل وليام 901	نجم الدين السهروردي 555، 674، 733
نمرود بيت شمعون 399	1050، 2085، 2092، 2094، 2097
نمرود رسام 2255	نجم الدين الواعظ 1305، 1319، 2395

هولانكو 114، 568، 1682	هنري الفرعون 1013	2254	هاندرسن (ك. د. د) 1061، 1064، 1562
هوميروس 61، 154، 1091، 1233	هنري فيلد 890	هرمز مارشمعون 1691	هانيء متي يعقوب 1179
هيام (بنت امير ربيعة) 1112	هنگ فون ترسكوف (الجنرال) 1146	هرمز يونان 2290	هانيء السباعي 1232
هيپوقريطس 145	هوارد ساكر 298	هرمين 2112	هانيء الفكيكي 802، 845، 849، 1132،
هيرودوتس 61، 1032	هوارى يومدين 1425، 1650	هرون ابن عبدالله 1119	1166، 1182، 1183، 1197، 1198، 1200،
هيكل 177، 812	هورتي (الاميرال) 530، 685	هرون ابن غريب 1120	1245، 1292، 1293، 1294، 1300، 1303،
هيكوبا 1750	هوفارد 759	هرون الرشيد (الخليفة) 82، 104، 115، 130،	1306، 1319، 1320، 1340، 1346، 1371،
هيلشام (فيكونت) 1535	هوغارث (ديفسييد) 229، 253، 254، 346،	هزاع المجالي 1049	1372، 1376، 1377، 2393، 2394، 2395،
هيللو 794	347، 1305، 2316	هسن (موسى) 264	2398، 2406
هيوليت جونسون 647	هوكو هدلام (الجنرال) 1919، 1922،	هشام ابن عبدالمك (الخليفة) 130، 1256،	هانيبال (الجنرال) 514
		هشام الدباغ 2041	هاويل 2037
		هشام الشاوي 1094	هاي (الجنرال) 1956
		هشام عبد ربه 1242	هاينتز (الجنرال) 2127، 2128، 2129،
		هشام مدني 1241	هبة الدين الشهرستاني 367
		الهضيبي (حسن) 895، 938، 941، 1096،	هچسون 1028
		هكتور 1233	هنتلر (ادولف) 379، 380، 530، 576، 577،
		هلتن يونگ 1903	578، 581، 583، 603، 605، 611، 629،
		همفري 1668	631، 637، 639، 644، 656، 659، 673،
		هملر 631، 636	690، 697، 741، 769، 781، 785، 812،
		هنتنگ (فرانز فون) 757، 782، 784،	820، 906، 959، 985، 1146، 1174، 1184،
		هندنبرغ (المرشال) 590	1441، 1518، 2041، 2042، 2079، 2087،
		هنري صالح الفلاحي 706	2088، 2089، 2103، 2104، 2123،
		هنري (الثاني) 1930، 1931،	2163، 2177، 2181، 2192، 2195،
		هنري اوستن لايارد 1251، 1252، 1253،	هدسن (م. س) 792
		1906	هديب الحاج حمود 1104
		هنري دويس (السر) 400، 408، 433، 538،	هربرت صاموئيل 269، 332، 334، 503،
		539، 1709، 1712، 1717، 1758، 2068،	521، 1261
		2229، 2231، 2342	هربرت يونگ 258، 278، 498
		هنري سمث 1585	هرتزل (سر آرثر) 223، 224
		هنري شوئال (الجنرال) 277، 278، 2311،	الهرمزان 79، 1189
		2312، 2313	هرمز رسام 2249، 2251، 2252، 2253،

-9-

ورده (مالك ديزن) 2292	وارد 1965
ورده اليازجي 154	وارد (جي. ك) 2184، 2201،
ورده يونانان 1780، 1781	واصل ابن عطاء 158
وصفي البني 763	واصل فيصل 1531
وصفي التل 255	والاس لاين 41
وصفي طاهر 1082، 1132، 1292	والترز لافيور 846، 1500
وصيف الحاجب 1119	والدمار گالمان 1047
ولتر بيجهوت 174	والي (الفريق) 540
ولسن (الرائد) 1713، 1714، 1854	واليس بودج 2255
ولسن (س. ف العقيد) 255، 2307	وايت (الرائد) 1771
ولسن (ودرو) 177، 260، 269، 276، 300،	وايزمان (حييم) 247، 257، 259، 261، 265،
311، 378، 456، 757، 759، 1729	266، 270، 271، 272، 316، 336، 503،
ولثرون (الكولونيل) 2087	520
ولفريد كانتويل سمث 63، 64، 773	وحيد الصلح 1022
الوليد ابن عبدالمك (الخليفة) 73، 519	وديع حداد 1397
وليد حمدي الاعظمي 676، 2051، 2083	وديع طليا 838
ولي الدين يگن 287، 353، 508، 509	وديع فتح الله 532
وليام لوثير 178	وردة شكرو 2292

يوسف روزنتال 559، 610
يوسف زعين 1411، 1423، 1426، 1428،
1430، 1433، 1435، 1436، 1437، 1478،
1527، 1528، 1529، 1530، 1531، 1534،
يوسف زينل 517، 519، 520، 522
يوسف سلمان يوسف (فهد) 509، 587، 744،
746
يوسف السويدي 485
يوسف الصانع 1077
يوسف طلعت 905
يوسف عزالدين 519، 2126، 2161
يوسف العزاوي 2069، 2071، 2125
يوسف العظمة 949، 681، 775، 945، 2226
يوسف غنيمه 593
يوسف عمانوئيل (البطريك) 462، 721
يوسف متي 661، 662، 663
يوسف مزاحم 1247
يوسف منصور صديق 918
يوسف الياسين (الشيخ) 634، 996
يوسيبى ماتزيني [يوسف مازيني] 163، 173،
174، 176، 181، 182، 194، 208، 262،
263، 242، 343، 506
يونس بحري 603، 627، 644، 650، 723،
733، 951، 2089، 2090، 2124، 2181
يونس رؤوف 715
يونس السبعواوي 43، 582، 699، 704، 709،
726، 731، 739، 745
يونس عباوي 2202، 2203، 2204، 2205
يونس عطارباشي 1407
يونغ 2316

يحيى ياسين 16، 2232
يوردان (الدكتور) 2074
يوري اندروپوڤ 1505
يزيك (ابراهيم يوسف) 511، 767
يزدگرد 113
يزيد ابن معاوية (الخليفة) 125
يزيد ابن المهلب 125
يسرى سعيد ثابت 1187، 1417
يسرى قنصوه 1045
يعرب ابن قحطان 60
يعقوب (الاخضر) 607
يعقوب ابن داود 130
يعقوب افرام منصور 1681
يعقوب صروف 155
يعقوب الصقار 129
يعقوب الغصين 627
اليعقوبي 1075
يهودا ابن طيون 892
يوئيل لازار 226
يوئيل ورده 468
يواقيم (الملك) 888
يوثانت 1481، 1482، 1487، 1488، 1499،
1549
يوحنا ابن ماسويه 145
يوري اندروپوڤ 1505
يوشيا ايشوع 2292، 2236
يوشيا دنحا 2033
يوسف ابن ابراهيم (البرم) 1075، 1118
يوسف اسماعيل البستاني 641
يوسف الحاج الياس 644، 744، 838
يوسف الخوري 155

وهاب بگ 383
وهيب الغانم 802، 803، 809، 813، 817
ووترهاوس (الجنرال) 705
وولكنز (ج.ف. مييجر) 1937، 2236، 2237،
2238
وولي (ليونارد) 1681
ويصا واصف 898
ويثقل (الجنرال) 182
ويگرام 6، 201، 286، 1383، 1680، 1698،
1722، 2199
ويلز (ه. ج) 261

ياروسلافسكي 746
ياسر عرفات 1552، 1555، 1558
ياسين الهاشمي 233، 252، 322، 385، 423،
425، 463، 464، 537، 559، 588، 613
1804، 1758، 862، 665، 638، 634، 623
1816، 1831، 1938، 1939، 1940، 1945،
1961، 1997، 2002، 2010، 2011، 2050،
2051، 2052، 2054، 2055، 2056، 2057،
2062، 2064، 2067، 2068، 2073، 2075،
2117، 2120، 2132، 2152، 2155، 2157،
2158، 2159، 2160، 2172، 2187، 2189،
2189، 2193، 2216، [2245-2221]، 2349،
اليافي (عبدالفتاح) 2119، 2130، 2335
ياقوت (الحموي) 67، 117، 137، 139
ياقو مالك اسماعيل 1719، 1768، 1777،
1778، 1780، 1782، 1783، 1784،
يحيى قاسم 744

-ي-

آثار المؤلف

المؤلفات المطبوعة

- * هيئة المحلفين [دراسة قانونية]. ط. بغداد. نقابة المحامين 1956.
- * تحليف الشخص المعنوي اليمين في مقررات محكمة تمييز العراق (دراسة قانونية). الموصل المطبعة العصرية 1957.
- * قصة المحلفين (تاريخ وقانون) الموصل المطبعة العصرية 1958.
- * معاني اسماء الاصوات في كتاب «الاجاني للاصبهاني» مع نبذة من تاريخ اهتمام المستشرقين بالموسيقى العربية. اصدار المجمع العلمي العراقي - بغداد 1958.
- * إسقاط النظام لا يكون بهذا. الطبعة الاولى طهران 1986.
- الطبعة الثانية لندن 1987.
- الطبعة الثالثة دار آزاد - ستوكهولم 1990.
- * العراق في عهد قاسم - آراء وخواطر (الجز الثاني) دار آزاد، ستوكهولم 1989.
- * مغامرة الكويت: الوجه والخلفية (جزآن) دار آزاد، ستوكهولم 1991.
- الطبعة الثانية (سليمانية: الناشر وتاريخ الطبع مجهولان).
- * حول جرائم الحرب ومرتكبيها في العراق والكويت؛ دار آزاد ستوكهولم 1992 (طبعة ثانية في طور الإعداد).
- * آراء مخطورة في شؤون عراقية معاصرة. دار الشمس للطباعة والنشر ستوكهولم 1995.
- * مباحث آشورية: تاريخ ما أهمله التاريخ. دار الشعاع (زهيرا) ستوكهولم 1997.
- * زيارة للماضي القريب. دار الشمس للطباعة والنشر 1998. الطبعة الثانية في السليمانية 1999.
- * يقظة الكرد: تاريخ سياسي 1900-1925 (دار ناراس للنشر - اربيل 2002).
- * رجال ووقائع في الميزان (حوار) دار ناراس للنشر - اربيل 2001.

التراجم المطبوعة

امم شروم وتعليقات وملاحقاً

- * الأصول التاريخية لحركة العمال العالمية (اي. ج. كامبل بغداد 1946).
- * آخر يوم لمحكوم بالموت (رواية من تأليف فكتور هوغو) الموصل. المطبعة العصرية 1950.
- الطبعة الثانية دار روشنبيري دهوك 2002.
- * كارمن (رواية من تأليف بروسير ميرميه) الموصل المطبعة العصرية 1951.
- الطبعة الثانية دار روشنبيري دهوك 2002.
- * كيف تنطح السماء (تأليف جورج ميكاش) الموصل المطبعة العصرية 1952.
- الطبعة الثانية دار روشنبيري دهوك 2003.
- * ذكريات عن بيت الموتى (رواية من تاليف فيدور دوستوفسكي) دار اليقظة العربية سورية - دمشق 1953.
- * تراث الاسلام (تأليف جماعة من المستشرقين) المطبعة العصرية - الموصل 1953.
- الطبعة الثانية دار الطليعة - بيروت 1973.
- الطبعة الثالثة دار الطليعة - بيروت 1979.
- الطبعة الرابعة اربيل وزارة التربية 1999. (ذكروا لنا عن طبعة خامسة في القاهرة الا اننا لم نقع عليها).
- * كرد وترك وعرب: تاريخ سياسي ورحلات [تأليف سي. جي. ادموندز] دار العروبة للنشر. بغداد 1970.
- الطبعة الثانية - دار ناراس - اربيل 1999.
- * مهد البشرية: الحياة في شرق كردستان تأليف (وليام أ. ويگرام) دار العروبة للنشر. بغداد 1971.
- الطبعة الثانية دار ناراس - اربيل 2001.
- الطبعة الثالثة دار الشعاع ومكتبة الاتكال: شيكاغو 1997.

* قيام سقوط الرايخ الثالث (في مجلدين، تأليف وليم شايرر) دار ناراس للنشر اربيل 2002.

* مذكرات بنقنوتو جليليني (بقلمه) دار ناراس للنشر اربيل 2001.

المخطوطات

* الترجمة الكاملة لـ سير پلوتارك Plutarch Lives مع تعليقات وشروح [المخطوطة تقع في حدود 3500 صحيفة].

* مختارات من اقاصيص پولندية لمشاهير الروائيين والأدباء البولنديين.

* وارثو العرش Kongs. Emnerne تمثيلية من آثار الكاتب المسرحي هنريك افسن.

* جنوب الشمس رواية للكاتب الاميريكي ديد ملر.

* طريق في كردستان (تأليف أ. م. هاملتون) دار العروبة للنشر بغداد 1970.

الطبعة الثانية دار ناراس للنشر - اربيل 1999.

* جمهورية مهاباد (تأليف وليم ايگلتن الابن) دار الطليعة بيروت 1972.

الطبعة الثانية دار ناراس - اربيل 1999.

* تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي (تأليف هنري جورج فارمر) دار الحياة للنشر - بيروت 1972.

* رحلة الى رجال شجعان (تأليف دانا آدم شمت) دار الحياة للنشر - بيروت 1972.

الطبعة الثانية. دار ناراس - اربيل 1999

* كردستان أو الموت (تأليف رينيه موريس) مطبوعات كردلوجيا. لندن 1989.

الطبعة الثانية. دار ناراس للنشر - اربيل 1999.

* العراق في عهد قاسم - تاريخ سياسي 1958-1963 (الجزء الاول من تأليف اوريل دان). دار آزاد للنشر في ستوكهولم 1989.

* الحرب الكردية وانشقاق 1964 (تأليف ديفيد ادامن بالمشاركة مع المترجم) دار آزاد للنشر ستوكهولم 1992.

الطبعة الثانية - دار ناراس للنشر اربيل 1999.

* فاتحة انتشار المسيحية في امبراطورية الايرانيين: ميسوپوتاميا وايران 100-637م (تأليف البروفسر جي. ب. إسموسن). دار هريرا 1998 ستوكهولم.

* فاتحة انتشار المسيحية في أواسط آسيا والشرق الاقصى. (تأليف الاب الفونس منگنه) دار زهريرا 1998 ستوكهولم.

* فاتحة انتشار المسيحية في الهند (تأليف الاب الفونس منگنه). دار زهريرا للنشر - ستوكهولم 1999.

* فاتحة انتشار المسيحية في الصين وبلاد المغول (تأليف الاب جون م. ل. يونگ). دار زهريرا للنشر - ستوكهولم 1999.

* جنوب كردستان دراسة انثروبولوجية (تأليف هنري فيلد). دار ناراس للنشر - اربيل 2002.

فہرست موارضعہ کتاب

العربي - الاسلامي. الانحسار. ثورة بني العباس. النفوذ الفارسي والتركي. الشعبية. فكرة القومية في العصر الحديث منشؤها وعراقيلها. الحركة الوهابية. الثورة الصناعية في أوروبا. الحركة القومية العربية يتزعمها المسيحيون. الطباعة ونشر الكتب والصحف. اسماء لمعت في عصر النهضة العربية. ملحق: العرب يجدون بطلهم الاعظم: الجمل

109-91

الفصل الثالث

الاسلام والقومية العربية. الاسلام دين عالمي تبشيري. خطأ من يعتبره مسؤولاً عن عيوب معينة. تعاليمه أصلاً تتجه نحو الخير. أصوله: القرآن والحديث. الأعمال بالنيات حديث نبوي ونظيره في الإنجيل. واقعية محمد. الخيارات والتحديات. قدرة الاسلام على إمتصاص الأزمات. مجلس الشورى واختيار الرئيس. التفسير الاشتراكي للإسلام بعيد عن الواقع. الاسلام يهدم رابطة الدم ويحل محلها رابطة العقيدة. التفسير الإسلامي للقانون والشريعة. العودة الى القانون الطبيعي. الإباحة هي القاعدة الأساسية في الشرع. قيام حاكم يتولى أمور الناس واجب ديني. الخليفة نائب الله أكثر من كونه خلفاً لمحمد. مأتى لقب «أمير المؤمنين». التغيير بعد الخلفاء الأربعة الأولين. البيعة تعاقب لا عملية انتخاب. مصطلح «الإمام» مرادف لـ«رئيس الدولة» وهو منصب مستحدث. الشيعة، نواميسهم وآمالهم. ابتعاد الإسلام عن أصوله والخروج عن مفاهيمه ستراً للاستبداد. «الغزالي» ونظرية الضرورة والإباحة. إنحلال البنية العربية. آثار خطيب المسجد في دعم الحاكم. أهمية المسجد في الحياة العامة. الانتصار للإسلام غريزة في المسلم وإن كان علمانياً. التمسك بالمظاهر والدفاع عنها في وجه كل رافض. التراكم التاريخي حصيلته الطابع النفسي الاجتماعي وأثره في الإنحراف الخلفي. إباحة بعض الأفعال التي تعدّ من قبيل الجرائم العادية والخلقية. الإسلام الأول هو السبب في ظهور دعوى القومية العربية

134-111

الفصل الرابع

(تابع) الإسلام والقومية العربية. حركة مذهبية مسلحة (الخوارج). التشيع مظهر لظلمة وسخط. إثبات شرط الوراثة في إمامة المسلمين محصورة في نسل الإمام علي. انتقال دعوة الشيعة الى فارس. حركة متشددة في المغرب مع إكراه على إعتناق الإسلام. ردة الفعل بحاكم التفتيش الإسبانية. الأكثرية المسيحية تغدو أقلية. الانصهار في المجتمع العربي - الإسلامي. من يدعي بالأصول العربية بسبب اعتناقه الإسلام. إصرار بعض الشعوب المسلمة على الاحتفاظ بقوميتها. انتشار الآراء السياسية التقدمية الحديثة وأثره في الإسلام. الأقليات العنصرية المسلمة تتبنى خطوياً علمانية سياسية. إستخدام القوة بدل اللسان في عمليات الإقناع. المنافرة والتشتت في الأهداف القومية. ممارسات قومية شاذة وإرهاب فكري. عود الى الشعبية. طبقة الموالي في عهد الأمويين. التمييز العنصري رغم رسالة المساواة الإسلامية. خشية العباسيين من الفرس وإشغالهم أعلى المناصب دون العرب ثم التشكيك في إخلاصهم. القيادات المدنية والعسكرية تناط بالموالي. نهاية الشعبية. محاولة استخدامها الآن لإبعاد عقائد سياسية منافسة للقوميين عن الساحة. القوميون يقرنون الشعبية بالشيوعية، المشابهة اللفظية (الجناس) بين الكلمتين

162-135

الفصل الخامس

اللغة العربية الركازة الرئيسية. عامل اعلان قومية. وعامل يقظة في البلاد الناطقة بالعربية فكراً وسياسياً. اصول العربية. كانت لغة متكاملة عند نزول القرآن. لغة مضر (لغة قريش) خواص الشعر

المدخل

الجزء الأول

مخاض عسير

29-5

56-31

الفصل الأول

نشوء الفكرة القومية بمفهوم عراقي. البنية العربية الاجتماعية. اختلافها بين بقعة وأخرى. محاولات التعتيم والتغطية حول الأشخاص والوقائع. قلب الحقائق. مثالان. أحداث أب ارتكبت باسم القومية العربية. وأحداث مايس ارتكبت باسم القومية العربية. ضرورة متابعة التاريخ العام وأهمية دور التاريخ السياسي على ضوء التاريخ الاجتماعي وعلى أساس افتراض انقلاب معكوس لأحداث مرّت ولا أمل في عود مثيل لها. خطر الانحياز بالتاريخ الاجتماعي الى النظريات وعمليات الإحصاء. واجب المؤرخ الحقيقي الاستعانة بالتاريخ السياسي بقدر ما بقي من الوقوع في خطر الحكاية. التحول من "الوطنية" الى "القومية" في الأناشيد المدرسية. العداة والصراع القومي بين الحكومات العربية، وحرب المفاهيم. القومية العربية تلفخ وجه الموصل بعد إعراض عربي وولاء للترك. الطابع الديني للموصل بوصفها عاصمة لولاية تركية. أقوال سياسيين ورجال حكم ومؤلفين حول الطابع الاجتماعي للمدينة. تفوق اللغة العربية. حلول القومية محل الوطنية على أساس اللغة والدين. التعريب بدل التترك. معجزة الحرب العظمى الأولى. مجهودات رجال الحكم الجدد في محاولات التعريب. تجارب خاصة

ملحق: ماذا نال العمال من الشيوعية؟

90-57

الفصل الثاني

(تابع) في سبيل البحث عن الانسان العربي. اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها. القاسم المشترك الاعظم الفروق الحضارية والثقافية. التكوين الجسدي. عوامل الفتوح والتكاثر. الشعوب لانتقوض كلياً بل تخلف آثاراً. آثار الاقوام والشعوب في الوطن العربي الكبير. سيادة اللغة العربية. من هو العربي. الدين الاسلامي دين منظم. الدين الاسلامي والقومية. الاصل في كلمات (عربي، أعرابي، عرب، عربان). تعميم اللغة العربية في الدوائر (لغة الحكام) الحروف والقراءة والكتابة العربية والتأثير الحبري (نسبة الى مدينة الحيرة) ولغات العراق القديمة. مسح تاريخي حضاري للامبراطورية العربية - الاسلامية. الاختلاط العنصري في اسبانيا. سيادة اللسان العربي الى جانب شريعة الاسلام وصمودهما. القرآن. ميزته عن سائر الكتب المقدسة الأخرى. نظراته: موقفه من القومية. الاندفاع

العربي الفريدة. ايقاعه الغنائي وموازينه. ما يدين الغرب لها. استعمال الصفر واختراع الارقام العديدة واستخدام الاوروبيين لهما دون ارقامهم اللاتينية الامر الذي ادى الى ثورة في العلوم. مرونتها وقابلية اشتقاقها الغذة. اللغة العربية تغدو لغة عالمية. الروابط الثقافية في عصر محمد علي الكبير. الانفتاح العلمي والثقافي عن طريق مصر وساحل البحر المتوسط الى الغرب. الارشاليات وبعثات التبشير قيامها بادوار تثقيفية هامة منذ اواسط القرن السابع عشر. عملية البيقطة بأثار الحروب المصرية وثورة جبل لبنان ١٨٦٠. وظهور المصلحين الاجتماعيين من الأدباء والشعراء. التعامل البعني مع الاقليات. البروز القومي الحماسي للأقلية المسيحية في الساحة القومية. نماذج للعطاءات. استقرارات ابن خلدون وأراؤه في اللغة العربية والمتكلمين بها. رأي الدكتور ساطع الحصري.

الفصل السادس

210-163

المصطلحات القومية. وصولها الى المجتمع العراقي في ١٩٢٠. نموها الى جانب الاتجاه الوطني. حوربت القومية من جانب اليسار والاشتراكية. اتهامها بالرجعية. ملاحقة القوميون. الولاء للدولة العلمانية. حداثة فكرة الدولة القومية. الپيوريتان، الرواقيون، المصلحون الدينيون. كالفن، جون ملتون، توماس جفرسن، توم بين، جان جاك روسو، كارليل. تعريف الليبرالية. أبو الوحدة الإيطالية (يوسيبى ماتزيني) حياته، كفاحه القومي الديمقراطي الانساني. استعراض اتجاهات المفكرين الإنكليز والروس والألمان: جورج إليوت، أنتوني ترولف، چارلس ديكنز، شونهاور، نيتشه، فيخته، ريشارد فاكنر، كروپوتكين، فيورباخ پليخانوف وغيرهم. الدولية الثانية ١٨٩٦. الاشتراكية تتبنى مبدأ حق تقرير المصير كما ورد في الدستورين الأمريكي والفرنسي الثوريين. الحكومات الاشتراكية المستحدثة تجاهلته وازدرت به. الماركسية والقومية. الماركسية تنكر قيام دولة على أساس قومي باعتبارها مخالفة للنظرية التي تهدف أساساً الى بناء دولة العمال. التذبذب أخيراً بين دولة للعمال ودولة قومية (بين الشيوعية والقومية). دول مستقلة في آسيا وأفريقيا بعد الحرب العظمى. عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة. الأعضاء من الدول الناطقة بالعربية. الحرب العظمى الأولى وفرض الانتداب على بعضها. نهاية الانتداب. طبيعة الانسان العربي بمنظار غربي

الفصل السابع

246-211

كتابة التاريخ عند أبي اسحق الصابي. الثورة العربية في الحجاز. الحقائق من الأساطير. المصادر. الابتعاد عما جرى عليه العرف والتواتر واجتناب الأحكام المسبقة. الموقف البريطاني حول مستقبل الامبراطورية العثمانية بعد الحرب. تفكيك الامبراطورية بدل المحافظة عليها وفق السياسة القديمة. مكماهون في مصر. خطط الفرنسيين لسورية بعد الحرب. الاتصال بالعرب والزعماء المسلمين. إساءة فهم الاسلام. الأمير عبدالله ابن الحسين يتصل بالاستخبارات البريطانية في القاهرة. صلة الاستخبارات بالمبعدين السياسيين العرب. موقف الشريف حسين. التلويح بمنصب الخلافة في التصريح البريطاني الأول. حياة الشريف المثالية في منفاه بإستنبول. أبناء الشريف: فيصل. التفكير البريطاني في مستقبل البلاد العربية. تأسيس المكتب العربي في القاهرة. استئناف المفاوضات مع الشريف في صيف ١٩١٥. محمد شريف الفاروقي، الهياج الذي أثاره في المكتب العربي. المفاوضات تتواصل. المنازعة على تقسيم النفوذ بين بريطانيا وفرنسا في الأقطار الناطقة بالعربية. اتفاق سايكس-بيكو-سازانوف. فلسطين والصهيونية. الوضع الحربي في العراق. نكبة الكوت

الفصل الثامن

281-247

تتمة: الثورة العربية. إعلان الثورة. جمال باشا (السفاح) والقضاء على أقطاب من الحركات السرية السورية. التحرك العسكري التركي. إعلان ثورة الشريف. حماية الاسطول البريطاني للشريف حسين، القصف من البحر. الأموال التركية والبريطانية المدفوعة للشريف. خيبة الأمل من استجابة عامة للثورة. قلة حجم قوات الشريف. تدخل القوة الجوية البريطانية لإنفاذه. النشرة العربية. الشريف يفترق الى إسناد أي منظمة عربية. لويد جورج والشرق الأدنى. كليمانصو رئيساً للحكومة الفرنسية. سير العمليات في سيناء ونشاط لورنس. إحتلال القدس وبيان النبي. تصريح بلفور. إعترااف الزعماء القوميين السوريين بالمجهود الحربي الصهيوني!. اجتماع فيصل بوايزمان. اليهود في أوروبا. التعقيدات بعد تصريح بلفور. جيش فيصل. وسوس الانكليز من نوايا الشريف. لورنس و فيصل جهود في سبيل نصب فيصل ملكاً على سورية. إساءة تقدير سايكس وكنتشنر لقوة الحركة الوهابية. بعض نجاح عسكري تحرزه القوات العربية قبيل نهاية الحرب. فرض فيصل ملكاً. موقف الزعماء السوريين من فيصل. قرارات النبي بخصوص سورية. خدعة لورنس. تنظيم دخول القوات العربية دمشق قبل دخول جيوش الحلفاء

الفصل التاسع

313-283

انعكاس اعلان تطبيق الدستور العثماني في ميسوپوتاميا (العراق). التيار الديني المعارض. تظاهرات ضد الانقلاب في بغداد وغيرها. واقع حكم السلطان عبدالحميد الثاني. مجهودات النواب العراقيين في مجلس المبعوثان. الاتحاديون يفتنون مدارس. صلود البدو العرب عن عملية الاصلاح. نزول الحملة البريطانية والفتاوى الدينية للعمل على نبذ الأحقاد والاستجابة لنداء الجهاد. انسحاب سريع للقبايل والقوات غير النظامية من القتال. إنشاء قوات الليثي والتطوع العربي فيها. دخول الجنرال مود بغداد، اذاعته البيان الذي أعده (مارك سايكس). لجنة في لندن لإدارة بلاد الرافدين برئاسة اللورد كرزن. كوكس رئيساً لإدارة في بغداد. عنوان الحاكم المدني العام. أرنولد ولسن خلفاً لكوكس - التعاون مع (گرترود بل). استسلام الحكومة العثمانية. التوقيع على الهدنة. لويد جورج وسياسته. التخوف من التدخل الأمريكي. صفقة بين لويد جورج وكليمانصو والتنازل عن ولاية الموصل. موقف القوميون السوريين من التسويات السرية. حق تقرير المصير. اقتراح الاستفتاء. الضباط العراقيون في سورية لايعملون على اسس قومية. اقتراح ضم ولاية الموصل الى الكيان الجديد. معضلة القوميات والطوائف المعارضة العراقية لتولية أمير عربي. لبشمان الضابط السياسي لولاية الموصل. ثورة العام ١٩٢٠. سياسة تخفيض النفقات حجر الزاوية في السياسة البريطانية. مؤتمر القاهرة. عرش العراق يعرض على فيصل فيقبل به. الخلاف حول الإقليم الكردي. طالب النقيب. فرض فيصل. تبني اسم (العراق) للدولة الحديثة بدلاً من ميسوپوتاميا. رفض أميركا العضوية في عصبة الأمم. ضم ولاية الموصل

الفصل العاشر

359-315

عوداً الى بدء النزاع على سورية. القوات العربية تستنق جيش الحلفاء في دخول رمزي الى المدن السورية. فيصل يلتقي بممثل زعيم صهيوني. تشجيع الهجرة اليهودية والتخطيط لإقامة دولة عربية. لجنة كنگ - كرين الامريكية، فشلها. سحب القوات البريطانية من سورية. شروط فرنسا لإبقاء فيصل. رفض السوريين مؤتمر سان ريمو ووضع الأقطار العربية تحت الوصاية. اعتزال كليمانصو العمل السياسي والتشدد الفرنسي. قرارات مؤتمر دمشق. فيصل يطلب العون التركي. مناورة الفرنسيين.

تحرك الجيش الفرنسي نحو دمشق. التخلي عن فيصل وخروجه من سورية. الأمير عبدالله وشرقي الأردن. ولادة الامارة ووضعها تحت الانتداب البريطاني. لورنس يفشل في حمل الشريف (الملك) حسين على توقيع معاهدة. (عبدالله فيليب) مستشاراً للأمير عبدالله. أوضاع شبه الجزيرة العربية. الخلاف بين ابن السعود والملك حسين. تحرك الإخوان. هزائم الملك حسين. السياسة البريطانية بين الغريين. مصر والحماية البريطانية. قيام سعد زغلول ومصطفى كامل. الحزب الوطني وحزب الوفد، نشاطهما. المؤتمر الوطني. التظاهرات في ١٩١٩ في القاهرة والاسكندرية. تدخل الجيش البريطاني. نفي سعد زغلول ورفاقه، ثم عودتهم. الرابطة الاسلامية المصرية. شعار مصر للمصريين. جمال الدين الأفغاني - محمد عبده: آراؤه التقدمية، نظرتة الى الإسلام. الأوضاع العامة في الجزائر وتونس، اشتباكات مع الفرنسيين وأنشطة وطنية. تواصل النزاع بين الملك حسين والإخوان ملحق: تقرير كتبه النقيب معين نصيرالدين أحمد للفترة المنتهية بـ ١٩٢٠ من أيلول ١٩٢٠

الفصل الحادي عشر

404-361

الحكام الأجانب، ما خلفوه من أثر ديني أو قومي لا يذكر. فقدان الرأي العام السياسي. الولاة وقتي وموزع وإرغامي على الأكثر. أيام الاحتلال الأولى ومعاداة المحتل. أولى براعم الوعي القومي العربي في عاصمة الولاية، وقوفه ضد التيار التركي القوي. الخلاف بين الجنرال مود قائد القوى المحتلة وبين (كوكس) الحاكم المدني العام. زيارة ستورز من المكتب العربي وتحواله في المدن العراقية. وفاة الجنرال مود، كوكس يبقى حراً في العمل. استئناف الزحف في كردستان وسائر الولاية. دخول الجيش الانكليزي الموصل رغم ممانعة واليهما التركي الشديدة بعد التهديد باستئناف القتال عليها والتلويح بمواد الهدنة. القحط والمجاعة في الموصل. معالجة الجيش المحتل السريعة للوضع الاقتصادي. ولاية الموصل تصبح مشكلة دولية ويرفع أمر البت في عانديتها الى عصبة الأمم. الاقلية واليهود في التاريخ العراقي. قانون إسقاط الجنسية. البصرة وطلب الارتباط بالهند. اغتيال الضباط البريطانيين. الأندية العرب، يستخدم المحتل بعضهم. مركزهم الاجتماعي. العاملون منهم في سورية ومعظمهم ضباط قداماء في الجيش التركي. الدعاة والوكلاء الأتراك ينشطون في الولاية. آراء إدموندز. الميثاق القومي التركي. ثورة الفرات والتحاق بعض الضباط بها. محاولة إشعال ثورة مماثلة في الشمال. تفاصيل الحملة على تلعفر وسنجار. مقتل الضباط في تلعفر وفشل التقدم نحو الموصل. ختام الحكم العسكري في العراق. تنويج فيصل. أول حكومة عراقية. إسناد مسؤولية الدفاع عن العراق الى القوة الجوية الملكية. قضية الأثوريين النازحين. رأي (ولسن وإدموندز). معسكر بعقوبة. تجنيد الليفي الأثوري. محاولة العودة الى وطنهم حكارى تمنى بالإخفاق والعودة الى العراق. حكومات مدن أثناء القتال. معارك الاحتلال. استئناف الزحف واحتلال كردستان. المجاعة والقحط. تسليم عاصمة الولاية وختام الحرب. الموقف العام من الأثوريين، المفاوضات بشأنهم، مصيرهم. أعمال لجنة التحقيق وتعيين الحدود

ملحق: مقتطفات مما كان ينشر في الصحف العراقية حول خروج الأثوريين الى سورية

الفصل الثاني عشر

457-405

النزاع على ولاية الموصل. دور القوميون العرب فيه. النشاط التركي. الوعي القومي الكردي المتزامن. أغلبية سكان الولاية المطلقة من الكرد. الأقليات الدينية والعنصرية. موقف سكان المدينة السليبي من القوميون العرب. لا نشاط كردي داخل المدينة. الموقف المسيحي - اليهودي الجدي من رفض التبعية لتركيا. معركة دبلوماسية خفية بين بريطانيا وتركيا. إيقاظ المشاعر القومية ضد المشاعر الدينية التي

كان يتسلح بها أغلبية السكان بممالة الأتراك. قرار عصبة الأمم بتشكيل هيئة تحقيق تزور الولاية وتقوم بمهامها موقِعياً. مفهوم جديد للقوميين الدعاة يختلف عن المفاهيم الأولى. التوتر على الحدود وإرسال قوات تركية عبر خط بروكسل. حث البريطانيين بغداد على إمضاء معاهدة قبل البت بعائدية الولاية. الشارع والصحافة. إبرام المعاهدة مع احتراز بطلانها إن لم تعد ولاية الموصل جزءاً من العراق. قرار اللجنة. الأقلية المسيحية واليهودية تصوّتان الى جانب الكرد. فصل الدين عن السياسة. الإلتزام القومي بالدين الإسلامي ورفض تركيا عودة اللاجئين الأثوريين الى مسكنهم في حكارى. فشل المساعي البريطانية. في ١٨ أيار ١٩٢٥ ختمت لجنة الحدود التابعة لعصبة الأمم أعمالها وأصبحت ولاية الموصل جزءاً من العراق. إحالة قرار اللجنة الى محكمة العدل الدولية، تأييده. معاهدة لوزان ١٩٣٣ نصر لتركيا

ملحق: نصوص معاهدة لوزان الخاصة بتسويات الأقاليم العثمانية والشرق الأوسط ووضع الأقليات [بين دول الحلفاء وتركيا - تعليق

الفصل الثالث عشر

493-459

قومية الدولة العراقية والأقليات. مقارنة بين عهد الخليفة عمر ابن الخطاب ورسالة الشريف حسين الى مكماهون حول كيفية تعامله مع أقليات امبراطوريته. لجنة گنگ - كرين. في لبنان اندفاع مسيحي غير متزن. مواقف أحيار الأقليات المسيحية في العراق تستنكر التصريح. موقف الأقلية التركمانية. مدرسة فيصل وخريجوها (الضباط القداماء) نظرتهم التركية الى انتفاضات الكرد السياسية تلتقي بنظرة الدولة في انهم خارجون على النظام ومنتقضون على الدولة والتأديب العسكري هو الوسيلة الوحيدة. الصحافة المحلية تشجع هذه المواقف. زرع بذور التفرقة والحيلولة دون بناء شعب عراقي موحد. البريطانيون يعدون الأثوريين بالاستقرار في العراق. تصاعد النفرة من وجودهم بنشاط الدعاة القوميون المتطرفين. شعار الوحدة العراقية يذفن بالشعارات العربية المطلقة. البديل عن نظام (ساندمان بروس) الفاشل في الجنوب وفي الشمال. التمييز القومي بدلاً من التمييز الديني يغدو شعار الساعة. محاولة تعريب الأكراد والمسيحيين بزعم أن الأكراد أصلهم عربي وهم يشغلون أرضاً عربية كالمسيحيين واليهود. البريطانيون في وجه الطموح الكردي. بريطانيا تتصلص أمام عصبة الأمم من مسؤولياتها في حماية الأقليات العراقية. العداء العربي للأثوريين المجندين في الليفي يتسع ليشمل الأثوريين القادمين والمستقرين. مقابلة نفرة بنفرة. السيف القومي يشرع في وجه القوميات ١٩٢١-١٩٣٣

الفصل الرابع عشر

535-495

فرض الانتداب الفرنسي على سورية. سورية الطبيعية. آراء (مس بل). أخذ الفرنسيين بالتعددية القومية والمذهبية وتشجيع الحكم المحلي. إقامة دويلات ضمن اتحاد سوري فدرالي. انتفاضة في دمشق وقصفها بالمدفعية. سن الدستور. سلطة الانتداب ترفضه. الهجرة اليهودية. ضيقة الحق العربي بفعل زعمائه. مواقف الزعماء القداماء والقيادات الزائفة المرجحة. اعلان ابن سعود نفسه سلطاناً في ١٩٢١ بعد استيلائه على الحجاز. الهوية المصرية. الجيل الوطني الجديد. ظهور الاشتراكية ونشاط الشيوعيين. المجهودات القومية في أرجاء الهلال الخصيب: سطحياتها، لهجتها الحماسية. مجرد الخطب والقصائد. الضرب على وتيرة التذكير بالمجد الغابر والامبراطورية الزائلة. خلو الدعوة من المبادئ الانسانية والديمقراطية. التركيز فحسب على الاستقلال وطرد الأجنبي. معركة بين محبدي السفر وبين الحجاب تأخذ طابعاً سياسياً وعقائدياً. نادي التضامن القومي. اتجاه جديد في العمل

على "وطن عراقي" بدلاً من شعار "العراق القومي". حادثة النصولي. احتجاج الشيعة. مجيء (ألفريد موند) إلى العراق. قيام التظاهرات وطلب طرده لمملأته الصهيونية. مظاهرة العشرين ألفاً. القضية الفلسطينية في مقدمة قضايا الوطن العربي. انهاء الانتداب والغاء المعاهدات. مشروع وحدة الهلال الخصيب تحت التاج العراقي. فشل المشروع بعد تحييد القوميين له ثم معارضتهم. القوميون العرب وافتتانهم بالحركة الفاشية في إيطاليا. موسوليني معبود القوميين. دراسة التاريخ العربي ذات الجانب الواحد. (ابن سيار) والمبالغة العربية. الحصري: آراؤه، تعريفه للقومية العربية، وتقديره للهوية والانتمائية

الجزء الثاني

سبل ملتوية

الفصل الخامس عشر

574-537

حول الجيش العراقي الجديد. كوكس يوصي بإنشائه. زيادة في قوات الليثي المرتبطة بسلطة الانتداب وفقاً لمقررات مؤتمر القاهرة. الليثي ليس آشورياً خالصاً. النفرة العامة من الجندية تنقلب إلى عداة وبغضاء لليثي. الليثي بمثابة أداة قمع محلية إلى جانب القوة الجوية البريطانية. فكرة استناب قانون خدمة العلم. رد اللاتحة في البرلمان. المعارضة الشعبية. كلمة النائب اسماعيل الرواندوزي حول خدمة العلم. استناب القانون بعد مذايح آب مباشرة. استحداث الكلية العسكرية لتخريج صفار الضباط. الهوية الكبيرة بين الضباط والجندي المكلف. زواج القومية بطبقة الضباط العراقيين. اشتباكات الديرة بون وتأثيرها في إصعاد أسهم الجيش العراقي وزيادة شعبيته. الضباط يتبوأون مركز الصدارة في قلوب دعاة القومية. إطراء الصحف الكبير للوقفة الصامدة. موقف الاصلاحيين والديمقراطيين المحير من أحداث آب. جريدة الأهالي والتقدميون. الثناء الكبير على ما أنجزه الجيش في الشمال. بدء اتصال الاصلاحيين بالقائد بكر صدقي. الموقف البريطاني المساند للعراق والتخلي عن كانوا يعتبرون أحلافاً له. رأي المؤرخ البريطاني (آرنولد توينبي) في المذايح. تعليق الشاعر محمد مهدي الجواهري. إيمان الاصلاحيين والديمقراطيين بأن الجيش قادر على إحداث إنقلاب ديمقراطي إصلاحي. هجوم إعلامي على ياسين الهاشمي لأنه اعترف في عصبة الأمم بما ارتكبه الجيش. القائد بكر صدقي شوقي القائد الذي تتوجه إليه الأنظار. تأمر الضباط بعضهم على بعض بشعارات قومية

الفصل السادس عشر

622-575

العراق مصدر الإشعاع القومي. الاتجاه نحو ألمانيا الهتلرية والاشتراكية القومية (النازية). طريق الالعودة بالمفاهيم الفاشية. الدعاية النازية عبر الأثير وفي ميدان الصحافة. بنية الجيش الألماني تثير إعجاب الطبقة العسكرية في العراق. الزائرون تبهرهم في ألمانيا المظاهر وعلامات الانتعاش الاقتصادي الواضحة. ألمانيا النازية معروضة للعالم دون قيود. من أوائل الزوار الدكتور (سامي شوكت). ابتداءه نظام الفتوة. (أنطون سعادة) والحزب القومي السوري. (أحمد حسين) وذوو القمصان الخضضر في مصر. رعاية الانكليز للاتجاهات المتشددة في البلاد الناطقة بالعربية وتشجيعهم الصلات مع ألمانيا وإيطاليا الفاشيتين لوقف انتشار المفاهيم الاشتراكية والشيوعية. تطعيم الاتجاه الجديد في الدراسة بمعلمين قوميين من لبنان وسورية وفلسطين. الاستاذ ساطع الحصري، الرابطة بينه وبين الملك. اطلاق

الحرية للتوجيه القومي العربي في سياسة التعليم. فشل محاولة فك ارتباط القومية بالدين. نادي المثني وأعضاؤه. الشيوعية في مواجهة الغزو النازي. بقاء الأفكار النازية في تعاليم واتجاهات القومية العربية بعد هزيمة ألمانيا والقضاء على الحزب النازي. التمرد اليزيدي. قضية عبدالله فائق المحامي وزميله. نظام الفتوة وعسكرة التعليم. أصل نظام الفتوة. الشحنة الأمنية في عصر السلاجقة (القرن الثاني عشر الميلادي). مناورة الخليفة الناصر لدين الله. مفارقات في تطبيق النظام. الطابع الهزلي. فضائح. طموح (سامي شوكت). إلغاء النظام بعد القضاء على حركة ماس. ملحق: نظام الفتوة رقم (٥٠) لسنة ١٩٣٥ - نظام الفتوة رقم (٢٧) لسنة ١٩٣٩

الفصل السابع عشر

668-623

إبعاد القضية الفلسطينية. الركن المركزي للقوميين العرب. قسطنطين زريق في "معنى النكبة". النازيون يشجعون يهود ألمانيا على النزوح إلى فلسطين إزاء فرض البريطانيين قيوداً صارمة على الهجرة. بيوتات عربية تسهل الهجرة اليهودية. قوانين نورمبرغ ١٩٣٧. علنية التشجيع الألماني على الهجرة. (البارون فون ملدنشتاين) الميدالية الألمانية - اليهودية. غوبلز وصفتي فلسطين الحسيني. الحسيني يرسل (موسى العلمي) مندوباً عنه إلى ألمانيا. سلاح ألماني عبر العراق إلى الفلسطينيين وسلاح جيكي ونمساوي لليهود (فرقتا شتيرن وهاگاناه). ياسين الهاشمي يقتحم الميدان. كراس (إيخمان). تدريب الشباب اليهودي في ألمانيا قبل إرسالهم إلى فلسطين. القوميون ينسبون كل الجرائم إلى بريطانيا ويحملونها كل التبعات. (صلاح الدين الصباغ) عقلية قومية غريبة. كتاب (فرسان العروبة) خلط أيدولوجي ونقائض. الإسلام ركيزة للقومية لا غنى عنها في ميدان العمل القومي. تصنيف لرجال الحكم العراقيين على أساس أرومتهم العربية. الطابع السلبي الشكوكي للقومية العربية بعد الحرب. رسوخ الأيدولوجية النازية في فلسفة العمل القومي. آراء (الريحاني) تأرجحه بين القومية السورية والقومية العربية. الديمقراطية الليبرالية في البلاد العربية. المفتي، هرويه من فلسطين ووصله بغداد، تدخله السافر في شؤون العراق. المفتي يغدو المرجع الوحيد في تشكيل الوزارات العراقية وعزلها بفضل مركزه عند الضباط القوميين. اليسار الاشتراكي، جماعة الأهالي، التنظيمات الشيوعية الأولى. قانون مكافحة الآراء الهدامة ملحق: شخصيات فلسطينية تاريخية باعت الأراضي لليهود

الفصل الثامن عشر

707-669

حركة ايار (مايس) ١٩٤١. محاولة وضعها في المكانة التاريخية الحقيقية التي تستحقها. عصبة العسكريين والمدنيين السبعة (التسعة؟ العشرة؟). الاتصال بدولتي المحور ألمانيا وإيطاليا. سياستهما. التوصية بتجنب عمل عسكري في الشرق الأدنى باعتباره عملاً مخللاً يخططهما العسكرية. عشوائية صلاح الدين الصباغ وغباؤه العسكري. الجيش العراقي يتلقى ضربات قاضية من الجو. اضطراب البريطانيين إلى استخدام القوة. كم هي مكاسب القوميين وكتناهم من الإصرار على نعت حركة ماس بالثورة التحريرية ضد الاستعمار البريطاني؟ رشيد عالي وفاضل الجمالي. مفاوضات سرية تقوم بها حكومة رشيد عالي في برلين. تدخل الحركة في موعد غزو الاتحاد السوفييتي. الحاج أمين الحسيني يغدو المرجع السياسي الأعلى في العراق. الخلاف المصطنع حول تفسير بنود المعاهدة العراقية البريطانية. ضجة صحافية، اجتماعات جماهيرية وخطب حماسية ضد الانكليز. راديو بغداد في حملة قومية عنيفة على الحلفاء. حكومة الكيلاني تفشل في الحصول على تصريح ألماني يؤيد استقلال البلاد العربية التام ووحدتها الشاملة. إيطاليا تعمل للحلول محل فرنسا في سورية ولبنان.

مثل المفتي كمال عثمان حداد في برلين. جواب وزارة الخارجية الألمانية مخيب للأمل. دولتنا المحور تلعبان بالألماني القومية العربية. محادثات بين الكيلاني وصلاح الدين الصباغ. مذكرات علي محمود الشيخ علي. سير العمليات وهروب زعماء الحركة. تسللهم إلى إيران عبر الحدود وتبادل التهم والشتائم فيما بينهم

الفصل التاسع عشر

756-709

(تتمتع) الحقيقة في توجيه الشعور القومي العربي. الآثار البعيدة والقريبة. البريطانيون يشجعون المسيرة القومية باعتبارها خصماً ليسار. المد اليساري يكافح بشدة. الوجه الهازل والوجه المساوي في حركة مايس. ذكريات خاصة وانطباعات شخصية. الزعامات المحلية تتبنى السياسة البريطانية إزاء اليسار وازاء الأفكار النازية. كتابات الشباب بزعامة يونس السبعواي خلال شهر أيار. صيد السحرة تعقيب الجواسيس الوهميين وأصحاب أجهزة اللاسلكي. عيّنات من هذه المضاحك. أكاذيب إذاعة برلين. يونس بحري ورسائله إلى راديو بغداد والشعب العراقي. الخسائر التي مني بها الجيش العراقي. قصف الموصل. خسائر المدنيين. مذبحه الأول من حزيران بيهود بغداد. لجنة التحقيق. المجلس العرفي العسكري لمحكمة القائلين بالحركة وأعمال النهب. مشاركة المتطوعين القوميين السوريين برئاسة أكرم الحوراني (لجنة نصرة العراق). موقف اليسار العراقي. الشيوعيون يستوحون موقف الاتحاد السوفياتي قبل الغزو. التحرك الكردي على الصعيد السياسي. رفض الكرد العراقيين التعاون مع الكيلاني وعصبته. بعض التحرك السياسي عند المثقفين والوطنيين الكرد. المطالبة بحقوق المواطنة المتساوية. مقاطعة حركة مايس في السليمانية. معسكرات اعتقال جنوب العراق للعناصر المائلة. انحسار المد القومي

ملحق: ذيل قانون العقوبات البغدادي، رقم ٥١ لسنة ١٩٣٨ نشر في جريدة الوقائع العراقية بالرقم ١٦٣٣ وتاريخ ٩ ايار ١٩٣٨

797-757

الفصل العشرون

تصورات جديدة للعمل القومي. بداية الحرب الباردة بين القوى العظمى وتأثير ذلك على الساحة العربية والفكر القومي. إنحياز أم عدم انحياز؟ وإلى أي جانب. الانتداب الفرنسي، مشاكله في سورية ولبنان. الأتانيات تقحم نفسها. الانتداب الفرنسي وسورية. المفاهيم القومية وتشتت آرائها. الحزب القومي السوري المناهض. الموقف المصري من القوميين السوريين. اضطراب القيم والموازن الفكرية. رحلة خلال تاريخ الحركة القومية السورية. انقلابات عاطفية. حالة اليقظة. العراق مركز الثقل القومي في الخمسينيات. التجزئة الفرنسية لسورية على أسس الطائفية والعنصرية والدينية. المندوب السامي (دي مارتيل) دكتاتوراً على سورية ولبنان. الكتلة الوطنية. إبراهيم هنانو. وفد سوري لمفاوضات على معاهدة سورية - فرنسية. الجبهة الشعبية الاشتراكية الفرنسية تسلم بأكثر قدر من المطالب السورية. المعاهدة بدلاً من الانتداب وتأسيس حكومة مركزية. مخاوف من تسليم الاسكندرونة للأتراك. الخلاف العميق المتفجر داخل الكتلة الوطنية السورية. المندوب السامي يعود ليحكم حكماً مباشراً. تصورات قومية في العلاقات بين الدول وشعوبها. جمال عبدالناصر. نعي ميشيل عفلق وإعلان إسلامه. عصبية (زكي الأرسوزي) البعثية. التأليف بين المجموعات القومية. تراشق التهم. الاتهام بالعمالة. قيام حزب البعث العربي. مهمة (فون هنتك). قتال بين قوات فيشي وقوات فرنسا الحرة. ديغول يدخل دمشق. الكيان اللبناني. الطائفة المارونية. التمسك بالكيان الذي خلقه الانتداب. الميثاق الوطني اللبناني

الفصل الحادي والعشرون

846-799

نشأة البعث. شعاره الأول (١٩٤٣) انتشاره بين التلاميذ والعسكريين "حرية. مساواة. اخاء." و"كان الشعار يستبدل أكثر من مرة". توزيع بيانات ومناشير تنحو عين ذلك الهدف الحماسي كتبه زعيمه عفلق والبيطار. أعاد هذان الكرة بطلب اجازة حزب فرفض. بدأت ألسن عربية وغير عربية تتحدث عن خلو دورة عفلق الدموية من قطرة دم عربية واحدة فأسرة جده من جماعة الارثوذكس الذين كانوا يعيشون في إقليم أفلاشيا الذي كان يعرف عند الأتراك بالأفلا ومنه جاء لقبه. والأصل عند البعث غير مهم فمادمت تعترف بأنك عربي وقد بينته بنشاطك الصادق فأنت عربي. طلبا اجازة من السلطات الفرنسية ورفض الطلب. أصدر جريدة (البعث) موشحة بشعار ثان "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة". انتشار مفاهيم الحزب بين التلاميذ وصغار الضباط. دمج البعث والعربي الاشتراكي الذي كان برأسه (أكرم الحوراني) وخروج الحزب الجديد باسم [حزب البعث العربي الاشتراكي] صارت الجريدة تعلن عن أهداف الحزب ونواياه وفتحت قاموسها الخاص بشرح غموض أغراضها ومفاهيمها من التعابير السياسية الجديدة. من هو العربي؟ ما يقصد بالاشتراكية؟ متى تنتظر الاشتراكية اقتصادياً. سيكون البعث نهاية تاريخ القومية العربية - الارتباط العضوي بالاسلام إلا أن القومية ستحل محلها بالنهاية. أما الآن فيجب التمسك به. بؤس التنظيمات البعثية. حملات التطهير والتصفية من الداخل والخارج. البعث يدعو إلى وحدة ضيقة بين العراق وسورية. عود إلى الدكتور قسطنطين زريق. ازاحة منيف الرزاز القائد البعثي الواعي الديمقراطي. شكري القوتلي رئيس جمهورية لدورة ثانية. انقلاب حسني الزعيم في ٢٠ آذار. إرسال الزعماء والساسة إلى السجن ويضمنهم عفلق. بعض اساءاته: تسليم رئيس الحزب القومي السوري أنطون سعادة إلى اللبنانيين بعد منحه حق اللجوء السياسي. الجامعة العربية، الميثاق الهزيل، فشلها الذريع المتواصل في حل أي قضية عربية. العراق في عهد الأحزاب ١٩٤٦. النشاط السياسي الكردي بعد رفض اجازتهم بحزب. الحديث حول إلغاء معاهدة ١٩٣١ لا استبدالها. قيام الأحزاب المشكلة حديثاً ضد المعاهدة بتظاهرات سفكت فيها دماء وأوقف العمل بتجديد المعاهدة أو استبدالها

الفصل الثاني والعشرون

847-893

كراس لعفلق وآخر للبيطار يوزعان في جامعة بغداد حول الوحدة العربية. نواة بعثية صغيرة في أبعها الجامعة. حزب سري. حزب الاستقلال يقضي على جانب من قوته بالمشاركة في حكومة الصدر. بعد (الوثية) استمد البعثيون كوادهم من العناصر الاستقلالية التي عارضت المشاركة في الوزارة، ورحبوا بدخول الشقاوات وأصحاب السوابق إلى جانب تلاميذ كليات رفيعي المستوى. الكم قبل الكيف رغم العقبات التي وضعها الحزب أمام العضوية الكاملة والمراتب التي يجب أن يجتازها ليظفر بهذه الرتبة. وزارة مزاحم الپاچچي واستمرار الأحكام العرفية الشاملة كل العراق. الملاحقة امتدت إلى اليهود فقدم عدد منهم إلى المحاكم العرفية. الحكم على شفيق عدس وإعدامه الحياة، إلى جانب عدة من اليهود، وامتلاء السجن بالمثقفين والمعارضين وأعضاء أحزاب اليسار. لم يصدر قرار من مجلس عرفي واحد يمس بشكل مباشر أو غير مباشر سلامة الجيش. القضية الفلسطينية قميص عثمان بيد الجميع وأداة لإسقاط الحكومات بتهم التقصير فيها. حماقة توفيق السويدي. إسقاط الجنسية عن مئة وخمسين ألف يهودي عراقي. خطبة (عزرا مناحيم دانيال) في مجلس الشيوخ (الأعيان). اعتراف مصر بحكومة الانقلاب السوري. بيان ثان بإسقاط حكم حسني الزعيم وقيام حكم عسكري ثان بزعامه اللواء سامي الخناوي، بعد ١٨٥ يوماً من حكم الثاني يجري انقلاب ثالث. بيان ثالث من قائده العقيد أديب الشيشكلي. اعلان نفسه رئيس جمهورية. رعايته لتنظيم سياسي باسم (حركة التحرر

العربي). قضاؤه على الأحزاب وإهداره الحياة الحزبية. البعد العراقي في إنجاح انقلابه. انقلاب فيصل الأتاسي وبيان رابع. محاولة الكزبري الانقلابية ملحق: اليهود العراقيون

941-895

الفصل الثالث والعشرون

مصر في عهد الملكية. الفشل العسكري في فلسطين بعد التقسيم. الملك فاروق أمام دستور العام ١٩٢٣. تحديد الوجود البريطاني في مصر بعد معاهدة ١٩٣٦. الوفد والأحزاب المصرية. الجيش المصري: قوامه، تشكيلاته القتالية، ضباطه. عود إلى عزيز علي المصري. حزب مصر الفتاة. أحمد حسين وفتحي رضوان. اتجاه القصر نحو دول المحور وصراع الوفد مع الأحزاب المماثلة للقصر. حركة الإخوان المسلمين، تحولها إلى حركة سياسية. حسن البنا ثم الهضيبي مرشداها. يوم ٤ فبراير وإرغام فاروق على تكليف النحاس بالوزارة. تقسيم فلسطين واعتراف الدول الكبرى. بداية التدخل المصري في الشؤون العربية. قيام جامعة الدول العربية. حزب الوفد والأحزاب الأخرى، موقفها من ثورة يوليو. تنظيم الضباط السري. نجاح الثورة. محمد نجيب. موقف الفكر المصري من الثورة. الأدباء والعلماء والصحافة. أهداف الثورة ومقاصدها. المتغيرات. محمد نجيب. الصراع على السلطة مع الإخوان المسلمين والشيوعيين. الصراع الداخلي بين الضباط الانقلابيين. محكمة الثورة. كفر الدوار. محاكمة رجال العهد المباد. تسخير القوانين لتثبيت شرعية النظام الجديد. عبدالناصر يحكم قبضته على الحكم. استقالة محمد نجيب واعتقاله. المظاهرات تنفجر مطالبة بعودته. عودته ثم استقالته. تحول الشارع إلى صف عبدالناصر

981-943

الفصل الرابع والعشرون

عبدالناصر. القومية العربية لا الوطنية المصرية. شعار "العزة والكرامة" ولا منهج واضح للعمل القومي. رابطة اللغة والدين. ساطع الحصري وعبدالناصر. المصري عدو البعث الأول. هجوم متقابل. (فلسفة الثورة) مقتطفات منه. جمال عبدالناصر ونوري السعيد. الجامعة العربية. خيبة عبدالناصر بها. هجومه إعلامياً على ساسة العرب "الرجعيين". موقفه من حلف "بغداد". إجراءات القمع وسلطات أجهزة الاستخبارات في مصر. إقامة المعتقلات الصحراوية. التطبيق المرعب لحريات الفرد المصري. القبط: موقفهم من دعوى العروبة والوحدة، أحوالهم في عهد الحكام المستبدين وفترة المالك، دفاعهم عن الهوية المصرية. النزوح القبطي الجماعي إثر تطبيق القوانين الاشتراكية. إسقاط "القبضية" من التاريخ المصري. الدكتور لويس عوض سجين القومية. التضامن العربي لا الوحدة أو الاندماج. دعوى فاروق في رئاسة العالم الإسلامي. عودة الجيش السوري إلى حلبة السياسة. وزارة صبري العسلي. عدنان المالكي معاون رئيس للأركان، اغتياله. فارس الحوري، إرغامه على الاستقالة وعودة العسلي. اختيار شكري القوتلي رئيساً للجمهورية. توحيد الجيشين السوري والمصري. بروز عبدالحميد السراج. تشديد قبضة الأمن على الجو السياسي. محاكمات السراج الثلاثة. البطش بالحزب القومي السوري (المحاكمة الأولى). محاكمة الرجعيين والمحافظين من النواب والساسة المعتدلين. محاكمة كبار ضباط الجيش بتهمة محاولة قلب نظام الحكم والعمل على اتحاد سورية بالعراق. مقارنة بين قومية البعث وقومية عبدالناصر على الصعيد النظري

1026-983

الفصل الخامس والعشرون

الانتماء بنظام عبدالناصر. حرب القتال. العدوان الثلاثي. محاولة إسقاط النظام الثوري. الإخوان

المسلمون يؤيدون القوى المؤثرة بعبدالناصر. مناشير تنادي بإسقاطه. الحرب الباردة تنفذ عبدالناصر - الدور الأمريكي - السوفياتي في صد العدوان. حسم المعركة بالنصر وقيام اسطورة عبدالناصر في البلاد الناطقة بالعربية. تدمير سمعة نوري السعيد خصمه الألد. سورية أقرب أهدافه القومية العروبية. برقيته الجوابية الوقحة لتهنئة العراق بنصره. حزب البعث في سورية، انقسامات سياسية بين ضباط الجيش وبد البعث فيها. حملة للحصري على البعث. مجلس القيادة العسكري أعلى سلطة في الدولة. طلب المجلس من مصر اقامة وحدة شاملة للقطنين. دور السفير المصري محمود رياض. انقلاب عسكري ضد الحكومة الدستورية ودور البعث - البيطار ووفد إلى القاهرة. قبول عبدالناصر بعد اجراء استفتاء. بيان الوحدة المشترك. الهجوم الاعلامي على كميل شمعون. تهديد النظام الديمقراطي اللبناني. المعارضة والجيبة الوطنية المتحدة. شعارات العروبة والقومية العربية. صائب سلام يتزعم الحركة الموالية للقاهرة. تدخل مصري سافر في أحداث لبنان. التدخل العسكري الأمريكي. خاتمة الحرب الاهلية. انتخاب فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية. حكاية البعل اللبناني. موقف الرئيس الجديد من اللاجئين الفلسطينيين. فتح باب الهجرة من الاردن. تسهيله نقل تشكيلاتهم العسكرية. التزام الطائفة الشيعية اللبنانية بالحياد. الفلسطينيون يقيمون في لبنان "دولة داخل دولة". اليقظة الشيعية وحركة "أمل"

1068-1027

الفصل السادس والعشرون

الأردن والشعارات القومية. القوى الناصرية. مستقبل غامض لدولة صغيرة. دعاية عبدالناصر وضغوط إعلامية. الزخم الفلسطيني. إنهاء العمل بالمعاهدة الأردنية - البريطانية. مغادرة الحاميات البريطانية. طرد كلوب من الجيش الأردني. أبو نوار رئيساً للأركان. نشاطه مع الناصريين. مسيرات ضخمة أثناء العدوان الثلاثي. قطع المعونة المالية الانكليزية. الإعلامان المصري والسوري يشيدان بوطنية حسين وعرويته. وقوعه تحت تأثير المخادعين الناصريين وقومييه. السعوديون يشعرون بالخطر ويتقربون من الحسين. الفوضى والمظاهرات. الحسين يوجه انذاراً للنابلسي بوجوب وضع حد لانتشار الآراء والعقائد المتطرفة. النابلسي أداة طيعة بيد عبدالناصر ساعة الحسم. محاولة الانقلاب. أبو نوار قائد المحاولة. صمود الحسين وأعوانه. فشل الانقلاب والتصفية. اضراب عام. الانذار الأمريكي ونزول مشاة الأسطول السادس ساحل لبنان. اجتماع الحسين بالعاقل السعودي. حلف جديد. التآمر على حياة الحسين. الفشل المتواصل. فشل الناصرية في إحداث تصدع أردني. السودان. مؤتمر الخريجين. رفض وحدة مصر والسودان. حكومة الأزهر. التهديد المصري العسكري. شكوى السودان أمام مجلس الأمن. انقلاب الفريق ابراهيم عيسود. البيان الأول. المجلس الأعلى العسكري اللبناني. محاولات انقلاب. المجلس الاشتراعي. ثورة شعبية تطيح بدكتاتورية عبود

الجزء الثالث

انقلابات وكتاتوريات عسكرية

1121-1069

الفصل السابع والعشرون

قيام إنقلاب ١٤ تموز. أثورة أم إنقلاب عسكري؟ رد الفعل الأول عند عبدالناصر. هيئة الضباط الثوريين العليا. أهداف ضباط الرابع عشر من تموز. هناك خطط مسبقة؟ عودة إلى الورا. فشل المحاولات الدستورية الاصلاحية والانتفاضات الشعبية السابقة في تحويل الحكم الملكي عن خطه المجافي للدستور. عدم تجانس القائمين بالانقلاب. اتجاهاتهم العقائدية والفكرية. بدء الصراع والخلاف

حول الأهداف والنوايا. المنافسة على الزعامة. ظروف مقتل الأسرة المالكة. قوانين الثورة. شذوذ بعضها عن الخطوط والمبادئ الدستورية والقانونية الصحيحة. قانون الإصلاح الزراعي. جبهة الاتحاد الوطني وصلتها بالضباط الانقلابيين. الأحزاب. التيار العروبي يحتل الميدان. التصدي الشيوعي في الإعلام وفي الشارع. موقف (ج.ع.م). التدخل الخفي والسافر باتجاه الوحدة الاندماجية. (قاسم) والحزب الشيوعي. مواكب ومسيرات. سيطرة الحزب على الإذاعة وعالم الصحف. البارتي (الحزب الديمقراطي الكردستاني). شعار الوحدة الفورية ازاء الحقوق السياسية الكردية. فصائل المقاومة الشعبية. الحكم الفردي المطلق. دكتاتورية عسكرية. انفراد قاسم بالحكم بعد ازاحة عبدالسلام عارف. تضاؤل نداءات الوحدة. الشيوعيون يخوضون المعركة الاعلامية. حكومة تمثل الأحزاب. الوعود بالإصلاحات. التقرب من الكتلة الشرقية ملحق أول: النص الحرفي للاعتراف الخطي ملحق ثان: أمثلة من التاريخ العراقي

الفصل الثامن والعشرون

1161-1123
تمثيلية اذاعة "عارف"، المسرح؛ وزارة الدفاع. عارف متهماً بالتآمر على قتل "قاسم" أمام المهدي. التكييف القانوني المزيّف. الحكم عليه بالموت. قصة عبدالسلام الكاذبة بعد القضاء على قاسم. الحزب الديمقراطي الكردستاني ورئيسه البارزاني يدعم حكم قاسم. حكمه واتجاهاته على الصعيد الدولي مع الشرق والغرب والبلاد الناطقة بالعربية. تدخل (ج.ع.م) في شؤون العراق. تغلّب شعارات الحزب الشيوعي في الشارع والصحافة. مؤامرة (ج.ع.م) وضلوع رشيد عالي. محاكمته والمشاركة والحكم عليه بالموت. الترشق بالتهمة والشتائم والفضائح عبر الأثير. مشروع انقلاب عسكري تتبناه (ج.ع.م). بإسناد الضباط القوميين في الموصل وكركوك وبغداد. اتصال المؤتمرين بسورية. الوعد بالمساندة. ساعة الصفر. أنصار السلم واجتماعهم في الموصل. مبالغت كبيرة في عدد الحاضرين. سورية ترسل جهاز بث اذاعي وأسلحة وتهيء لإرسال قوات مطوعة. اصطدامات مسلحة في معسكر الغزلاني بين المواليين ومناصري الحركة. العقيد الشواف يبغ نفسه برصاصة في المستشفى. جمال عبدالناصر ينفي الهزيمة ويعدّ البيانات بنفسه لتذاع من محطة الغوطة بظاهر دمشق. مذكرات عبداللطيف البغدادي. قرار عبدالناصر بالتدخل المسلح العشائري. العدول عن المحاولة الى الهجوم الاعلامي الشديد. تقرير السفير اللبناني عن الوضع في العراق. خرشجوف يهاجم عبدالناصر ملحق: ترجمة من كتاب "ابو الهول والقوميسار" من تأليف محمد حسنين هيكل بالانكليزية

الفصل التاسع والعشرون

1163-1214
التزييف والكذب. حرب الأرقام بين الحقيقة والخيال وإذاعة صوت العرب ومحمد حسنين هيكل والإعلام العربي كافة حول عدد الضحايا الذين هلكوا اثر فشل محاولة انقلاب العقيد الشواف. القوميون يعودون بعد فترة إيدانة أنفسهم بسوء التخطيط للمحاولة. السكوت القاسمي يفسح المجال لإطلاق المبالغت. موقف الحزب الشيوعي من المؤامرة. الإرهاب في الموصل. قاسم يطلق يد القتلة والمجرمين لقتل الضحايا الأبرياء بحجة تنظيف الموصل من الشيوعيين وأنصارهم توخيلاً لإحلال "الموازنة". مذبحته القضائية بالضباط القوميين القائمين بالحركة والمؤازرين وعدد من أعدائه. تفاصيل عن الأحكام الصادرة بحقهم. حصة المسيحيين من ضحايا الإرهاب في الموصل تدفعهم الى النزوح الجماعي. التعذيب في المعتقلات القاسمية. الحزب الشيوعي الحاكم الفعلي في الرأي العام والشارع. مشروع اغتيال "الزعيم". فشل المحاولة. أحكام الإعدام. صدع كبير في كيان حزب البعث بسبب

العملية. الحزب الديمقراطي الكردستاني: نشاطه. وصول اللاجئين الكرد من الاتحاد السوفياتي. التخوف الكبير من وجودهم. تغيير قاسم. محاكمة رئيس تحرير (جبات) أمام المجلس العرفي. تبرئته. غلبان في كردستان. الجيش العراقي يحتل مواقع استراتيجية في كردستان. بدء العدوان. القصف الجوي. اتصال القيادة الكردية بالمتأمرين على نظام قاسم. الحكم على نوايا الثورة الكردية وأهدافها بين الشيوعيين والبعثيين. استخدام المرتزقة. تقرب قاسم من القوميين العروبيين وإطلاق سراح العديد منهم. مؤتمر الصحفي

ملحق أول: الأمة الكردية والمادة الثانية من الدستور

ملحق ثان: شخصية عبدالكريم قاسم

الفصل الثلاثون

1215-1253
قصة الانفصال. وثيقة الوحدة والاستفتاء حولها. أوبرا ال ٩٩, ٩٩٪ بالموافقة. الوحدة من عمل الجيش. الفروق الاجتماعية بين سورية ومصر. السياسة الخرقاء بالتعامي عن الفروق. سورية تابع سياسي واقتصادي لمصر. أجهزة الأمن والمباحث. حكومة بوليسية. المجلس القومي. تأليه عبدالناصر في المناهج الدراسية. الاجراءات الاقتصادية الاشتراكية. حركة الانقلاب. استسلام المشير عامر. البيان الأول. خطاب عبدالناصر، اتهامه الساسة المخضرمين (المدنيين) والقوى الأجنبية بفك عرى الوحدة. حكومة مأمون الكزبري. الدستور الموقت ذو المواد الثماني. المفتي الأكبر يحلّ السوريين من قسم الولاء لعبدالناصر. بيان الزعماء القوميين حول الانفصال. صدمة عبدالناصر العنيفة ورد فعله. اللجوء الى التآمر. محاولات دبلوماسية وعسكرية فاشلة. موقف (قاسم) من الانقلاب. ازدواجية معلنة. وفد عسكري الى دمشق من بغداد. تأمر عبدالناصر بمساعدة الحكومة اللبنانية. صائب سلام يرفض الاعتراف بالانقلاب. اجتماع (قاسم) بالرئيس ناظم القدسي في الرطبة. التمويل الناصري للصحافة اللبنانية. خطب عبدالناصر ضد الانقلابيين. الخلاف بين العسكريين السوريين. انقلاب النحلوي الثاني. النحلوي رجل سورية القوي. فوضى وقتال في المدن بين العسكريين. استقالة الدواليبي. تكليف بشير العظمة. مؤتمر حمص العسكري. موقف الولايات المتحدة المساند لعبدالناصر. الشكوى السورية على مصر أمام جامعة الدول العربية. وثائق الادانة بالأرقام. تبادل الاتهام والعبارات السوقية الجارحة. دور النحلوي الأخير

الفصل الحادي والثلاثون

1255-1282
اليمن. المجتمع اليمني المتأخر حضارياً. الإمامة ونظام الإمام. الحكم المطلق. تاريخه واصوله. شرعيته. الوضع السياسي. المعارضون في اليمن الجنوبي. محاولات انقلابية على حكم الإمام. استقلال البلاد التام بعد الحرب العامة الأولى. نشوء الطبقة المثقفة والوعي السياسي. مناقشة السلطة الإمامية المطلقة. الوضع الداخلي المزري. جيش الإمام القبائلي. منافسو الإمام والمنتقضون عليه. اليمن الجنوبي موئل المعارضة. تنظيم سياسي "الجمعية الوطنية العظمى" برنامج إصلاحي فحسب لايتعرض لنظام الإمامة. مطالبية بسن دستور للبلاد وتحديد سلطة الإمامة. المحاولة الانقلابية الأولى ومقتل الإمام يحيى. مبايعة الإمام إبراهيم. عبدالله الوزير. انقلاب معاكس يقوده الإمام أحمد. اقتحام صنعاء واستباحتها. إعدام الانقلابيين. انقلاب الثلاثا وخلع الإمام. الفشل. دور (ج.ع.م). البيضاني. إصلاحات ولي العهد (البدر) وزياراته الدول الاشتراكية، فتحه البلاد للمشاركة العامة بوجه الأجانب. قصة الانقلاب الفاشل. وفاة الإمام واستخلاف البدر. انقلاب عبدالله السلال وهروب الإمام البدر ونشوب الحرب الأهلية. إعلان الجمهورية. النزاع الداخلي على المراكز والسلطة. برنامج

السلال، التدخل المصري، القوات المصرية تنزل أرض اليمن، الموقف السعودي من الانتصار للبدن.
تصاعد عدد الضحايا من الطرفين، اليمن واحدة من المشاكل الدولية
ملحق: الى العرب «الأرجوزة الأحمدية في حقيقة الاشتراكية الناصرية» من نظم الإمام يحيى
حميدالدين

الفصل الثاني والثلاثون

1283-1320

العناصر القومية النشطة تنزح عن العراق الى سورية أولاً ثم الى مصر. عودة لفحص مبالغات الإعلام العربي في قتلى أحداث الموصل وكركوك، حملات "صوت العرب" والصحف العربية. مساعي قاسم لكسب الرأي العام السوري بعد الانفصال. لقاءه مع ناظم القدسي. الشكوى السورية من عبدالناصر. فشل عبدالناصر في الجامعة العربية. متاعب قاسم. تعامله الغريب مع أعدائه والمؤتمريين به. ادعاؤه بالكويت وتكتمه في نواياه حيال الدولة الجديدة. إعلانه عن عدم استخدام القوة. اتفاقية ١٩ حزيران بين بريطانيا والكويت. الثورة الكردية. إعلان الانتفاضة وتسلم الحزب الديمقراطي الكردستاني قيادتها. إنزال قطعات بريطانية ثم عربية في أرض دولة الكويت الجديدة. انتباه العالم الخارجي الى الثورة الكردية. تأييد معنوي لعبدالناصر للثورة. محاولة الشاه في التدخل الى جانب الثورة ومساعدتها. تفاقم الوضع الداخلي في العراق. تكتل الضباط القوميين ضد قاسم. منافسة بين قيادة البعث والضباط القوميين على تزعم حركة انقلابية ضد قاسم. سياق محموم في المبادأة ثم التعاون. بيان الانقلابيين الأول. بيانات متعاقبة بالفصل والتعيين والإحالة الى التقاعد، وتنفيذ أحكام الموت. مؤسسة الحرس القومي. استباحة دماء الشيوعيين. حيرة العالم الخارجي من تشكيلة الحكم الجديدة. بوقية الاعتراف بالحكم من عبدالناصر وجوابها. استمرار سياسة الأخذ بالثأر. الإرهاب الأعظم والحوف. جلاودن محترفون. موقف الإعلام العربي من التصنيفات الجسدية وحمامات الدم
ملحق: من مذكرات ضابط معتقل في تلك الفترة

الفصل الثالث والثلاثون

1321-1348

تونس. التكوين العرقي. الكفاح ضد الفرنسيين. التأمير الناصري وحكاية خالد النقشبندي. انسحاب تونس من الجامعة بعد مهاجمة الحبيب الشطي عبدالناصر واتهامه بالتأمير على حياة بوقربية. طبيعة النفوذ العربي. نشاط المثقفين والأدباء. الاحتلال الفرنسي والمفاوضات. الأوضاع الادارية والحماية الفرنسية والأحزاب السياسية أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية. حزب بوقربية، نشاطه ضد الفرنسيين. صالح ابن يوسف الرجل الثاني في الحزب الحر الدستوري. أول حكومة تونسية برئاسة صالح ابن يوسف. هياج وتظاهرات عامة. اعتقال بوقربية ونقله الى الجنوب ثم الى جزيرة (جالطه). خلاف بين صالح ابن يوسف وبوقربية. طرد صالح من الحزب. انتقاله الى القاهرة وليبيا. استخدام المنشقين لاغتيال بوقربية. الكتاب الأبيض والتحقيق مع المتهمين. معارك مع قوات الاحتلال في شوارع العاصمة. معركة كلامية عنيفة في جلسات الجامعة العربية. تونس تتهم عبدالناصر بإرسال من سيقوم باغتيال بوقربية. تونس والعروبة في الميزان، وعدم الإيمان بقيام وحدة شاملة. اغتيال صالح ابن يوسف. البارزاني وأحزاب المعارضة القومية لحكم عبدالكريم قاسم. الاتفاق. وفد كردي الى بغداد لتأكيد الاتفاق على الحكم الذاتي. وفد رسمي عراقي بخصوص الوحدة الى القاهرة من أعضائه كورديان. اتفاق ٢٢ نيسان ١٩٦٣. محاولة انقلابية شيوعية. تجميد قانون الإصلاح الزراعي. إيقاف تنفيذ القانون رقم (٨٠) الخاص بالنقط. تدهور الوضع الاقتصادي. استئناف القتال في كردستان
ملحق: خطاب عبدالناصر لعبدالكريم عامر - ٢٣ شباط ١٩٦٣

الفصل الرابع والثلاثون

1349-1380

سورية. انقلابات سبعة متوالية. سحق المعارضة. حكومة خالد العظم. مذكرة الساسة الى رئيس الجمهورية. التدخل الناصري والضباط الناصريون. انقلاب على (زياد الحريري) باستخدام قوات الجبهة السورية الاسرائيلية. تفاصيل الحركة. الإشتباك. البيان الأول. استيلاء البعث على السلطة وانفراجه بها بالأخير. إنذار مصري بعدم التدخل. إجراءات التطهير. حملة اعتقال واسعة وقرارات بحرمان رجال الحكم السابقين من الحقوق السياسية وممارسة النشاط السياسي. وزارة البيطار الثانية. الترويج لإحياء الأهداف القومية العروبية. تنظيم جديد للإتحاد القومي في القاهرة. الاتجاه الى الاشتراكية. أجهزة القمع الناصرية ومؤسسات التجسس المحلي والمخابرات. توجيه الإعلام لخدمة الدولة كلية. تسخير الجمهور للدعاية وإخراج التظاهرات المؤيدة عند الحاجة. الوفدان العراقي والسوري في القاهرة لبحث الوحدة. إجتماعات لاتؤدي الى نتيجة والخروج باتفاقية نيسان ١٩٦٣ التي لم يكن أحد من الأطراف الثلاثة ينوي تطبيقها. صدمة البعث. نهاية الهدنة بين البعث والثورة الكردية. البارزاني يدعو الى الاجتماع الذي عرف باجتماع كويسنجق لبلورة المطالب النهائية. الرفض البات لها. عبدالناصر يسحب بلاده رسمياً من اتفاقية نيسان. المؤتمر البعثي القطري السادس. الصراع الدموي بين جناحي البعث المدني والعسكري. إحتلال الحرس القومي بغداد. تدخل الجيش والضباط القوميين. انقلاب قومي بزعامة عبدالسلام عارف. تمام طرد البعث من الحكم. مواصلة القتال مع الكرد

الفصل الخامس والثلاثون

1381-1410

انقلاب قومي على البعث في العراق. ردود الفعل. في سورية، استقالات وإحالات على التقاعد وتعاقب وزارات. ظهور أمين المحافظ. تجدد المعركة بين إعلامي القاهرة ودمشق. محاولة جاسم علوان الوحودية الانقلابية. تكرار المحاولات ووقوع قتلى ومحاكمات. انسحاب سورية من ميثاق الوحدة (ميثاق نيسان ١٩٦٣). انهيار الوحدة. انقلاب تشرين الدموي بقيادة عبدالسلام عارف وضباط ناصريين. القطعات العسكرية السورية تنسحب من العراق. مجلس قيادة ثورة جديد في بغداد. تسريح أفراد الحرس القومي وإلغاء تشكيلاته. دستور مؤقت جديد عراقي. موقف الحكام الجدد من الثورة الكردية. بيان ٢٩ حزيران. التأمير البعثي على الحكم يتجدد. مؤامرة فاشلة وحدوية. لقاء طريف بين نيكيتا خروشچوف وعبدالسلام عارف. الاعلان عن قيام قيادة سياسية موحدة بين بغداد والقاهرة. تشكيل مجلس رئاسي مختلط للتخطيط والتنسيق. وحدة التنظيم الحزبي "الاتحاد القومي الإشتراكي" في العراق. إجراءات إشتراكية. تأميم المصارف المحلية والأجنبية وشركات التأمين وعدد من الشركات الخاصة التجارية والصناعية. عقاب نفطي سوري على العراق. ضغوط البعث على حكم عارف. قوة عسكرية مصرية في العراق. فكرة الوحدة الشاملة تدفع الى الخلف. مساعدات مالية عراقية لمصر. مؤامرة عارف عبدالرزاق لإزاحة عبدالسلام. عودة الحزب الشيوعي الى النشاط. استئناف القتال ضد الكرد. مقتل عبدالسلام بحادث سقوط مروحية. استخلافه بأخيه عبدالرحمن. فشل مؤامرة أخرى ضد عارف. الهزيمة الكبرى في (هندرين) يُمْنى بها الجيش العراقي. حكومة البراز

الفصل السادس والثلاثون

1411-1441

البعث سيد الحكم في سورية. احتكار وظائف الدولة وتسريح القوميين الناصريين وغيرهم. صراع ايديولوجي داخلي وفوضى فكرية ضمن القيادات. تأجيج الصراع بالانتماءات الطائفية والمذهبية في القيادات. وزارة البيطار. إرغامه على الاستقالة. السوريون يضيقون ذرعاً بممارسات السلطة. اللجوء

الى العنف. صدامات دموية في (حمص) ومحاكمات عسكرية. اشتباكات في (بانياس). قتال ضار في (حماء). المدافع توجه مقذوفاتها نحو المساجد. تظاهرات عنيفة صاخبة. محاكمات عسكرية. التأميم. مراسيم متلاحقة تشل الحياة الاقتصادية تماماً. صراع بعثي قيادي داخلي تعذر احتواؤه. استقالة أخرى لوزارة البيطار. وزارة أمين الحافظ. اليمين واليسار في القيادة. اضطراب شامل ضد إجراءات البعث الاقتصادية ومقاومة عمليات التأميم. ظهور أمين الحافظ وصالح جديد ويوسف زعين. تعيين الأخيرين في المجلس الرئاسي. عفلق: الحزب أصبح مجرد عصاية. صراع بين (الحافظ وجديد). التجسس الإسرائيلي وإلياهو كوهين وتورط قياديين بعثيين معه. محاولة الخلاص من التفسخ الإداري. ظهور حافظ الأسد، ومحاولته وأب الصدع. الخلاف الداخلي يؤدي الى مواجهة. معركة عنيفة في دمشق والهجوم على منزل أمين الحافظ. الانقلاب يوصف بالحركة التصحيحية. إيقاف العمل بالدستور. مؤتمر قطري. اتفاقية اقتصادية مع الاتحاد السوفياتي. سليم حاطوم على رأس مؤامرة فاشلة. الدستور المصري السادس المؤقت. أحوال الأقلية القبطية. التفرقة الطائفية

الفصل السابع والثلاثون

1473-1443

وضع الجزائر الخاص في إطار الاستعمار الفرنسي. الاستيطان الأجنبي. وضع الجزائريين البائس بالمقارنة مع المستوطنين الفرنسيين وغيرهم. البرلمان الفرنسي يرفض مقترحات (فرحات عباس) بمنح حكم ذاتي للجزائر. تظاهرات سطيف واشتباكات مع القوات الفرنسية وضحايا. دخول ديغول في الصورة بصورة مفاجئة. جبهة التحرير الوطنية الجزائرية، بيانها الأول، تغلغلها بين الجماهير. إجراءات عقابية في الجزائر. مذابح تشرين الثاني ١٩٥٤. هجمات موضعية لمقاتلي الجبهة. إعتقال خمسة من قياديي الجبهة (أحمد ابن بلا وجماعته). المعونات المصرية. تدخل عبدالناصر. عمليات فدائية. اشتباكات في كل أنحاء البلاد. فوز الجنرال ديغول. فرض دستور جديد لفرنسا - الجمهورية الخامسة. رحلته الى الجزائر وخطبته واستقباله. قيام المستوطنين المسلحين. مرحلة جديدة من النضال الجزائري. مؤامرات المستوطنين بالاتفاق مع قيادات الجيش الفرنسي المرابط. مكاييد ومعارضات الساسة الفرنسيين في باريس. مفاجأة ديغول الكبرى. كانون الثاني ١٩٦٠. إنقلاب قادة الجيش مع المستوطنين. الجبهة تقف الى جانب ديغول. مفاوضات ايثيان. المعاهدة. جبهة مضادة رجعية في وجه تحقيق تقرير المصير المقترح. استفتاء عام على مستقبل الجزائر. اتفاق وقف إطلاق النار. إطلاق سراح القادة المعتقلين. التفاوض معهم. إعتصاب المستوطنين في الجزائر. انقلاب عسكري فاشل. موافقة الأغلبية الساحقة الفرنسية على استقلال الجزائر. تقويم موقف ديغول. محاولات اغتياله. معركة تعريب اللسان دون القومية. تأليف الجيش الجزائري. مؤامرات داخلية على انتزاع السلطة

الفصل الثامن والثلاثون

1497-1475

حرب الأيام الستة، من الباديء ومن يُلام؟ الدعاية الهائلة حول قوة الجيش المصري وقوى الدول العربية التقدمية. عود الى العام ١٩٦٦ وإطلاق أبواق الدعاية العربية. هجوم مركز على إسرائيل والتهديد. إطلاق قوى غير نظامية لعمليات تخريب على الحدود. أسلوب الخداع يرتد بسرعة على صاحبه. عبدالناصر يطلب سحب قوات الطوارئ الدولية من مضيق تيران. أهو مقدمة لإعلان حرب؟ مجلس الدفاع الأعلى العربي يعقد بسبب توتر الوضع. التحرشات على الحدود تتواصل. الحكومة البريطانية ترسل جورج براون الى موسكو. تأييد موسكو ل(ج.ع.م). عبدالناصر يهاجم الولايات المتحدة لموقفها. كريشكو مارشال الاتحاد السوفياتي ووزير الدفاع ينصح شمس بدران نظيره بتخفيف اللهجة وعدم التصعيد دون نتيجة. دعوة عبدالناصر للنزاع العسكري تتواصل. قلق عظيم في إسرائيل وتوالي

الرحلات الى واشنطن. دايان يقترح المبادأة بالقتال والحكومة ترفض. الاتحاد السوفياتي يكرر وجوب التخفيف من حملة التصعيد دون جدوى والتهديد السافر بسمح إسرائيل من خارطة العالم متواصل. الخطة الحربية الإسرائيلية. عبدالمنعم رياض في الأردن للتنسيق العسكري. إبادة الطيران المصري. تقدم القوات الإسرائيلية الحافظ في العمق الاستراتيجي المصري. التفهيم المأساوي العظيم. عبدالناصر يجهل معظم الأخبار حتى الساعة الأخيرة

الفصل التاسع والثلاثون

1525-1499

(تنتم) مكاملة سرية بين عبدالناصر والحسين تلتقطها أجهزة إسرائيل وتعيد إذاعتها مراراً للشعب العربي الذاهل. أكذوبة الطيران المصري الذي لم يبق له أثر. القوات الأردنية تخرج من القتال لفقدان الحماية الجوية. القوات العراقية تنسحب انسحاباً غير مشرف بعد تلقيها ضربات أولى. السعودية تسحب قواتها من جنوب الأردن. الألوية السورية التسعة تنسحب من الجولان لحماية دمشق. خشية الحسين من إنقلاب داخلي. مؤتمر قمة الخرطوم لجامعة الدول العربية. فقدان المعنويات في الجيش السوري. خروجه سالماً بفضل مجهودات (يوانات) في مجلس الأمن بإيقاف القتال. معلومات تنشر بالعربية لأول مرة حول استخدام الخط السري بين موسكو وواشنطن بناءً على طلب الوفد المصري من موسكو التدخل لوقف إطلاق النار. الاتفاق على وقف القتال في جميع الجبهات. إحتلال الضفة الغربية بما فيها قطاع أورشليم القدس العربي، الجولان حتى القنيطرة، غزة، كل شبه جزيرة سيناء والجزء الغربي من ضفة القناة المصرية. طريق القاهرة أصبح مفتوحاً. تشرذم القطعات المصرية. تهديد سوفياتي بوجود وقف القتال. الموقف الدرامي الهزلي المؤلم لأنقاض سياسة عبدالناصر في الداخل والخارج. إقالات واعتقالات للقيادات جماعية. توجيه التهم بالتقصير والجبن والخيانة. المرسحة المعدة سلفاً، واستقالة عبدالناصر، ثم قبوله العودة الى الحكم مكرهاً بعد إلحاح الشعب العربي في مصر. ضحية الهزيمة: المشير عامر وصحبه

الفصل الأربعون

1558-1527

سورية والبعث بعد حرب الأيام الستة. المؤتمر القومي. اتجاه نحو العالم الاشتراكي وإجراءات اشتراكية مجنونة. صراع داخل الحزب والسلطة. تطبيق الاشتراكية بالقوة. قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وأمريكا وألمانيا الغربية. زعين يشكل وزارة إنتلافية. إنقلاب في وزارة الدفاع وسيطرة حافظ الأسد. وزارة أخرى برئاسة الأتاسي. الصراع يزداد حدة. القلق السوري من انقلاب ١٧ تموز البعثي في العراق بمساندة عفلق والبيطار. انقلاب ثان (٣٠ تموز) في العراق وطرد المتعاونين واستقلال البعث بالسلطة. الوعد بإعادة الحياة الدستورية لم ينفذ. سياسة انفتاح أولية في بعث العراق. إطلاق سراح سجنائهم في ١٩٦٣. الرجل الذي يقف وراء (البكر) رئيس الدولة الجديد. الدستور الموقت الجديد. سياسة التسامح تنقلب الى عمليات تصفية جسدية متواصلة واغتيالات وقتول قضائية جماعية بتهم التآمر والجاسوسية والخروج على مياديء الحزب والاتصال بالبعث السوري. علاقات مع مصر يخيم عليها برود تام. سياسة الحكم الجديد ازاء الثورة في كردستان. مفاوضات سرية تنتهي باتفاقية الحادي عشر من آذار والاعتراف بالحكم الذاتي للکرد في العراق. الوضع الفلسطيني. استقالة أحمد الشقيري. منظمة فتح. المظاهرات تعم معظم العواصم العربية. ثورة مسلحة فلسطينية في الأردن بقصد إسقاط نظام الحسين. الدماء تغطي شوارع عمان. القتال الضاري وسقوط مئات القتلى. محضر اجتماع طريف للقمة في الجامعة العربية على اثر أحداث الأردن

دعوة الاتحاد الوطني الإفريقي للسودان. إجراءات صارمة في الجنوب. تظاهرات وأعمال عنف. ثورة شعبية ضد الحكم العسكري. إزاحة دكتاتورية عبود وإرغامه على الاستقالة. وزارة انتقالية. الشيوعيون في الوزارة لأول مرة. مجلس رئاسي. محاولة شيوعية فاشلة للاستيلاء على الحكم. الانتخابات العامة. اهدار الحزب الشيوعي ومطاردة فوله. محجوب وحكومة الائتلاف الوطني. انقلاب جعفر النميري وتشكيل مجلس قيادة الثورة وإذاعة البيان الأول. الاتجاه نحو (ج.ع.م). حكومة برئاسة النميري. دكتاتورية عسكرية سافرة. تمخضات واضطراب في اليمن الجنوبي. عبدالناصر يقوم بزيارة لصنعاء. استمرار الحرب الأهلية. عبدالناصر يعد بإخراج البريطانيين من اليمن الجنوبي بعد تصريح بريطانيا بنيتها في ترك البلاد. اتفاق تنسيق مع مصر كخطوة أولى نحو الوحدة الكاملة. قيام «الاتحاد العربي اليمني» تقليداً للاتحاد الاشتراكي المصري. حل الحزب الجمهوري. بقاء القوات المصرية. التعزيزات العسكرية السوفياتية للرئيس السلاكل. تقديم السعودية دلائل تشير إلى استخدام القوات المصرية الغاز السام أثناء قتالها القوات الملكية. مؤتمر القمة. ليبيا تعوض مصر والأردن عن خسائرها في حرب الأيام الستة. التفوق العسكري الجمهوري والمساعدات السوفياتية. مصر تنظم وتنشط الأعمال الإرهابية في الجنوب اليمني. حزبان ثوريان متنافسان على السلطة بعد خروج بريطانيا. نزاع على السلطة (قحطان الشعبي) رئيساً لجمهورية التحرير الوطني. الاستقلال. تسليم السلطة. ولادة جمهورية اليمن الجنوبي الشعبية. معونة بريطانيا المالية لليمن الجنوبي. الشعبي رئيساً للجمهورية الجديدة

استقلال ليبيا في ١٩٥١ وإعلانها ملكية دستورية. المؤتمر الوطني وشعارات عربية موالية لمصر. معاهدتان مع بريطانيا والولايات المتحدة تضمنان قواعد عسكرية لهما مبعث قلق لمصر. موقف الملك السنوسي العصب. مؤامرة لإزاحته طبخت في السفارة المصرية. مظاهرات طلابية عنيفة في ١٩٦٤ بشعارات عربية. وجوب اتباع سياسة عبدالناصر. التدخل الناصري السافر. القوات الليبية المسلحة. قوام الجيش وتدريبه. مفهوم القومية العربية وتحريم عقد أي رابطة صداقة مع دول الغرب مهما كانت ضرورية. الضباط الصغار يحتمون وراء أمثلة هذه الشعارات. القيام بالانقلاب. ليس بين القائمين به من يحمل رتبة نقيب، كلهم ملازمون أطلقوا على أنفسهم اسم «الضباط الودوديون الاحرار». علاقتهم مع مصر. البيان الأول في الأول من أيلول ١٩٦٩. مجلس قيادة الثورة. الملازم الأول معمر القذافي يرفع إلى رتبة عقيد. إلقاء القبض على رجال الحكومة. إعلان قيام «الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية». بيانات متلاحقة بتوقيع مجلس قيادة الثورة. تأليف الحكومة يعهد بها إلى سليمان المغربي أحد اللاجئين الليبيين إلى مصر. إحالات على التقاعد. اعتقالات بالجملة. توثيق الصلة (ج.ع.م) التي كانت أول من اعترف بالنظام الجديد. بيانات بوجوب قلب عناوين اللافتات فوق الدكاكين إلى العربية. تحريم دراسة الانكليزية في المدارس الابتدائية. زهات عديدة خطابية لقائد الثورة. الحديث حول الوحدة العربية. معركة المصير. توحيد زي المسلمين. صفقات أسلحة خيالية. إلغاء القواعد الأجنبية. تخبط في تطبيق الاشتراكية. مزاج القذافي الزبقي وتأميم المصارف. ليبيا دولة بوليسية بمزاج القذافي. تطبيق الشريعة الإسلامية. تحريم الخمر والمسر وغلق البارات والنوادي وغيرها من أماكن تعاطي المحرمات الإسلامية

مؤامرة الحركيين العرب على نظام الحكم السعودي تخنق في مهدها. مجموعة من ضباط القوة الجوية والمدنيين تم اكتشافها قبل التنفيذ، وقطع أربعين رأساً من المتآمرين. مراكش، التركيب السكاني. سلالة (الفلاحي العلوية) الحاكمة. اتفاق آذار ١٩١٢ الذي وضع السلطان مراكش تحت الحماية الفرنسية. محاولات التخلص من الحكم الأجنبي بعد نهاية الحرب العظمى الأولى. ظهور حزب الاستقلال. تشجيع السلطان (الملك فيما بعد) حركات الاستقلال وإنهاء الحماية. عزل السلطان محمد الخامس ونفيه ثم إعادته. تصريح (الاسل دي سان كلود). تشكيل الحكومة الوطنية الأولى. دستور ١٩٦٣. معارضة الأحزاب وفرض حكم قمعي. اغتيال الزعيم الوطني بن بركة. ضعف دعوى العروبة. مساندة القضية الفلسطينية. الابتعاد عن مشاكل العروبة. صدور مراكش عن محاولة تحقيق أي تقارب فكري عربي. مساندة لسانية. التخوف من الانقلابات العسكرية. فترات انتقالية فكرية وسياسية في البلاد الناطقة بالعربية. فشل الحركات العروبية في تحقيق تقارب في أيديولوجياتها. نكسة مسيرة القومية الكبرى في حرب الأيام الستة. نكستها الثانية في محاولة تطبيق الاشتراكية. انحسار المد القومي، وإخلاؤه الميدان للأصوليين الإسلاميين. احتكاكات القومية تؤدي إلى تفسخها وانحلالها. التناقض بالتهمة بين الصيغ القومية المختلفة. إفادة إسرائيل كثيراً من عداة القومية العربية للغرب. مشروع جامعة الدول العربية كان فاشلاً منذ ولادته. الجامعة يستخدمها زعماء الانقلاب للسيطرة على بقية الأعضاء، أو يتجاهلونهم ويزدرون بها عندما لا تلقى سياستهم ترحيباً وتصطدم بمعارضة. محاولة تحليلية ختامية للقومية العربية في الشرق وفي الغرب ملحق: حول التكوين العرقي لشمال أفريقيا

نهاية الكتاب الأول بوفاة عبدالناصر. حلم الوحدة العربية. المرض الذي ابتليت به الدول الناطقة بالعربية. عرض تاريخي موجز. تجربة الوحدة بين مصر وسورية. تجربتها بين مصر والسودان. متاهات الفكر القومي على ضوء التجارب والأيدولوجيات. عبدالناصر ودعوى حلم الوحدة قبل وفاته. تفاصيل عن الأسباب التي عجّلت بوفاة ومرضه. انطباعات شخصية لكاتب هذه السطور، مقالة جرت على المؤلف متاعب. النظام العراقي يتجاهل نبأ الوفاة وما عقب ذلك. استعراض وجيز لمداخلته في إطاحة الأنظمة العربية. قيادته المصريين إلى مشاريعه الاقتصادية والسياسية وأزمات النظام بسبب ذلك. محاكمة تعقيب. تعليق لمنيف الرزاز بالمناسبة. نسبة النجاح في تطبيق اشتراكية لم تقع موقفاً حسناً عند العالم الشيوعي والسوفييت بصورة خاصة. مجازفة فاشلة أكسبته عداة وأضعفت من مركز الزعامة التي ادعاها لنفسه. الصحف المؤممة والصحافيون المؤمومون، فشل تام في تحقيق نوع من التفاهم أو وحدة التيارات السياسية لدى الشعب المصري على الأقل. آراؤه في الميزان. كتابه في فلسفة الثورة. أجهزة الأمن والمخابرات، البدعة الناصرية والوسيلة الفعالة للقضاء على المعارضة باستعمال أسلوب التعذيب البدني والنفسي. قسوته ضد معارضيه. موقفه من الاخوان المسلمين بنوع خاص. محاولته إنشاء صناعة عسكرية متقدمة بجمع العلماء والخبراء النازيين السابقين. الثمن الذي كان يتقاضاه من الولايات المتحدة لقاء سكوتة عن إسرائيل. الأحزاب القومية بصورة عامة. افتقارها الدائم إلى الجماهيرية والشعبية والى زعيم لا يمكن توجيه طعن بخلفه. تعدد القيادات. الخلافات الايديولوجية الحاطة والمحاولات البائسة. الغول الذي خلقته تلك المحاولات قبل أن تلفظ دعوة الوحدة آخر أنفاسها. الإرهاب في البلاد الناطقة بالعربية

الجزء الرابع: المسألة الآشورية

مأساة الآشوريين

2043-2105	ملحات من سيرة رشيد عالي الكيلاني	1676-1675	تعريف بالكتاب
2107-2139	بكر صدقي العسكري	1688-1677	الفصل الأول: التاريخ الأول
2141-2172	حكمت سليمان	1696-1689	الفصل الثاني: الحرب الكونية
2173-2196	أسطورة الملك القومي غازي الاول	1703-1697	الفصل الثالث: لاجئون
2197-2210	اسماعيل عباوي (توحلة)	1720-1705	الفصل الرابع: الاستقرار في العراق
2211-2217	عبدالحמיד الدبوني	1728-1721	الفصل الخامس: الليفي الآشوري
2219-2245	وقفات سريعة على سيرة ياسين الهاشمي	1750-1729	الفصل السادس: الآشوريون وعصبة الأمم
2247-2259	آل رسام والقضية الآشورية	1760-1751	الفصل السابع: مار شمعون (البطريك)
2261-2278	مار شمعون (ايشاي) الثالث والعشرون	1776-1761	الفصل الثامن: نهاية عهد الانتداب
2279-2302	ياقو (يعقوب) ابن مالك اسماعيل	1787-1777	الفصل التاسع: حادث (ياقو)
2303-2316	لورنس العرب في ثورة الحجاز	1799-1789	الفصل العاشر: المغامرة الآشورية
2319-2329	الخطأ الهمايوني الصادر في ١٨٥٦	1818-1801	الفصل الحادي عشر: مجازر شهر آب
2331-2336	نص التصريح والتعهد الدولي الذي قدمه العراق الى مجلس عصبة الأمم	1827-1819	الفصل الثاني عشر: نهب القرى
2337-2344	حادث كركوك ١٩٢٤	1840-1829	الفصل الثالث عشر: ردة الفعل في المدن
2345-2350	البرقيات المتبادلة بين فيصل وحكومته ببغداد أثناء زيارته للندن	1851-1841	الفصل الرابع عشر: مستقبل الآشوريين
2351-2353	كتاب حزب الاخاء الوطني المعارض الى رئيس الحومة رشيد عالي الكيلاني	1856-1851	الآشوريون والتبعات البريطانية
2355-2358	كتاب وزير الخارجية العراقي الى عصبة الأمم بشأن وقائع آب ١٩٣٣	1877-1857	الآشوريون في ولاية الموصل
2359-2362	توفيق السويدي والقضية الآشورية في عصبة الأمم	1896-1879	العراق والآشوريون
2363-2368	حقيقة الموقف في جنوب العراق أثناء قيام المشكلة الآشورية	1947-1897	رأي لقومي عربي في أحداث آب ١٩٣٣ وما سبقها
2369-2377	البيانات الرسمية التي صدرت من الحكومة العراقية بمناسبة الازمة الآشورية	1966-1949	تعقيب على المقالة من مؤلف الكتاب
2379-2389	نموذج للاضطهاد الفكري الديني للعراقيين المثقفين غير المسلمين بحجة الكفر	1980-1967	نصوص الخطابات التي القيت في اجتماع المتصرفية بالموصل
2391-2406	قراءات وتعليقات متفرقة لجانب من «الانجازات العروبية»	1993-1981	اجراءات قبول العراق عضواً في عصبة الأمم وانهاء نظام الانتداب
2407-2410	الخاتمة	2014-1995	الجلسة الخاصة بالقضية الآشورية في العراق أمام مجلس عصبة الأمم
		2019-2015	تصريحات الملك فيصل حول مذابح آب لصحيفة الديلي ميل اللندنية
		2038-2021	شهود عيان حول مذابح دهوك وبيخير ومجررة سمبل